

العَصِيَّةُ الْقِبْلِيَّةُ

في ضد الأوسلام



تأليف

محمد بن عبد القادر عيسى



AHMAD SR

AHMAD SR

AHMAD SR

AHMAD SR

العصبية القبلية في صدور الأسلام

AHMAD SR

العصية القبلية في صدر الاسلام

AHMAD SR

تأليف

محمد عبدالقادر محمد خريسات

٢٠١٥م

محمد عبدالقادر خريسات

العصبية القبلية في صدر الإسلام

حقوق النشر محفوظة

الناشر

مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع

أريد - الأردن

للتأليف 00962-2-7270100 ص. ب. 1284 أريد 21110.

رقم الإجازة المستعمل لدى دائرة المطبوعات والنشر (٢٠٠٤/٣/٥٩٤)

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٠٤/٣/٥٩٤)

٩٦٠٢

خريسات، محمد عبدالقادر

العصبية القبلية في صدر الإسلام / محمد عبدالقادر خريسات

أريد : مؤسسة حمادة، ٢٠٠٤

ن. أ. (٢٠٠٤/٣/٥٩٤)

الناشر : الناشر /

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفتنة

اللهم لك جزيل الحمد، وموئود الشكر على ما حبوتنا به من نعمة التوفيق وما أمسقت علينا من هداية أنارت لنا السبيل وذللت لنا الصعاب، والصلاة والسلام على رسوله وصحبه الأبرار.

وبعد،

لقد عاش العرب في الجزيرة العربية على شكل مجتمعات صغيرة، تتركز فيها الفرد بتقاليد الآباء والأجداد، وهذه المجتمعات عرفت باسم القبائل والعشائر، لقد كانت هذه القبائل متناثرة فوق وربع الجزيرة العربية، لا يجمعهم رابط غير رابطة الدم واللغة فلم يكن هناك وحدة سياسية تظلمهم ولا وحدة دينية تجمعهم، الفرد في الجزيرة العربية قبيلة والقبيلة فرد. مثلهم الأعلى أنصر أمحك ظاناً أو مظلوماً، مصلحة القبيلة فوق كل شيء ولوق كل اعتبار، فكانت الفردية والقبيلية تخلق أحداثاً جارية تمتد على طول السنة دون توقف.

لقد أثر حرب الجزيرة العربية العنيفة والغزو على كل شيء، ومن جراء ذلك أصبحت الجزيرة في صراع دائم، الكل بين طارد ومطرد، ومن هنا عاشوا الحرية كما عاشوا النار، بل جعلوه فرضة مقدسة يطالبونه ولو بعد عشرات السنين. لقد كانت القبيلة مستشرية في كل شيء فللقبيلة أب واحد ينحدرون منه، ولها أرض معينة تسكنها يحرم على الآخرين دخولها، ولها لهجتها الخاصة بها. أما طقوسها الدينية فهي مميزة عن طقوس القبائل الأخرى.

وفي مطلع القرن السابع الميلادي، ظهر الرسول الكريم ﷺ فدخل في صراع عنيف مع الوثنية، واستطاع عليه السلام أن يطيح بعروش الوثنية وأن يكون نظاماً عالمياً فيه خير الإنسانية جميعاً. لقد جعل الإسلام الوحدة والتماسك العنصر الأساس للمجتمع السليم. فأوجد شعوراً واحداً وقلباً واحداً وسيلاً واحداً وهدفاً واحداً.

لقد حقق الإسلام روح الوحدة الدينية والوحدة الاجتماعية فحمى المجتمع الجديد من أفات الجاهلية، جاء الإسلام بحمل الإيمان واليقين والصدق والعزيمة وبزرع في سلوك الأمة الخير والصلاح، جاء يحذر من الفرقة والاختلاف ويحث على سبل الخير المعروف، «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليات وأولئك لهم عذاب عظيم»^(١).

لقد فتح الإسلام صفحة في الإنسانية فوحد العرب وجمع كلمتهم وجعلهم أمة من الأمم. فانتقلت العرب من قبائل متفرقة إلى أمة مؤلفة القلوب ترفع توحيد الله في بلاد الله، وتصنع حضارة وأمجاداً. لقد زرع الإسلام في نفوس الناس نهجاً جديداً وأجرى في عروقهم دمًا جديداً.

لكن مع ما جاء به الإسلام لم يستطع أن يتأصل جذور العصبية القبلية، إلا أنه مع ذلك استطاع إخمادها لسوقت من الزمن والتخفيف من ويلاتهما. لقد وصغها الرسول ﷺ بأنها منتنة وحث على تركها، وحذر الأمة من أخطارها إلا أنها ظهرت في حياته بين فترة وأخرى. وما أن انتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى حتى تحركت بوادر العصبية القبلية من جديد سواء في طلب الخلافة، أو في ظهور حركة الردة. وقد استطاع الإسلام أن يتغلب ثانية لظهور العصبية بين المرتين ووحدة وتألف المسلمين.

واستمرت العصبية القبلية مع استمرارية المجتمع العربي، وجاءت النظم الإدارية والعسكرية والمالية لتعاقب على وحدة القبائل فانتقل العرب من الفتوحات يحملون معهم عصبيتهم الجديدة عند الروم والفرس فأبنت ثمار هذه العصبية، لكنها بعد فترة بسيطة عادت لتمزق المجتمع الإسلامي وتعود من جديد وكأنها انتقلت من عصبية الحيايم إلى عصبية القصور أو من الصحراء إلى المدن. بل ونشأت عصبيات جديدة وهي عصبيات الأمصار أو العصبية الإقليمية. لقد استمرت العصبية القبلية دون انقطاع فكان لها دورها في مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه وفي النزاع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما.

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٤-١٠٥.

وفي العهد الأموي برزت العصبية بأوسع مما كانت عليه سابقاً، وكان جاهلية جديدة قد عادت فاندولة الأموية قامت نتيجة بروز التيارات القبلية وتهاوت عندما تأكلت الانتماءات القبلية التي قامت عليها

ولم يقتصر أثر العصبية على الساحة السياسية فحسب بل امتدت آثارها إلى النواحي الاجتماعية والفكرية والدينية فقد ظهرت عصبية قبلية انتهجت منهجاً سياسياً وارتدت ثوباً دينياً كحركة الخوارج التي جاءت لتتحدى سيطرة قريش على الخلافة ورفعت شعار ديمقراطية الخلافة على أنها حق لكل مسلم وليست قصراً على قبيلة دون أخرى.

وفي مجال النواحي الاجتماعية هرست الخروانات والحقد بين القبائل العربية وقسمت الأمة شعباً وحزباً، أما في المجال الفكري فقد ابدعت الحركة الشعرية نتيجة المهارات التي تارت بين الشعراء وخاصة في العهد الأموي

ونقد حفرني لذكنته بهذا الموضوع هو أن دراسة هذه الظاهرة التشريعية والاجتماعية من شأنها أن تبصر الأمة العربية والإسلامية بحظر العصبية الذميمة التي تمزق البلد الواحد وتشتت المجتمع المتآلف، وتشعل نار الخصومات. وقد تشغل من الآباء إلى الأبناء.

والعصبية ليست قصراً على البدو والصحراء والحيام، فهي كما تنشأ بين البدوة تظهر في قصور الحضرة كما أنها ليست عند العرب وحدهم بل في جميع المجتمعات حتى أرقدها حضارة وديمقراطية إلا أنها لا تبلغ شدتها كما هي عند العرب وبالنسبة للعالم العربي لا ترون أقطار كثيرة تعاني من الفئسية والجمالية كانت رأس عهد قريب في لبنان وآخر حرب كانت بينهما سنة ١٧١٠ في قرية عين داره في جبل لبنان كما تارت أيضاً في قرية غرينا في فلسطين^(١)

وفي كتابتي لهذا الموضوع واجهت صعوبات جمة أهمها أن المصادر القديمة لم تعمد لهذه الظاهرة بحثاً وإنما كانت ترد ضمن إشارات عابرة وجمل متناثرة وهي في ذاتها لا تؤلف وحدة موضوعية كما أنها تحلو من التسلسل التاريخي.

(١) محمد كرد علي، حط الشام، الجزء الأول دمشق ١٩٢٥، ص ٦٧

ومن هنا كنت مضطراً لدراسة المصادر القديمة عسي أظهر عما يشير إلى هذه الظاهرة وإن ظهرت بشيء من هذا فإني كنت لا أجد ما يرشطني إلى ما وراءها من الأوصاف والدوافع كما كنت مجبراً أيضاً على قراءة كل مصدر من ألفه إلى يافته.

وفي المراجع الحديثة لم يتطرق إلى هذا الموضوع إلا القليل وسهم الدكتور علي مطهر في كتابه المعصية عند العرب وأثرها على الدولة الأموية وليس في هذا الكتاب ما يسد رمق الباحث.

عنى أن أفضل من كتب في هذه الظاهرة وهو الدكتور حسام النص في كتابه المعصية القبلية وأثره في الشعر الأموي، والواقع أنني أخذت من هذا الكتاب كثيراً

وقد تعرض لدور المعصية القبلية أيضاً الدكتور عبد الحريز الدوري في كتابه مقدمة في تاريخ صدر الإسلام. ومن المستشرقين فقد كان لفلهورن فصل لا ينكر في لغت الأنظار إلى الدور الذي لعبته المعصية «نسبة على الدولة الأموية وذلك في كتابه «الدولة العربية وسقوطها».

وحتى أشك من الإلزام بالموضوع تماماً كنت مضطراً إلى دراسة المصادر الدينية وتاريخية والأدبية كي أجمع مواد البحث من أصولها.

فبالنسبة للمصادر الدينية فقد كان القرآن الكريم المصدر الأول والأهم في بحثي فقد استشهدت بالآيات التي تنهى عن المعصية القبلية والآيات التي تحث على الأمانة وجمع الكلمة.

والاستشهاد بالآيات القرآنية استدعاني إلى الرجوع إلى كتب التفسير ومنها "جامع البيان في تفسير القرآن" للطبري و"تفسير القرآن العظيم" لابن كثير و"الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل" و"عبرن" لأقاويل في وحيه التأويل" للزمخشري. وقد رجعت إلى كتب الحديث حيث اعتمدت على صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود والفاائق في غريب الحديث للزمخشري و"تنزيه الشريعة المروعة" لابن حراق.

أما المصادر التاريخية فقد اعتمدت بالدرجة الأولى على المصاحرة الأصلية، فأطلعت على كتب التاريخ العام والأنساب والطبقات والفنوحات والملاح.

١- المخطوطات: أهم المخطوطات التي اعتمدت عليها هي

١ أنساب الأشراف لبيلاذري (٢٧٩هـ / ٨٩١م) الجزء الحادي عشر مخطوط مصورة بمعهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم ٩١٧ وتبدأ بالمخطوط من غروج مصعب ابن الزبير إلى العراق حتى نهاية ثورة ابن الأشعب .

٢ قيد الشريد في أخبار يزيد لشمس الدين محمد بن حنون الصاهي النجفي ٩٥٣هـ والمخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم ٧٥٨ وفيه يدافع المؤلف عن الاتهامات التي وجهت إلى يزيد بن معاوية .

٣ الأعلام بالخروب لواقعة في صدر الإسلام ليوستف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الباسي النجفي (٦٥٤هـ) وفيه يبحث المؤلف في العثر والوقائع التي حدثت في صدر الإسلام والمخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم ٤٦٠ ت . وقد علمت أن باحثاً أردنياً وآخر عراقياً قد قام كلاهما بتحقيق جزء منه ولم يشر بهما .

٤ الفصل بين الحق والباطل من معاصر قطبان المؤلف مجهول والمخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم ٣٥٤ وفيه مادة تتعلق بطبقات العرب ومعاصر القحطانييين وحلف ربيعة وكندة في ابعادلية والإسلام وردة لقبائل اليمنية والعن في العصر الأموي^(١) .

٥ أخبار العباس وولده والمخطوط مصورة في معهد الدراسات الإسلامية العليا ببغداد وتبحث في أخبار العباس وولده ولها أخبار معصلة عن شاة الدولة العباسية ونهاية الدولة الأموية والأوضاع بخراسان . وقد اعتمد المؤلف وهو مجهول في رواياته على أبي مخنف المتوفى (١٥٧هـ) ومصعب الزبيري (٢٣٥هـ) وعمر بن شبة (٣١٢هـ) والبيلاذري (٢٧٩هـ) وقد اعتمدت عليه كثير الأعراده ببعض الروايات التي تبين حالة حراسان في نهاية الدولة الأموية وقد حقق المخطوط الدكتور عبدالعزيز الدوري .

(١) منتشر المخطوط قريباً من قبل المؤلف.

٦. الآثار الربيعة في مآثر ربيعة لرضي الله عن محمد بن ابراهيم بن يوسف الشافعي (٨٧٧-٩٧١هـ) والمخطوط مصور بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم ٢٧ وفي المخطوط مناخر ربيعة على غيرها من القبائل وخاصة مصر

٧- **كتب التاريخ**، وأولها كتب السجور ومن السير معاري، أبو قتي (٢٠٧هـ)، والسيرة النبوية لابن هشام (٢١٨هـ).

والمرور في احتصار المغزي والسير لابن عبد الله (٣٦٨-٤٦٣هـ) واسكن الحيون في سيرة الأئمة، مأمون الشهيرة بالسيرة الحفية لبرهان الدين الحلبي (٩٧٥-١٠٤٤هـ). وفي التاريخ العام والأسباب والطبقات اعتمدت على أهم المراجع التالية:

ففي لأسباب والطبقات : اعتمدت على كتاب حذف من سب قريش مؤرخ من عمر السدوسي المتوفى (١٩٥هـ) وكتب سب قريش لمصعب الزبيري (١٧٦-٢٣٦هـ) وجمهرة سب قريش لفرير بن بكر (١٧٢-٢٧٦هـ) وجمهرة أسباب العرب لابن حرم (٢٨٤-٤٥٦هـ)، ولأنه على قبائل الرواة لابن عبد الله (٤٦٣هـ) ونهاية الأرب في معرفة أسباب العرب للقلقيدي (٨٦١هـ) وأهم هذه المصادر هي:

١. **الطبقات الكبرى** **لمحمد بن سعد** (١٦٨-٢٢٠هـ).

يهتم كتاب الطبقات بالشخصيات الدينية أكثر من اهتمامه بالشخصيات السياسية ومع ذلك ففيه أخبار سياسية وخاصة ما كان في زمن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان

٢. **تاريخ ابن خياط وطبقاته، خليفة بن خياط** (٢٤٠هـ) حقق كتاب التاريخ حديثاً وقد قام بتحقيقه كل من انفراد أكرم العمري من العراق وسهيل زكار من سوريا. أما كتاب «طبقات فقد حققه أكرم العمري من العراق.

وابن خياط مؤرخ عصري، يستعمل الأسانيد في رواياته وهي في التاريخ أكثر منها في الطبقات وقد ذكر على الأسانيد خاصة في الأمور التي تحتاج أخبارها إلى تدقيق حولاً من تأثير الأهواء فيها كالفتنة زمن عثمان وموقعة الجمل وصفين وبيعة أهل الحجاز

ليزيد ووقعة الحرة وثورة ابن الأشعث ونشأة الدعوة العباسية وبيان المصالح القبلية في خراسان وفي التاريخ ميرة لا تتوغل ضد غيره وهي أنه كان يورد قوائم بعد كل خليفة تتضمن أسماء النولا ورؤساء الشرطة والدواوين وموظفيها وملكه القوائم مفيدة لمن يهتم بالوحي الإداري.

ومن أشهر من أخذ منهم ابن حياض بن اسحق (١٥١هـ) ووهب بن جرير وأبو معشر السندي (١٧٠هـ) وأبو اليقطين سحيم بن جعص (١٩٠هـ) وأبو عبيد بن معمر بن أنس (٢٠٩هـ) وعلى بن محمد المماثي (٢٢٥هـ) وغيرهم أما كتاب الطبقات فهو يحلو من الأسد في بعض الأحيان وفيه معلومات لمن يهتم بتسلسل الأنساب.

٢. مؤلفات محمد بن حبيب البغلياني (٢٤٥هـ).

أ- المسقى في أخبار قريش ' طبع الكتاب حديثاً في الهند - دار الكتب - وبه معلومات مفصلة عن قريش وديانتها وأحلافها ومغائراتها ، وانكتب لا غنى عنه لأي باحث يود دراسة لتجتمع المكي .

ب- تلخيص فيه معلومات قيمة عن العصر الجاهلي وعن رجالاته العرب ، والمأثر القرشية في الجاهلية والسيادات الوثنية والقبائل وأنواعها والأسواق كما تعرض للثمن الإسلامية وإن لم يخصص بها كما يحري ، أيضاً معلومات متفرقة عن الدولة الأموية

ج- أسماء العلماء من الأشراف ، لقد اعتمدت المخطوطة المصورة بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم ت ٣٥ وفيه أخبار عن يوم الفجر والردة ، فتنة الجمل وفتنة البصرة بعد موت يزيد بن معاوية

٤. مؤلفات محمد بن مسلم بن قتيبة (٢٣٦هـ).

أ- المعروف ، اهتم ابن قتيبة بالمساحة الأدبية أكثر من اهتمامه بالتاريخية . ومع ذلك فإن كتاب المعارف يتطرق لبعض الحوادث السياسية والمسائل الإدارية كما أن أهمية هذا الكتاب تعود إلى أن المؤرخ قد اعتمد على من سبقه أو عاصره من المؤرخين

ب- الإمامة والسياسة . يسبب هذا الكتاب إليه ويحوي هذا الكتاب روايات لا ترد عنه غيره . كما أن بعض هذه الروايات تملأ من ذكر الأسانيد ويكتفى بالإشارة إلى قوله 'فأثروا' أو 'ذكروا' ولذا على الباحث أن يقف على هذه الروايات ويقدرها بخيرها

ج- عيون الأخبار . يهتم الكتاب بالخواص الأدبية وهو ضروري لكن من يرغب في الكتابة عن العصر الحالي ، كما أنه مفيد لكل من يرغب في الاطلاع على الخطب وخاصة في الفترة الإسلامية .

٥. مؤلفات أحمد بن يحيى البلادي ٢٢٧٩هـ

أ- فروع البلدان . لقد كان البلادي يهتم بشعري رواياته ويستخلص منها ما يراه ماسياً . وفي كتابه هذا يهتم بذكر أخبار الفتن وحالت العربيه ومع ذلك لا ينسى البلادي ان تعرض للحوادث السياسية وجميع المعلومات عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في المناطق التي فتحها العرب .

ب- أنساب الأشراف . تم طبع من هذا الكتاب مسوى الجزء الأول وقد قام بتحقيقه الأستاذ محمد حميد الله . وهذا الجزء يبحث في نسب بني هاشم والجزءان الرابع والخامس وقد طبعوا في القدس سنة ١٩٣٨ وبحثان في مسي أمية . ومع أن هذا الكتاب يهتم بالانساب إلا أن فيه عرصاً تاريخياً أعطى للبلادي شهرة حتى أنه اعتُبر من أهم المؤرخين العرب في المنصور الوسطى^(١) كما وثقه مؤرخون جهاد وبعده كالجيشياري والصولي وفريزي والذهبي .

٦. الأخبار الطوال، أحمد بن خالد النيشوري (٢٨٢هـ)؛

يحتوي هذا الكتاب على معلومات وأخبار تاريخية لا توجد عند غيره . ولكنه يذكر رواياته بدون إسناد وفي بعضها اضطراب إلا أن الرجوع إليها أمر لا بد منه حتى يتمكن الباحث من مقارنتها مع الروايات الأخرى . وفي الأخبار الطوال ميرة في أنه يتحدث عن دور القبائل والعصبية القبلية في خراسان وخاصة بعد موت الوليد بن يزيد

(١) الجيبيف . العرب والإسلام وانتفاضة العربية تعريب الدكتور ليهن فريضة . بيروت ١٩٧٢م .

٧. مؤلفات اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (٢٨٤هـ):

أ- التاريخ : اليعقوبي معاصر للديموري وكما انفرد الديموري في بعض الروايات فقد شابهه اليعقوبي أيضاً كما أنه يذكر رواياته في غالب الأحيان بدون ذكر الأسانيد . وهي مقارنة رواياته بعيره وخاصة الطبري نجد أنه أخذ عن مصادر غير التي اعتمد عليها الطبري . وتظهر في كتاباته قبهعات علوية إلا أنه معتدل .

ب- البلدان : فيه معلومات قيمة عن حركة القبائل واستقرارها وخاصة في بلاد الشام .

٨. التاريخ الزميل والمؤلف أحمد بن جرير الطبري (٢١٠هـ):

يعتبر كتاب الطبري من أهم المراجع في التاريخ الاسلامي وتضم رواياته بالقصة التاريخية يبدأ الطبري تاريخه منذ بدء الخليفة وفي العهد الاسلامي يبدأ بالتسلسل التاريخي فيذكر الأعمال الحربية والسياسية وقد كان يحرص على ذكر مختلف الروايات حول حادثة معينة ومن هنا جاءت بعض رواياته لا انسجام بينها ولا توافق .

وربما كان حرص الطبري على ذكر جميع المصادر هو السبب في ذلك واعتمد الطبري أيضاً بشرق الدولة الاسلامية أكثر من غيرها يرجع ذلك إلى أن غالبية من أخذ عنهم الطبري هم من المؤرخين العراقيين . وربما كان ذلك هو الدافع لاي الأثير والذي اعتمد على الطبري بدرجة كبيرة إلى البحث عن مصادر أخرى وخاصة ما تعمق منها بأخبار الحيرة الفراتية وغرب الدولة الاسلامية

٩. كتاب الفتح لأحمد بن هشام الكوفي (٣١٤هـ):

لم يعرف هذا الكتاب إلا حديثاً ، ومن هنا لم يستعمله إلا قليل من المؤرخين وهذا الكتاب يبدأ من مؤثر السقيفة حتى عهد الخليفة العباسي المعتصم .

ويتأثر كتاب الفتح على كتاب الطبري في توضيحه للحالة في خراسان في العهد الأموي وفي الكتاب معلومات قيمة عن استقرار العرب في خراسان وأرمينيا كما يتعرض للخليفة عثمان بن عفان وثورة المختار ووقعة صفين .

١٠. مؤلفات السعدي علي بن الحسين السعدي (١٢٤٥هـ).

أ- مروج الذهب ومعادن الجوهر.

ب- التبيين والأشراف

لا يعطي السعدي روايات تاريخية متسلسلة الحلقات إنما يهتم ببعض الأحداث دون غيرها. وفي كتبه معلومات لا تتوفر عند غيره تتعلق بشغالة الشعوب الخاضعة للدولة الإسلامية وعاداتها ومعتقداتها هذا فضلاً عن ثقافة الأقطار التي كانت لها علاقات اقتصادية وسياسية مع الخلافة.

وهناك ملاحظة وهي أن السعدي يمدنا بمعلومات طريفة يدخل فيها بعض الأساطير والقصص الشعبية من هنا كان على الباحث أن يحلر الأسلوب الشيق الذي سرد به رواياته وخاصة ما جاء منها بدون أسناد.

١١. العيون والحنائق في أخبار الحقائق.

مؤلف هذا الكتاب مجهول والكتاب موجود منه الجزء الثالث ويبدأ منذ خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المنصور ٢٦٨هـ. وتعود أهمية الكتاب إلى ذكره بعض روایت لا تتوفر عند العبري إلا أن المؤلف لا يذكر الأسانيد.

١٢. وعن مؤلفات أيضاً قيمة صفين للمصنفين مزاحم (٧١٢هـ).

وفي هذا الكتاب معومات عن دور القبائل العربية في معركتي الجمل والحمل وصفين والنزاع بين علي ومعاوية.

ومن المصادر عن العصبية مقدمة ابن خلدون وهي مرجع هام لدراسة الأنظمة العربية القبلية، وفيها الكثير من التعاميم والاستنتاجات القيمة والمعطيات الممتعة. وقد صي ابن خلدون في مقدمته بالنظم الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع العربي القبلي. كما تطرق إلى بحث دور العصبية في شؤء الممالك.

ومن كتب الترجمة رجعت إلى سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (٢٥٧هـ) والامتنعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر (٤٦٣هـ) وكتبي سيرة عمر بن الخطاب

ومسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الخوزي (٥٩٧هـ) وأسد الغابة لابن الأثير (٦٣٠هـ) وروفيات لأعيان لابن حلكون (٦٨١هـ) والاصابة في تبيير الصحابة لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ).

وفي كتب البلدان والمفتوح رجعت إلى أخبار مكة للأزرقي، وصلة جزيرة العرب للهمداني (٣٣٤هـ) والأعلاق النفسية لابن رسته وتاريخ الموصل للأزدي، وزبدة الخلب في أخبار حلب لابن العميم، وأسماه جبال تهامة لعرايم، والاسلمي وفتوح مصر والمغرب لابن عبدالحكم وفتوح الشام للأزدي وشفا الغوام في أخبار أبلد الحرام لغامسي

أما مصادر الأدبية فأهم لمراجع التي اعتمدت عليها 'الأعاني للأصمغاني' و 'الاشتقاق لابن دريد والعمدة' لابن رشيد و 'خزانة الأدب' لليغددي و 'البيان والنتيس' للمحافظ و 'حماسة أبي تمام وحماسة البحتري والمفضيات' للنظمي و 'العقد الفريد' لابن عبدبريه و 'بلوغ الأرب' للألوسي و 'نهاية الأرب' للسوري و 'الكامل في اللغة والأدب' للمبرد و 'تقاضي جرير والأخطل' و 'تقاضي جرير والفرزدق'

ومن كتب المحدثين اعتمدت على 'تاريخ الأمم الإسلامية' للخفصري و 'تاريخ الإسلام السياسي' لحسن براهم حسن و 'تاريخ العرب' لغليب حني و 'النظريات السياسية، الإسلامية' لمحمد ضياء الدين الرئيس و 'تاريخ التمدد الإسلامي' لبحرعي ريدان، 'التاريخ الإسلامي' لأحمد شلبي، 'مفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام' لحواد علي، 'مقدمة في تاريخ صدر الإسلام' لعبد العزيز الدوري، 'التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة' لصالح أحمد العلي و 'الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري' لمحمد حسين الريمي و 'التاريخ السياسي للدولة العربية' لعبدالمعزم ماجد و 'العراق في العهد الأموي' لعلي حسي الخربوطلي و 'طبيعة الدعوة العباسية' لفاروق عمر و 'صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار' لمحمد بن عبد الله بن يهيد النجدي.

وفي الكتب الأدبية 'تاريخ الشعر السياسي' و 'تاريخ النقائص في الشعر الجاهلي' لأحمد الشايب و 'مصادر الشعر الجاهلي' لناصر الدين لأسد، و 'شعره مجد والحجار والعراق' لشيوخو و 'أدب السياسة في العصر الأموي' لأحمد محمد الحوفي و 'الصعاليك في العصر الجاهلي' ليوسف حليف.

أما بالنسبة للمصاحف الأجنبية المعربة فقد رجعت إلى كتاب اندولة العربية وسقطها مضمون و "حصارة الاسلام" لغودا بخش و "تاريخ الشعوب الاسلامية" لبروكلمان و "السيدة العربية" لغاد فموتس و "الحلافة" لآرتولد و "حصارة العرب" لغوستاف لويون.

وقد قسمت البحث إلى ثمانية فصول ففي الفصل الأول تعرضت للعصبية القبلية في العصر الجاهلي من حيث تعريفها وأقسامها والأسس التي قامت عليها ثم مظاهرها ودواعي ظهورها كما تطرقت في دة سريعة عن المجتمع الملكي قبل البعثة النبوية

وفي الفصل الثاني تعرضت للعصبية القبلية في عهد الرسول من حيث : موقف الاسلام منها وموقف قريش والقبائل العربية من الدعوة الاسلامية

أما الفصل الثالث فيبحث في تجدد العصبية القبلية بعد وفاة الرسول ﷺ والتي ظهرت في لتنافس على الخلافة وفي حروب الردة . كما تناولت مظاهرها في عهد عمر بن الخطاب من حيث النظام الحربي وبناء المدن ونظام العطاء

وفي الفصل الرابع تحدثت عن دور العصبية القبلية في الثورة على عثمان وقد مهدت لذلك بالهجمات القمية ونشوء العصبية الاقليمية ثم تناولت مجلس الشورى وانتخاب عثمان والخلافة في عهده ، ثم تطرقت إلى دور العصبية القبلية في العتة والثورة عليه .

أما الفصل الخامس فتكلمت فيه عن دور العصبية القبلية في الصراع بين علي ومعاوية وبدأته في الثباتات المؤثرة في انتخاب علي وأثر معركة الجمل في موقف علي ثم عن دور القبائل في معركة صفين وأثر هذا الصراع في انتقال الخلافة إلى البيت الأموي .

وفي الفصل السادس تكلمت عن العصبية والفتن القبلية في العهد السفلياتي وأثرها في انتقال الخلافة إلى البيت العرواني .

أما العصيل السامع تعرضت للعصبية في العهد الرواني حتى وفاة عمر بن عبد العزيز وقد تضمن الصراع بين القيسية واليمانية في الشام وسياسة عبد الملك ثم انقلبت في العراق وأخيراً الحالة في عهد الوليد وموقف سليمان وعمر بن عبد العزيز من هذه العصبية

أما العصب الشامس فقد تناولت فيه العصبية في عهد يزيد الثاني وهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد وأخيراً الفتى القبلية في مختلف أمصار الدولة الإسلامية وأثر ذلك على سقوط الدولة الأموية .

هذا ولا ينوئني هنا أن أقدم شكري وعظيم امتناني إلى كل من ساعدني في هذه الرسالة وأحسن بالذكر فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح علي شحاته المشرف على الرسالة الذي سحني من وقته الشيء الكثير والذي كان لتوجيهاته الأثر الكبير في مساعدتي لإخراج هذه الرسالة . والله تعالى سأل أولاً وأخيراً - أن يلهما التوفيق والسداد

وأن يمدد بروح من هذه - ويتقبل منا أعمالنا وأقوالنا بقبول حسن ، ومنه الهدى وهو ولي التوفيق

محمد عبد القادر محمد خريصات

القاهرة ١ / ٦ / ١٩٧٥

AIMAD VR

الفصل الأول

العصبية القبلية في العصر الجاهلي

الأسس التي تقوم عليها العصبية القبلية

أ- وحدة الدم والنسب

ب- مجتمع القبيلة

ج- الأرض والمياه

د- اللغة

هـ- الدين

مظاهر التقارب والنزاع القبلي

دواعي ظهور العصبية القبلية وأثرها في العصر الجاهلي

المجتمع المكّي قبل البعثة النبوية

AIMAD VR

العصبية القبلية: تعريفها وأقسامها

١. تعريفها:

«العصبية مشتقة من . "عصب" وجمعها أعصاب، والعصب هو العنق الشدلي. وكل شيء استدار بشيء فقد عصب به . ويقال عصب بالرجل عصباً أي أحاطوا به لقتال أو حمية . وعصب القوم بالنسب أحاطوا به . وعصب الرجل بنوه الأفرىون.

وجاءت عصب بمعنى شد وعزم . فعصب رأسه أي شده . وعصب الشجرة يعصبها عصباً أي عزم ما تمزق منها بحبل . وتعصب بمعنى تشيع والعصبية وتعصب تعنى المحاماة والمدافعة وعصبية الرجل قومه الذين يتعصبون له ويقال للرجل الذي يعصب لعصبته ويعادي عنها ويعيبهم ولو على الظلم عصبياً

وبالمعنى الاصطلاحي تعنى العصبية . أن يذهب الرجل الى نصرته وعصبته والتألب معهم على من يلاؤم ظالمين كانوا أم مظلومين^(١)

وتختلف شدة العصبية باختلاف درجات القرابة . فهي تشتد في النسب الحميمي تقرب الدعمة^(٢) وتضعف كلما بعد النسب . فعصبية الأسرة هي من أشد العصبية وتضعف كلما امتدت الى البعيد أو البطن . ومن هنا يمكن تقسيم لعصبية الى قسمين^(٣)

أ- العصبية الماركية أو العصبية الجماعية . فهذه «العصبية بمثابة الوعاء الكبير الذي يحوي بداخله العصبية العنصرية . وهي عند العرب تتمثل بالفرعين الكبيرين الذي نعرف عليه علماء الأنساب والفرعون على تقسيم العرب اليهما ، وهما عدنان وقحطان

ب- العصبية العنصرية أو البسيطة فهي تبدأ من الأسرة وتستمر حسب التقسيم الشائع في البناء العنصري من مغل وقبيلة وعامرة وبطن وعشيرة

(١) انظر مادة عصب في لسان العرب، القاموس المحيط، تاج العرويس، اصباح المنير

(٢) ابن خلدون، المقدمة شرح على عبد الوجد و في . الطبعة الأولى ١٩٥٨ القاهرة ٢/٢٤٨.

(٣) سبط العنصرية، تراسنت بن مقدمة ابن خلدون ، ندر الكتاب العربي بيروت ١٩٦٧ من ٢٥٢.

والجدير بالملاحظة أن العصبية تسع وتضيق حسب الحاجات والظروف، فهي حالات كثيرة تكون العصبية الكبرى لا تقل شدة عن العصبية الصغرى

٢. أقسام العصبية:

قسم ابن خلدون^(١) العصبية القلبية إلى قسمين:

العصبية المدحوة.

العصبية المذمومة.

والعصبية المدحوة برأيه ضرورة للمنة ويوجودها يتم أمر الله، وفي الصحيح ما بعث الله نبياً إلا في معة من قومه

والعصبية المدحوة هي التي تحت على الخلق، ونصرة المظلوم. وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام "خيركم المذائع من عشيرته ما لم يأثم"^(٢)

أما العصبية المذمومة فهي العصبية التي تقوم على الباطل ونصرة الظالمين وقد دم الإسلام هذه العصبية بأيات وأحاديث عديدة ومن هذا القبيل قال عليه الصلاة والسلام من العصبية "أن تعين قومك على الظلم"^(٣) وقد كان لهذه العصبية أثر خطير على حياة القبائل العربية فقد خلعت المنارعات والانقسامات مما جعل انقياد بعضهم إلى بعض أمر مستحيلاً^(٤)، وجعلوا شعارهم، لأعلى "انصر أحاك ظالماً أو مظلوماً"

ومن هنا يرى الفرق الشاسع بين العصبية المدحوة والعصبية المذمومة فالمدحوة أيسر شمارها عندما اجتمعت عصبية العرب على الدين فزحفوا نحو الفرس والروم

(١) ابن خلدون، المقدمة، دار احياء التراث العربي، بيروت ص ٢٠٢

(٢) سنن أبي داود، تصنيف، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي، الطبعة ١٩٥٢ / ٢

٦٢٥

(٣) سنن أبي داود ٦٢٥/٢

(٤) ابن خلدون، المقدمة، شرح وافي ٤٢٨/٢.

فابتروا ملكهم واستباحوا دنياهم^(١) «ما العصبية الملعونة فقد وفقت سدا حنيئا أمم
تكون أمة موحدة في العصر الجاهلي وامتدت آثارها السلبية فيما بعد وكانت من أهم
العوامل التي أدت إلى سقوط بني أمية.

الأسس التي تقوم عليها العصبية القبلية:

١- وحدة الدم والنسب:

وهو الأساس الأول الذي تقوم عليه العصبية القبلية وهذه الرابطة كنت من أقوى
الروابط القبلية ووحدة القبيلة وتمسكها تزداد كلما اعتقد أفراد القبيلة بأنهم ينحدرون
من أب واحد، ويهري في عروقهم دم واحد.

وقد اعتبر ابن خلدون عصبية الدم مزعة طبيعية في البشر حيث يقول: «إن صفة
الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل» ومن صلتها النمرة على ذوي القربى، وأهل
الأرحام أن يبالغهم فيهم أو تصيبهم هلكة، فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم
قريبه أو إغفاله عليه، ويود لو يحول بينه وبين ما يهله من المصائب وإهالك لزعمة
طبيعية في البشر ملك كانوا، فذا كان النسب المتواضع بين المتناصرين قريبا جدا بحيث
حصل به الاتحاد والاتحاد كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجرد ما يوضحها
وإذا بعد النسب بعض الشيء فرمما توسى بعضها^(٢).

ثمرة النسب وفائدته أنه يوجد النمرة بعصبية وتراد قوتها كلما كان النسب قريب
بين الأهل والقبائل وقد أوقع العرب بالأنساب كثيرا وذلك بسبب حبهم لعصبية
القبيلة، فقد استغفرو بكل شيء، لا إلا حساب^(٣) فكانوا يحافظون على صفاتها وبقائها،
ومن هنا وجد عدم الأنساب وهو العلم الذي يهتم بتسلسل نسب القبيلة من آدم حتى
آخر فرد في الأسرة ضمن حلقة متواصلة من الآباء والأجداد.

(١) ابن خلدون، المقدمة، ١٢٨.

(٢) المصدر سبق، ١٢٨.

(٣) ابن كثير، البدايات لنهاية، المعارف، بيروت، دارالرياض ٢٥٥/٢.

وقد اعتبر هذا العلم من العلوم الشرعية وبه كانوا يفخرون على غيرهم من الأمم فالصالح بن المنذر يقول لكسرى ' . . وأما أنسابها وأحسابها، فليست أمة من الأمم، لا وقد جهلت آباءها وأصولها، وكثيرا من أولها، حتى أن أحدهم ليسأل عمر ووه أبيه ذيب فلا ينسب ولا يعرف ولا أحد من العرب إلا ويسمى أبيه أبا غابيا حاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا به أنسابهم فلا يدخل رجل من غير قومه، ولا ينتسب إلى غير أبيه^(١)

لقد عرفت العرب عن طريق هذه الأندلس جساميرها وشعبها وقبائلها ورهطها وفصائلها كما عرفت الأصحاح وطبوعون وانعمائون وهذا لم يكن مثولوا عند غيرهم من الأمم^(٢)

ولم تقتصر أهمية السب على أنه وسيلة للتعاضد والتتصير بل لعب دورا في الزواج فيعرف القبائل أنه لا يحطب الكعب إلا الكعب، ولهجين إلا الهجين^(٣) والكعب يشترطون فيه صراحة النسب، وصراحة السب مدعاة للشرف وعلى الاناء اعتبارها قبل اجمال فان المناكح الكريمة مفرجة للشرف^(٤)

لقد كانت العرب تفتخر برواجها من ذوات الحسب والنسب، وتعد هذا الرواج مائزة لآبائها ومغيلة انجزت لهم، فأبو الأسود الدؤلي يقول ليه ' لقد أحسنت انكم صحرا وكبار وقبل أن تولموا. قالوا: وكيف احسنت اليها قبل أن تولد؟ قال اخذت لكم من الامهات من لا تسبون^(٥).

لقد انعمت العرب عن غيرهم من الأمم بوضع أسس لرواج، فالفرس كانوا يختارون حتى انقال والروم على الجمال أما العرب فعلى الاحساب^(٦) بل ان العرب

(١) ابن عبد ربه، عقد المفرد، الطبعة التجارية ٢٢٩/١ وانظر لاثوى، بلوغ الأرب ٤٩/١

(٢) النويري، نهاية الأرب، طبعة دار الكتب ٢٧٦/٢.

(٣) المصدر السابق، ٢٧٦/٢

(٤) النويري، طب الدين والفتيا، القاهرة ١٩٥٢ من ١٠٣ ١٠٤.

(٥) المصدر السابق.

(٦) الا شوي، استنارف في كل فن مستنارف، القاهرة ١٩٣٣ من ٧٤/٢

كانوا يفاضلون بين قصيرة السب وطويلة . فقصيرة السب هي التي تعرف «دا ذكر اسم والمعاء أما طويلة السب فهي التي لا يعرف سببها إلا إذا ذكر سلسلة طويلة من الأسماء والإجداد»^(١) وكما اشترط العرب لحسب في المرأة فقد كانوا يكرهون رواج بناتهم من اللثام، بل إن الموت حسب وأثر عندهم لبائهم من أن يتزوجهن من لا حسب له^(٢)

ومن هنا فرق العرب بين صريح السب والهجين، فالصريح هو من كان والده من العرب أما الهجين فهو الذي ولدت له أم وأبوه عربي^(٣) ، والصريح على مراتب فكانوا يقولون لأحسبهم نسبا معاص ولنسب الحبيب الركني معاصم السب^(٤) .

وأطلقوا اسم المعص على من هو أبى هم وبيته صمه^(٥) و «مأشوب» أطلق على مخلوط السب^(٦) والهجين أيضا على مراتب فذكر كس^(٧) هو من ولدت له أمتان أو ثلاث، وإذا حدثت به الأماء من كس وجه فهو محبوب^(٨) وإذا لم يعرف لبرجل سب ولا ولاء لأحد أطلقوا عليه «منرج»^(٩) .

وكانت العرب تعتبر الحاق سب دعى إلى نسبها أكبر شدة فقدمها له هذا يزيد بن معاوية يقول يزيد بن أبيه «... فقد تقلدك من ولاء ثقيف التي هو قرشي ومن هيب إلى أبي سليمان ومن القلم إلى الشير»^(١٠) .

ولم يكن العرب بأسبق الام إلى الاهتمام بعلم الأنساب، فقد سبقهم العبرانيون واليونان والرومان، وبرزهم العبرانيون، حيث وجد عندهم جماعة من النسابة

(١) المستطرف ٢٢٢/٢، السبيلي، الروابي لألف ٢٢/٢ .

(٢) أدب السنين ودينه، ١٠٢، ١٠٤ .

(٣) ابن سيدة، الحفصين، برلاق ١٣١٩هـ من ١٤٩ .

(٤) لاخوسي، بارغ العرب ٢٧/٢ .

(٥) ابن بكار، جمهوره نسب قرشي ١٧ .

(٦) ابن سيدة، الحفصين ٩٧ .

(٧) الحفصين السابق ١٤٩ ١٥٠ .

(٨) الحفصين السابق ١٤٩ ١٥٠ .

(٩) ابن سيدة، الحفصين ٩٨ .

(١٠) جمهوره تاريخ لطفاء ١٥٦ .

اختصموا بجمع، لأنساب وحفظها، ومنهم من كان يهتم بجمع أنساب العرباء من
اسرائيل وربما كان كتبة الاسعمر من هؤلاء انسابه^(١)

الا ان العرب عاقلوا غيرهم من الامم بالعناية بعلم الانساب حتى انه لا يعرف امة
عاش ماضيها في حاضرها وكان له الاثر في توجيه حياتها الاجتماعية والسياسية
والادبية كلامة للعربية^(٢).

لقد اهتم العرب بالانساب، بل حاولوا ان يعرفوا سب كل شيء فعندما اخذ
الرسول ﷺ يدعو الى عبادة الله واحدة تقدمت قريش لتسأل عن سب هذا الاله وقالوا
له: انسب لنا ربك^(٣) فنزل قوله سبحانه وتعالى ﴿ قل هو الله احد الله الصمد، لم
يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ﴾^(٤).

وقد بلغ من اهتمام العرب في المحافظة على الانساب ان اهتموا بحفظ انساب
اخيل وصفوا في ذلك الكتب التي تيسر تسلسل الخيول واسماء فحول العرب وجيدها
وما عرف في الجاهلية والاسلام وما شهر باسم او سب من ذكورها وامانها^(٥).

وقد تمكن احد سبابة اخيل من ان ينسب اكثر من خمس وعشرين عربا الى جميع
آبائه وامهاته^(٦) كما اهتموا بسب الخيول ايضا^(٧)

وقد استمر اهتمام العرب بالانساب حتى بعد الاسلام بل وجاءت بعض
التراتب الادارية والمالية لترهد من اهتمام العرب بالانساب. وكما كان الجاهليون
يجمعون انسابهم ويهتمون بصريح النسب، فقد رعاها العرب وعناية دقيقة بعد
الاسلام.

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٤٦٨/١.

(٢) احسن نفس الحميرية نقيلة والرها في عصر الاموي ٢٦.

(٣) ابن الاثير الحربي، جامع ٤٨٥ في اجابته الرسول ٥١٩/٢.

(٤) سورة الاحقاص.

(٥) نظر انساب الخيول لابن النكفي في الجاهلية والاسلام طبعة بيشر ١٩٢٨ وبمع اسماء حول العرب
وفرساتها لابي عبد الله بن زياد الاعرابي

(٦) لاحظ البيهقي والتهني ٣٢١/١.

(٧) ابن القيم، المبررات ٢٢٨.

فالوليد بن عبد الملك يأتي من رواح الخباج بن يوسف الثقفي من هاشمية وعبد
 الله يكتب إلى الخباج بأمره أن لا يصح كتابه من يده حتي يطلقها^(١) فقد احتير عبد
 الملك والوليد ان هذا الزواج غير متكافئ القرشية

وهذا عقيل بن علفه بن الحارث الدبيلي يقول لعبد الملك وقد أراد أن يخطب
 لبعض ولده ان كان ولا يد فجسي عجمك^(٢)

وعصاحة السب وشرفة كان مدعاه لتتقدم حتى في الأمور الدينية فقد تنازع
 الحارث بن خالد المحزومي وكان واليا لعبد الملك على مكة مع امان بن عثمان الذي كان
 واليا على المدينة على امرأة الحج عندها كان عبد الملك مشغولاً بشوكة ابن الاشعث ولم
 يعين أميرا على اخراج هجعت امان الحارث لسبه ومال الناس اليه^(٣)

ولأهمية النسب كانت العرب تفرض بكل فرد أن يعرف نسبه وعلمه الانساب
 بأسهون عندهم يجدون من لا يعرف هذا لعدم ولا يهتم به فاس قتيبة يذكر سبب تهنيئه
 لكتاب المعارف لأنه رأى كثيراً من الأشراف من يجهل نسبه ومن ذوى الاحساب من لم
 يعرف سلعه ومن قريش من لا يعلم من اين نسبه القريش من رسول الله ﷺ وأهله . .
 ويصيف متابعاً في دوافع تأليف لكتابه . ورأيت من ينتمي الى العvisنة وهو لا يدري
 من أي العvisائر هو ، وإلى الطبر ، وهو لا يدري من أي الفسائل هو ، ورأيت من يعرف
 بنفسه من سب دق عاتقى الى رجل لم يعقب كرجل رأته ينتمي الى أبي ذر العvisري
 ولا عقب لأبي ذر ، وإلى حسن بن ثابت وقد انفرس عقبه . وأخر دخل على المأمون
 فكلمه بكلام أعجبه فسأله من نسبه فقال من طيء ، من ولد عدى بن حاتم فقال له
 المأمون الصلبة ؟ قال نعم فقال . هيهات الصلبة إن أباً طريف دم يعقب .

فكان سقوطه بجهله حال الرجل الذي احتاره بذخوته اتضح من سقوطه بالنسب
 الذي رعب فيه^(٤) .

(١) المستطرف ٢/ ٢٢٠ ، ٢٢٦ .

(٢) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ٢٥٢ .

(٣) لاغسي ٢/ ٢٠٩ طبعة بيروت

(٤) ابن قتيبة ، المعارف ٢ .

وقام هشام بن عبيد الله لرجل لم يعرف نسب نزار ولا قريش، وكان من أحواله: ليس من عائلتنا حشمة^(١).

وللحفاظ على تماسك الأساب كثر النسابة في العصر الجاهلي حتى لا تكاد نجد قبيلة أو عمارة إلا وفيها سابه. وما رجال الأساب في العصر الجاهلي والإسلامي إلا كصناديق الأحوال المدنية أو مأموري التعوس في الوقت الحاضر، وكلما يتجه والد الطفل اليوم إلى مصلحة قيد التعوس أو إلى سجل الأحوال المدنية كان أفراد القبائل يتجهون إلى رجال الأساب يحبروهم بمولد طفل جديد.

ومن هنا فقد كثر السابون حتى أنه قلما أن توجد قبيلة تخلو من رجل سابه يحفظ أنسابه وأصولها. وقد بلغ بعض هؤلاء النسابة شهرة دائمة مثل دهميل بن حنظلة الدوسي من بني شيبان وقد أدرك النبي ولم يسمع منه وكان من المقربين إلى معاوية، ولما سأله معاوية كيف ضبطت هذه الأنساب؟ أجابه بمداومة العلماء^(٢) أي أعداء صهم كما حفظها "بقلب حقون ولسان مؤول". ونظرا لعرفته بالأساب طلب منه معاوية أن يعلم به يزيد الأساب^(٣).

وس النسابة - الأقرع بن حابس في بني تميم وأبو جهم بن حذيفة ومخرمة بن نوفل وهم من أعظم النسابة في العصر الجاهلي، وقد أدركوا الإسلام وكان لهم سهم بأيام العرب أيضا.

ومن رجال الأنساب رؤيه بن الحجاج البكري وكان بصرا نيا وعبيد بن شريح، جهمي وكان من جلساء معاوية بن أبي سفيان، حازما بأيام العرب وأعدائهم، وصحار بن العباس في عهد القيس، وصالح الحنفي في بني يشكر، ومجادل بن سعيد، وزهير بن ميمون في همدان.

(١) مجهول، النجاشي والمذائق ١٠٢.

(٢) الرمثي، المذائق في غريب الحديث، حلقه على محمد البخاري دار بناء الكتاب العربي ١٩٤٥
٢١٤/٢.

(٣) بن عبد البر الاستيعاب بمناقب الأندلسية في تمييز مصحابة ٤٧٨/٢، ٤٧٩.

وهي قبيلة كلب، محمد بن السائب الكلبي وهو مقدم في علم الأنساب وعنه
أخذه ابن هشام حيث كان علماً بالأنساب والعرب وأخبارها ومثاليها وأيامها، وعونه بن
الحكم^(١).

أما قريش فقد كان أبو بكر أنسبها بقريش، وعنه أحد الأنساب جبير بن مطعم
وقد عثر بأنه أنسب العرب فاطبة وأنسب قريش، ومن جبير أخذ علم الأنساب سعيد
بن جبير^(٢).

ومن قريش أيضاً عليل بن أبي طالب فقد كان له حلق في المسجد يتحدث فيها
عن الأنساب وأيام العرب وكان أكثر الناس ذكراً لمثالب الناس وتعذراً لمساوئهم^(٣)
وظهر انتسابه في بطون قريش المختلفة فمن محزون كان عتيه بن عمرو بن عبد الرحمن بن
الحارث بن هشام، ومن أسد يحيى بن عمرو بن الربيع ومصعب الربري وقبلهم كان
حرام بن حويلد حيث كان من العلماء بالأنساب قريش^(٤). ومن هذي الخطاط بن عيين
وقد تناثر إليه حرب بن أمية وعبد المطلب^(٥).

وفي قبيلة ثميم كان لكل بطن رجل سابه مهم: أبو بكر بن الحكم ومن أثار معلن
بن خالد ومن قضاه نحار بن أوس بن الحارث وعنه أبو صبيدة من أنسب العرب^(٦).
وهو الذي قال معاوية إن العبادة لا تكلمك إلا يكلمك من فيها^(٧).

(١) ابن القيم، الفهرست، ١٢٦، ١١٦.

(٢) الجاهلي، أخبار النبي، ٢١٩/١، الاستيعاب، ٢٢٠/١.

(٣) السفي، نكت اليريين طبعة مصر ١٩١١ ص ٢٠٠.

(٤) ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٣١٩/٦.

(٥) الجاهلي، أخبار النبي، ٢١٩/١، ٢١٩/١، ٢١٩/١.

(٦) السويدي، سبائك الذهب، ٦.

(٧) بن مكر، الإكمال في رفع الأرتباب، جبر أيار الفس، ١٩٦٢، ١٩/١.

وفي الأنصار، ظهر عبد الله بن محمد بن حمزة الأنصاري وهو أعلم الناس
بأنساب الأنصار^(١). ومن بني أسد ظهر الأقيشر وهو بغيره بن عبد الله الأسدي أقعد
من أسد سباً^(٢) ومن عطفان كان القاسم بن ربيعة بن جوش الغطفاني^(٣)

والنصيب المأثرف للقبائل هو تقسيمها إلى العرعين الكبيرين، عنان وقحطان
ولم يعرف تدوين الأنساب في العصر الجاهلي وأول تدوين كان في عهد عمر بن
الخطاب عند احتج به أنساب القبائل لتسجيلهم في ديوان المظنة وهذا التسجيل لم
يصل إلينا ولا تشير مصادر الأنساب إلى أن النسابة قد أخذوا عن التسجيلات التي تمت
في عهد عمر. وما بين أيديها إنما هو خلاصة وجهة نظر أنساب في أنساب القبائل^(٤).

وبالرغم من أن العرب قسمت أنسابها إلى قسمين إلا أننا نشاهد تجمعات ترجع
نسبها إلى جد قديم ومن هذه التجمعات مصر وربيعة وقضاة وحمير وكهلان، وكل
مجموعة قبائل كبيرة ترجع في عصبيتها إلى تلك المجموعة^(٥).

وأول من ألفت في علم الأنساب هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المتوفى
سنة ١٢٤ هـ ولم يصب كتبه. وتبعه أبو البقطان سحيم بن حمص الذي ألف كتاب
النسب الكبير وكتب سب خندف وخيارها وقد توفي أبو البقطان سنة ١٩٠ هـ^(٦).
وجاء بعدهم مؤرخ بن عمرو السدوسي المتوفى سنة ١٩٥ هـ وقد وصلنا كتابه "حذف
من سب فرس" وقد يكون هؤلاء النسابة قد سبقوا هشام بن محمد بن السائب الكندي
المتوفى سنة ٢٠٤ هـ الذي عشرين حاجي خليفة^(٧) أول من كتب في هذا العلم وأبناه
المششرق ليحيى بروفنسال^(٨)

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب، بعض لأصله ٢٠٩/١

(٢) الأقبلي، ١٦٥/١ طبعة بيروت

(٣) البصري، التاريخ، بغير الجزء الرابع القسم الأول / ١٦٦.

(٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للمؤلفين بيروت ١٩٧ / ٤١١

(٥) المصدر، ص ٤١٤

(٦) ابن اللبكي، فهرست ١٤٤، ناقرت معجم لبيد ١٨٠/١١

(٧) كشف الظنون طبعة استانبول ١٩٤٤ ١٧٩/١.

(٨) مقدمة جريدة بن حزم ٤

وقد كانت دوافع الأقبال على هذا العلم تتلخص بالأمور التالية^(١) :

- ١ . معرفة نسب رسول الله ﷺ بأنه عربي وأنه من قريش ومن شئت في نسبه أمو قريشي أم ثماني أم جيمي أم عجمي فهو كافر غير عارف بنسبه لا أن يعذر بفهمه .
- ٢ . النسب ضروري لمن يشترط في الخلافة طبقاً للحديث * الأئمة من قريش * وهو أن الخلافة لا تجوز إلا في ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .
- ٣ . الأنساب واجبة لمعرفة الأرحام وصلتها ، ومحرمات النكاح ، والميراث ، والوصية والنفقة
- ٤ . معرفة من يحق له أخذ الخمس من ذوي القربى ومن يحرم عليهم الصدقة من آل محمد ﷺ ومن لا حق له في الخمس ولا يحرم عليه الصدقة
- ٥ . التمييز في حريان الرق على العجم دون العرب ، والفرق بين حكم نصارى بني تغلب وبين حكم سائر أهل الكتاب في الجزية وأصناف الصدقة .
- ٦ . الكفاءة الزوجية ففي مذهب الشافعية لا يكافيء الهاشمية والمطلبية غيرها من قريش ولا يكافيء في القرشية غيرها من العرب من ليس بقريشي . وفي مذهب الحنبلية أن قريش بعضهم أكفاء بعض وبقيّة العرب بعضهم أكفاء بعض واستثنى قبيلة بأهل حنبلتهم .
- ٧ . حفظ الأنساب من الدخول فيها والخارج عنها ، والتمييز بين أنطون والأحباء والأموات
- ٨ . معرفة الأنساب تساعد على التعاضد والتناصر ودفع القبائل لا يصدق إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد .
- ٩ . معرفة الأنساب كانت العرب تنوصل إلى معرفة الشعوب والقبائل ، فناد عرفوا أنسابهم تعاطفت أرحامهم وحافظوا على أواصر القرابة وبه تتحقق الغاية من الآية

(١) نذر هذه الدوافع في لادوري: أحكام سبعمانية ٩٨ أبو يعني لطراء الأحكام لسلطانية ٩١، السوردي: سببك الذنب ٥، ابن حرم جبهة أنساب العرب ٢ ابن خنبل: العدد ٢/٢ طبعة دار البين، القلشندي نهاية الأرباب الصنعاني، الإنساب ٢/١.

الكرمية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(١).

وقد أدت العداية بالانساب إلى خلق عصبية بين الفرعيين الكبيرين ومن هنا أخذ نسبة كل فرع يحاول أن يجمع إليه أكبر عدد ممكن من القبائل والأرومات وأبرر مثال على ذلك نسب قضاة - نسبة حمير يقولون: قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن حمير^(٢).

ونسابة مصر يقولون: قضاة بن معد بن عدنان^(٣) ويقولون أيضا أن قضاة هم نزل معدية في الجاهلية إلى أن تحولت في العصر الأموي بتدبير من خالد بن يزيد القسري إلى اليمن^(٤). ويذكر أيضا أن معاوية بن أبي سفيان ومن بعده يريد كائنا بهر قبائل بعض رؤساء قضاة على الانتماء من اليمن والانساب إلى معد غير أن هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح وهذا يدل على أن قضاة قد انتمت إلى اليمن قبل خالد بن يزيد ويظهر أن ما فعله خالد هو أحداث حلف مع القبائل اليمنية وليس الالتحاق بشعبهم.

ولم يكن معاوية وحده الذي حاول ضمهم إلى المفسرية فحسب، بل حاول من بعده، عمر بن عبد العزيز حيث قال: "إن علي منكم لفضاة عشتكم حرب قوم، فلتصمت من أبيكم وانتميت إلى غيره وكنتم أخوة قوم لأهم فصرتم أنتمكم أنصرتهم لأبيهم وأهمهم"^(٥).

بسبب الاختلاف في نسب قضاة قال بعض النساب: "إن العرب ثلاث جرائيم، نزار واليمن وقضاة"^(٦) وأبعض الآخر جعل العرب أربعة أركان هي: نزار وربيعة

(١) لصحاح الآية ١٣.

(٢) ابن عبد البر الإنشاء على القبائل الرواء ٥٩.

(٣) ابن عبد البر الإنشاء على القبائل رواء ٦٠ وانظر حجج القرطبي نسب قرطبي ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨ طبعة بيروت، التمهيداني، الأكاكيل ١٥٧.

(٤) ابن عبد البر الإنشاء على القبائل الرواء ٦١.

(٥) أنساب الأشراف ١٥٧-١٦٠.

(٦) ابن عبد البر الإنشاء على قبائل الرواء ٦٢.

وقضاة وحكيم^(١)، والطاهر أن احتلاط قبائل قضاة بقبائل قحطان وقبائل عدنان هو الذي أحدث^(٢) الارتباك بين أهل الأنساب فحملهم يسونها تارة إلى قحطان وأخرى إلى عدنان^(٣) ومن هنا حاول كل من الحريين أن يجتذبه إلى جانبه وأخذ النسابة يحاولون إثبات سبها كل حسبما يريد وخاصة هؤلاء قامت «لحق في الدولة الإسلامية وحاولت الأطراف المتنازعة أن تكسب هذه القبائل إلى جانبها.

ولم تكن قضاة وحدهم التي خفضت في أنسابها للأهواء السياسية، فقدت شارتها بجينة فمن كان منهم بالشام والمغرب سبوا إلى أندلس وزار وغيرهم لسبوا إلى اليمن^(٤).

وقد ستمر لخلط بين الانساب وبين انطباع السياسية القبلية طيلة العهد الأموي، فعند قدم محمد بن عبدالله القسري أميراً على العراق ومعه جند من الشام من قبائل لحم وجذام قامت بو أسد بن حزيمة وقامت أنتم قوما وأحدثوا بذلك شعراً يربط بين نسب أسد وجذام ولحم وهامله^(٥).

واختلف أيضاً في نسب خراعة فالبحر يقول أنها خراعة بن محي بن قعقة بن الياس بن مضر^(٦) غير أن أكثرية النسابة يرون أنها من القبائل اليمنية

وسبب الانساب حاول كل فريق أن يكثر من ذكر مآثره فعندما أحدثت القبائل العدنانية تمتمح بالنبوة أحدثت القبائل اليمنية تمتمح بأسعد تبع وقالوا إنه كان نبياً مرسل إلى نفسه، وأنه نبأ بظهور أرمون ﷺ قبل سبع مائة سنة من ظهوره، وأنه قال في ذلك شعراً حفظه الناس، ومن هنا نهى النبي ﷺ عن سبه^(٧)

(١) السمعاني الانساب ٤٤/٦، ٥٩.

(٢) جواد علي المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٤٤٠/٤.

(٣) الزبير بن سب القريش ٧.

(٤) المصدر السابق ٩.

(٥) ابن عبد البر الانباء ٩٢.

(٦) التتبع في التتبع في أخبار اليمن ١٢ وما بعده.

وسبب العصبية أدعت بعض القبائل مثل ربيعة أن رسول الله ﷺ قال لا تسوء ربيعة فإن الله . . .^(١) يبين، صراحةً وشعياً وقد وضعوا بذلك شعراً يشترن به سوتهما وقالوا

منا شعيب الكلباء وصالح
والصبيك فسر بالكلابك راوية^(٢)

وسادة الحمداني يقولون إنما الصبيحان مصر وبيعة^(٣) بينما يعثرهم ابن خلدون في مصر من قرش وكثانة وثلثين وبي أسد وهدن ومن جاورهم من غزاة ويمصر ذلك لأنهم كانوا أهل شلف ومواطى غير دوات وزع ولا طرع وبعدها عن أرياف الشام والعراق وهؤلاء كانت أسابهم صبيعة محفوظة لم يدخلها احتلاط ولا عرف فيهم شوب إن العرب الذين كانوا، بالتلول وفي معادن الحصب من حمير وكهلان مثل لحم وجذم وفسن وطي وقضاة ورياء فاحتلقت أسابهم وتداخلت شعوبهم^(٤)

وأشار الحمداني إلى أثر العصبية القبلية في وضع الأنساب وخاصة في عهد معاوية ومن جاء بعده ومحاولته ضم كتلة قبضة وكهلان إلى جانب مصر ثم إلى تقليل نسبة العراقي والشام في عدة آباء حمير وكهلان، ليضاهوا بذلك عدة الآباء من ولد اسماعيل وذكر أنه كانت عبد أهل اليمن مثل حمير وهمدان وغيرهم زير مدونة فيها أسابهم يشغلها الناس وهي تختلف عن الأنساب التي تداولها أهل النسب في الشام والحجاز والعراق. ويذكر أيضاً أن بعضاً من أنساب عرب الحجاز قد دخل في أنساب أهل اليمن ويعرى ذلك إلى سببين: الأول حملة بختنصر الكلداني على اليمن في عهد أسعد تبع وهي أيام حسان بن أسعد. والثاني ما كانت تفعله الأهواء السياسية وخاصة في محاولات معاوية^(٥).

(١) جاس في الأسر ويستدل من الشعر على أن لله بحث إليهم سبب.

(٢) القاضي الأثر اربعة في ملز بني ربيعة ٥٨/١-١٠٠، مطبعة مصيرة، جامعة الو لاامرية، رقم ٥٥

(٣) البلاذري: أنساب الأقران ٥/٢٤.

(٤) راني شرح مقدمة ابن خلدون ٢/٤٢-٤٦٦

(٥) الحمداني: لاقتله ٨/١٠٠-١٠١.

إن بعض الأنساب التي وصلت إلينا وما لفق لها من مثالب ما هي إلا مظهر من مظاهر العصبية القبلية . وحير مثال على ذلك ما لحق بنسب ثقيف من مثالب ، وربما كان الحجاج بن يوسف الثقفي وسخط الناس عليه سبباً في وضع القصص والأساطير والحقاقتها بنسب ثقيفية^(١) . كما طعن في نسب آل الأشعث بن قيس الكندي وخاصة عندهم ثار عبد الرحمن بن الأشعث في عهد الحجاج^(٢) .

نقد جعلت الأنساب والقبائل العربية كشلاً متنافسة وهذا مما أدى إلى زدهاد العصبية القبلية بين القبائل وخاصة في أيام العنق .

وبالرغم من قوائم الأنساب الطويلة التي يوردها النسابة ضمن حلقات متسلسلة واعتماد العرب بهذا العلم وكثرة المؤلفات فيه واعتباره علماً رقيقاً^(٣) فاضلاً ، وجليل القدر وبه يكون الثعارف ، إلا أن هناك ملاحظات على عدم الأساليب أهمها .

١ عجز النسابة عن بيان النسب الحقيقي لبعض القبائل العربية كشوح والعنق وضبان ، من مسحدون من أب واحد أم هم عبارة عن اجتماع وتحالف بين عدة قبائل ، وفي شأنهم يقول ابن حزم بعد أن يذكر أنهم ليسوا من أب واحد وذكر السبوي قديماً وهذا له دعوى لا يدونها إلا ، بل هو وجل^(٤)

٢ اعتبر ابن خلدون أن قاعدة النسب هو من أجل النصر والتناصر وصلة الأرحام وإن صارت من قبيل العلوم ذهبت فائدته^(٥) . وابن خلدون بهذا يؤكد أن النسب يخلق العصبية .

(١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٤/٤٢٦ .

(٢) ابن رسته ، الاطلاق للقبيلة ، ٢٠٥ .

(٣) انظر أوصاف عبد الله في ابن حزم جمهرة أنساب العرب ٢ . لثبناه على البذل رواية ٦٢ ، ابن القتيبي انموذج الجامعة في دلائل سبعة ، ١٨ ، اسمعاني ، الأنساب ١/١ ، حاجي خليفة كشف الظنون ١٧٦٦-١٧٨٥ .

(٤) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ١-٣ ، ٤٦٢ .

(٥) واقفي ، شرح مقامة ابن خلدون ، ٢/٤٢٥ .

٣. اختلف رجال الأنساب في عدد الآباء بين عدنان وإسماعيل^(١)، فقد جعلها البعض سبعة والبعض الآخر تسعة واعتبرها فريق خمسة عشر وآخر ثمانية عشر^(٢) أباً ورفعها آخرون إلى أربعين أباً^(٣). كما أن رجال الأنساب لم ينفروا عند عدنان بالرغم من قول الرسول ﷺ كذب السابون بعد عدنان^(٤) وقول صهر بن الحطاب إنما نتسب إلى عدنان وعوق ذلك لا بدري ما هو^(٥) ومن هنا كانت الأنساب التي جاءت بعد عدنان مثار التساؤل عند اللدقيقين في الأنساب العربية وثبت الشعبي أن الأنساب بعد أد هي غير صحيحة ويقول إنما حفظت العرب من أنسابها إلى أد^(٦).

وربما كان للثورة أثر كبير على لوائح النسابة والأخباريين فوضعوا أسس الأنساب إلى قحطان وعدنان وبناه سب القبائل على هذين الأساسيين حيث ورد في الثورة أن (يظفان) أي لشباً وحضر موت "ويظفان" هو قحطان كما وجد الأشماعيليون وهم لاسماعيليون أبناء إسماعيل جد العدنانيين^(٧).

٤. يحرم الشك حول تمسك هؤلاء النسابة بوسط هذه السلسلة الطويلة من الأنساب لا سيما وأنهم اعتمدوا على الذاكرة في حفظها، وأن القبائل والأفراد كانوا دوماً في حركات مستمرة ويسمع عن تنشر بعض الهطون من قبيلة إلى أخرى، أو تحالف أفراد مع أفراد من قبائل بعيدة عن نسبهم مما يؤدي إلى دخول أنساب جديدة في القبائل كالحطبة الذي كان ينتقل في سبه بين عس وهذيل وانتقال هو سامة بن لؤي إلى أزد عمنان، واختارت بن لؤي إلى ربيعة^(٨) وعوف بن لؤي في ديبان^(٩).

(١) ابن سريّة، الاستبصار ٥

(٢) البغدادي، تاريخ ١٩٢-١٦٩٤، المعجمي، تاريخ الإسلام ١/١٨٠

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى ١/٢٠٧.

(٤) السيوطي، التوفيق الألف ١/٨٠.

(٥) البهاري، أنساب الأشراف ١/١٢.

(٦) جواد علي، نظم في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١/٣٧٧.

(٧) القلقشندي، الأعشى ٢/١٥٧ بيروت.

(٨) السيوطي، التوفيق الألف ١/٧١.

٥ إن ما وصلنا من الأنساب لم يمثل الأنساب جميعها وقد اعترف الهمداني^(١) بأن بعض الأنساب قد فقدت ، كما أن مؤرخ بن عمرو السدوسي مؤلف كتاب^(٢) 'خلاف من نسب قريش' يقول : 'لو كتبت كتاب متصل لشغلني مسيرة النبي ﷺ وبني العباس دهرًا'^(٣) وهذا السهيلي يقول : 'يستحيل أن يكون الآباء بين هذيل وإبراهيم ما بين ٤-٧ كما ذكر ابن إسحاق أو بين ١٠-٢٠ غلظة أطول من ذلك أي أن قرنتم الأسماء لا تتناسب مع العشرة الزمنية التي وردت بها هذه الأسماء

٦ ظهور الوضع في الأنساب وخاصة في أنساب قضاعة^(٤) وعث وبجيه وأماز وثقيف وعشم وتدخل الأهود السياسية في الأنساب وخاصة في العصر الأموي .

وقد ظهر الوضع عن طريقين الأول هو انتساب أفراد من قبيلة إلى أخرى طلباً لشهرة أو فراراً من عيب حق قبيلته فقد انتسب أبو مسلم الخراساني إلى العباسيين كما أن حيفة تنامت اسمها وانتسبت إلى ربيعة دون أن يروا باسمها لما كان من مسيلحة في حروب الروم .

وانتساب بعض الشعوب غير العربية إلى القبائل العربية كانتساب البربر إلى حمير والحشة إلى علياء والديلم إلى عبس^(٥) والأكراد من ولد كرد بن مرو بن صعصعة والفرس من مزور^(٦) وأقرب الناس رحماً بالعرب هم القبط^(٧) .

٧ يحتاج علم النسب إلى باحث مبرر فيه وذلك أن الكتابة كانت تخلوا من التثقيب وأن هناك تشابهاً في الأسماء عند العرب طالأرد عند كهلان وحمدان ومحروم

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ١٣

(٢) الهمداني، الأكليل ٨/ ١٠٠-١٠٦ .

(٣) الهمداني، الأكليل ٨/ ١٠٦ .

(٤) ابن عبد البر، التمهيد والألم، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٢

(٥) المسعودي، التلخيص والاختصار ٨٩ ، ١٠٩

(٦) الكليني، فرائد معجم ٣٦

وقريش وحسن وهنبل^(١) فإذا لم يكن النسابة عالماً بهذه الأسماء فسوف يحتسب عليه الأمر، كما أن هناك من يذكر أن بعض القبائل كانت تطلق إسماء واحداً على اثنين من أبنائها فيقال، فخارث الأكبر فخارث الأصغر من أجل التعريق بينهما.

٨. قد يضم الرجل إلى غير قبيلته بالتحلف والولاية وبعد مدة طويلة يسمى هذا الحليف ويصبح سبباً أصيلاً في هذه القبيلة وقد أطلق على القبائل التي كانت تنقل في أنسابها النواقل^(٢)

٩. رد بن حرم جميع القبائل إلى أب واحد باستثناء تنوخ والعتق وغسان ومع ذلك نجد أن بعض القبائل لم يخلق عليها اسم الأب الذي انحدرت منه وإنما أطلق عليها اسم الأم كحذاف وبجيلة والبعض بسبب حادث معين كغسان سبة إلى الماء الذي روت عليه هذه القبيلة. وهذا ما أدى إلى هتفاد المستشرقين بوجود الطوطمية ولكرة الأمومة عند العرب^(٣).

وزاء ما تقدم من ملاحظات فإن لا يمكن أن نهمل قوائم الأسباب التي وصلت إلينا، لأن هذه الأسباب لعبت دوراً مهماً في حياة العرب، وقد كانت وسيلة للتناصر والتعاضد في وقت كانت السلطة للقوي وشرعية ألعاب هي السائدة كما ساعدت على حفظ الأمن وحماية الأفراد في وقت انعدمت فيه الحكومات

(١) ابن الأثير، الأدب في تهذيب الانساب ١٧٩/٢ وانظر ابن بهرج: الانساب بضم الهمزة مسطور ٢

(٢) تاج العروس، مادة نقل ١٤٣/٨.

(٣) الطوطمية: للتنسب إلى أب من الحيوانات ونباتات كدوا ويعنونها، الأمومة: للتنسب إلى الأم دون الأب، انظر الرد على الأمومة والطوطمية عند كل من عبد الوهاب حمودة، بطرية: اسباب في الجرس مجلة كلية الآداب، مجلد ١٤ آب، ١٩٥٢، جامعة فؤاد الأول، مكتور مني ميدالواحد والتي في سلسلة اقرأ عدد ١٩٤ سنة ١٩٥٩ ومكتور جرد على الفطس في تاريخ العرب قبل الاسلام بلدي ابوري. الأمومة عند العرب: المكتور محمد جمعة، انظم الاجتماعية والسياسية عند شعراء العرب لامر السامية، المكتور عبدالفتاح شعاع، تاريخ الأمة العربية اجراء الأوب، إسماع الشنكيطي، له كتاب يرب فيه على فكرة الأمومة وهو مطبوع بالمعج سبعة و حدة عند مكتور ظافر لقاسمي الجامعة اللبنانية بيروت، والمكتور حسان بنس النصبية القليلة و ارفد في الشعر الأموي.

ومع العلم والباحثة في بعض هذه الأنساب إلا أن بعضها يكاد أن يكون صحيحاً إلى حد كبير وخاصة ما كان بعد عدنان وما تعلق بنسب قريش مثلاً.

والدليل على ذلك أن الأنساب هذه لم تتعرض إلى نقد عام من المشعوية، كما أن الاهتمام بالأنساب كان مفعوة العرب على غيرهم من الأمم التي كانت تجاورهم، وعلى هذه الأنساب بنى العرب عصبياتهم فلو كانت في جملتها غير صحيحة لتعرضت الأنساب إلى هجوم عنيف وخاصة من الشعوية، بل نجد على العكس أن الأمم غير العربية كانت ترتبط بالولاء مع القبائل العربية، وبعضها الآخر حاول أن يتنسب إلى بعض الأورمات العربية.

وليس العرب هم الذين اهتموا بالأنساب لحسب بل سبقهم العراقيون واليونان، وفي العصور الحديثة حاولت بعض الدول الأوروبية أن تبني قومياتها بعيداً عن رابطة الدم ولا أنها فشلت وقد حدث ذلك في فرنسا وحاولت ألمانيا أن تقيمها على أساس من رابطة الدم فنتجحت إلى حد ما أكثر من فرنسا، إلا أنها عادت في مطلع القرن العشرين لتتحد من مبدأ صفة الدم، لأرى نظرية تعاظم بها على غيرهم من الأمم^(١).

إن العرب لم يتعمدوا بحفظ أنسابهم، فقد كان الرومان أكثر من العرب حرصاً على أنسابها، كما أن الأمة الصينية من أشد الأمم قِياماً على حفظ أنسابهم حتى أنهم يكتبون أسماء الآباء والأجداد في هياكلهم^(٢).

لقد كانت طبيعة الجزيرة العربية وانتشار القبائل على ربوعها مدعاة لحفظ الأنساب وصونها ومن هنا نشأت تكتلات قبلية اختلعت عن بعضها البعض تبعاً للاختلافات العنسية، وبين هذه التكتلات نشأت العصبية مثل حضرة وريقة واليمن ومن هنا نجد أن العصبية تستدعي الاهتمام بالأنساب كما أن الأنساب تبعث العصبية.

إن كل من يريد أن يفهم تاريخ العرب ومعارفهم وأدبهم لا بد وأن يطلع على أنسابهم، وهذه الأنساب ترشدنا إلى سر اختلاف العرب في بعض نهجياتهم واختلافهم

(١) سادع المصري، بر. وأبحاث في القومية العربية، ٤٥-١٨.

(٢) عهد الوهاب، جهود، نظرية الأنساب في الميزان، ١٤٥.

وطبايعهم وذكايتهم وحسنهم وشرهم وإيمانهم^(١). وإزاء ذلك لا نستطيع أن نرفض هذه الأنساب كما أننا لا نستطيع أن نجزم أن هذه الأنساب كانت معروفة حسب هذا التقسيم قبل الإسلام، وأن العرب كانت تتألفها، كما أنه لا نستطيع أن نزعم أنها تمثل أسس القبائل على النحو الذي دونت فيه في ديوان المعطاء بأمر عمر بن الخطاب^(٢). وما على الباحث إلا أن يحاول تحقيق هذه الأنساب ومقارنتها حتى يمكن استخراج قوائم أنساب تكون أقرب إلى الواقع.

ب- المجتمع القبلي

القبيلة هي مجموعة من الأفراد اعتقدوا أنهم انحدروا من أب واحد وقد قال ابن حزم أن جميع القبائل العربية انحدرت من أب واحد باستثناء قبائل نوح وعسان والعنق^(٣).

ونتيجة هذا الاعتقاد فقد شكلت القبيلة مجتمعاً قائماً بذاته، وحلق فيهم ذلك عصبية يتعاضدون بها ويتعاضدون وقد تكون المجتمع القبلي من العنصر النائية^(٤).

١- طبقة المرحوم^(٥)

وهم الذين يجري في دماءهم دم القبيلة الأصيل، هم الأفراد المرحومون^(٦)، الذي يقع عليهم العبء الأكبر في خدمة القبيلة، وطبقتهم مبنية على نقابة الدم لا على مبدأ الثروة.

(١) مصدر السابق، ١١٦.

(٢) جواد طي، العمل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥٣٥/٤.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٤٦٢.

(٤) قال عبد يفرق بن وقاص المازني

جرى سه قوسي بالكلايب مائة
وقال ربيع بن مزيوم

وساقت لما ملجج بالكلايب

الشمسي الخفيايات شرح الله لغتاني ٦٦، ٦٩

(٥) المصدر السابق

لقد كان النسب هو الرابطة الذي يجمع هؤلاء الصرحاء، وهذا النسب هو الثومية ورمز المجتمع السياسي عندهم، والقبيلة هي الحكومة التي يعرفها، لا عرابي، وما تقرره هذه القبيلة من قرارات يجب عليها أن يطيعها ويغذيها^(١) لقد فهم العربي أن حكومته ودولته هي دولة العظم والذم، ودولة اللحم والدم. وهو دين الدولة عندهم وقانونها اعترف به^(٢) ومن هنا فرصت على هذه الطبقة من القبيلة واجبات أهمها.

١. على الصريح أن يكون سريع الجدة، وخاصة في السائبات، لا يناقش هذا دعي القتال^(٣) فهو مكلف بنصرة أخيه سواء كان ظالماً أو مظلوماً

٢. طبقة الصرحاء مكلفة بحماية أفراد القبيلة وهم لا يعرفون القرابة إلا عن طريق هذه الحماية^(٤)

٣. حماية العرض وقد كانت القبائل تضعه في اعتبارها، لأهم. والعرض والشرف عندهم لا يقدر بشئ^(٥).

٤. أحد الآثار ومع أنه ممن تشترك فيه جميع القبيلة إلا أن الطبقة الصريحة يقع عليها المسؤولية الأولى في أحدها، ومسؤولية الآثار قسمت على الطرفين الفرد والقبيلة بحماية القبيلة لفرد كانت تستعدي منه أن يثأر لشرف قبيلته وكرامتها ولا

(١) جزاء هي الفصل في تاريخ العرب ٣١٤/٤

(٢) المصدر السابق ٣١٥.

(٣) لا يستأجر أحدهم حين يذهبهم
عنده أبي تمام ٤/٩

(٤) قال مسافر بن أبي هريرة أمية
ورب ابن عم لمرء يصمي لماره
خلف من نوبة قريش ٢٧. وقال لهر
وأنت امرؤ منا خلقت الميسرة
(حماسة البحتري ١١٦).

(٥) قن سعيد بن شداد
وأمن من دارى، جعل فمها
لمرمن من بني المذمة حاجب
حماسة أبي تمام ٢٢/١ وانظر أخبار النساء لابن قيم الجوزية ١٧١.

في جودري فلا يهاج^(١) ومدايح بن مسويد الطائي أجار احمراد حتى شرب به الخيل
«أحس من جرادة»^(٢) وربعة بن مكدم الكتاني كان يجير كل ضاعنة تمر من أرض
قبيلته^(٣).

وكما كانت القبائل تعتخر بقوتها ومآثرها فقد كانت تفخر بجوارها فيجعل بن
علقمة «ثعلبي» يعدل سبب عزهم في الجاهلية «ثم يطمع فيهم ولم يزل مهمم وكانوا
يذامون عمر استجار بهم كدلاهم عن أنفسهم» كما أن العرب أطلقت على المنيع الجار
اسم حامى الثمار^(٤).

وهناك من اشتهر بجارته بعد موته مثل عامر بن الطفيل عندما نصبت قبضته على
قبره أنصأباً مساحة ميل في ميل ولم يسمحوا لأحد دخولها دلالة على محافظته على
الجوار في حياته^(٥).

وخطر هذه الإجارة فقد كانت تتم علناً حتى يعرف الناس المستجير والمجير فقد
أجار ابو زيد بن عتبة عثمان بن مظعون علناً ورد عثمان الجوار علناً^(٦).

وقد كانت العرب تقول للمستجير «قد لزمى ذمامك وأنا ماثلك بما أسع منه
نفسى وأهلى وولدى وما بقى من شيرتى الاذيين رجس»^(٧)، وقد بالغ العرب في حق
هذه الإجارة وبرعيتها فالأعشى طلب إجارته من الموت من علقمة بن حلالة فرفض
علقمة إجارته وتوجه إلى عامر بن الطفيل فأجاره عن الأئس وابن الموت فقال
الأعشى وكيف تجيرني من الموت، فأجابه عامر، إذا مت وأنت جاري بعثت إلى أهلك
الله. فقال الأعشى الآن علمت أنك تجيرني^(٨).

(١) الكتاني، الآثار، أربعة في مآثر بني ربيعة، مخطوط ١٠٠/١.

(٢) لبيدي، مجمع لأشال، ٦/٢.

(٣) الأديبي، بدو العرب، ١/٤.

(٤) ابن عبد ربه، المعاد المفرد، ١/٩٥، ٩٦.

(٥) الأديبي، ١٣٩/١٥ (طبعة دار الكتب).

(٦) بن هشام، ٢٣١/١ بهامش نزهة الألف، ١٢٢٢.

(٧) الأغاني، ١٣٦/٢ بيروت.

(٨) المصدر السابق ٨٢/٨ (دار الكتب).

وكما كانت هناك واجبات على الجير أن يقدمها لمستجير، فعلى المستجير حقوق وواجبات أيضاً، عليه أن يحترم هذا الحوار وإلا تعرض لدخول كما حدث للبراءس الذي خلعته قومه فلجأ إلى بني النخيل فحدموه ثم جاء إلى حرب بن أمية وكان أن يظفوه وبسبه كانت حرب الفجار بين كنانة وقيس^(١).

أما مراسم الإجارة فقد تعددت في العصر الجاهلي، ومنها أن يطلب المستجير "محرمة" وهي تقديم الطعام^(٢) أو دخول البيت أو الخضوع إلى قبة، للعاده أو لقاء في طريق^(٣)، وقد توسعوا في ذلك حتى عتروا ملازمة الحيمة ومجاورتها أو خلوق الدلو بالدلو في البشر كان يلزم حق الجود والمعة^(٤)، كما أن تنكيس الرمح كان يستدعي الإجارة^(٥)، وفي بعض القبائل كان المستجير يندجأ إلى بعض الأمكنة^(٦).

والإجارة كانت تتم بين رجل ورجل أو بين قبيلة وقبيلة، غير أنه في بعض الأحيان كان المستجير إذا لم يجد الرجل يكفي أن يعقد طرف ثوبه إلى جانب حنب البيت وإن فعل ذلك صار جداراً ووجب على من عقد ثوبه بيته، أن يطلب له بظلامته^(٧).

وفي بعض الأحيان كانت الإجارة تتم بين رجل وامرأة وعن اشتهرت بالإجارة لحماية بنت عوف بن محلم الشيباني، ونكيهه بنت قشادة من طبيعة التي أجمارت السليث بن السليكة، وأم جميل الدوسية التي أجمارت غرار بن الخطاب الفهري وقد أطلق على هؤلاء النساء اسم "الوفيات"^(٨) ولم تقتصر الإجارة على الرجال والنساء بل امتدت إلى الطيور أيضاً^(٩).

(١) الألفاني ١٩/٧٥ بولاق.

(٢) ابن حبيب البغدادي، المبر ٢٠٨.

(٣) ابن نديم، الاشتقاق ٢٥٠.

(٤) الألفاني ١٣٦/٢ بيروت.

(٥) البغدادي، انساب الأشراف ٤٢/١.

(٦) تاج العروس مادة كوازل.

(٧) الألفاني ١٨٤/٢ بيروت.

(٨) ابن حبيب البغدادي، المبر ٤٣٣.

(٩) المصدر السابق.

هذا وتختلف الإجارة في بعض مراسمها عن الخلف ومن هذه الاختلافات ما يلي.

- ١ إن الإجارة من حق الصريح وليست من حق الخليف فقد قال الأخفش بن شريق الثقفي خليف بني هريرة لم رسول ﷺ عندما بعث إليه يطلب إجارته بعد عودته من الطائف، أن الخليف لا يجبر على الصريح^(١). بينما يحق للخليف أو المولى أن يربط نفسه مع خليف ومولى آخر فكان يقال مولى مولى^(٢)
- ٢ تختلف مراسيم الخلف عن مراسيم الخور فالخلف يتطلب ذبح جزور، أو إهداء الثار، أو الطواف حول الكعبة.
- ٣ أن الإجارة كانت في أوقات كثيرة مؤقتة وقصيرة لزوال بزوال السبب كإجارة أبي اندغة اخي بني الحارث بن عبد ماة سيد الأحابيش لأبي بكر، وإجارة الوليد بن المغيرة لعثمان بن مظعون^(٣).
- ٤ لا يرث الحجير المستجير يسما يرث الخليف الخليف. ففي الخلف يتم الاتفاق على الارث يسما الإجارة تتم على الحمية والمع، ودية الخليف نصف دية الصريح. أما المستجير فمئة كاملة فقد رفض عبدالمطلب إلا أن يأخذ دية جاره اليهودي كاملة وهي مائة ناقة من حرب بن أمية^(٤).
- ٥ كانت العرب تقول تميم بالنسب حزاهي الولاء زهري الخلف ولم يسمع عنها قرون جارا فلان
- ٦ تتم الإجارة بين الأقرباء بل وبين أبناء العم، ولم يحدث أن كان بينهما خلفاً لخواهي العصبية القبلية، ومن هذا القبيل أجار سعيد بن العاص يوم الخديبية عثمان بن عفان^(٥)

(١) ابن هشام ٢٨٤/١.

(٢) السجني مشغير عماء الأصغر، ٧٢

(٣) ابن هشام، سيرة ٢٨ / ١

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف ٧٢/١-٧١.

(٥) بن حجر، المستدرك، الإصابة ١٣/٢-١٤.

٧. هي بعض الأحيان يدفع المستجير أتاوة بدل إجارته كما دفع السليث من السلطنة بعد ملك بن مويك، ولتحتمي بسما لا يحدث ذلك في الحال^(١).

وكما نجبر القبيلة لماتها تلحع أيضاً. والخلع هو تلصص العهد أو الخلف أو العود وبالأصلاخ تبرأ القبيحة من أحد أفرادها إذا ارتكب سلوكاً شائناً أو قتل أحد أفراد قبيلته أو عدم الاعتراف بسببه. وقد أطلق على هؤلاء الخلاء اسم الطريد واللعين^(٢). كما أطلقت كلمة الخلع على رافضي العادة للممك مثل رباح بن عمرو بن ربيعة من عقل^(٣).

والخلع يشعل الصريح والدحيل، فقد أرادت قرش أن تلحع عبدالله بن جدهان خوفاً من أن يجبي عليهم الجزاء^(٤).

وقد كان الخلع يتم علانية كالإجارة ويعتد ذلك في مواسم الحج والأسواق حيث كان ينادي امدى وهو يهول بالأحياء بأعلى صوته عن خلع الخلع وربما كتبوا كتاباً يعلقونه في محل عام حتى يقتل عليه الناس^(٥).

وقد شكل هؤلاء الخلاء في العصر الجاهلي طبقة أهلك عليها اسم الصعاليك، وكان هؤلاء ينتشرون في ربوع الجزيرة يهيمون ويقتلون من يجدونه في طريقهم ولم يكن الخلع هو السبب الوحيد في تكوينهم بل جاء بعضهم إلى هذه المهنة بسبب الظروف الاقتصادية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية.

وبالرغم من حرمان هؤلاء الصعاليك من الجنسية القبلية فإنهم لم يتجمعوا هي صعيباتهم القبلية، فقد نظروا لقبائل، فجزيرة لهم كنقطة حماية لجميعهم من الأخطار الخارجية ومن هذا امركر كانوا يغيرون على القبائل «بعيدة النسب عنهم» فاستبدت من السلطنة كان يأمن أن يغار على القبائل العدنانية وإذا لم يجد فرصته عبد القبائل اليمنية

(١) المصدر السابق، الأصبا ١/٧٢

(٢) جواد علي، المفصل ١/ ٤١٠

(٣) لأعالي، ٢/ ٢٨٦ بيروت.

(٤) القاصي، شفا القرام، ١/ ٤-١٠، ١٠٤

(٥) لسان العرب، مادة صطك.

يعبر على ربيعة ويتعدى مضر^(١)، كما أن هؤلاء الصعاليك لم يحلوا بالنصح على قبائلهم وكانوا بمثابة عيون لهم فإذا ما أحسوا بهجوم القبائل الأخرى عليهم، بحثوا إلى قبائلهم بالأمر^(٢)

جـ- الموالى والعبيد

كانت الكثرة في الحاهلية مدعاة للفخر والعزة والمنعة، ومن هنا أخذت القبائل تتسابق في اكتثار هذه الطبقة حتى تكون لها عرواً في حروبها القبلية

وكلمة مولى تعطي مدلولات عدة، فجاءت في اللغة بمعنى الولي والعصبة والخليف وابن النعم والنعم والأخ وابن الأخت والجار والشرى كما أطلقت على المعتق والمالك والمالك^(٣)

أما مدلولها الاصطلاحي فهم طبقة من الدخلاء أحلوا بسبي أو شراء ومن أعتق منهم أطلق عليه اسم مولى وتسمى باسم معتقه والمولى يادى سيده بمولاي.

وحالة هؤلاء الموالى كانت تختلف من قبيلة إلى أخرى، ففرش كانت أن تلتحق مواليتها بالصرحاء منهم^(٤) وذلك لحاجتها إلى هؤلاء الموالى سواء في التجارة أو القتال ولا خربة إذا تحمل موالى فرش حسنة في معركة يترك قدر موالى ٤٠٪ من عدد القتلى^(٥)

وهناك عدة أنواع من الموالى هي:

١. مولى العصبية ويشمل ابن العم والأبن والمولى العصبية^(٦)

٢. مولى العلقه وهو عربي انضم إلى قبيلة عربية لها وامتنع بحماها. ومن موالى الخلف الأخس بن شريق الثقفي وكان حبيباً في بني زهرة وتسلم قيادتها في معركة بدر وهو الذي أشد عليهم الرجوع بعد أن نجحت القافلة^(٧)

(١) الألفاني ٢١٣/١٧، بيروت

(٢) الألفاني ٢١٥/١٧ بيروت و نظر يوسف خليف الطمير، الصعاليك ١١٨

(٣) لسان العرب مادة مولى، المصباح المنير ٣٢٧

(٤) اميرد، لكهن في لغة والأدب ٢١١/٢، ٢٢٧

(٥) احمد كشرىف مكة والمدنية، ٢٢٧

(٦) انظر طراز بن عمر حنيف من سبب قريش ١٥ وشرح حماسة ابن تمام للزبيدي ٦٥

(٧) ابن قتية، المعروف ١٥٢

ومن موالي الخلف عرفجه بن هرثمة الأزدي وكان حليماً لم يبعه ولا أراد عمر تجهيز بعيه إلى العراق احتجعت بعيه على رفاسته ، وقالوا والله ما الرجل منا إنما هو نصيب . فسأل عمر عرفجه عن ذلك فصدقته فحرله وعين بدلاً منه عبدالله بن جبرير البجلي^(١).

كما دس قسم من اليهود مع الأوس والخزرج واعتبروا موالي حلف إلى أن جاء الإسلام وبهى عن تولي أهل الكتاب بقوله تعالى الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَنَصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنكُم مَّا هُوَ مِنهُمْ إِنْ أَلَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

٣. **مولى الرحم:** وهو انتساب الفرد إلى قبيلة أمه ويجمعه مع هذه القبيلة عصبية خلوة

٤. **مولى لوالده والوص:** وهو أن يتخذ رجل رجلاً آخر موصراً وعاضداً له ويأخذ بثأره أن قتل ويرث كل منها الآخر .

٥. **مولى الاستعانة والطمع:** هو تماقد المصعب مع القرى على شروط يحددها الطرفان وينسب للمولى في هذه الحالة إلى سيده

٦. **مولى الضلعة:** وهو الرفيق أو الأسير الذي تفك رقبته

٧. **مولى الكفاية:** إذ كاتب الرجل عبده على مال يؤدبه فبدأ العبد يصبح حراً وولاءه عن كاتبه

ومع وجود هذه المعاني لكلمة مولى إلا أنها كانت توحى دوماً إلى هذه الطبقة التي لا يجرى فيها دم القبيلة المصريح ، ومن هنا فقد اعتبرت القبائل العربية هذه الطبقة مواطنين من الدرجة الثانية ، فالعرب كانت تألف من ترويعهم ، والابن الذي تلده أمه يعتبره حبيباً . وما تسلم عمر بن الخطاب الخلافة أبطل الولاء بين العرب ، وأجاز بقاءه بين المعجم والعرب^(٣).

(١) نيفقيي، تاريخ ١٣٢/٢

(٢) سورة المائدة ٥١

(٣) المعادي الإسلام والمشكلة المصرية، ٧٤، جود على الفصل ٥ / ٣٧.

«علق اسم النبي أو الدعي أو الاستحقاق على كل إنسان الحق نسبة بسبب غيره والتبني أو ثقب من تولاه من ناحية الأثر والزوج فقد كان لا يحق لممتني أن يتزوج زوجة متاه، كما أن المتني كان يرث المتني ويدعي ابنه بعكس عولي الذي كان يطلق عليه مولى فلان ومع ذلك فقد كان يلقبوا مولى ولا ين يطلقون على المتني فزيد بن الحارثة مولى محمد وابن محمد^(١) وسالم مولى أبي حنيفة وابنه^(٢)»

وبنصرهم من أن الاستحقاق كان يرفع من مكانة الموالي ألا أن بعضهم ألف حمدية الاستحقاق فتعيب المتني قال: لئن أكون مولى لأتقأ أحب إلي من أن أكون دعيًا لأحد.

أما طبقات النسب فكانت على النحو التالي: الجلم، قالوا: إن العرب يجمعها جلمان، عدنان وقحطان^(٣)، وهناك من استبدل بالجلم، جمهور أو جماهير وهي التجمع والكثرة وسما أخذت جماهير العرب ومن هنا جاءت جمهرة بن حزم وجمهرة سب قريش^(٤) والبعض يجعل في مقدمة البناء القسي "الشعب" وكلمة شعب وردت في القرآن الكريم قبل القبائل بقوله تعالى الآية ﴿يا أيها الناس إن حلفناكم من ذكر وأنثى وجمعناكم شعوباً وقبائل تتعارفوا﴾^(٥) وقالوا: إن الشعب هو النسب الأبعد والذي تسب إليه القبائل كعدنان وقحطان وسمى شعباً لتشعب القبائل منه. وهناك من أطلقه على غير العرب وحشر القبائل خاصة بالعرب. ويأتي بعد الشعب في اصطلاح أهل النسب القبيلة. وقد سميت بذلك لتضاهي الأنساب فيها وتجمع على قبائل وربما سميت القبائل جماعم وجمعهم العرب هي القبائل التي تجمع البطون والعنات وقيل

(١) انظر سورة الأعراف، الآية: ١٠٣-١٠٤.

(٢) ابن حجر الإصابة ٥٦٣/١، التقيتري، الكشاف ٢٠٥/٢-٢٠٦.

(٣) ابن هشام، السيرة ٩٢/٢، ويهذه الروض ٩٢/٢.

(٤) التلخيص، الآثار أو القصة في مائل بني ربيعة مشهور ١٥٨.

(٥) التوروي، نهاية الأرب، ٢/٢٨٤ وما بعدها.

سميت بذلك لأن العمائر تقابلت عليها، وقد وردت "القبيلة"^(١) في القرآن الكريم^(٢) ولأشعار الجاهلية^(٣).

ثم العمارة وهي تجمع البطون وتقابل الصدر من الجسم واعتبر بعض النسابة عدداً وكما من نعمائر وبعد العمارة البطن ويجمع الأخفاد ومنه عبد مناف ومحزوم وبعد البطون تأتي الألفاظ كجبي هاشم وبني أمية ثم الفصيلة وهي أقرب الناس

فالشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة هي التقسيمات التي ذكرها قدامى النسابين^(٤) وقد جمع ابن الكلبي بعد الفخذ "عشيرة"^(٥) وكلمة العشيرة وردت في الأشعار الجاهلية وأقول لهم^(٦)، كما وردت في القرآن الكريم ﴿وَأَمْرٌ عَشِيرَتُكَ الْأَثَرِينَ﴾ وعرفها البويري بأنها تضم أربعة أبناء يتعاقلون في أدبه واستشهد بدعوة الرسول ﷺ لأربعة أبناء من عبد مناف مجتمعون في الجد الرابع مع قصي^(٧)

ولقد قسم البويري أبناء القبلي عند العرب إلى عشر طبقات وبدأها بالجدم كعدنان وقحطان ثم إسماعيل وهي الطبقة الثانية وتليها أشعوب ولطبقة الرابعة القبيلة ثم نعمائر، البطون، الفخذ، وهي تجمع العشائر، العشيرة فالفصيلة والفرع وهم الفرع وأسرة^(٨)

كما جعلها الألويسي ست عشر طبقة مرتبة كالتالي: الجد، الجمهور الشعب، القبيلة، العمارة، البطن، الفخذ، العشيرة، الفصيلة، الفرع، الأسرة، عتره، ذرية، بيت، حي، جماع، وربما غير عن هذه الطبقات يحي فلان أو بني فلان^(٩)

(١) سورة المجرات، الآية ١٢

(٢) سورة المجرات الآية ١٢

(٣) انظر حسنة أبي تمام ١/٩٠٠، ٢/٢٥٧

(٤) ابن رجب، الفصدة ٢/١٩١، الألويسي، بلوغ الأرب، ٣/١٧٨ وما بعدها

(٥) الفهرست، نهاية الأرب ٢/٣٦٤

(٦) عبد ابن منة، التيهان ١٨٤، ابن سعد، الطبقات ٢/٢٠٢، البويري التاريخ الكبير قسم ١ ج ٣١١/١

(٧) الفهرست، نهاية الأرب ٣/٢٨٤

(٨) المصدر السابق

(٩) الألويسي، بلوغ الأرب ٣/١٨٧ وما بعدها

وقد اختلف السادة في هذه الطبقات كما اختلفوا في تحديد ما تضم هذه الطبقة ومن هنا يمكن القول أن هذا التقسيم هو تقسيم نسبي وغير ثابت ويختلف من قبيلة إلى أخرى ويرجع ذلك إلى تزايد القبائل وتحول الرمح إلى الفصيلة والعصيلة إلى العشيرة وهكذا. ويذكر الدكتور جواد عني بأن هذا التقسيم لم يكن في الجاهلية وهي أسماء أهلها المعتمد من مصادر مختلفة مما أدى إلى اختلافهم ولو كان عند الجاهليين تقسيم واحد لاجراء لقبيلة لما اختلف هذه النسب واللغة في هذه الطبقات^(١).

أما في الوقت الحاضر فليدو يطلقون تعابير مختلفة، تختلف بين قبيلة وأخرى إلا أنهم يحافظون على اتساقها الكبرى. وتبدأ الطبقات عندهم العشيرة وهي تضم مجموعة الفرقة أو الأتد مثل عشيرة الرولة وبعد العشيرة تأتي الفرقة أو الفندة وهي مجموعة الأفراد والأخذ تتكون من البيوت والأمر ثم البيت والعائلة.

وأحياناً يطلقون كلمة "عسا" مثل عسا مسلم ويشتر في قبيلة عترة وعسا يعرفهم عسي أباء، كما يطلقون مصطلح بني عني العشيرة وقد يتساهلون فيسمون العشيرة قبيلة وينحد فصيلة والفندة فرقة^(٢).

أما من ناحية العصبية فنقسم قبائل إلى ثلاثة أقسام

١. قبائل ذات عصبية وهي التي تعادل في الكفاءة والتجد والنسب
٢. قبائل ذات عصبية ولكنها لا تستطيع رد أصولها إلى أرواحات هربية معروفة
٣. القبائل التي لا يعترف لها العرب بالأصل فلا يصاهرونها^(٣).

(١) الفصل في تاريخ العرب ٣٠٠/٤ وانظر لاختلاف في تقسيم هذه القبائل في لأبناس بعدم لأبناس- مطهر ٧ لاشتقاق لأبن تريب ١٥١٤ العدد لأبن رشيق ٢/ ١٩ الأحكام سبطانية قماروسي ٢٠٥ ابتداء عن القبائل الرواء ٤٤ وما بعدها تنزيهي، نهاية الأرب ٢/ ٢٨٤ وما بعدها، القلندي صبح الماضي ٩/ ٣ ونهاية الأرب ١٤، نهاية والنهاية لأبن كثير ٢/ ١٥٧، ولأبن لأرب لأبنوسي ٢/ ١٨٩

(٢) تحقيق الكمال، نشعر عن ألبو، ٢٥

(٣) طراد حمزة، قلب الجزيرة العربية، ١٢٦-١٢٧

ومن أجل المحافظة على وحدة القبيلة وتماسكها وجدت السيادة، والسيادة ركن هام من أركان وحدة القبيلة فيسونها لا تتم هذه الوحدة وقد قل عمر بن شبة .

عن السيرة النبوية ص ١٢١ وأما
وقال الأقرع، لأودي

لا يصلح الناس منكم للاستراة لهم ولا صراة إذا جهلهم بمسارهم
وتقد أطلق على سيد القبيلة ألقاب شتى كلها تعطي مدلولاً واحداً بأن هناك شخصاً مقدماً على القبيلة إليه مرجع الأمور ومن هذه الألقاب الرئيس الأول: قال العزدي:

هذا الشيخ يابن يابن
السيد: قال أبو الطمجان القيني:

يا بني من السيرة الذين هم هم
الفرم سمي بذلك تشبيهاً بالفعل من لأبي الذي لم يتبدل ولم يركب^(١).
حرار أطلق هذا على صيته بن حصن الفزاري لأنه قاد جيشاً تمداده أكثر من ألف^(٢).
الرب: قالت العرب أسد بن كرز رب بجيله، وحليفه بن بدر رب معد^(٣).
الشيخ: كان عتبة بن ربيعة شيخ عبد مناف وشيخ قريش^(٤).

(١) الأصبهاني، الألفاظ، ٦/٨، بيروت.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢/٢٧٦.

(٣) النيرد، الكامل في اللغة، ٦/٢٩٧.

(٤) ابن تومر، الألفاظ، ١٩٦.

(٥) السويدي، التوش الألفاظ، ٢/١٨٧.

(٦) الأصبهاني، الألفاظ، ١٩/٨، ابن ربه، الألفاظ، ٢٢٩.

(٧) ابن حبيب البغدادي، شرح في أخبار قريش، ١٨٦.

الشريف . ذكر مؤرج بن حمر أن العاص بن وائل وخناب بن وهب وأمية بن خلف وأبو طالب كانوا شرفاء في قريش^(١)

سيد معمم وسيد معوض ، وهو أن كل جنازة يجيئها أحد من عشيرته معصوبة برأيه^(٢)

ومن الألقاب أيضاً كاهل القرم وخرقة القرم وسرة القوم^(٣) .

أم صفات السيد فقد جاءت مبثرة في أشعار العرب ، وهي في جعلتها لبعض من السيد رجلاً مثالياً كاملاً ، غير أن هذه الشروط ليست حتمية لتقلج صاحبها لسيادة ، فالظروف وحاجة لقبيلة كانت ترفع بعض أفرادها إلى سدة الرئاسة بالرغم من عدم توفر بعض الصفات القيادية فيهم .

ومن الصفات التي طلبها العرب . أن يكون السيد صاحب همة يتحلى بالكرم للأسيادة ليخيل حسب قول الهذلي :

وإن سيادة القوم فاعلم لهذا صيغته عظمها طيل

أحرجهم أن تحسبوه ولا تحسبوا وتكف بسوء ذو النعمة البغيل^(٤)

التمتع بسداد الرأي والتلحي بالقوة والشجاعة :

يلقى السيوف بوجهه يغير ويقيم عاصته معكم المفسر^(٥)

الصرخ لشؤون القبيلة لا يشعله عنها شغل . قل لقيط الأهدى

ونهم يشغله مال لمصره فانكم ولا يلهيكم له اليلعسا^(٦)

(١) مؤرج، خلف من نسب قريش ٤٠ وما بعده

(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار (٢٣٦/١).

(٣) السهبي، نزهة الأكل ١١٦/٢

(٤) الجاحظ، بيان والتبيين، ٢٩٢/١

(٥) الطائي، الأمان، ١٢/١

(٦) الجاحظ، البيان والتبيين، ١١٥/٢، عروبي، لأحكام السطابة ١٦

أن يكون متغافلاً لا عيباً وحليماً لا حقوداً وأن يتحلى بالصديق هدغه دوماً إصلاح
المشيئة وتقدم المساعدة لها كما يتطلب منه أن يكون بليغ القول ذكي الزود^(١).

ومع وجود هذه الشروط فقد ساد البحيل كأي سقيون والعاقر كعاقر من الخليل
والظالم ككليب، ولأحق كعينة بن حصن العزدي^(٢).

أما حقوق السيد على القبيلة فبأن في مقدمتها الطاعة: قيل لرجل من عبس ما
أكثر صوابكم قال: نحن ألف رجل ولنا حاكم ونحن نطيعه فكاننا ألف حاكم^(٣).

والطاعة عند البدوي واجبة ومقدسة ويكفي أن يوقد سيد القبيلة ناراً في مكان
مرتفع أو أن يرفع قبة حمراء حتى يقبل أفراد القبيلة من كل حذب وصوب دون أن
يعرفوا أسباب هذه الذخرة^(٤).

وربما أحسن السيد بأن كلمته لم تعد مسموعة بين قبيلته فقد يفضل الاحتار على
العيش كأي براء عامر بن مالك الذي انكأ على سيفه حتى مات وقال لا خير في العيش
وقد عصيتي صبر^(٥) وإذا بلغ السيد مكانة من القوة فإنه يتغرد بهدوى كما فعل كليب
الذي كان لا يوقد نار مع زاره ولا يسبقه أحد إلى الماء ولا يتكلم أحد في مجلسه حتى أن
ريعه جعلت له قسم الملك وتأجه وطاعته^(٦).

والسيد ميمر عن الفيلة في العنيزة وقد جمع سبطام بين قيس الشيباني هذه الأمور
بقوله:

- (١) انظر هذه الصفات في تاريخ بن حبان ١١١، الجاحظ: عيان والتصحيح ١١٤/٢، لأحكام
السلطانية للمازني ١٦، جيز الأندلس لابن قتيبة ٢٢٥/٣، العقد الجديد ١٢١/٢، الأوصي، بارغ
الأرب ٣٦/٢، عيان ويغير بن أبي سلمى ٨٢، ٨٥، حسانة أبي تمام ٤٦٠/١، ٦١/٢، ٦٢/٢.
- (٢) الأوصي، بارغ الأرب ١٨٨/٢.
- (٣) الجاحظ، الجوى والشمس ٢١٢/٢.
- (٤) فكري، معجم م. استعجم ١٠٤٢.
- (٥) ابن جنيب الهذلي: الخمر ٤٧٢-٤٧٣.
- (٦) لاكتر الربيعة ١٦٠، الأوصي، بارغ الأرب ١٨٨/٢.

لك السباع منها ولا يصعبها وحكمك والتشبيحة والفصول^(١)

أما من السيد فلم يتقيد العرب به فقد قام مالك بن عوف هوأزن وثقيف وهو ابن ثلاثين سنة وساد أبو جهل ومطر وشاربه ودخن دار الندوة وما استوت لحيته^(٢).

ولم تكن العنعات لتقف سائلاً أمام السيادة ، فقد ساد كثير من أصحاب العاهات فرهره كان أعمى ، وأبو طائب أعرجاً ، وأبو جهل أحولاً ، والأحف بن قيس مترابك الأسنان ، اصلع الرأس ، عاقل الدق ، والربيع بن زياد كان أيرصاً^(٣)

وقد لعبت لعصبية القبيصة دورها حتى في شروط تعيين السيد فعضو اعتزت بلذي الرأي ، أم ربيعة فقد سمت الكرم ، واليمس اعتمدت على النسب . غير أن هذه الأمور ليست عامة أيضاً ولا يمكن اتعاذها كقاعدة تطبق على تعيين الرؤساء .

ولا تعطب الروايات التاريخية أخباراً وصحة عن تعيين هؤلاء السادة فبعض الأشخاص تذكر أن هناك سادة دفعوا إلى مسلم القيادة نتيجة الكفاءة الشخصية التي أظهروها كعاصر بن الطفيل الذي يقول :

فما سمعوني عاصر عن وفاة أبي الله أن سمعوا بأمر ولا أب^(٤)

وبالمقابل نجد أن بعض الروايات تذكر أن سيد القبيصة كان يعين تعييناً مثل ما حدث مع حصين بن حذيفة بن بدر عندما حضرته «وفاة فجمع خزارة وقال لأبيه : أنت خلقتي ورئيس قومك من بعدي وقال لقومه بي بدر : نوالي ورياستي لعبيته ثم أوصاهم بما يجب أن يفعلوه على عادة السادات عند دوا أهلهم^(٥) .

وهناك أربعة من آل جعفر بن كلاب سادوا قبيلة هوزن ، ولم تجتمع هوزن كلها في الجاهلية إلا عليهم وهم حائل بن جعفر بن كلاب ، وعروة الزحال بن عتيبة بن جعفر والأخوص بن جعفر ، وهامر بن مالك بن جعفر^(٦)

(١) لاحظ، البياض والتزيين ١ / ٢٩

(٢) ابن سعد الطبقات ١٥١/٢ ، القاسمي ، بلوغ الأرب ١٨٨/٢

(٣) لبيد ، الكامل في اللغة ١١١/٨ .

(٤) أمالي المرتضى ، ٥٣١/٦ ، جواد عن المفص ٣٤٩/٥ .

(٥) ابن حبيب ، المحبر ٢٥٢ وما بعده .

(٦) ابن حبيب ، المسقى في أخبار قريش ١٦٤

وبالمقابل يرى أن الحكومة والرئاسة قد انتقلت بين قبائل ربيعة ويطونها فقد كانت في بني عسيبة، ثم انتقلت إلى عترة، وإلى عبد القيس، فالعمر بن قاسط ثم إلى بني يشكر واستقرت في بني شيان

وقد مال بعض السادة شهرة خالقة ككليب الذي اجتمعت عليه ربيعة كلها، وحليمة بن بدر الذي قاد فريرة وعرة يوم النصار ويوم الجعار وفي تاحس وعرف برب معد^(١) وحرب بن أمية وعبد الله بن جدهان. وقد بلغ من سطوة بعض السادة أنهم كانوا إذا اعتموا بشيء سمعوا عن غيرهم كأبي أحيحة سعيد بن العاص^(٢).

وقد وقعت السيادة والرئاسة حاجراً أمام تكوين مجتمع متآلف، فكانت القبائل ترى في القبيحة إلى رجب بعيد عهد مسبة ودلالاً لها حتى في أدق المواقف حرجاً. ففي حرب الجعار كاد التنافس على السيادة أن يمزق صفوف القبائل القيسية عندما أخذت الطروب تدعي أنها صاحبة الحق في هذه القيادة^(٣).

ولم تكن قبائل ثمرية على مستوى واحد من القوة، فقد كانت هناك القبائل الضعيفة التي لا تستطيع مواجهة الأمور بنفسها وتسعى دوماً إلى عقد التحالف مع القبائل الأخرى.

وقد لعبت الكثرة دوراً بارزاً في قوة قبائل فهارز لا غير غيرها ولا بعد أن كثرت، وعامر بن صعصعة كانت أدن من يد في رحم، ومثل رغاء الشاة بلجل حتى كثرت فصار يحسب بها ألف حساب^(٤).

ونعيم كانت قاهدة من أكبر قواهد العرب بسبب كثرتها وقد اعتحرت بهدهم الكثرة وقالوا: ما امر الأقص والعدد الهيفل ونحن في الجاهلية تقدم ونحن الذروة والسنام^(٥) وقبيلة بكر بن وائل كانت لها سطوة في الجاهلية بسبب كثرتها^(٦).

(١) ابن عديم: لمير ٢٤٩.

(٢) ابن عكبي النسب الكبير مطوية ص ١، الملاحظ التاج في أغلاق لثوك ٤٧.

(٣) أبو هلال العسكري: الأبطال ١٩-١٢٠.

(٤) النياتي: شعر الأديم في الجاهلية بجمعة المظفرة رقم ١١٤٣ ص ٩٨/٢.

(٥) إسماعيلي: الفروض الكملة ١١٩/١.

(٦) الرومطري: المفااتي ٢٠٢/١.

وبسبب كثرة القبائل وشدة قتالها فإنها كانت تكتفي بنفسها ولا تطلب حلف غيرها فالخبيثة يقول لعمر بن الخطاب عندما سأله عن سبب اتصافهم قال «كنا الف فارس كأننا ذئبة حمراء لا نستجير ولا نحالف»^(١).

وقد أطلق العرب على القبائل التي كانت تكتفي بأفرادها اسم «جمرات العرب» و«جمرة تعني اجتماع لقيمة الواحدة على من أولها من سائر القبائل»^(٢). ومن جمرات العرب ضبة بن أد، وعيس بن خفيص، ومحدث بن كعب، وزيوع بن حنظلة وأصاف البعض عامر بن صعصعة^(٣).

كما أطلق على أربع قبائل هي شيبان وتعلب ويهرام ويباد اسم «ضعات العرب» نتيجة لشدة بأسها وقوتها^(٤). وأطلق على كلب بن وبرة من قبيلة وطىء وحظلة بن مائد من قيس، وعامر بن صعصعة اسم «جماجم العرب» وسميت بذلك لأنها من القبائل الرئيسة عبد الجاهليين وتفرغ منها قبائل اكتفت باسمائها دون الانتماء إليها فصارت كأنها جسداً قائماً بذاته^(٥).

كما أطلق لقب أنثوي لعرب على سليم وهوازن، وخطمان، وأعصر ومحارب بن حصص^(٦) والألفية تسمى العدد الكثير والجماعة من الناس^(٧).

وقد سميت العصبية والعواطف القبلية دوراً في هذه التسميات فمن النساء من تعصب لقبيلة فجعلها من البيوتات؛ بسبب ميلته بهن؛ ومنهم من غضب عليها فأخرجها^(٨).

(١) بيان العرب، مادة جمر، ابن حبيب، المحرر ٢٢٤.

(٢) ابن حبيب، المحرر ٢٢٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق، تاج العروس مادة رطط.

(٥) المحرر ٢٢٤، ابن عبد ربه، الطلح ألفريد ٥٦/٢.

(٦) ابن حبيب، المحرر ٢٢٤.

(٧) تاج العروس، مادة كتف.

(٨) البيوتات، كانت تسمى حد لغرس بيوت الكثرة وهي تسمى لمصحات السيدات، المعنوي، التنبية والأشراف ١٨ د ثرة لمعارف الاستيعابية مجلد ٩١/٢، وقد العرب تطلق على من كانت له ثلاثة أها. متواتية تكلمهم بلسانهم ثم فصل ذلك بكامل الأربع وقد كانت في آل حليفة بن بدر. وأل حجاب بن زرارة قال في الجديس وال لأشعث بن قيس الكندي (المحرر ١٤/٦، المدة ١٩٦/٢ صبح، الأضي ٣٧٧/١)

ولم يقتصر فخر القبائل على بعضها البعض فقد كانت البطون في القبيلة الواحدة تعمر بالرئاسة والكثرة على أحوالها من البطون الأخرى. وقد كانت البطون تبلغ قمة السيادة إذا جمعت بين العدد والرقاسة وهو ما أهدى عليه اسم الهبوتات فهي تقيم كان العدد في بني سعد والبيت في بني دارم والفرسان في بني يربوع والعدد في قيس في بني عامر والبيت في عطفان ثم في بني فزيرة والفرسان في سليم أم ربيعة فقد كان عددها في بكر وبيتها وفرسانها في شيبان^(١).

ومن أشهر البطون التي جمعت بين البيت والعدد بني همدان مرة من شيبان ومالك بن زيد مرة من قيس وحنظلة بن مالك بن زيد مرة من قيس أمية^(٢).

وهكذا فقد ربط العرب بني العزة والعدد وقالوا: فإن نمر في العدد حيث كان ولا عز لمن لا عدد له ولا عدد لمن لا عشيرة له، وكلما كثرت الأبادي كلما كانت النجدة قوية متينة^(٣).

وبالرغم من حبه للكثرة واعتبارها رمزاً لشعرة فقد كانت مسأاً في حروب دامية دامت سنوات طويلة وتسببت في عملية تقسيم دائمة وكانت المصالح الذاتية للبطون والقبائل تساهم في وشائج القربى فيشبهون السلاح في وجه بعضهم البعض كما حدث بين همدان وذبيان مما جعل من الصعب تكوين وحدات مجتمعة ودائمة بل كانت تنمو وتتوسع نتيجة الاختلاف في المصالح القبلية التي كانت في بعض الأحيان لا تعترف بأخوة النسب^(٤).

(١) ابن رجب، العدد / ١٩٢.

(٢) ابن خردادبه، جغرافة المصالح العرب، ٣٢٢-٣٢٤.

(٣) الكندي، العرب قبل الإسلام، ٢١.

(٤) واثق، محمد في مكة ٤٢.

ج- أرض القبيلة ومياهها،

الركن الثالث، الذي كنت تقوم عليه المعصية، القيدية والترعة هي الأرض، والمياه للقبيلة أرضها المحصنة، وكان يحرم على غيرها أن يدخلها

لقد كانت القبائل العربية تنتشر فوق ريوخ الجزيرة العربية ذات المساحة الشسعة وتنقل ضمن حدود معينة لا يمكن تجاوزها.

وقد اتخذت القبائل العربية قبل الإسلام مراكز ثابتة بحيث يمكن للباحث أن يحدد أماكن هذه القبائل فوق أرض الجزيرة العربية

ولم تكن القبيلة تترك موطنها إلا في حالتين: الأولى هو إجلاؤها عنها بالقوة والثاني جذب المنطقة والانتقال إلى موطن جديد. وقد كانت حركة الانتقال والترحال تخلق حروباً طويلة بين القبائل إلى أن يتمكن أحد الطرفين من طرد الآخر

وكما أثرت المعصية في الأنساب وقسمت العرب إلى قسمين: العدنانيون والقصطيون، فقد قسمت أرض الجزيرة سكانها إلى قسمين القبائل العدنانية ومركزها نجد والحجاز وهي سجيلتها قبائل رحل باستثناء قريش وثقيف^(١)، والقبائل اليمانية وتسكن في اليمن ثم تعرضت بعد حادثة سبيل الحرم

أما القبائل العدنانية فقد سكنت في بادي الأمر في نجد وأود من خرج مهاجراً منها هو زياد وهناك روينا أن الأولى تذكر أنهم اتجهوا إلى نيمس واتسبو في ذي الكلاع من حمير. والثانية أنها خرجت مهاجرة إلى العراق فمر بعضهم بعين أبياع فاضطهدتهم ربيعة فتمرقوا ولحق أكثرهم في حسان، وآخرون دخلوا في حثعم وتوحد والنخع وغيرهم لحق ببلاد الروم^(٢). وربما كانت هذه الرواية من وضع السابئة اليمانية لأننا نسمع برجل من زياد وهو قس من ساعده يقف في سوق عكاظ ويخطب بالناس وهذا يدل على عدم تحرق هذه القبيلة. وأنها لا زالت باقية عند بدء الدعوة

(١) ابن خلدون، المعجم ج ٢، قسم ١/٢٣٩، يوافق.

(٢) الأصفهاني، لأعالي، ٢٢/٦ بيروت، البكري، معجم ما استعجم ١/٦٧

أما مرار فقد أقامت في الشمال الغربي من الجزيرة وربيعة في الشمال الشرقي منها وأبرز قسائل مضر كانت نجيم، وقد تمكنت من دفع قبيلتي بكر وتغلب من مكائيهما والاستيلاء على أراضييهما وقد حالفوا عبد القيس في البحرين وانتقلت طائفة إلى عُمان وبقي القليلة في رمل بيرين^(١)

وتوزعت قبائل قيس حيلان في أماكن مختلفة من نجد فقد سكنت غدير بن عامر وهلال بن عامر وباهلة في عالية نجد الجنوبية ومن جبالهم يذيل ويسمى اليوم صبحا^(٢).

وأقامت عطفان شمالي بحير من القصوم إلى المدينة يحدّها بو أسد من الشمال وبلاد عامر بن صعصعة من الجنوب^(٣)

وسكنت عصب وعرازه وسليم شرق المدينة بعالية نجد وبحير أما هودون فقد أقامت شرق عتائف ولا تزال بقاياهم إلى اليوم ويطلق عليهم عتة^(٤)

وكانت موطن الثياب في الدهاء بجوار نجيم، وحسبه بالناحية الشمالية للتهامة من نجد ثم انتقلوا في الاسلام إلى العراق بجهة الدمامية^(٥).

وسكنت هذيل بالحجاز والتصدت بلادهم بالعتائف، ولهم أماكن مياه في جهات نجد والتهامة بين مكة والمدينة^(٦) أما أسد فقد كانت بلادهم مما يلي الكرخ من أرض نجد وقد شركتها في هذه المنطقة قبيلة طيء التي هاجرت إليها بعد سيل العرم وسكن لهامة من القائل القيسية بنو لهم وهذوان وكانت مساكنهم قبل ذلك بالعتائف غلبتهم ثقيف وأجلتهم عنها^(٧) وسكنت أشجع في منطقة بئر^(٨) وقرش في مكة وأحيادهم.

(١) البكري، معجم ما استعجم ٩٠/١

(٢) ابن حنبل، العبر، ج ٢، قسم ٢٢٠/١، البكري، معجم ما استعجم ٩٠/١، بيهود النجدي، صحاح الأضمار، ٨٩، ٤٢/٢

(٣) بيهود النجدي، صحاح الأضمار، ٨٩-٧/١

(٤) المصدر السابق.

(٥) ابن خلدون، المعبر ج ٢، قسم ٢١٩/١.

(٦) البكري، معجم ما استعجم، ٩٠/١.

(٧) ابن حنبل، المعبر ج ٢، قسم ٢١٩/١

(٨) البكري، معجم ما استعجم ٩٠/١

أما ربيعة فقد سكنت في شرق الجزيرة العربية واحتلقت في المواضع الحثلية لسكانها فيذكر أنها سكنت اليمامة في بادئ الأمر^(١) وبعد أن كثرت تورعت في مناطق متعددة فسكنت عنزه بعين الثمر على ثلاث مراحل من الأنهر ثم انتقلت منها إلى جهات حبيبر^(٢).

وأقامت قبائل عبد القيس في بادئ الأمر بتهامة ثم خرجوا إلى البحرين وزاحموا بكر بن وائل ونجم وانتقل فريق منهم إلى عُمان وشاركوا الأزد في بلادهم وكانت قرية الظهران والقطيف من مراكزهم^(٣). وسكنت تغلب في الجزيرة العراقية بجهات سنجار - ومصيبيو وقد عرفت هذه المنطقة باسم ديار ربيعة^(٤)، وأقامت حنيفة في اليمامة ثم انتقلوا بلاد حجر^(٥).

ونتيجة الغروب التي حدثت بين تغلب وبكر فقد كانت حركة قبائل ربيعة مستمرة وما جاء الاسلام حتى كانت أماكن بكر وعنزه وشبيمة منتشرة في اليمامة وبين البحرين حتى أطراف سواد العراق وناحية الأبله إلى هيت وما والاها^(٦).

أما القبائل المتعطشة فقد كانت كهلان تسكن في اليمن وبعد حادثة سيل العرم تفرقت القبائل اليمنية واتخذت مواطن جديدة ومن أشهر بطون كهلان قبيلة الأزد وقد سكنت ما بين زبيد إلى زمع ثم التزقت قبائلها وسكنت مواطن مختلفة. فقد نزل بنو نصر من الأزد بالسراة وعُمان، وأقاموا حكماً فيها^(٧) وأقام بنو ثعلبة في بئر وبنو حارثة بن عمر بئر الظهران بمكة وهم حراة أما حسان فقد توجهت إلى أطراف الشام وسكنت سهول حوران وكونوا إمارة القمامنة.

(١) ابن القتيبة: إهمداني: منتصر البلدان ٢٨

(٢) لقلقشادي: صبح الأعشى، ٢٧٧/١

(٣) بن حزم: جمهرة أنساب العرب، ٢٩٥، صبح الأعشى، ٢٢٧/١، بلعيد، القحدي، صبح الأعيان، ١١٢، ٧٨/٢

(٤) البكري، معجم ٨٦/١، ابن خلدون، العبر ج٢، قسم ٢٠١/١.

(٥) المسعودي: استبصار، ٨٥/١، ج٢ قسم ٢٠٢/١.

(٦) البكري، معجم ٨٦/١

(٧) العبر ج٢، قسم ٢٢٥/١ يلاق.

ومن كهلان لحم وقد سكنت المناطق الشمالية من الجزيرة العربية . ووصلت إلى
حرب لمرافق وكوت هناك إمارة اخيرة التي دخلت في صراع مع القسامنة ودحا طويلاً
من الفرس .

وقبيلة طيء كانت تسكن في منطقة الحرف باليمن وبعد سيل العرم خرجوا إلى
نجد وسكنوا بجوار بني أمية بعد أن غلبوهم على جبال أجاز ملهى وعرفاً فيما بعد
بجبل طيء^(١) وكانت هذه القبيلة من أشهر قبائل العربية حتى أن السريان والفرس
كانوا يسمون كل العرب طيئاً^(٢) وتساكن مناطق طيء اليوم قبائل شعمر^(٣) .

وأقام الأشعريون في شعاف ربيع ونهامة اليمن إلى جوارك أما مدحج فقد
كنت بتهران^(٤) ، وفي شرق اليمن نزلت حولان كما نزلها المعافر^(٥) .

وسكنت جذام وحده بالقرب من أبلة (العقبة) من أول أحمال الحجاز إلى بنع
إلى أطراف يثرب وكانت لهم رئاسة في معان وما حولها من أرض الشام^(٦)

وسكنت قبيلة كنده بجبال اليمن ، يلي حضرموت وقد سيطروا على بعض
القبائل النزارية من طبر كنانة وقيس^(٧) وسكن الحجاز من القبائل اليمنية كهلان
وبجيلة وغشم^(٨) . وتفرقت همدان في أماكن متعددة إلا أن غالبيتهم كانت تقسم في
شرق اليمن^(٩) .

(١) ابن خلدون، ٩٤/١، صبح الأمل، ٣٢٤-٣٢٦

(٢) حمد أمية، فجر الإسلام، ٧.

(٣) بلعيد السدي، صبح الأمل، ٧٠/١.

(٤) بالقرن المصري، معجم نجد، مادة شعمر، صبح الأمل، ٣٢٤/١

(٥) صبح الأمل، ٣٢٧/١

(٦) ابن خلدون، الجزء ٢، قسم ٢٥٦/٢، بولاق، صبح الأمل، ٣٢٠/١

(٧) الفهر، ج ٢، قسم ٢٤٧/٢، صبح الأمل، ٣٢٨/١.

(٨) البكري، معجم، ٩٠/١

(٩) الجزء ٢، قسم ٢٥٢/٢، صبح الأمل، ٣٢٨/١

أما حمير فقد سكنت اليمن من صنعاء إلى عدن ومن قبائل حمير، بنو مرة وهم في حضرموت، وحوشب ذو ظليم وكانوا بصنعاء^(١)

وسكنت قضاة أول الأمر في تهامة ما بين مكة والطائف^(٢) واعتبرهم النسابة العدنانيون أول من خرج من معد يطلعون النسخ والريف وتفرقوا في بلاد اليمن ومشارف الشام والبحرين ثم اتجهوا إلى العراق^(٣) ويذكر ابن حلدون أن بلاد مهرة أخذت اسمها من مهرة بن حيدان القضاة^(٤).

وقبل ظهور الإسلام كان لقضاة تلك ما بين الشام والحجاز إلى العراق فأبده وحيل الكرك إلى مشرف الشام وبعبارة أخرى ما بين تدمر والبلقاء إلى أطراف الحجاز والعراق^(٥).

ومن قضاة بهراء وكانت بأطراف الحجاز من جهة جدة. وسكنت بني شمان الحجاز إلى عقبه أيلة على العدة الشرقية من بحر القلزم (البحر الأحمر) واجتاز قسم من بهراء وبني البحر الأحمر وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة^(٦). أما جبهنة فقد أقامت بالحجاز ما بين يبيع وثرب في متسع من برية الحجاز وهو سليح ومنهم النضجامة فقد سكنوا الشام قبل غسان^(٧).

ومن أشهر قبائل قضاة قبيلة كلب التي كانت مضاربها تمتد من دومة الجندل وتبوك إلى بحيرة بلاد طيء وأطراف الشام ويذكر أن قسماً منهم هاجر إلى حلبج القسطنطينية^(٨).

(١) ابن حزم جمهرة أنساب العرب ٤٢٢.

(٢) ابن خلدون، تحرير ج ٢ قسم ١/٢٤٠.

(٣) المصدر السابق، ٢٢٨.

(٤) المصدر السابق، ٢٤٧.

(٥) البكري، معجم ١/ ١٧، ١٩-٢٥، صبح الأماني، ٣١٦/١.

(٦) ابن خلدون، التحرير ج ٢، قسم ١/٢٤٧.

(٧) المصدر السابق.

(٨) ابن الوردي ١/ ٨٨، البكري معجم ١/ ٩٠، صبح الأماني، ٣١٦/١.

والمحدود بين القبائل كانت تعين بالظواهر الطبيعية البارزة مثل التلال والجبال
والأودية والرمال، ونظراً لعدم تثبيت هذه الحدود يرسم معالم بارزة فقد كانت دوماً
سبباً في حدوث نزاعات قبلية^(١) وقد كان حب القبائل للأرض وحاجاتهم إليها أن
الجيل الواحد كان يقسم فاحشة الشمالية فيه لقبيلة والحفة الجنوبية لقبيلة
أخرى^(٢)

وكما كان لكل بطن أو قبيلة أرضها الخاصة بها فقد كان لكل بطن أو قبيلة في
المدينة حطتها وشعبها فمكة قسمت أرباعاً وكان لكل بطن من بطون قريش حطة وشعباً
خاص بها ومن هذا القبيل شعب أبي طالب الذي اجتمع فيه بنو هاشم والمطلب في
المقاطعة القرشية لهم؛ وفي المدينة أيضاً لكل بطن من الأوس والخزرج حطته الخاصة
به^(٣).

وقد كانت هناك بعض المناطق التي تلتقي فيها القبائل في بعض فصول السنة
وأهمها منطقة الخرج قرب الإحصاء اليوم فكانت هذه جامعة للناس أيام الربيع^(٤)

وكان لكل قبيلة عيوبها الخاصة بها لا سيما وأن الماء كان يشكل مشكلة كبيرة
لبعض القبائل وقد كانت هذه القبائل تعتز عواردها مياهها ونظرة إلى معجم ما استمعهم
نرى مدى الاختلاف بطون قريش عيونها^(٥).

وتم يقتصر شايخ القبائل بالماء فقد كانت اتفاقية في كل شيء حتى في حمية
الاستشفاء لو أن أراوت قريش أن تعذب الماء كانت تجمع فرداً من كل بطن ويصعدون إلى
جبل أبي قيس ويطلبون الغيث^(٦).

(١) جواد علي، المفصل ٢١٨/٥

(٢) نظر أسماء جبال نسبة الأسماء الجبلية الأولى ٧، ٨، ٢٩، ٣٠، ٢٨، ٤٠، ٤١، ٤٧ ومعجم ما
استمعهم ٩١٢/٢، وابن الجوزي ٩٢/١.

(٣) الأوزاعي، خبر مكة ١٨٧/٢-١٨٦، صهيبي، وفاة الوفاء ١٣٤-١٥٢.

(٤) عزم الأموي، جبال تهامة ٥٨.

(٥) نظر البخاري، فتح البلدان ٦٠، ٦٢، البكري، معجم ما استمعهم ٧٢٥/٢ وما بعدها.

(٦) ابن حبيب، الشمل في أخبار قريش ١٦٨.

٥- اللهجة:

وكما انعدت القبائل بأب واحد وبأرض محدده فقد كان لها أيضاً لهجتها وحنان الخاصة بها، واحتلاف اللهجات جاء في أن أبا هريرة رضي الله عنه لم يعرف كلمة السكين وإنما كان يعرفها بالذبة^(١).

وعمر بن الخطاب يقول لكتبة الوحي إذا استخدمتم في اللغة فاكتسوها بلغة مضر فإن القرآن نزل على رجل من مضر. وقال أيضاً لا يملين في مصاحفت إلا غلمان قريش وعلمان ثقيف^(٢).

وعندما قرأ عبدالله بن مسعود "حتى حين" يردد "حتى حين"، أي قلب الحاء عيناً، قال عمر "بن القرآن لم يزل يقرأ هذه فقرأت بالأساس بلغة قريش"^(٣)

واختلاف اللهجات كان موجوداً حتى في القبائل التي تجمعها لغة النسب والدم ومرد ذلك إلى اختلاف أماكن سكنى القبائل فكهلان تتكلم بهجة قريية من لهجة «قرآن الكريم» أما بطون حمير فقد كانت تتكلم بلغة ركيكة ورديته وطير فصيحة^(٤)، كما أن هلال يميزت لقوية لطيء لا تتوغل عند جدرتها أسد^(٥) وعلماء اللغة يقولون إن اللغة العربية لم تؤخذ من جميع القبائل بل أخذت من قيس وقيم وأسد وحلين وبعض كتانه وبعض العنانيين ولم تؤخذ من غيرهم من سائر القبائل. وقال أبو عمرو بن العلاء "أفصح العرب عليا هو وزن وصفلى قيم"^(٦).

وسأل معاوية عن أفصح الناس ف قيل له قوم ارتفعوا عن حلحانية العرات (لهجة أهل انصاف) ويتأمنوا من عنمة قيم (يبدل الهمزة عيناً) ويأمنوا عن كسكسة بكر (أكرم مثقيلها- أكرم ميشكس) ليست لهم غمضة فضاغة (كلام لا يفهم) ولا

(١) أحمد أمين، فجر الإسلام ٥٢

(٢) ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب ٨٦.

(٣) التمشري، الفائق ٨٧/٣.

(٤) جواد علي، المفصل ١٦٦/٥.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان ١١٧/١.

(٦) لمر في لغة ١/١٠٥، أحمد أمين، فصح الإسلام ٢٤٦ مد لجة التلايف وشتر

طلمطمانية حمير (طاب امهراء بدلا من طاب الهواء) فقال لهم من هم فقال قريش^(١) وقيل أيضا أن لغة قريش قد صنعت من صيغة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هذيل وتضجع قيس وعجربة فبه وتثلة بهراء^(٢) وإذا احتلت القبائل في لهجاتها فقد احتلعت في فصاحتها فقبائل لشحر ليسوا فصحاء، والأشعريون لا بأس بلمنتهم، وحمدان قسم منها فصيح، وهل تهامة فصحاء وصنعة مختلفة اللغات واللهجات لكن بقعة منها لغة^(٣).

هـ- الدين

قد كان لكل قبيلة صنمها الخاص الذي تقسمه وتتصرع اليه مع وجود أصنام عامة تشترك في تقديمها وعبادتها أهل منطقة معينة أو أكثر من قبيلة واحدة إلا أن وحدة اللقاء حول عبادة هذه الصمم ليست مابعة من الوحدة في المعتقد وإلى مابعة من المصالح الخاصة بالقبيلة وإذا نظرنا إلى القبائل التي أشركت في عبادة صمم واحد نجد أن الدافع لذلك إما نسب بعيد، أو مجاورة في سكن كقريش وكنانة ومن قاربهم من بطون العرب التي انحلت في عبادة العزى وأساف وبائله وفي اتحاد بجيلة وحشم وأرد السراة في عبادة ذي الحليفة^(٤).

وفي بعض الأحيان كانت بعض القبائل تشفق على عبادة صمم القبيلة الأخرى فقريش عبدت صنم هيل وهو إبنى كنانة وكانه عبدت صماحب قريش^(٥).

وهذه العبادة لتجده ما هي لا تمثيل لرابطة الدموي التي تجمع بين قريش وكنانة، من الجدير بالملاحظة أنه بالرغم من لائتفاء حول بعض الأصنام، إلا أن القبيلة كانت صائرة جفورها في صميم العبادة الوثنية فلكل قبيلة صنمها الخاص بها، وبما وجد لكل أسره لئلا تقسمه ونظرة إلى عدد الأصنام تعطيا لفكرة عن القبيلة المهيبة عند العرب.

(١) الجاهل، بيان والتبويب، ٢/٤٠.

(٢) مجالس عدي، ١٠٠-١٠١.

(٣) يهناقي، صفة جزيرة العرب، ١٢٤ وما بعدها.

(٤) ابن الكلبي، الاصنام، ٣٦، ١٤٠، ٦٢.

(٥) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ٤٩٢.

ولم تظهر القبيلة في عبادة الأصنام فحسب بل امتدت الى صميم العبادة الوثنية نفسها لمي الخج لكل قبيلة مكانتها الخاص بها ، ولها تلبيتها الخاصة لا تشاركها بها القبائل الاخرى وفي هذه التلبية تنطلق صيحة القفر بالقبيلة^(١).

وهي صادة المنجوم فقد اختصت بعض القبائل بعبادة نجم معين لا يشاركها فيه قبيلة اخرى فمطارد كان لقبيلة أمد والشعري لعبد «نقيس ومهين لعلى»^(٢)

وبعرا للمكانة الدينية التي كانت تتمتع بها قريش لوجود البيت فيها فقد أكلت العميرة قلب بعض هذه القبائل وحاولت أن تبي بيتاً تستغني بها عن زيارة مكة لتتحرر من سلطة قريش الدينية . وقد ظهرت هذه الرغبة بمحاولة من إبعاد نقل الركن (الحجر الأسود) ، ومحاولة تميم الاستيلاء على البيت^(٣) ، كما حاول ذلك احد التابعة في عهد خراعه فعضل^(٤) فقررت القبائل بساء بيوت لها . ومن هذه القبائل جهينة فقد اقترح عبد لدار بن حديب بساء بيت بأرض من بلادهم يقال لها حوراء مضاهون بها الكعبة^(٥) ، ومحاولة بني بعض من عطفان اتخاذ مثل هذا الحرم^(٦).

ولكن قبيلة أيضا كاهن الذي يستقرأ خبيها ويقرأ حظوظها ، ومن هؤلاء «بكنة» طليحة ، لأسدي والأسود العسي وسجاح بنت الحارث وغيرهم . كما كان لقبيلة حيد ضاهن بها^(٧).

(١) ابن الكلبي ، لأصنام ٧ وما بعدها.

(٢) خردا بلش ، حضارة لأسلام ٧.

(٣) دائرة المعارف لأسلامية الجود ١٦٧/٢.

(٤) الفاضلي شفا الفرام ٤٨/٢.

(٥) ابن الكلبي ، لأصنام ٤٥.

(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢٩٩/١.

(٧) الهاشمي الميزان ٢٨٠/١ خدمة مصر ١٩٠٦.

مظاهر التقارب والنزاع القبلي:

١- مظاهر التقارب:

لم تكن «قبائل العربية تعيش معزول عن بعضها البعض فقد كانت العصبية القبلية ومتعلقات الدفاع والعوامل الاقتصادية تفرص على التقابل أن تقيم مع بعضها البعض علاقات حمف وجوار وأن تدجأ إلى الطرق السلمية بدلاً من سل السيوف وقد تمثلت مظاهر التقارب القبلي بالتواحي الآتية:

التضام:

لما كانت الحيلة القبلية قائمة على حب الذات والفخر بالأبناء والأجداد، فقد كان العربي يجد لذة في تمسك لينافر (يعاصر) شخصاً آخر، ويتفوق عليه وكانت هذه المناورات في طالع الأحياء بين أفراد القبيلة الواحدة، ولوصول إلى نتيجة لا بد من الترجحه إلى الحكم وهم كهان بالدرجة الأولى.

ومع أن المناورات كانت في بعض الأحيان تؤدي إلى حروب ووقائع قبلية، إلا أنها في الغالب كانت تحمل بطرق سلمية بأن يلجأ المشاغلان إلى حكم يستمعان لحكمة وقرارته ملزمة للطرفين وغير قابلة للاستئناف وتداولي العصبية أهدمت القبائل بالمناورات لأنها تؤثر تأثيراً مباشراً على مكانة الاجتماعية والسياسية للفرد والقبيلة معاً، بل هي ضرب من الفخر أوجبها صاحب سيادة وأثارت القبيلة.

وقد كثرت المناورات بين الأفراد والقبائل في العصر الجاهلي ولذا سوف يقتصر على ذكر أمثلة منها.

منافرة هاشم وأمية:

تذكر الروايات أن هذه المنافرة وقعت بين هاشم وأمية وسببها أن هاشماً قدم من الشام ومعه خرائر محمته خبزاً وكانت سنة شديدة قد جاع فيها الناس وهلك أموالهم وتعمسهم محمد هاشم إلى الإبل التي كانت تحمل الخرائر فنحرها وطبخ وأطعم الناس فحمد أمية هاشماً على ذلك. فنكلف أن يصنع ما صنع هاشم معجور عنه وقصر، فشمعت به ماس من قريش وسحروا مته وعبوه بما صنع ثم قصر فهاج ذلك به وبين

هاشم شراً ومعاخرة ومخاصمة حتى دعه إلى المناصرة وكره ذلك هاشم لسنه حتى أكثرت قريش في ذلك ودموه فقال له هاشم أنأترك على خمسين ناقة تنحر بمكة والجلاء عنها عشر سنين فريضاً بذلك وذهباً إلى كاهن خمر، حتى تقصر الخمر، هي هاشماً عليه^(١) وتذكر هذه الروايات أن هذه أول عدوة وقعت بين هاشم وأمية^(٢).

وقد اتخذ بعض المؤرخين من هذه المناصرة سبباً للعداء بين أمية وبني هاشم^(٣) وأن جذور هذه العدوة قد امتدت إلى ما بعد العصر الجاهلي . وأن متباعد أن تكون هذه المناصرة هي سبب العدوة بينهما لأنها لم تكن مناصرة الوحيدة في العصر الجاهلي . وأن كانت المناورات تسبب العداء بين القبائل فلا وني أن تحدث العدوة بين بني أمية ومخزوم عندما تنافروا على العرة والمعة ، لكننا نجد أن مخزوم وأمие تتحد معاً بوجه دعوة الرسول^(٤)

كما يستبعد أن تكون هذه المناصرة بين هاشم وأمие وذلك لأن الطبري يذكر أن عبد شمس وهاشمأ توأمان . وفي رواية ثانية أن تربيث هاشم بين أحوته الثالث وهاشم لم يعمر سوى خمسة وعشرين سنة^(٥) بينما يذكر ابن حبيب في روايته أن هاشماً كره أن يفر أمية لسنه ولذا فإني أرجح أن ما حدث بين هاشم وأمие هو بين عبدالمطلب وحرب بن أمية وأن موه التماهم الذي حدث بينهما كان بسبب جوار يهودي لعبدالمطلب يقال له أذينة كان يشوق في أسواق تهامة بماله فباعه ذلك حرب بن أمية فألب عليه فتياناً من قريش فقتله عامر بن عبدالمطلب وصخر بن عمرو بن كعب فلما علم عبدالمطلب الخبر أتب حرب بن أمية على صبيعه وعطى بدم حاره فأجار حرب قتاليه ولم يسلمهم ولم يفارق عبدالمطلب حرباً حتى أخذ منه مائة ناقة ودفعها إلى ابن عم اليهودي وترك مبادمة حرب بن أمية ودم عبدالمطلب بن جدعان^(٦).

(١) الجاهل، الطبري، ٢٨٠/١ طبعة مصر ١٩٠٦.

(٢) ابن حبيب، اللقب في أخبار قريش، ١٠٣-١٠٥.

(٣) ابن حبيب، اللقب في أخبار قريش، ٩٤-١٢.

(٤) ابن الأثير، المسبب لأشرفاء، ٦١-٦٠/١، الطبري، تاريخ، ٢٥٢-٢٥٣، القوي، النزاع

والخاص.

(٥) ابن هشام ويهش بن موه، ١٥٨/١، نشر الكتاب الأربعة، القاسي، هذا القول، ٨٠/١.

(٦) ابن الأثير، المسبب، لأشرف، ٧٣-٧٤.

أما الرواية الأولى فلا يستبعد أن تكون قد وضعت فيما بعد وعرسها ذكر جذور التنازع بين الهاشميين والأمويين وحتى يبرز أصحاب الميول الهاشمية من المؤرخين كعامة ومثله بني هاشم في الجاهلية وتغزوهم على بني أمية وأن الاسلام قد رادهم قوة على قوة.

والوضع في الروايات اعترف به الطبري فيذكر أن موسى بن عيسى قال لمحمد بن أبي بكر عندما ذكر قصة استجداد عبدالمطلب بأخواله من الأنصار بسبب براعه مع صمه موغل: "فهذا شيء ترويه الأنصار تقريباً إليها، إذ صير الله الدولة فئنا، عهدالمطلب كان أحر في قومه من أن تترك إليه بنو النجار لتساعده في أخذ حقه"^(١).

مناظرة عامر بن الطفيل وعقبة بن علاثة:

توافرا على أيهما أحق بالزعامة في قومه واشترطا مائة من الإبل فذهبوا إلى أبي سفيان بن حرب فرفض التحكيم بينهما وذلك خوفاً من تنازع عشيرتهما فانجها إلى أبي جهل فرفض أيضاً. ولما امتنعت قرش عن المناظرة بينهما ذهبا إلى فراتة وأب عبيته بن حصن فأبى أن يقول شيئاً ثم ذهبا إلى ثقيف وطبأ حكم فيلان من سلمه بن مشعب الثقفي فردعها إلى حرقله بن الأشعرى الذي ردعها بدورها إلى هرمه بن قطه بن سنان الفسري ولم يتفرا أحد من الحكام أحدهما على الآخر خوفاً من قتل عشيرتهما^(٢).

ومن المناظرات بين أهلون ما حدثت بين أمية ومغزوم^(٣) وبين قبيصة كلب وبجيلة^(٤) ومن هنا نشأ عند العرب طبقة من احكام من أبرزهم أفعى لجران (الفلس بن عمرو الجرمي) الذي حكم بين أبناء مزار^(٥) وقس بن ساعدة الأيادي^(٦) وعقيل بن أبي

(١) الطبري: تاريخ ٢/٢٤٩.

(٢) الأصبهاني: ٢٨٧/١٦، دار الكتب.

(٣) ابن حبيب: الملقب، ١٠٩، وانظر المناظرات من ١٠٢-١٠٨.

(٤) سفياني: حرات الأند، ٣٩٨/٣، طبعة بولاق.

(٥) القهتان في عيون حيدر ٢١٨.

(٦) بن قتيبة: معارف ٦١.

طالب^(١) وأكثم بن صبيعي وعامر بن العسرب العدنوني^(٢) الذي دال لقب حكم فكان يقضي بما يحجز عنه الحكام الآخرون^(٣).

كما ظهر بعض للحكمات ومنهم جمعه بنت حابس الأيادي وصخرة بنت لقمان وحصيلة بنت عامر بن الطرب العدناني^(٤) وولي هؤلاء الحكام كانت العرب ترجع في متاعها وموارثها حيث لم يكن هناك حكومة تقضي بين الناس.

وقد احتلت قبيلة ثيم مكانة مرموقة بين القبائل بكثرة حكامها ففي سوق عكاظ كانت لها الحكومة والقبلاء ومن حكامها أكثم بن صيفي وحجاب بن زرارة والأقرع بن حابس وزبيعة بن مجاشين وضمرة بن ضمرة^(٥).

المصاهرة والغزوة

لمصاهرة مظهر من مظاهر الوفاق القسلي ووسيلة من وسائل التقارب ولتناهد بين المصاهرة كانت العرب تجتذب قلوب الجفاد وتأنف لأعداء

وبالمصاهرة نشأ عهد العرب عصرية الخلووة وهي القبيلة لأبناء بناتها إذا ما ألم بهم حدث وكان للخلووة مكانة كبيرة في العصرية وقد كانت في حالات كثيرة أقوى من عصرية العمومة^(٦).

فتذكر الروايات أن عصرية الخلووة قد لعبت دوراً كبيراً في ذلك حصار المقاطعة عن بني هاشم جاء ذلك من قبل هشام بن عمرو بن ربيعة الذي قال لرهير بن أبي أمية للحرومي وكانت أم زهير عاتكة بنت عبدالمطلب: يا زهير أرضيت أن تأكل وتشرب وتلبس الثياب وتكبح النساء أمأ وأحوالك كيف علمت على الجهد والعسر أما أني أحلف بالله لو كسروا أخوال أبي الحكم ثم دعوتهم إلى مثل ما دهاك إليه ما أجبتك أبداً^(٧).

(١) ابن خلدون، الأندلس في الأندلس، ص ٢١٩

(٢) الطبري، تاريخ، ٢٢٠/١

(٣) ابن مشام، السيرة، ١٢٢/١

(٤) الأندلسي، بلوغ الأرب، ٢٢٩/١-٢٣٠

(٥) جواد علي، المفصل، ٢٥٥/٤

(٦) المصدر السابق

(٧) البلاذري، حساب الأشراف، ٢٢٥/١، ابن الأثير، الكامل، ٦٠/٢

وفي معركة بدر دلت عصبية الحؤول بهي رهرة لرجوع عن قتال الرسول ﷺ، كما أن أول من نصر رسول الله في مكة هو طليب بن عمية بن وهب السهمي لأن أمه أروى بنت عبدالمطلب^(١).

وسجاح بنت الحارث تعرضت ردفها في قبيلة تملب لأنهم أحوالها^(٢). وقد كانت العرب تتمتع بالأحوال والأعماق ولذا قالوا: أنه وأله المعمم الحول. ولأهمية الحؤول ألب ابن الكشي كتاباً في من فخر بأحواله من قريش^(٣).

ولأهمية المصاهرة فقد حاولت قريش جاهدة أن ترتبط مع أكبر عدد ممكن من القبائل بأسباب المصاهرة فقد صاهرت إلى بني هلال وخراصة وشرب وبكر بن وائل وغيرهم^(٤).

الأحلاف

الحلف هو الميثاق، والمعاهدة بين قبيلتين لدفع الأذى والتعاضد والتناصر وكما يكون الحلف بين قبيلتين فقد يكون بين بطون أو شخصين

والأحلاف هي عصبية رابطة القبائل بعضها بعضاً نتيجة ظروف معينة وهي في أساسها منية على الحماية والمساعدة^(٥).

أما دافع هذه الأحلاف فيذكر الدكتور جواد علي: أن الفكرة التي حملت العرب على عقد الأحلاف، هي نفس الفكرة التي تدفعهم اليوم على عقد الأحلاف بينهم أو مع غيرهم. وهي الضرورة والدفاع عن مصالح خاصة أو عامة، أي نفس الفكرة التي تدفع لدول على التكتل والتحرب وعقد الأحلاف الدولية اليوم^(٦).

(١) الواقدي، صفح ١١٤/١.

(٢) المتوفى في أخبار قريش ٣٦٨.

(٣) الفيلسوف، فتوح البلدان، ١٠٨ (التجارية مصر).

(٤) ابن خلدون، الفهرست ١٤٨.

(٥) الموسوي، حلف من نسب قريش ٣٦ ٣٢ وابن هشام، السيرة ١٠٩/١، ٢٤٨.

(٦) البغدادي، تاريخ ١٢/٧-١٤.

(٧) جواد علي، الفصل ٢٧٧/٢.

ولذا فقد كانت الدواعي الحربية من أبرز العوامل التي كانت تدفع قبائل الجزيرة العربية إلى عقد الأحلاف ، فظروف الحياة الصحراوية وشرعية القوة كانت تجبر القبائل الضعيفة على طلب الحماية من قبيلة أخرى تحت مستر الخلف . وإذا دققت في دواعي الأحلاف نجد أن معظمها لا يحرص على هذا بسبب باستثناء حلف العضول الذي دعا إلى الواسي والانسانية وبصرة المظلوم .

ويقول النكري أن القبائل لجأت إلى الأحلاف عندما بدأ التنافس يظهر بين القبائل وخاصة بسبب الماء والكلأ^(١) .

وبالإضافة إلى الأحلاف التي قامت من أجل التناصر فقد أقامت قريش سلسلة من الأحلاف تتأمر طرق القوافل التجارية^(٢)

وتم تكن الأحلاف تقام حسب خطة مرسومة ومدروسة وإنما تنشأ بسبب ظروف أمنية ومصالح شخصية فقبيلة عيس لحالفت مع ثبائن ثم انتقلت إلى كنده فإلى بني حنيفة ثم عادوا إلى دبيان فثبائن الموت مع أخوهمنا حير من البقاء مع غيرهم^(٣)

وقد كان للأحلاف قدسية بين المتحالفين ومن هنا كانت تقام وفق طقوس وعادات معينة كلها تظهر احترام وتقديس هذا الحلف والويل لكل الويل لمن يهدر ويكث ، ومع هذه القدسية فقد كانت بعض القبائل تتجمل من هذه الأحلاف إذا ما رأت أنها ضد مصالحها الشخصية

ومن مظاهر إقامة الأحلاف : قسم اليمين وبهذا المعنى قال زهير بن أبي سلمى

فمن يبلغ الأحلاف عني رسالة
وليسان هل يستصعبتم كل تقسيم
والبعض الآخر ينقسم بالبيت كقول زهير أيضاً ،

فأقسمت بالبيت الذي خلف حبله
رجال يهده من السريش وجهم^(٤)

(١) النكري، مدمج ما، مستعمل ٤٦، ٥٣-٥٤

(٢) ابن حبيب، اللئيق في تحرير قريش ٢٩٥-٢٩٧

(٣) ابن الأثير، تكملة ٢٥٢/١-٢٥٥

(٤) زهير بن أبي سلمى، الشيران ٢٥، ١٤ ، ولأحلاف عيس وديان

وفي حالات أخرى كان المتحالفون يجمعون الأقداح ويصمون فيها قطعة من
الآدم كما فعلت نزيبات ومنها أخذت اسمها والتي يطلقون عليها الربة^(١)

وأيضاً ثثار من مراسم عقد الأحلاف فكانوا يذرون باخرمان والمنع من حيرها لمن
ينقض العهد ويحس العقد كما يطرخون فيها الكبريت وسموها نار المهل^(٢)

ومن المراسم أيضاً الفداء السوط أو القوس أو النعل^(٣) أو شرب ماء معين كشرب
المتعاقدين في حنف المضبول من ماء رمرم^(٤) ، وخمس الأيدي بالطيب أو الدم^(٥) ، أو
التعاقد على الملح ، أو دبح الخزور والخوض بدمائه^(٦) .

ولم يبق بعض الحالات كان يكتفي بالتصالح بالأيدي والقول : الهدم الهدم والدم
الدم ما بل بحر صوفه وتذكر كل قبيلة الجبال التي تعرفها^(٧) .

أما موعد عقد الأحلاف فكان في العاشر من ذي الحجة^(٨) . واعتقد أن ذلك
ليس شرطاً عاماً إنما كان ذلك يخصص للظروف وحاجات القبائل إلى إقامة هذه
الأحلاف

أنواع الأحلاف

تقسم الأحلاف إلى ثلاثة أنواع :

الأول - الأحلاف القسرية :

وهي تعاقد رجل صريح بالنسب مع آخر صريح مثله وكان المتحالفان يقولان
دعي دمك وثأري ثأرك وحربي حريك وسلمي سلمك ترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب

(١) بن عبد ربه ، استق الفريد ٢/٢٦٢ وقيل سميت بذلك لأنب اجتمعت كالربايا (٢٥٩/٢)

(٢) الألبسي ، بلوغ الأرب ٢/١٦٢ .

(٣) جامع لأصول ١/١٦٧ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٨/٨٠ .

(٥) الألباني ، المصاب المظرف ١/٥٥-٥٦ .

(٦) علي أبلاري ، أيمان العرب في الجاهلية ١٨٣ .

(٧) أبو غنم العسكري ، الأوتل ٨١٢ .

(٨) الوائلي ، المغاري ٢/٨٤٠-٨٤١ .

بك وتعتقل صبي وأعتقل عنك^(١) أو: حليف يؤخذ بجزيرة حليمة وقد أفدى العباس بن عبد المطلب حليمة عنه بن عمرو وعندما أسرني بدر من ماله الخاص^(٢)

وقد تعددت الأحلاف الفردية وكثرت وخاصة في قريش لأنها كانت تمر الحليف وتروجه^(٣)

وكانت التقاليد القبلية تسمح للحليف أن يرجع عن حلفه إن ما رأى أن مصدقته تتعارض مع هذا الحلف كما فعل ابن الحضرمي الذي نقل حلفه من بني أمية إلى بني محروم عندما هم عتبه بن ربيعة الرجوع من بدر وعدم قتال المسلمين . فقال ابن الحضرمي : فسحت عقدي من عهد شمس وعقدي اليوم إلى بني محروم^(٤).

الثاني - الأحلاف الاسرية:

وهي الأحلاف التي تمت بين بطون القبيلة الواحدة وأحياناً ما تحدثت عند انقسام هذه البطون على بعضها البعض .

ومن الأحلاف التي تمت بين البطون نفسها حلف المطهيين والأحلاف في قريش ، وحلف بني رباب .

أما حلف المطهيين والأحلاف فقد كان سببه مطالبة هاشم وعبد شمس والمطلب وبوعل ما بأيدي عبد المطلب من العجوبة والوفاء والرفادة والسقاية والندوة لأحفيتهم بها نسب شرعهم عندهم ولفضلهم . وقد قام بأمر المطالبة هذه هاشم فرفضت عبد المطلب تسليم مقبيل هذه الأمور فانقسمت قريش إلى قسمين ، فصار مع عبد مناف اسد وزهره وتيم وأحارث بن فهر ومع عبد المطلب محزوم ومهم وجمح وعدي ولم تشترك بنو عامر بن لؤي ، ومحارب بن فهر مع أي من الطرفين

وقد تعاقبت الفريقتين على ألا يتحاذلوا فأخبرت بنو عبد مناف جعنة بمؤبة طيباً ووضعوها حول الكعبة وغمسوا أيديهم فيها ، كما أحضر بنو عبد المطلب دم وتهوى

(١) الطبري، جامع البيان ٨/ ٢٧٥-٢٧٦

(٢) ابن سعد، الطبقات ١٣/٤

(٣) ابن سعد، الطبقات ٨/ ١٤

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية ٣/ ٢٧١.

لنقتل وعيبت كل قبيلة للأخرى إلا أنهم تداعوا للمصلح فأخذت عدمناف السقاية
والرفادة وبقيت الحجابة والثلوة والتلوة لعبد الدار^(١).

حلف الفضول

يعتبر هذا الحلف مزيّداً من نوعه وهو يقضي بنصرة المظلوم وأخذ الحق له. ولذا
اعتبر من أكرم الأحلاف وأشرفها والسبب في إقامته أن رجلاً من زبيد قدم مكة
ببضاعة فاشترها منه العاص بن وائل وكان ذا قدر لحس به حقه فاستعدى عليه
الريثي الأحلاف فلم يجهه أحد فصعد على أبي قيس واستجد بقريش فاجتمعت
هاشم وزهرة وثيم بن مرة وبنو المطلب وسد بن عبد العزى في دار ابن جدهان وتماقدوا
وتماعدوا على أن لا يجدو بمكة مظلوماً من أهلها ومن دخلها من غيرهم من سائر
الناس إلا أقاموا معه حتى يأخذوا له حقه^(٢).

أما تاريخ هذا الحلف فتذكر الروايات أنه كان بعد حرب العمار وقبل البعثة النبوية
بعشرين سنة^(٣). وقد قال عنه الرسول فقد شهدت في دار ابن جدهان حلفاً ما أحب
أن ربي به حمر النعم ولو ادعى به في الإسلام لأجبت^(٤).

ورداً كانت المنافسة بين البعوث القرشية وعصبية الأقباض دفعتهم إلى تكوين
أحلاف داخلية فقد كانت المصالح القبلية عند غيرهم تدفع بطون القبائل إذا وقع
الاشتقاق بينها أن تطلب حلف القبائل البعيدة السب عنها فحين وقع الصراع بين بطني
ثقيف، لأحلاف ومالك ذهبت لأحلاف تطلب محالفة الأوس والخزرج، وحالفت بنو
مالك دوس وعثهم^(٥). وحين تنازع مهد وجرم وهما من قضاة حالمت مهد بني
الحارث بن كعب وحالفت جرم بني زبيد^(٦).

(١) ابن سعد، البدائع، ٧٧/١، البكري، التكميل، ٥٥/١، ابن هشام، السيرة، ١٣١-١٣٠/١.

١٣٠.

(٢) ابن هشام، السيرة، يهمل من الزيادة ١٥٥-١٥٦/١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ابن الأثير، التكميل، ١/٢٠، الظهيرية.

(٥) المصدر السابق.

(٦) شرح هشامة أبي تمام، ١٥٩/١.

وقد استطاع دعاة المصول أن يخلصوا أئمة الخشعي من نيبه بن الحجاج^(١) واستمر أثر هذا الحلف إلى ما بعد الاسلام حتى أن الحسين بن علي بن أبي طالب قد هدد الوليد بن عتبة بن أبي سفیان به واستجاب للحسين عبدالله بن الزبير والمسلم بن مخرمة بن نوفل الأزهرري وعبد الرحمن بن عثمان بن عبدالله النخعي وقالوا للوليد لنقومن معه حتى يتصرف من حقه أو لموت جميعا^(٢).

حلف الرباب:

ومن الأحلاف الأسرية حلف الرباب وهو يقسم خمسة بقوى من ولد عبد مناف وهم تميم وعدي وعوف ونور وأشب تحالفوا مع بني عمهم فبنيهم على بني عمهم تميم بن مر ثم خرجت منهم عمة واكتفت بمدها وبقي سائرهم^(٣).

الثالث- الأحلاف القبلية الواسعة:

كان اندفاع لهذه القبائل هو اتحاد المصالح القبلية للمتحالفين ومن هذه الأحلاف ما كان مؤقتاً كحلف مذحج وهمدان وكندة ضد بني تميم بعد أن أوقع بهم كسرى في يوم الصفنة^(٤) وحلف تميم وطيبان وأسد وطوائف من كندة ضد بني حمر^(٥).

والأحلاف الدائمة وهي التي عتد أثرها إلى ما بعد الاسلام وأشهرها حلف ربيعة وكندة وعاد بصورة واضحة في العصر الأموي في العراق وكان لهذا الحلف القبلي أثره في توسيع دائرة العصبة اليمانية كما لعب هذا الحلف دوراً في أحداث البصرة وخراسان. وكان السبب المباشر لتجدده هو مواجهة عصبية مصر كما سنرى. ومن خلال مراسم هذا الحلف يرى أن القبائل اليمانية صورت ربيعة بصورة القبيلة المستضعفة التي جاءت لتطلب لمجة قبائل كندة وبعد الحلف قويت شوكتها فتقدمت من حاملاتها تتبع مطير من أن يحضر ثيابها وتصفى لحاها^(٦).

(١) أبو غلال العسكري، الأثرال مخطوط ١٢٦

(٢) ابن عساق، السيرة بهامش التريخ ١٠٥٥/١

(٣) ابن حزم، جمهرة النساب العرب، ١٩٨٠

(٤) الأماني، الأعيان ٦٩/١٥ (١٠٥٥)

(٥) ابن الأثير، الكامل ٣٥٥/١، المعيرة

(٦) مجهول، الاتصال بين الحق والباطل ١٨٢/١

وتذكر الروايات أيضاً أن هذا الخلف عقد في عهد معاوية بن الحرث الكندي الذي جمع أربعة عشر رجلاً من كتبه من ذوي الأسنان، ومثلهم من ربيعة، ولما حضروا بين يديه دعا بطشت من ذهب لقطر من دمه ثم أمر مشايخ كتبه وربيعة ففعلوا مثله. ثم أمر بجميعه وجعله في قصة من ذهب، وطلب من الجميع أن يحضروا منه حتى يأثروا غليظاً من البحر فيدسوا تلك القصة. ثم كتبوا بينهم كتاباً جاء فيه: «هذا ما احتلف عليه كتبه وربيعة من التناصر والأحياء بما احتلوا ربحاً حذاه، وراح موح أو غدا خلفاً محفوراً يره الأبناء على الآباء، لا غنى بينهم ولا خذلان، ولا هوان لأحد عندهم من كان، غلغوا الغيال، بالعيال والأموال بالأموال، ما احتلفت الأيام والليالي»^(١)

وقد تركت الأحلاف أثرها على المجتمع الجاهلي فكانت باعثاً للحروب مع أنها كانت حمية للضعيف ولذا فقد نهى الإسلام عن إقامة حلاف جديدة مع ترك الأحلاف القديمة

ومع وجود هذه الأحلاف فإن العصية القبلية كانت تقف أمام خضوع القبائل المتحالفة لقيادة رجب يحد في نسبها عنها وكانت القبائل تقاوم عتسانة والمساندة مظهر من مظهر العصية القبلية. ولم يذكر عن رجب تسبب زعامة القبائل المتحالفة ولا حصص من حديده الذي أصبح زعيماً للمحليين أسد وخطفان^(٢).

الحج والأسواق

كانت هذه الأشهر الحرم في «حريرة» العربية تسقط سيوف المقاتلين، فتشتقي القبائل أما حاجة وما قاصدة، الأسواق التي كانت تقام في أماكن مختلفة من الجزيرة العربية. ومع أن هذه القبائل كانت تعتبر هذه الأشهر شيئاً مقدساً لا يجوز خرقها إلا أن بعضها لم يعتبر هذه الهمة فرضاً واجباً وكثيراً ما احترقت هذه الهدنة وخاصة إذا تعارضت مع مصالح هذه القبائل وأكبر اختراق حرمة الأشهر الحرم هو حرب الفجار التي أحدثت سمهاً من انتهاك حرمة الشهر الحرام.

(١) انظر هذا المثل في مصدر المصباح ١٨٢/١-١٨٦.

(٢) الجاهل، النير، والتبني. ٩١٣، ندوة القاهرة، تحقيق عبدالسلام فاروق ١٩٦٥

ومع أن هذه الأشهر كانت تقضي على الجزيرة العربية جواً من الأمن والطمأنينة إلا أن بعض القبائل التي كانت تعتبر القتال سجية وخصيفة لا ينالها الجميع ووسيلة ارتفاق وقد تدمر البعض من هذه الأشهر فأخذوا يذكرون في طريقة يتجلبون بها منها ومنها وجد النسيء وهو تأخير المحرم إلى صفر يستعملون الأشهر المحرم ويحرمون الأشهر الحلال^(١).

وربما أن النسيء قد أخذ عن اليهود فالناس عندهم هو الرئيس الديني الذي كان يحرر ويقدم الشهور ويعين مواعيد الأعياد والأعيام ويعلن ما قرره بأمر من الرافد إلى الطوائف اليهودية المختلفة، كما أطلق الناس أيضاً على رئيس القبيلة صدم^(٢).

أما بالنسبة لمجى فتظهر الروايات أن القبائل العدنانية هي التي سيطرت على مقاليد الأمور فيه وكان قصر الإجازة ولعدوان لافاضة وكنانة النسيء^(٣).

كما أن القبائل لم تكن متحدة في شعائرها الدينية بالنسبة لمجى فقد انقسمت القبائل إلى ثلاث فئات وربما كان للعصبية القمية أثرها في هذا التقسيم فالقبائل العدنانية معظمها من فئة الخمس والقبائل النحلة هي القبائل اليمنية التي كانت تجاور العدنانية كما أن معظم القبائل الطلس هي قبائل يمانية.

أما قبائل الخمس فهي قريش وكنانة ومن ولدتهم قريش من سائر العرب، أو حليف لقريش، وكل من نزل مكة من قبائل العرب وكذلك كلاب وكعب وهامر بن صعصعة والخدود بن عبد ماة ومذليج بن مرة وهامر بن عبد ماة وكنانة وثقيف وعدون ويبرق بن حنظلة وعاز بن مالك بن نعيم ومن تدخله بكر بن عبد ماة^(٤).

والخمس هو التشدد بالدين والظاهر أن قريشاً هي التي جتهدت هذا الأمر فقد كانوا يعتبرون أنفسهم أهل الله وبنو إبراهيم وولاء البيت وأهل الحرم وسكان مكة ولا يعضدهم أحد من العرب فأرادوا أن تكون لهم ميزة على القبائل الأخرى فأستقوا من أنفسهم الوقوف في عرفة والأفاصة منها بينما هي واجبة على سائر القبائل^(٥).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢٥٦/٢

(٢) سفر الفرج، فصل ٣١/٢٤ وسائر عدد قصص ٣/٧ والتفسير تاريخ يهود في بلاد العرب ٨١.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن ٢٦٠/٢

(٤) ابن حبيب، الجبل ١٧٨، للمق في أخبار قريش ١١٢-١١٤.

(٥) ابن هشام، السيرة ١٩٩/١، البحر، السق ١٤٢-١٤٤ ابن الأثير الكامل، ٢٦٦/١، الم.

وقد كانت الجحصة القرشية تباع لكل من تله قرشية أن يتبع جسية أمه من حيث عادات الخمس وقد وضع الخمس . شروطاً يجب القيام بها وهي أنهم كانوا لا يدخلون في بيت من شعر ، ولا يستغلون إلا في بيوت من الأدم ، ولا يسألون سمن ولا يجرؤ الشعر والأظفار ، ولا يبيعون بين الموضة وطعنها ، ولا يشتهوا ولا يتطهروا ولا يلمسوا النساء ، ولا يأكلوا لحماً ولا يلمسوا حي حجمهم الوبر أو الصوف أو الشعر وإذا طافوا بالبيت لمسوا أثواباً جديدة ولا يطأون أرض المسجد بنعالهم تعظيماً له ولا يدخلون البيوت من أبوابها .

العلقة

ونقسم إلى قسمين الأول القبائل التي كانت لا تتقيد بالأشهر الحرم بن تستعمل وجود هذه الأشهر حتى تغير على القبائل المحرمة . ومن هذه القبائل طي وحشم كما ساعدتهم بعض القبائل العدنانية مثل أسد ورجا خلفهم معهم ، ويكره عبد ماة التي لم تدخل مع القبائل الخمس ، وقوم من بني عامر بن صعصعة . وقد قام ضد هذه القبائل من سب نفسه لصورة المظنوم ، وأمنع من سفك الدماء ، وأرتكاب المنكر . وقد أطلق على هؤلاء اسم "العداة" المحرمون وهم من لعدنانيين من بني عمرو بن لقيم وبني حنظلة بن زيد مائة وقوم من هذيل وبني شيبان فكانوا يلبسون سلاحهم في الأشهر الحرم لمقاومة الحلة^(١) .

والثاني . وهم عكس الخمس وقد كان لا يسمح لهم لظروف إلا إذا ارتدوا ثوب أحمر وإن طافوا بشابهم لا يحمل لهم لبسها ، وإن لم يجدوا ثوب أحمر طافوا بالبيت عريان^(٢) ، وكانت العرب تطلق على هذه الثياب اسم "النفى" كما حرم على هذه العدة البيع والشراء في حجمهم^(٣) .

ومن قبائل الحلة بعض لقيم وضبه وغزاة ومريه والرباب وعكل ونور وقيس عيلان كلها عدد ثقيب وعدوان وربيعة كلها ، وقضاة وقبائل الأزد والأنصار ورجيلة ويرق

(١) البهاري . تاريخ ١/٢٤٠ ، الناسي ، شبه الخراف . ٤٠/٢

(٢) ابن سعد ، الطبقات ٦/٧٧

(٣) ابن حبيب ، لمعق في أخبار قرية ، ١٤٦ .

القبائل

وهم أهل اليمن من حضرموت وحك ونجيب ومعهم إباد وكانوا يطوفون بالبيت على صفة خاصة بهم ومن صفاتهم أنهم وسع بين الحلة والحبس يصنعون في أحرامهم ما يصنع الحلة ويطوفون ثيابهم ويحذون البيوت من أبوابها^(١)

وهكذا يرى أن القبائل العربية بالرغم من أن الحج كان يجمع بين هذه القبائل ويوطد من التعارف بينها إلا أن العصبية القبلية كانت تملي أن تتبع كل كتلة أو مجموعة من القبائل أنظمة ومراسم لها تنفد بها دون غيرها من القبائل وقد بقيت هذه الفئات والمعتقدات حتى جاء الإسلام وأبطل هذه العادات

الأسواق

هي من مظاهر التقارب القبلي وقد كانت ترتبط بالحج ارتباطاً وثيقاً وخاصة سوق عكاظ وقد كانت هذه الأسواق بمثابة مؤتمرات هامة ومعارض تجارية تتبادل فيها القبائل الأفكار والأفكار ولسمع التجارة، وبالرغم من هذه المؤتمرات إلا أنها لم تكن لتوسع الدجال إلى لاختلاط الواسع، فلقد وقعت القلبية حاجراً أمام هذا الاختلاط لكل قبيلة من القبائل المشتركة في سوق عكاظ كانت تنف على أراضيها ورياباتها مسحازة في المنازل يفسط كل قبيلة أشرفها وقادتها^(٢) وقد كان لكل سوق موسم معين يقام فيه كما أنه به قبائله التي ترتده وقد كان سوق عكاظ بمثابة المعرض القبلي العام الذي تنتقي فيه معظم القبائل العربية

وقد كانت الأشهر الحرم عاملاً مساعداً في إقامة هذه الأسواق لا سيما وأن معظم هذه الأسواق كانت تقام في هذه الأشهر عالأمن كان يشجع القبائل على حركة الانتقال للاشتراك في هذه الأسواق.

والحاجة الثانية أن هذه الأسواق كانت مصدراً من مصادر الرزق والربح الوفير ومس ذلك من تخوف قريش من عدم إقامة سوق عكاظ عندما سمعت بما قام به البراءة والذي أدى في النهاية إلى حرب الصغار، فقد جاءت قريش إلى أبي براء عامر

(١) ابن حبيب، المعبر ١٢٩، ١٨١

(٢) الأزدقي، لعبار ١/ ١٢١-١٢٢

بن مائلت هي جنح الشريون قيس وكثانة حتى يقام السوق إلا أن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح.

كما أن القوافل التجارية كانت تتنقل تحت حماية القبائل وكانت هذه الحماية والعفارة تتنقل من قبيلة إلى أخرى إما بالحلف أو دفع الأثاوة وقد تنهت قريش لهذا الأمر فحدث أن ترتبط مع أكبر عدد ممكن من القبائل العربية برباط الحلف ومن القبائل التي حالتها قريش لميم فكان بنو يربوع حلفاء لعبد شمس وحلف ميم مع قريش وبطهم بقبيلة كلب^(١) لأن حليف الحليف حليف وارتبطت مع أسد وهيء ومع بني عمرو بن مرثد بن قيس ثعلبة بحلف وكان يجيرون لهم على ربيعة كلها.

ونظراً لأهمية الأسواق فقد كان الرسول ﷺ يحضرها داعياً القبائل إلى الإسلام^(٢).

كما أن الأسواق هذه كانت بمثابة إداعة رسمية للقبائل تعلن فيها معاهداتها وتسعى لطلب ثأرها، وهو المثلقي الأدبي لتبدل الخطب والأشعار وهناك من يذكر بأن أنفسهم الجاهلية قد علقت في سوق عكاظ كما أنهم إذا خلعوا فرداً أعلوا ذلك في المراسم وإذا خنر أحد مأجد، دعوا له راية بعكاظ^(٣).

وتقسم الأسواق إلى ثلاثة أقسام^(٤):

الأسواق التي كانت تخضع للخود الأجنبي وتتبادل فيها الصبغة العربية كما في الحيرة وحجر والبحرين وعمان

الأسواق التي أنشأها العرب أنفسهم بحكم الحاجة إليها فصارت مع الزمن تمثلهم أحسن تمثيل في معاملتهم في البيع والشراء والخصام والزواج والدين والحقوق وكان القائلون بأمر هذه الأسواق هم من القبائل العربية أنفسهم ومن هذه الأسواق سوق عكاظ ومجند وذو اللجائر

(١) بن التميمي، الفهرست، ١٥١.

(٢) ابن بكتر، جمهرة نسب قريش، ٣٦٨.

(٣) الألبسي، بلوغ الأرب، ٣٦٨/٦.

(٤) الألفاني، سوق العرب، ٢١٢-٢١٣.

والبوع الثالث من الأسواق ذات الصبغة العالمية نظراً لموقعها الجغرافي ومنها عدن وصحار ودرعي وفي هذه الأسواق كان يجتمع تجار الحبشة والهند والصين وفارس بالإضافة إلى القبائل العربية التي كانت تقيم في هذه المناطق .

وقد بلغت الأسواق العربية اثنا عشر سوقاً موزعة على مدار السنة إلا أن أهم هذه الأسواق هو سوق عكاظ الذي بقي قائماً حتى سنة ١٩٧ هـ^(١).

وكان هذا السوق يقام في أوائل ذي القعدة ويستمر إلى العشرين منه^(٢) وكانت حكومة السرق وقضاؤه بيد قبيلة قحيم وعكاظ السوق الوحيد الذي كان يحرص رؤساء القبائل وأشرف الناس على حضوره

وهكذا كانت الأسواق عاملاً في تقريب اللهجات العربية ، وفي توحيد العادات والتقاليد القبلية كما أنها كانت عاملاً مهماً في ازدهار الحركة التجارية بين القبائل إلا أنها كانت من ناحية أخرى تبعث الأحقاد والخزانات بين القبائل وتبلى عوامل التفخر والأنفة والاعتزاز بين هذه القبائل مما كان يُلجج من نار العنصرية القبلية .

ب- مظاهر النزاع القبلي،

كانت الأيام أبرر مظاهر النزاع القبلي حتى جعلت قبائل الحيرة العربية في صراع مستمر وهذه الأيام تشكل سلسلة طويلة من الآثار الدموية حتى أصبحت رياضة محبة لغرب بل وهناك من رفض الدعوة الإسلامية كيكبر مثلاً لأن الدين الجديد يحرم العزو والغروب القبلية ويحج المسم من أن يقتل مسلماً آخر وقد ظلت هذه القبيلة من الرسول ﷺ أن يسمح لها بالإعارة على حميم ثم تعلن إسلامها فيما بعد^(٣).

(١) الأزرقي أخبار مكة، ١/٢٢٧، وفي رواية ثانية إلى سنة ١٢٩ هـ.

(٢) ابن بكار، جوهرة سب قریش، ٣٦٧-٣٦٨.

(٣) خواصيفش حضارة الاسلام، ١٤.

وقد اجتمعت المصدر في عدد هذه الأيام فقد ذكر بليداتي^(١) أن عددها ١٣٢٠ يوماً وذكر أبو عبيد معمر بن أنثنى في كتابه الكبير أنها ١٢٠٠ يوماً^(٢) وألف أبو انرج الأصمعي كتاباً جمع فيه ١٧٠٠ يوماً أما جاد النولي ورفاعة فقد جمعا ٥٢ يوماً^(٣). أما أسباب هذه الأيام فهي في إطارها العام العنصرية القبلية والألفة والحمية والمصالح القبلية

وأيام يجمعونها تمثل العنصرية القبلية في أحسن مظاهرها سواء كانت هذه الأيام بين قبائل متباعدة النسب، أو بين بطون القبيلة الواحدة

ويمكن إجمال أسباب هذه الأيام فيما يلي:

١- إن العرب كانت تعتبر الغزو من وسائل العيش كما احتشرت من مفومات العزة والشمعة ولهذا فقد صعب على بعض القبائل أن تكتف أرصة أشهر من السنة دون قتال فأوجسوا، مما أنسيء حتى يفتروا هذه المدة على بعض شهور السنة ليتاح لهم الغزو^(٤).

والساحية الثانية أن القبائل العربية كانت تعتبر الحروب والغزو والقتال مظهر من مظاهر القوة القبلية ومن هنا كانوا يقدرون لا مجرد أسرع من مجرد نسيب^(٥).

كما أن النواحي الاقتصادية كانت تثير القبائل بعضها على البعض فالتعرض للعدوة التجارية أو انتجاع أرض قبيلة أخرى كانت تدفع القبائل إلى الاقتتال وس الأيام التي لعبت بها النواحي الاقتصادية دوراً، يوم الرويرة بين بكر وتميم فقد رحلت بكر من مواطنها وسكنت في أرض تميم نتيجة قحط أرضها فكان لا يفتى قبضي بكري إلا قتله والعكس^(٦) ويوم ذات نكيف بين قرظ وكندة^(٧) وحرب البسوس بين بكر وتعلب.

(١) بليداتي، مرجع لأمثال ٢/٥١٧-٥٢٧.

(٢) عبد الوهيد عرن، فن العرب ونظمها رسالة بجامعة القاهرة رقم ١٨٩.

(٣) ابن حبيب، المير ١٥٦-١٥٧.

(٤) ابن قتيبة، حيون الأخبار ١/١٢٠.

(٥) ابن الأثير الكامل ١/٣٨٨.

(٦) ابن حبيب، تحقيق في أخبار قريظ، ١٢٤-١٢٨.

ويأتي النار كما في حرب العجاء^(١) والهجاء من الشعراء من الأسباب التي كانت تؤدي إلى هذه الألام. ومن الأسباب أيضاً التحريض الأجنبي فقد كان الفرس يحاولون دوماً أن يثيروا القبائل العربية بعضها على بعض، وظهر أثر سفوف الفارسي في يوم أباغ ويوم حليمه وأثر الروم والفرس أيضاً في النزاع بين حرب الننادرة وحرب الفساسنة. وأثر اليهود في النزاع بين الأوس والخزرج حيث كانوا يصنعون لهم السيوف مما أدى إلى حدة الصراع بينهم^(٢) ونتيجة الأحوال والمآسي والأحقاد والخزفيات التي كانت تبعثها هذه الألام فقد ظهرت بعض الأموات التي نادت بوقف القتل والدعوة إلى السلم وخاصة بعد قتال عيس وذيان. ومن هؤلاء الدعاة زهير بن أبي سلمى الذي وصف هذه الحروب بقوله:^(٣)

هنا الحرب إلا ما علمتم وفلستم
هنا هو منها بالحدث الجرهم
من تبعوها لبهتوها لصيمة
وتحسروا إذا احسنتموها فتعجبهم

والربيع، زمزاري الذي قام بسوق عكاظ وحدث الطرفين المتنازعين على الصلح وقال:^(٤) يا بني ذبيان فاروا بالحروب فلو أنها تدل، يا بني ذبيان طلب انتشار ضالة الأشرار. ومراق الأعصار، وهلاك الأخيار، أحوكم عيس حدوكم أمس فطلاب أمس الذهب هلاك فدل المقص، فلا سأنتم عن الأحقاد طسم وجديس وعاد.

وعدموا أن كل ذاكر لناس، وكل مقيم طامس، وكل ثابت رائل، وبين الأموات، موت الأحياء. والسرعة إلى الأجل دهاب العجل، والذل غنيمة النظام. واستشهد بآيات تحت على صفة القريب وقال:

أعناك أعناك من لا أعناك له
كسناج إلى التهييجا يشهور مسلح
وإن هم أقره فسأعلم جباجمه
وهل يشهون التمساري يشهور جناج^(٥)

(١) لصدر السابق، ١٨٧.

(٢) تويريظلي، العلاقات السياسية بين العرب واليهود، ٥٥.

(٣) لويس سيفوف، شعراء نجد والمجاء قسم ٥٧٠/٤.

(٤) التيجار ١٢٤-١٢٥.

(٥) لصدر السابق.

أما عدد المشاركين في القتال فقد اختلفت من يوم إلى آخر ليوم الكلاب الثاني الذي كان لذلك وحلفاءه بلغ عددهم اثنا عشر ألفاً ولا يعلم في الجاهلية جيش كان أكبر منه ومن جيش كسرى يوم ذي قار ويوم شعب حيلة^(١) وبلغ جيش مالك بن عوف في عروة حرب عشرة آلاف وسمي عيينة بن حصن جريراً^(٢) لقيادته أكثر من ألف ومائة من قبيلة عس عن عددهم يوم النهيامة قالوا كذا مائة كالأذهب لم نكثر ولم نقل وقيل لعمرة كم كنتم يوم الفروق (بين عس وذبيان) قال - مائة^(٣)

ويصروا بن خلدون اسباب النصر في هذه الأيام إلى العصبية وليس لغيرها ويقول إن أسباب الغلب في الأكثر مجتمعة من أمور ظاهرة هي الخيوش ووهورها وكمال الأسلحة واستجانتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف ومنه صدق القتال ومنها الخداع ومن أمثال العرب رب حيلة أنفع من قبيلة

وإذا التصحيح المعتبر في الغلب حال العصبية، أن يكون في أحد الجانبين عصبية واحدة حامية لكهيم، وفي الجانب الآخر عصابات متقدمة لأن العصابات إذا كانت متعددة يقع بينها من التعادل ما يقع في توحيدها المتفرقين الفالدين للعصبية تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذي عصبته متعددة لا يقاوم الجانب الذي عصبته واحدة^(٤)

وإذا استعرضنا الأيام نجدها لا تتعدى أربعين

الصورة الأولى، هي تنازع العصبية العربية مع القوى الخارجية ويمكن أن نطلق عليها العصبية المركبة أو العصبية الحسية وقد تمثلت هذه العصبية في معركة ذي قار وفيها تجلت مظاهر العصبية العربية ضد العرس فعندما شب النزاع بين بكر والعرس قال أسرى الجيم الذين كانوا يمحرون بكر: حلوا عنا نقائن معكم فإذا مدب عن أعست فقات

(١) عيني أيام العرب ٧٠-٧٣، رسالة بجامعة القاهرة رقم ١١٤٢

(٢) العيني، الروض النظم ١/١٨٢.

(٣) ابن قتيبة حبيب الأمير، ١/١٢٥

(٤) ابن خلدون المقدمة ٢٧٧-٢٧٨

بكر لنا بحاف أن لا ناصحبوا قالوا^١ فدعربوا حتى تروا مكاننا وغداهاء كما اشرحت
الظهارم مع تحميم بالرغم من العداوة بينهم وبين بكر^٢.

وعبرت بعد مثلاً رائعا في العصبية فقد كانت مع صفوف القفرس وتحت قيادة
يهاس بن فيصة الطائي وجاءت إلى بكر سراً وقالوا لهم أي الأمرين أعجب إليكم؟ أن
يطير تحت ليلتنا فذهب^٣ أو نقيم متعرجين تلاقوا القوم قالوا^٤ بل تقيمون هذا التقى
القوم انهزمتم^٥.

ومن هنا كانت العصبية العربية من أهم الأسباب التي جاءت بالنصر إلى القبائل
العربية وعبرت نظرة الدجاريين للعرب فأخذوا يحسبون لهم الحساب بعد أن اعتبرهم
كميات مهملة^٦.

والصورة الثانية هي صراع بين جلدي العرب العدنانيين والقمطيين ومن هذه
الأيام يوم البيضاء^٧ البيضاء^٨ وسببه حجرة ملحح وهي قبيلة قحطانية إلى أراضي معد
بنهاية موقع النزاع بين قبتي عدوان وعليها عامرين الطرب العدواني فغلبت ملححاً
في البيضاء. وتذكر الروايات أن هذا هو أول يوم اجتمعت فيه مصر تحت راية واحدة
هي راية عامرين الطرب العدواني^٩. ويوم حراز بين القبائل العدنانية ربيعة ومعد
والقبائل عجمانية وفيه انهزمت ملحح^{١٠} واعتبر يوم غزار من أعظم أيام العرب في
الجاهلية^{١١}.

أما الصورة الثالثة فهي تصادم العصبية الوسطى بين القبائل المنحدرة من أصل واحد كما
حدث في حروب العجار بين قيس وكنانة

وبالرغم من حالة العداوة بين القبائل المتفادية في الدم في بعض الأوقات، إلا أن
عصبيتهم كانت تدفعهم إلى تقديم العون والمساعدة لأخوتهم في الدم. وتزداد هذه

(١) الطبري، تاريخ ٢/٢١١-٢١٢

(٢) طبري، تاريخ ٢/٢٠٥.

(٣) خودا بحث حصاره لاسلام، ٣١.

(٤) المعبر، ٢٤٦، ابن الأثير، الكامل ١/٢٩٥، المقبرية.

(٥) ابن الأثير، الكامل ١/٢٩٠، المقبرية.

(٦) الاشتقاق ٢٠٣، ليمر ٢.

المساعدة إذا أرزتها المصالح الشخصية والأهواء القبلية. فقبل حرب الفجار عزم النعمان بن النضر على عرو بني عامر بنوحي السلان مستخدماً السرية ومدعياً أنه خرج لحماية نعيمة (قائلة) لثث، عندما فرغ الناس من سوق عكاظ علمت قريش بما يخطط له النعمان فأرسل عبدالله بن جدعان إلى بني عامر يعلمهم الخبر فحللوا واستعدوا لحرب الله جميعاً^(١)

وعندما تعبرت المصالح القبلية، ورأت القبائل القيسية أن كرامتها وحرمتها قد احترقت قدمت ثقات قريشاً في حرب العمار وقد كانت أحوال هذه الحرب عظيمة على الطرفين ولم توقفها إلا أواخر القرى ولحمة الدم والنسب حيث قال عتبة بن ربيعة. يا قيس هلموا إلى صلة الأرحام فقالت قيس وما صلحكم هنا فإنا موتورون. فقال عتبة على أن مدى قتلاكم ونصدق عليكم بقتلانا فرضوا بذلك^(٢)

وصلة الدم والقرى كانت تجمع كثيراً بين القبائل بالرغم من ظهور حركة الانشقاق بينهم فهذا قيس بن رهير العبسي يقول يرجع إلى أخو، ما من دين فالتوت معهم خير من البقاء مع غيرهم^(٣)

والصورة الرابعة هي صورة تصارع البطون كما حدث بين الأوس والخزرج وبين الأحلاف وبين مائل وتقيف.

وهكذا نجد أن النزاع القبلي قد طوى جميع القبائل العربية وجعلها تتصارع بين عصبية قلبية صيفة حتى أنها حولت الجميع لحرب الجميع باستثناء من قام بينهم رابطة الحلف الذي كانت العرب تحترمه وتقدس.

(١) البهائي، الأيام، رسالة بشارية ١١٤٢، ٢٧/١-٢٧.

(٢) ابن هبيب، المصنف، ٢٠٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ٢/٢١٤-٢٥٥، تحقيق.

دواعي ظهور العصبية القبلية وأثرها:

إن الأساس الذي يقوم عليه النظام القبلي هو روح العصبية القبلية التي كانت متعلقة في الجسم العربي الجاهلي وفي كل ما يحيط به فهو يتعصب لأسرته ولحده وعشيرته وبلده وعمارته وقبيلته كما تعصب لأرضه ولغته ودينه وحليفه وجاره.

والعصبية في أبسط صورها هي مسؤولية جماعية موزعة بين الفرد والقبيلة، فالعرد من حيث هو عنصر من عناصر هذه القبيلة عليها أن تحميه وتقدم العون له والعرد يجب عليه أن يدافع عن قبيلته إذا ما لحقها أذى. والعصبية القبلية لا تفرق بين صريح ومولي وبين عبد وحر فمجتمع القبيلة وحدة واحدة يجمع بينها لحمة الدم والنسب والحلف والجوار وعندهم جميعاً مسؤولية الدفاع عن القبيلة.

وقد كان لطروف الحياة الصحراوية وانعدام حالة الأمن في الصحرة ما يبرر نشوء العصبية القبلية وشذنها فهي وسيلة للدفاع والتناصر والتعاقد ومن هنا كانت وحدة الدم تدفع القبائل لمساعدة بعضها البعض بل أن فائدة النسب هي هذه العصبية^(١).

ولولا العصبية القبلية لهلك الضعيف وسقط القوي، إلا أن العصبية كانت تدفع القبائل وحاشية الضعيفة منها إلى طلب حلف، لأنهم في المحافظة على كيانها ووجودها.

لقد كانت العصبية القبلية كالدولة للرجل الحديث وصارت الوطنية العربية وطنية قبلية لاجسدية^(٢). ومنها جفعت هذه العصبية وكان لها آثار سلبية على المجتمع الجاهلي فقد وقعت حادثة أمية أمام إقامة مجتمع متماسك تحكمه رابطة الأغوة العربية، كما أنها تطورت حتى أصبحت مظهراً من مظاهر القبلية الداخلية. وأبرز مثال على ذلك ما حدث بين وائل بن حجر الكندي ومعاوية بن أبي سفيان. فقد أمر الرسول ﷺ معاوية أن يذهب مع وائل إلى الحرة وينزله هناك فمشى معاوية معه وائل راكب فقال له معاوية إنني معلث قد لا إني لم أكن البسها وقد لبستها، فقال فأردني، قال لست من أرداف الملوكة، قال أن الرضباء قد حرقت قنمي، قال لا يبلغ أهل

(١) وأبي، شرح مقدمة ابن خلدون، ٤٢٥/٢.

(٢) أحمد الشايب، تاريخ النشر السياسي، ٢٤.

لأنهم أن سوقه ليس نعل منك . ولكن ان شئت قصرت عليك ناقتي لسرت بظناها
فأنتي معاوية النبي فأبناه فقال «إن به لعبة من عية الجاهلية»^(١)

ومن مظاهر العصبية القبلية الحمية وهي الأنفة والغيرة والعصب^(٢) ويكفي أن
يبادي فرد بشعار قبيلته حتى يقبلوا عليه من كل حذوب وصوب

وقد لعبت العصبية القبلية دوراً خطيراً في الثأر ، حتى أن القبائل اعتبرت له فرصة
مقدمة لا يعطوها شيء ويعتق شوقي ضيف على ذلك بقوله . «لقد قدسو العصبية
تقدساً كان أعظم من تقدسهم للشعائر الدينية ، تلك الشعائر التي كانت تشاركهم فيها
قبائل أخرى ، أب الشعائر ،عصبية القبيلة فإنها خاصة بالقبيلة الواحدة وبأهلها الذين
يجمعهم دم واحد وسب واحد وريء تسامح الواحد في ذنبه . إذ لم يكن يهمه في كثير
من الأحوال ، أما في العصبية فإنه لا تسامح في أي واجب من واجباتها»^(٣).

فكان الثأر هو الواجب لأول الذي لا يتساهلون فيه فكانوا يطلبونه في الأسواق
والحج والصحراء وفي كل مكان ومن هنا تحوّل القبائل العربية وتورعت ما بين طارد
ومطرود وعاز وعززي كن يسمى إلى أحد هذين بسلطان قوته وخاصة إذا لمس في الخصم
ضعفاً.

ومن هنا اعتبرت القبائل التي لا تؤمن بتواضع البشر بأنها قبائل ضعيفة لا تصلح
للحياة أما القبائل التي تحب الشر وتسمى إليه فهي من القبائل القوية ، فقد كانوا يؤمنون
بأن الشر مباح أهل

وقوة عصبية كانت تستدعي الإعداد لقرارات القبيلة ، فمقرارات كانت تتبع قوة
السيد وكما أنه وهي في جعلتها ديمقراطية وهذه القرارات واجبة التنفيذ ومن هنا قال
دريد بن الصمة .

وما أيا من غسيرة إن غسيرة غسيرة وإن توشد غسيرة أرضه^(٤)

(١) ابن سعد ، الطبقات ، ٢٤٩/٦ ، وما بعده جود علي المصنف ٢٩٢/٤٧

(٢) اللسان مادة عصب.

(٣) شوقي ضيف العصر الجاهلي ، ٦١ .

(٤) ابن جرير ، شعراء نجد والحجاز قسم ٧٥٧/٥ .

وبالرغم من صدق العصبية في الدفاع عن أمجاد القبيلة إلا أنه لم يكن لها أثر في النواحي الاقتصادية فالشعر العربي بصورة عامة حالات فقر مدقع وحير مثال لذلك فئة الصعاليك التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية.

وقوة العصبية من الناحية الاقتصادية لم تظهر حتى في مكة وهي من أكثر القبائل الحرية تمسكاً ونلمس مدى التفاوت الاقتصادي بين المجتمع المكي مما أشار به القرآن الكريم في آيات متعددة^(١).

فضرورة التفات الطيفي لم تكن العصبية القبلية لتحلها من الناحية الاقتصادية، فالعصبية وإن تحملت داء المخاطر الخارجية، فإن المشاكل الداخلية متروكة لكل فرد يحلها بالصورة التي يراها مناسبة.

لقد كانت القبائل تنظر إلى الغريب نظرة تقديس واحترام فهو عندتهم للمستقبل وعليه يقع عبء القتال وعن هذا قالوا: لا نعدم من ابن عمك نصراً وكفك منك ولو شاء^(٢).

وأشد ما كان يخشاه العربي هو أن يكون عربياً من قبيلته وعشيرته والغريب هو الذي شطت عنه عشيرته أي بعدت^(٣) وبهذا المعنى يقول أمية بن أبي الصلت:

فهمي لفسفد ابن شالط وأفسرني وهم ألداف بكن من عسائلي^(٤)

وقد لعب الشعر دوراً كبيراً في اشتداد العصبية القبلية، ولذا فقد كثر الشعر في العصر الجاهلي، فالتعريف هو الناطق الرسمي للقبيلة، التحدث بلسانها الحافظ لأمجادها ومديحها، للدافع عنها أمام القبائل الأخرى.

وقد صور هؤلاء الشعراء العصبية القبلية ومنهم دهل الخزاعي حيث يقول:

(١) سطر سورة البقرة، الآيات ١٦٦-١٦٧، ص ٣١-٣٢، ط ٤٧، أميون ١١.

(٢) المديني، مجمع الأمثال، ١٧٠/٢.

(٣) مجهول، التذليل، بين الحق والباطل، مطبوع ١٥٢/٦.

(٤) لأصفهاني، لأغني ٢٥٧/٢، بيروت.

أصبحت قديمي ولم أصل بحبهم فالتوا تصعب جهداً فجاءني بهت^(١)

والشعر هو وسيلة الأعلام الوحيدة التي كانت موجودة في العصر الجاهلي فالشعر يقوم مقام الصحيفة والإدعة والتلفاز (التلفزيون)، فهو معلق ومدافع وناشر للأخبار قبيته .

وقد كانت معظم أغراض الشعر الجاهلي استجابة للنظام القبلي ونداء للعصبية فالهجر يصور أمجاد القبيلة ، والمدح يرضي عليها ثوباً تتميز به عن القبائل الأخرى وحتى في الرثاء والعزل والهجاء نرى المسحة القبلية والاعتزاز القبلي ، ولأهمية الشعراء كانت العرب لا تقبم الاحتفالات الضخمة إلا في ثلاثة أمور منها ميلاد شاعر وإذا تعدد شعراء القبيلة الواحدة قدم عنهم شاعراً وتسميه شاعر القبيلة . ومن هنا قالوه قلندرها فلان وفارسها فلان وشاعرها فلان^(٢) . وإذا اجتمع في الشخص الرئاسة والشجاعة والشعر سموه الكامل كسعيد بن وهب^(٣) الأوسي^(٤)

وكان الشاعر يقدم على الخطيب وذلك لحب العرب إلى الشعر الذي بقيد مآثرهم ومعظم شأنهم ويهول على عدوهم ومن عزاهم ، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عدوهم ويهايبهم شاعر خيرهم فيراقب شاعرهم^(٥) .

وقد كان يكفي من الشاعر أن يقول بيتاً من الشعر يمدح به أناساً فيرفعهم أو يقول بيتاً يهجو فيه آخرين فيزلهم إلى الخضيض ومثال ذلك هجاء جرير لقبيلة ثمر التي كانت جيرة من جمرات العرب^(٦)

وكما اعتزت القبيلة بشاعرها فإن على القبيلة أن تحفظ آثار انشاعر وتتداولها وهذا ما تعرضه مبادئ العصبية القبلية واستمر ذلك حتى في العصر الأموي فاحتجاج

(١) ليون الكامل في اللغة، ٧/٢

(٢) لأبني، ١٤٦/٤، جرجي زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية ٩ / ١

(٣) لأباني، ١٣٦/٢، بيروت،

(٤) معاجد، البيه والتبعية، ٢٣٣/١.

(٥) انظر ابن رجب، العدد ٥-٥١، البيه والتبعية، ٣/ ٣٦٠-٣٦١، ابن عبد ربه، العقد القوي، ٥/

١٥٥-١٥٢

يرسف الشعبي بأسف لعدم وجود من يحفظ أشعار أمية بن الصلت ويرويها علماً بأنه كان من أشد المتأولين للدعوة الإسلامية^(١).

وللدلالة على أهمية الشاعر ما كان يعامل به عند وقوعه في الأسر، حيث يربط لسانه بسعة وفي المقابل فقد كانت العرب تفتح الشاعر المدافع عن قبيلته وتطلق عليه اسم الشاعر العذوم^(٢).

ومع أن العصبية القبلية كانت سبباً في إزدهار الحركة الشعرية إلا أنها كانت من طريق آخر سبباً في الرصح والانتحال وخاصة في المتألب والمتألب والأنساب.

ولم تلق العصبية القبلية عند العصر الجاهلي بل امتدت آثارها إلى التنظيم السياسي للمجتمع الإسلامي وإلى الآثار المعنوية وخاصة في كتابة تاريخنا، ومع التسليم أنه قلما أن يوجد تاريخ خال من انتعصب^(٣) لكن العصبية انفرطة بلغت شأنها في روايات تاريخية طاعرة لمعيا. وما روايات الأديم إلا مظهر من مظاهر العصبية التي تمثل جانباً واحداً^(٤) وفي روايات عبيد بن شربة نلمس أثر العصبية القبلية فهو يحدد حرب أجوب لبثت أنهم سبقوا عرب الشمان في الأمجاد أو أنهم لا يفلون عنهم سرقة^(٥) وقد كان للعصبية والتنافس بين العدنانيين والفحطانيين هي المسؤولة مثل هذه الأخبار وهي من جهة ثانية كانت سبباً في رد السابة العدنانية على الفحطانيين وإزدياد حدة العصبية بينهما.

وإحصاري بماني آخر هو وهب بن منبه حيث يقدم أسطورة بمثابة مجيدة هدفها أن تظهر للفحطانيين من أمجاد قبل الإسلام تواجه التثوق العدناني. وهذه الروايات في صورة التفاحر بين الحدميين. فكتاب التيجان يظهر حمير كالسراج المنضي في النيلة الظلماء، وعرب أجوب عرفوا التوحيد قبل اناس، وأن الصعب ذا القرنين يهجو في

(١) الأعمش، ١٢٢/٤ بيروت.

(٢) لال عبد يعزب الفحطاني أقو وقد شق لساني بسمة الأوسي. بلوغ الأرب ١٧/٢.

(٣) الأوسي، بلوغ الأرب ١٧/٢.

(٤) السبكي، طبقات الشافعية ١٩٧.

(٥) النوري، علم التاريخ منذ العرب ١٧، نظر التيجان في بوك حمير ٢٥، ١٧-١٨، ٥٧، ٥٨، ٧١.

١٧، ٨٧، علم التاريخ منذ العرب، ١٥.

حروبه إلى السيد والإيمان، وتقدس اليمانية للكعبة، وحج بعض ملوكهم وقيام بعض ملوكهم بفتح وحادث عقيمة في أرجاء الأرض. ويسب إلى أهل اليمن السبق في استعمال الخط العربي، وهم نظموا الشعر العربي وعنه أحد العدنانيون وتفوق اليمانية بعلم الصناعات وعنه أغلها الناس^(١).

ومن هذا يتضح عجب الكتاب اليمانيين لقبائل اليمانية وإلهادها بمظهر يليق في التوحيد والتفوحات واللغة والآداب والحكمة والصحة^(٢)

ومثله ما قام به هشام بن محمد الكلبي في كتابه مثالب العرب^(٣)

لم يقتصر التنافس بين العدنانيين والقطيفيين بحسب بل امتد إلى التماخر بين مصر وربيعة، ففحت ربيعة تعلن أن منها أنباء كصالح وشعيب، واستدعى ذلك وضع ما يؤيد قولهم كما وضعوا لأحداث لتدعيم رأيهم في ذلك. ومنها قولهم أن الرسول ﷺ قال: «لا تسوا ربيعة فإنه الله»^(٤) صاعاً وشعباً^(٥)

فقد كان العدنانيون يؤرخون بالأحداث الخاصة بهم مثل مروءة أسمة عيل مكة، وعام تمرق ولد سمدة، وعام رئاسة عمرو بن لحي، وصوت كعب بن لؤي، وعام الفدر^(٦)، وعام الغيل، وحرب القجار، وموت هشام الخطومي، وبيان الكعبة^(٧)

(١) التهجيد في ملوك حدير انظر ص ١٦، ١٧، ٢٤، ٤٧، ٤٨، ٥٢، ٧٤، ١٠١، ١٦٢

(٢) التاريخ علم التاريخ عند العرب ١١٠-١١١

(٣) مخطوط مصور بهجمة القول نغرية تحت رقم ١٠٤٢،

(٤) يباح في أصل المخطوط ويمتد من الأسماء أنه بحث منهم. انظر الآثار الربيعية في مآثر ربيعة مخطوط ٥٢ ب

(٥) يباح في أصل المخطوط ويستند من الأسماء أنه بحث منهم انظر الآثار الربيعية في مآثر ربيعة مخطوط ٥٢ ب

(٦) عام الفدر عام غارة قوم من بني يربوع على كسوة لكعبة التي أرسلها ملوك اليمن (الأصفيهانى تاريخ سني ملوك الأرض ١٨-١٩،

(٧) الأصفيهانى، تاريخ سني ملوك الأرض ١١٨،

وأرحت ربيعة بعام التحالف^(١) وفزرة وعيس يوم جيلة، وينو عامر بن صعصعة
 بيوم شعب جيلة وكان ذلك قبل الاسلام بيوم وأربعين سنة وانظر تاريخ الخليل،
 والأوس، والخروج، وطى، وقريش^(٢)

أما في الحروب فقد كان لكل قبيلة شعربا الخاص بها ولها صيحتها تنادي بها في
 حروبها ومن أشهرها فشعار اليمن 'يا منصور' وهكذا نلاحظ أن القبيلة كانت
 متمثلة في كل شيء.

المجتمع المكي قبل البعثة النبوية:

لقد حمل أهل مكة لواء معارضة الدولة الإسلامية، وما أن انهدم هذا المركز حتى
 تداخت المراكز القبلية الأخرى تنهوى أما بالسيف أو بإرسال الوفود إلى المدينة.

وعندما أقول للمجتمع المكي فإنني أهي قبيلة قريش التي كانت تسكن في مدينة
 مستطيلة الشكل تحيط بها الجبال من جميع الجهات، أما أخصى عليها ميرة دفاعية حصينة.
 لكن هذه الجبال كانت نقطة من حيث إيراد الزرع، علة فالمنطقة صحرية وقاحلة مجربة،
 وقد جاء ذلك على لسان إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُفْرِكُ الْإِنْسَانُ مَا يَكْتُمُونَ﴾^(٣)
 يوافيهم في روع عند يثيث، لمعهم رب يقيموا الصلاة فاجعل الفتنة من الناس نهوى
 إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا^(٤)

واشتهرت مكة وقريش على يد قصي الذي جعل مكة شأن عند القبائل المجاورة
 وذلك بتجميعه لقريش أولاً وبإتيانه بأصنام تحت سحاً جيداً بأبدي فية مهرة وعلى
 رأسها جبل فأصبح تبيت شهرة فأخذت قبائل الخزيرة تغلب عليه^(٥)

وقد أطلق على قصي لقب مجمع قريش، حيث جمعهم من رؤوس الجبال
 وشعبها كما نسبت إليه عدة أعمال منها أنه أول من جدد بناء الكعبة وساقها بحشب

(١) التحالف من أيام جوس.

(٢) انظر المسعودي، التنبيه والاضراف ٢٠٤ وما بعدها.

(٣) سورة إبراهيم الآية ٣٧

(٤) جواد طي، الفصل في تاريخ العرب ١١/٤.

الدوم وجريد النخل^(١) وهو أول من قطع شجر الحرم بعد أن هابت قريش قطعة ، وهو الذي تولى تقسيم مكة أربعة بين قريش وأول من أحدث وقيد بقدر بالزلفة ليهتدي بها الحجاج . ثم هو المشير على قريش بالسفينة والرفادة وقد بلغ في مكة شأناً كبيراً حتى أصبح أمره كالدين المتبع^(٢) .

وبعد أن جمع قصي قريش دخل في صراع مع القبائل التي كانت مسئولة عن مناسك الحج وهي قبائل حموفه وحراة وكنانة . فأخذ الأفاضة من صوفه ، ودخل في صراع مع خزاعة فرأى أن قوته لا تكافئهم فاستجد بقصاعة وبمساعدة تمكن من طرد خزاعة من مكة وتسلم ولاية البيت

وصراع قريش مع حراة يصور في خطوطه البسيطة أول صراع بين عرب الشمال وعرب الجنوب حول المناصب الدينية وقد تمادت قريش في سحقيتها من خزاعة حتى أنها أعلنت أنها قد اشترت ولاية البيت بزيق من حمر من أبي غبشان فحسب أنزل بعصفقه وقين أحمر من أبي غبشان^(٣) . واعتقد أن لوضع ظاهر بهذه الرواية فإذا كان الأمر كذلك فلا داعي لحرب قصي وخزاعة .

وبعد أن أجلى قصي خزاعة عن مكة أصبح رجل مكة الأول بل دعيم الحجاز دون سائر^(٤) . واستمرت قريش متحدة في عهد قصي وبعد موته كاد هذا العهد أن يعرط مرة ثانية بسبب تنافس بين بطون قريش على أمور الكعبة ، فقد عهد قصي لابنه عبد الدار حور الكعبة جميعها فأخذ أحمد يدب في قلوب عبد مناف فأخذوا يراحمون بني عبد الدار على المناصب في مكة وانقسمت قريش إزاء ذلك إلى قسمين قسم يؤيد بني عبد مناف وقسم آخر يؤيد بني عبد الدار ونتج عنهما الحيفان المشهوران وهما حلف المطيريين والاحلاف وكانت أن تقع بينهما حرب لكنهما تنازعا إلى الصلح فأصبحت السفينة والرفادة لبني عبد مناف وحجابة واللواء والنوء لبني عبد الدار^(٥)

(١) اللامي، شفا الغراب، ٩٤/١ .

(٢) ابن هشام، السيرة ١٢٣/١-١٢٤ .

(٣) ابن هشام، السيرة ١٢٣/١-١٢٤ . أبو عجل العسكري الأراكل ٤٦- ٤٨ .

(٤) سيد أمير علي، مقتصر تاريخ العرب ٥ .

(٥) ابن هشام، سيرة هشام بن عوف ١/١٥٣، ١٥٤ . وانظر عن اختلاف من ١٧ وما بعدها .

وقد جاءت شهرة ابناء عبد مناف لأنهم استطاعوا تأمين الحركة التجارية مع القبائل والموئل المجاورة فقد اتفق هاشم مع الروم وعسان، وعبد شمس مع الحسنة ونوفل مع الفرص والمطلب مع قبائل حمير^(١).

ونتيجة للاتفاقات التجارية وحشد منطقة مكة ازدهرت الحركة التجارية في مكة كما أصبح هديها من امهر التجار في العالم حتى أن العرب قالت " قريش التجار وحمير الأحبار"^(٢) ويستدل على عظمة تجارة قريش من رأسمالها الضخم حيث قدر قبل الاسلام بنحو (٢٤٠) الفا من الجنيهاات^(٣).

وقد أثرت الناحية التجارية على سلوك قريش، فجعلتهم يسلكون سبيل المروعة حتى تغلب حلمهم على جهر احوالين، فجاءت لمجتهم في نصرة الغريب والدفاع عن المظلوم وحمية المستجير بأحسن النتائج لهم^(٤) وما حلف الغضول إلا مرأ لهذه الأعمال

لقد كانت قريش تتعد من القتال لأنها تحشى أن يفسد عليها طريقتها التجارية فهي لم تكن راغبة في حرب العجاز. وقد دفعت اليه دفعا ورأت أن مصالحها التجارية كانت أهم من العرو والذهب والقتال. وهي تأخر بطلع عيد الله بن جدعان اليه دفعا لتلا يجني عليهم الجوائز فيطربون بسبي وهم تجار لا يستغنون عن بلد^(٥).

ومن أجل تأمين الحركة التجارية حاولت قريش أن ترتبط مع القبائل المجاورة اما برباط الحلف أو لصاهرة. فبالحلف ربطت نفسها مع قتيبة ودوس^(٦) ومع الأحابيش وحلف أمية بن عبد شمس مع حارثة بن لاوقص السلمي. وحلف هاشم مع خراصة وحلف بني أمية مع جحش بن رباب من خزاعة، وحلف نوفل بن عبد مناف مع آل سويد التميمي^(٧).

(١) الطبري، تاريخ ٢/٢٥٢.

(٢) ابن هشام، السيرة ٧٠/٨.

(٣) دمرتن، تاريخ احكام ٤٠٦/٤، مكتبة النهضة المصرية.

(٤) جواد علي انطلس ٢٠/٤.

(٥) الهمداني، الاكبل ٨/١٢٦.

(٦) ابن حبيب، الملق في اخبار قريش ٢٨٠.

(٧) انظر، خلاف، قريش في المنطق من ٢٨٥-٢٩٤.

أما المصاهرة فقد اصبحت قریش الى قبائل عديدة منها أسلم وحزاعة وبي
التجر^(١) كما أن قریش كانت لا تتورع عن ربط نسبها مع بعض القبائل إذا رأت أن
مصلحتها تتطلب ذلك كما كان يفعل النعاس وأبو سفيان مع قبيلة كندة ويقولون لهم '
إذا بقي أكل نثار من ذ'^(٢) وقد نفى الرسول ﷺ هذا النسب للأشعث بن قيس الكندي
عندما جاءه وقد أسلم وقال له '^(٣) انك من بني النضر بن كنانة لا بلغوا أمنا ولا يتفني من
أبينا^(٤)

وإذا كسبت قریش الحركة التجارية وأصبحت مقدمة فيها ، فذهب عظمى عند
العرب كثيرا لوجود البيت في مكة الذي كان فخرها الأول حتى أن القبائل العربية كانت
تقول لقریش ، محوكم منكم وحرمكم وهاتوا ما شئتم^(٥)

ولم تكن القبائل العربية وحدها التي تقدم قریشا فقد كانت الامم المجاورة تطر
بالتقدير والاحترام اليها ، فسبغ بن ذي يزن يفضل قریشا في الحاقرة على «وفود العربية
التي قدمت لتبتهته»^(٦)

ولذكر من حبيب أن قریشا كانت إذا حالفت قبيلة ولعت من شأها عند القبائل
العربية فلو أكل انرار سدوا بعض قریش ، لأن قریشا كانت تتخفر بهم وسائر الناس
يتحفرون بأل مسروق من كندة ، ومن هه جاءتهم رحامتهم^(٧) . فقد نالت قریش رحامتها
على القبائل العربية بأمرين الأول هو ازدهار الحركة التجارية والثاني وجود البيت
فيها ، والدليل على طاعة القبائل لقریش ذلك التقدم الديني الذي شهدته وهو نظام
الحرمس .

وبالرغم من اقامة قریش واستقرارها بمكة منذ وقت طويل عما جاء الاسلام الا
وكانت المظاهر القبلية بارزة للعيان فيها . فمائدة حططت أرباعا لكل بطن تقسم منفصل

(١) الطبري تاريخ ٢/٢٥٢ . وانظر ابن حزم جهره نسب العرب ٧٢

(٢) ابن عبد البر الاستيعاب ١/١١٠ يهمل الأصابع

(٣) ابن الأثير مكاسب ١/٢٤٥

(٤) الأذلي لخيار مكة ١/٩٢ .

(٥) ابن حبيب المعبر ٢٦٦ .

عن البطون الأخرى^(١) وفي الرئاسة بعد أن كانت عامة لقريش أصبحت خاصة للكن بطن من بطون قريش رئيس منهم ، ومع ذلك فقد كانت الرئاسة العامة تظهر في الأزمات كقادة عبد الله بن جدعان لقريش في حرب العجاء ، وأنا استبعد ما تذكره بعض الروايات^(٢) أن قريشا كادت أن تتوح الوليد بن المغيرة عليها قبل مجيئ الإسلام وذلك لأن العصية والمعاينة كانت على أشدها بين البطون القرشية وخاصة ما بين عبد مناف ومخزوم .

ومع هذا فقد كانت قريش تقدر بعض رحمتها حتى أنها أرغت بموت بعضهم مثل كعب بن لؤي ، وحشام بن المغيرة المخزومي^(٣)

قريش البطاح وهم الذين جمعهم قصي واسكنهم الشعب بين أحشبي مكة وهم أكرم قريش ، وبطرا يجدد مطقتهم فقد صرفوا إلى الأعمال التجارية حتى أصبحوا من ذوي رؤوس الأموال فامتلكوا الأرضي واستعمرات خارج مكة وخاصة في العتائف

ومن هذه البطون بنو عبد مناف، عبد الدار، عبد الغزي، زهره بن كلاب، عبد بن قصي بن كلاب، جهم بن مرة، مخزوم بن يقظة، سهم، جمح، عذني بن كعب، حنبل بن عامر بن لؤي، هلال بن أمية، هلال بن مالك، عتيك بن عامر بن لؤي^(٤)

قريش الظواهر وقد ميزوا خارج الشعب، في أطراف مكة، وظاهر أنهم كانوا أحراب، فقد التحروا على قريش البطاح بأنهم أصحاب قتال^(٥).

وتتكون من معيص بن عامر بن لؤي، جهم الأدارم بن غالب بن فهر، اخارث بن فهر، ومعظمهم من بني عامر بن لؤي ونزل عهد أبي عبيدة بن الجراح إلى الأبطح فهم

(١) لأذني، الجذر مكة ١٨٧/٢، ١٩٦.

(٢) أبو هلال لمسكري، الأوائل ١٥١.

(٣) المسعودي، التنبيه للاشراف ٣١١.

(٤) ابن رشتيق، عمدة ١٩٢/٢، بن هبيب، الجبر ١٦٧.

(٥) القاضي شفا نعيم ٦٣/٢.

من العنبرين^(١) وذكر البعض هلال بن أعيب وهلال بن ممالك^(٢) من قریش القنواهر واعتقد أنه لاصح حيث لا تسمع هؤلاء في قریش البطاح

قریش الصلابة: وهم ولد سامه بن لؤي بن غالب بن فهر سموا بذلك لأنهم تعربوا عن قومهم فنسبوا إلى بني ناجية^(٣).

قریش العاللة: وهم بنو حزيمه بن لؤي بن غالب بن فهر وسبب التسمية أن أبا عبيده بن حزمه تزوج امرأة اسمها عاللة فولدت له ملكاً وتيما فسموا عاللة باسم اسمهم . وقيل لأن عددهم في بني ربيعة بن ذهل من بني شيبان في الجاهلية والاسلام قليل عاللة قریش لثلاث بطرا^(٤).

وقد جازا في عهد عمر وعظيوا خالفهم بقریش لرفض عمر . ولما تسلم عثمان والحلافة اثبتهم في قریش فكانوا في البداية مع بني شيبان وكتابتهم في قریش^(٥).

وبهذا ما من هذه الانساب قریش البطاح التي كانت لها الزعامة وما جاء لاسلام حتى كانت بنو عبد مناف وبني مخزوم من أقوى البطون القرشية وبنو عبد مناف متقدمة على بني مخزوم في عهد حرب بن أمية

ومع قوة هذين البطين إلا أن العنصرية كانت على أشدها بين قریش وبطرة إلى التأثير التي كان يمتز بها القرشيون وتوزعها حسب البطون تعطينا فكرة عن التنافس بين هذه البطون فقد جاءت هذه التأثير مقسمة على الشكل التالي^(٦)

السقيفة العمار: السقيفة هي اسماء اجمعين أما العماره فهي الا يتكلم احد في المسجد ولا يهجر ولا يرفث في صوته . وقد كانت هذه لبني هاشم وبيد العباس بن عبد المطلب

(١) ابن سعد، الطبقات ٢/١٧٦، جواد على الفصل ٢٧/٤

(٢) البخاري، انساب الاشراف ٢٩/١، بن حبيب، المعبر ١٦٨.

(٣) الطائي، شفا القرام ٦٢، ٦٢/٢

(٤) مصدر لمستق

(٥) البخاري، معجم الاشراف ١٤/١.

(٦) نظر هذه التأثير في العهد الجديد ٢/٢٦، الطائي، تنوع الأدب ٢٤٩/١

العقاب العقاب راية قريش ، وكانوا يحر جوبه اذا حميت الحرب واذا اجتمعوا على أحد أخطوه به ، ومن سم يجمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقلعوه^(١) وقد كان العقاب لبني أمية وعند أبي صفيان

الرفقة وهي ما كنت تحرجه قريش من أموالها وترقد به متطلع احاج . وكانت في بني نوفل وللحارث بن هاشم .

والنواء والسفله والعجابه ودار الندوة كانت هذه الآثار في بني عبد الدار وقد جاءه الاسلام وهي بيد عثمان بن طلحة . والنواء هو شعر قريش في الحرب ، ولاهمية النواء قدمت عبد الدار تطحيات جسيمه في معركة أحد . أما السفله والعجابه فهي رهاية البيت .

امثال الندوة فهي برمان ملا قريش وفيها تتخذ القرارات الهامة التي تهم قريش كما كانت قريش لا تحدث نكاحاً أو يعلز غلام أو تبلغ جارية أو تخرج قاعة تجارية إلا وجازا إلى دار الندوة . ولاهمة دار الندوة كان لا يدخلها إلا من بلغ الأربعة عشر سنة من هذه القاعدة حكيم بن حزام فقد دخلها وهو ابن خمس عشر سنة وأبو جهل الذي دخلها ولم يطر شاربه^(٢)

ومع وجود دار الندوة الهامة لقريش إلا أنه كان لكن بعض من بطون قريش متتدي خاص بهم حول الكعبة يجلسون فيه^(٣) .

لشورة كان رؤساء قريش لا يجتمعون على أمر حتى يعرضوه على صاحب المشورة دون وافهم مضو، فيه وإلا تخيروا وكانوا له أحوالاً وكانت المشورة لبني أسد وفي يد يريد بن رمة بن الأسود .

الاشفاق وهي اللذيات والمعرم وكانت في بني تميم ويبد أبي بكره ، وهذا احتمال شيئاً لسأل فيه قريشاً صدقوه وأضوا حمالة من نهض معه وإن احتملها غيره غلغوه

(١) بن عبد البر الاستيعاب ٩٢/٣ نهامش الاعصابه

(٢) بن يكار . جبهة سب قريش ، ٣٥٤ لأزالي ، اخبار مكة . ٦١/٨ .

(٣) ابن عبد البر . الاستيعاب ، ٢٩١/٢ نهامش الاعصابه ، الألفبي ، بلوغ الأرب ٢٣٣/١

القبيلة والأعداء: القبيلة يصرون بها قبل الخروج إلى القتال ثم يجمعون فيها ما يجهررون به الجيش. أب الأعداء فهو القائد على حيل قريش في الحرب وقد كانت هذه نسي مغزوم ويبد خالد بن الوليد.

الصفاة: كانت هي بني عدي وكانت لعمر بن الخطيب إذا وقعت بينهم وبين عبيد هم حرب بعثوه معيراً وأن باعهم حي ففأخرة جملوه مالهراً ورضوا به

الأبيص: وهي الأريام وكان لا يسبق بأمر عام حتى يكون هو الذي يتسرون على يديه وكانت في بني جميع ولصفوان بن أمية

المكومة والأموال للمهجرة: وهي الأموال التي سموه لللاله وكانت تسهم ويبد الحارث بن قيس.

وبن اقتسمت قريش هذه التأثير فقد كان التنافس على أشده بين البطون القرشية وخاصة عبد بقاء الكعبة، فعندئذ الكعبة كانت بطون قريش تجمع الحجارة متعصنة عن بعضها^(١)، كما اقتسمت الجدرا بين بطونها فقد كان شق الباب نسي عبد مناف ورهره وما كان بين الركن الأسود والركن اليماني نسي محروم وتيم وطهر الكعبة لبني جميع وسهم وكان شق الحجر نسي عبدلدار وأسد وعدي^(٢).

كما كان التنافس على الرئاسة والسيادة على أشده بين البطون فعندما أراد عثمان بن الحويرث التنسوج على قريش قام الراساء والأشراف فممنوع، هذا، مشروع وصباح لأسود بن أسد بن عبدالمعري^(٣) «ألا أن مكة حي لخاص لا تعين لملك فلم يتم لعثمان ما أراد»^(٤)

وهكذا نرى أن مكة لم تكن حضرة بالمعنى التام، والحياة فيها كانت مهيبة على أساس العصبية القبلية، فالمدينة مقسمة إلى شعاب، والشعاب وحدات اجتماعية مستقلة، تحكمها الأسر والبطون، وبين البطون براع وتنافس على الجاه والنفوذ وهذا التمزج وإن لم يخلق الأمن وحيث يسلم المدينة إلا أنه أثر في حياتها الاجتماعية أثراً خطيراً، انكملت عدوله إلى أيام الإسلام^(٥).

(١) ابن حجر الإصابة ١٨٧/٢.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/٢، ٣.

(٣) السبيلي، لرياض الألفه ٢٥٥/٦، القاهرة ١٩٧١.

(٤) جود علي، الفصل ٩١/٤، ٩٢.

الفصل الثاني

العصبية القبلية في عهد الرسول ﷺ

موقف الإسلام من العصبية

موقف قريش من الدعوة الإسلامية

موقف القبائل العربية من الدعوة الإسلامية حتى الهجرة إلى المدينة.

الدعوة الإسلامية في العهد النبوي وموقف القبائل منها.

المخالفون

اليهود

الصراع بين المدينة ومكة والقبائل العربية الأخرى.

AIMAD VR

موقف الإسلام من المعصية:

لقد أحل الإسلام رابطة العقيدة مكان رابطة اللحم والدم، ومن هنا كانت الدعوة الإسلامية دعوة إنسانية ليست مقصورة على فئة دون فئة أو قبيلة دون أخرى.

وقد جاءت آيات عديدة تشير إلى إنسانية هذه الدعوة قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ حَيْرًا لَهُمْ مِثْلُ مَا يُؤْمِنُونَ أَكْثَرُهُمْ الضَّالِّينَ﴾^(١)

إن دعوة الإسلام دعوة شاملة، بدأها برسول من قبيلة قريش لتكون له عرواً في شجر هذه الرسالة ثم مطلقاً منها إلى بقية القبائل العربية في الجزيرة لتكون هذه المرحلة الثانية من مراحل الدعوة قال تعالى ﴿تَنْذِرُ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٢) وبعد جمع هذه القبائل تحت راية الإسلام تكون المرحلة الثالثة وهي إبلاغ الإسلام إلى العالم أجمع ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣) وأتمم عملية الرسالة وإنسانية الدعوة لا بد وأن يتعمق الإسلام إلى كل ما من شأنه أن يعيق الدعوة العالمية، ويهزق الأمة الأوي المعصية القبلية.

جاءت المعصية بالنقرآن بمعنىين: الأول بمعنى العتة قال تعالى ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفَتَنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّوْا بِهَا إِلَّا بَسِيرًا﴾^(٤) أي لو سئلوا الكفر والمعصية لأسرعوا إليها^(٥)

والثاني بمعنى الحمية والحمية مظهر من مظاهر المعصية القبلية قال تعالى ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^(٦)

(١) سورة آل عمران، الآية ١١

(٢) سورة القصص، الآية ٧

(٣) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧

(٤) سورة الأحزاب، الآية ١٤

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن ٤٧٣/٣

(٦) سورة الفتح الآية ٢٦

وقد مبره القرآن الكريم بين المعصية والمدوحة^(١) والمعصية المذمومة^(٢) فالأولى تحت على صلة القربى ودوي الأرحام وبها يكون التناصر والتعاقد على أمر الحق والثانية تحت هي نصرة القريب وزرع الداء الذي يرقق الأمة ويشتت أهواءها.

جاء الإسلام بفهم جديد لمحمل الولاء لله وحده ولرسوله وللمؤمنين، والولاء هذا يسمو فوق جميع الروابط القبلية، وكان هذا التعبير نعمة من نعم الله على الأمة العربية خاصة والعالم عامة

استطاع الإسلام أن يولف بين قلوب القبائل العربية، بعد أن كانت الأحقاد اجماعية تلقى حالاً أمام هذه الوحدة، ولم يقف أمر الإسلام عند الوحدة بين طلب المحافظة عليها وصونها من كل ما يهددها. قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وادكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة الله أئمةً﴾ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين لله لكم آياته لعلكم تهتدون^(٣).

لقد كان جمع القبائل العربية من أكبر المعجزات التي شهدتها المجتمعات القديمة والحديث قال تعالى: ﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾^(٤)

بهذا التأليف أصبح الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين بعد أن كان للقبيلة ولربطة الدم والنسب، ومن هنا نقل حرب الجزيرة من ولاء قبلي شيق إلى ولأ يقوم على عقيدة دينية واسعة، تضم مجتمعاً من قبائل شتى قال تعالى: ﴿إنا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾^(٥).

(١) انظر بساء الآية ١٠، ٢٢، ٢٦، محمد ٢٢، شعراء ٢١٤، ٢١٦، الزمر ٢٢، الأحزاب ٦.

(٢) انظر التوبة ٢٢-٢٤، الأنعام ١٥٢، الممتحنة ٢، المصبرات ١١.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

(٤) سورة الأنفال الآية ٦٢.

(٥) سورة المائدة الآية ٥٥-٥٧، انظر الأنفال الآية ٧٢، ٧٥.

وحتى يبقى المجتمع الاسلامي مجتمعاً تظله روح الأخوة والمحبة ولا تشوبه شوائب الحقد، حرم، لاسلام موالاة الكفار قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كُفِرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يَحْرِجُونَ الرَّسُولَ وَيُتَاكَمُونَ أَفَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَعْمَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ خَلَّ سُلُوكُهُ السَّبِيلَ﴾^(١)

وباحلال رابطة العقيدة مكان الرابطة القبلية أصبح المؤمنون إخوة، فالاسلام لا يعترف الا بالمسلم والابن المسلم لا يعترف بالابن المشرك، فالإيمان بالله ومصداقه المسلمين فوق جميع الاعتمارات قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأُفٍّ لَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حَالَتُهُمْ فِيهَا مِنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرُفُّوا عَنْهُمْ أَوَّلُهُمْ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢)

فالأخوة الاسلامية هي الجماعة الثابتة بعد العقيدة قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَنْفُسِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٣)

وحارب الاسلام عصبية العظمة والجس والطبقة واعتبر الكل أمام العقيدة سواء قال تعالى ﴿وَلَا تَجِدُ الَّذِينَ يُدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَةِ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَ مَا عِنْدَكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَكَذَلِكَ نَتَنَا بَعْضَهُمْ يَبْغِي لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ مَا نَشَاكُرُ بِهِ﴾^(٤)

وقد جاء في سبب نزول هاتين الآيتين أن الأنسج بن حابس وعبيدة بن حصن الغريري قدما على الرسول ﷺ فوجدوا معه صهيياً وبلالاً وعمراً وغيباً وبأس آخرين

(١) سورة الممتدة الآية ١

(٢) سورة الممتدة الآية ٢٢ وانظر التوبة الآية ١١٢.

(٣) سورة الممتدة الآية ١

(٤) سورة الممتدة الآية ٢٢-٢٣

من الصعفة المومنين الذين لا عشار لهم، فلما رأوهم حول النبي ﷺ جاؤوا وخلوا به وقالوا: إنا نريد أن نجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فصلنا، وإن وفود العرب تأتيك مستحي أن تراءى مع هذه لأعبدة، فإذا نحن جشاك فاقمهم عنا فودنا لمرئنا فاقعد فيهم وإن شئت فقد الرسول صلى الله عليه وسلم نعم فقبلوا منه أن يكتب على نفسه كتاباً بذلك فنزل قوله تعالى ولا تطرد...^(١).

لقد جاءت المفيدة مبدأ المعاصرة في السبق إلى الإسلام لا بشرف القبيلة وكرم المحدث والنسب قال تعالى ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم أولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم^(٢)﴾.

والإسلام لم يحرر العصبية القبلية فحسب بل هاجم عصبية التقاليد، والتي لعبت هي لأخرى دوراً في مقاومة الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قلوا ووجدنا عليها أبهنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء المنكرات أنفون على الله ما لا تعلمون^(٣)﴾.

وقد كاد الزواج النبوي ﷺ من منطقة متباعدة صورة قوية لقوة عصبية التقاليد وأثرها في بيئة النبي وعصره^(٤)، فكان هذا الزواج عبرة بهذه التقاليد. ومن التقاليد التي احترقها الإسلام القتل في الأشهر الحرم؛ فعندما قتلت سريّة عبدالله بن جحش ابن الحنظلي قال المشركون إن محمداً قد احترق حرمة الأشهر الحرم، ولقوة هذه التقاليد تأثر عبدالله ومن خرج معه من ذلك حتى نزل قوله تعالى ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل^(٥)﴾.

ويعد أن حارب الإسلام العصبية القبلية المبنية على التمايز بعير حق، وعصبية التقاليد، جاء بيقين مجتمعاً تحكمه علاقات إنسانية عامة فقصى على كل ما من شأنه أن

(١) ابن كثير، تفسير القرآن ١٣٤/٢-١٣٥.

(٢) سورة الأنعام الآية ١١٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٢٨، وانظر الآية ١٣٠، ١٧٠، لقمان، ٢٦.

(٤) محمد حرة مؤرخ، عصر النبي وبيئته قبل النبوة، دار البقعة بيروت ١٩٦٢/٢.

(٥) سورة البقرة الآية ٢١٧.

يشير، لاحقاد ويعكر صلحو العلاقات ، لقد أراد الاسلام لوحدة المجتمع الاسلامي أن تكون شاملة فأنه إلى العبادات ، فوجههم نحو عبادة اله واحد، ودين واحد وشعائر واحدة ، فافصلاة واحدة والحج واحد فلا وجود لحمس ولا لطلس ولا لحله والكل أما الله سواء لا فرق بين أسود ولا أبيض .

كما أبطل الاسلام عملية الثأر ، تلك المسألة التي كانت عند العرب قريضة مقدسة تسمح على غيرها من الأمور ، جاء الإسلام ليبطل الثأر ، ويضع العقاب لمرتكب الجريمة فنقل العقاب من الثأر العردي إلى عقاب الدولة . الدولة هي التي تعاقب وليس العرد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَتْلُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدَ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى ﴾^(١).

وجاء في سب سرول هذه الآية أن قبيلتين من قبائل العرب افتتنلتا عمية فقالوا تقتل بعسما فلان بن فلان وبفلان بن فلان ، وكان أهل الجاهلية فيهم بنى وطاعة للشيطان فالعبد لا يقابله إلا حر ثمررا لفضلهم على غيرهم^(٢) فنزلت هذه الآية لتجعل الحر باهر والعبد بالعبد .

لقد وضع الاسلام ضوابط وقواعد لاقامة الحدود ، فهو لا يفرق بين شريف ووضيع وعبي وقبير ، امرأة تسرق على عهد الرسول ﷺ هيأني قومها ليعسوها بخمسماية دينار ، فلا يلتفت إليهم ، ولما سرت امرأة من محروم بعثت مخزوم اسامة بن زيد حتى يشمع لها عند رسول الله فأجابه الرسول أنتشمع في حد من حدود الله ثم عطف في الناس وقد . أما بعد فوجد أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموه عليه الحد ، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها^(٣).

وفي مجال صون الأسماء وحماية الأعراف قال تعالى الرانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأية في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين^(٤).

(١) سورة البقرة آية ١٧٨.

(٢) لطبري، جامع البيان، ٣/٢٥٩.

(٣) جامع الأصول ٤/٢١٤، ابن كثير تفسير القرآن ٤٧/٢.

(٤) سورة نور الآية ٢ وانظر شرح ٢٣-٢٤.

وفي محرم الحمر كانت المعصية القبلية أحد الأسباب في تحريمه فيذكر أن عتيان بن مالك الأنصاري دعا رجلاً من المسلمين ليهم سعد بن أبي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا منه وشربوا الخمر فسكروا، ثم افتحروا بعد ذلك، وانتسبوا وتناشدوا الأشعار فقام سعد وأشد قصيدة هجا عليها الأنصاري ومعه بقرش، فأخذ رجل من الأنصار خي بعير فطرب سعد على رأسه فشججه، فاضطرب سعد إلى رسول الله ﷺ وشكك إليه الأنصاري فقال عمر للهم بين لنا رأيك في الخمر يائناً شافياً^(١).

فزل فوه تعالى. ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا خمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾، إذا يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون؟^(٢)

وتناول الإسلام أسس لعاملات الإنسانية وأبقى على الآثار منها قال تعالى ﴿ودفع بآتي هي أحسن أسبئة نحن أهدم بما يصعرون﴾^(٣). وقال تعالى. ﴿سارعوا إلى معرفة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون في السراء والعراء والكاظمين انفيظ والماضين عن الناس والله يحب المحسنين﴾^(٤).

لقد بدأ الرسول ﷺ بهاجمه الأساس الذي بنيت عليه المعصية القبلية وهو النسب، فدعا إلى تعميم الأسباب لا من أجل المباحرة والمباحاة، وإنما من أجل صلة الأرحام فقال. «من انتسب إلى تسعة آباء كعمر يريد بهم جزاً أو كرماء فهو عاشرهم في النار»^(٥) وقال أيضاً. لا تأتوني بأنسابكم وأتوني بأعمالكم فأقول لباس هكذا ولكم هكذا^(٦).

(١) تبار وكري، الضمير في لحوال ثلثين لخمس ٢٠/٢.

(٢) سورة المائدة، الآية ٩٠-٩١.

(٣) سورة المائدة، الآية ٩٦.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٧٣-١٧٤.

(٥) البخاري، تاريخ الكبير ج١ قسم ٢/٢٥٥.

(٦) البخاري، تاريخ ٢/١٠٠.

أما العصبية ذاتها فقد اعتبرها الرسول ﷺ من دعوى الجاهلية وحرف المعلوم منها بأن تعين قومك على الظلم^(١) كما وصفها بأنها "متهمة"^(٢) وقال أيضاً "ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل عصبية وليس منا من مات على عصبية خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم"^(٣)

وقال عليه الصلاة والسلام: "من قتل تحت راية حمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتلته جاهلية"^(٤)، "ومن نصر قومه على غير حق فهو كاتب غير الذي ردى في مهواه فهو يسرع بلبه"^(٥) وقال كذلك "إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وغرورها بالأبياء مؤمن تقي ولما جر شقي أنتم بنو آدم وآدم من ترابٍ ليدع الرجل فخرهم بأقوامٍ إنا هم فحسب من فحسب جهنم أو ليكونن على الله من الجعلان التي تدلع بأنفها السق"^(٦).

وفي حجة الوداع أعلن أن أمور الجاهلية قد ذهبت إلى غير رجعة مثل طلب الثأر والربا^(٧) فبدأ بإبطال دم ابن ربيعة بن الحارث وريا العباس بن عبدالمطلب.

ولتأكيد الرسول ﷺ على إبطال عادة الثأر قال "إن أعنى الناس على الله ثلاثة من قتل في حرم الله، أو قتل غير قاتله، أو قتل للعدل الجاهلية" وفي حديث آخر، "أعنى الناس من قتل غير قاتله، أو طلب بدم في الجاهلية من أهل الإسلام أو ينصر حيه ما لم ينصر"^(٨).

ولتقريب عهد الناس بالجاهلية كان الرسول يسعى إلى إبعاد كل من شأنه أن يثير النعوس، فقد مر على قوم وهم في مجلس لهم يسلون سيماء بينهم ويتعاطونه غير مغمود

(١) جامع الأصول ١٢٢/١

(٢) ترويض لائق ٩٢/١

(٣) سنن أبي داود ٦٢٥/٢

(٤) جامع الأصول ٤٢١/١٠

(٥) سنن أبي داود ٦٢٢/٢، جامع الأصول ٤٢١/١٠

(٦) سنن أبي داود ٦٢٤/٢

(٧) ابن حزم، حجة الوداع ١٠٠

(٨) سنن السلاط ٢١٨/٢

فقال لعن الله من يفعل هذا، أو لم أزرهم من هذه إذا سلكتم السيف فليحمدهم أرجو ثم لم يعطه ذلك^(١).

وخطورة العصبية وأثرها السيء على المجتمع فقد أباح الرسول ﷺ دم من يادي بها كتب إلى بني بصارت بن كعب بنهماهم إذا كان بين الناس هرج من الدماء إلى القبائل والعشائر، وقال: «ليكن دعوتهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له فمن دم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطعوا بالسيف حتى تكون الدعوة حائلة له وحده»^(٢).

وسمع الرسول ﷺ رجلاً ينشد:

أي امرؤ من حمير حين تنصيني لا من يسعني أهلي ولا مـ
فقال له: ذلك أبعدك من الله ورسوله^(٣).

والولاء في الإسلام هو الحب في الله والبغض في الله: فأفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله، وقيل أيضاً: وإن من عباد الله لأناس ما هم بأنبياء ولا شهداء يغفلهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة مكانهم من الله قالوا يا رسول الله ألا تخبرنا من هم قال: قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وأنهم لعلى نور لا يمحضون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس^(٤).

فالحب في الله يخلق مجتمعاً متماسكاً يتعاطف فيه الأفراد ويتكاتفون وبندها يكون المسلم أخ المسلم قال عليه الصلاة والسلام: «المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يكذبه ولا يغفل عنه». وإن أحدهم مرآة أخيه فإن رأى به أذى فليمحطه عنه^(٥) وقال أيضاً

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/١٧٩.

(٢) ابن هشام، المسيرة، ٢/٥٩٥.

(٣) ابن عبد البر، الاب، ١٥.

(٤) جامع الأصول، ٧/٢٥٤.

(٥) جامع لأصول، ١/٢٦٠.

والذي لم يعمد من كاليبيك يشد بعضه بعضاً^(١). وهاجم الرسول ﷺ المنهجية القبلية ولاعتزاز بالنسب كما أمر بالتواضع وقيل تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يقهر أحد على أحد^(٢) وعلب أيضاً بقاء روح المودة والألفة بين المسلمين وقال: «لا تقاطعوا، ولا تديروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً» لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال^(٣).

لقد نقل الإسلام العرب من حياة إلى حياة ومن مجتمع قبلي متناحر إلى مجتمع متآخي، فيه القود بدل الثأر والمسجد بدل دار الندوة، وأبدت تحية الجاهلية بتحية الإسلام ومن صيحة القبيلة في الحرب إلى شعار الإسلام الموحد^(٤).

لقد كان للإسلام قوة فائقة في نقل المجتمع من قبضة القوة القبلية إلى نطاق القانون تحكمه مبادئ الإسلام والأمرية سماوية. وبقيادة الرسول ﷺ (النساء ٦٥) ونقلهم من الثأر والخزوة إلى عقد الخصام (البقرة ١٧٨، ١٧٩، المائدة ٤٥). وأن يكون الأيمان بالله وبكلماته هي العليا وبها يتناصر المؤمنون (التوبة ٢٣، الأنفال ٧٢) وأن يكون حب الله ورسوله والمؤمنين في المرتبة العليا (التوبة ٢٤) ومن الإسلام انطلقت فكرة الإخاء والمساواة لأول مرة في تاريخ العرب (الحجرات ١٣، آل عمران ١٠٣) ونقلتهم من الفخر بالقبيلة إلى الاعتزاز بالسبق إلى الإسلام^(٥).

غير أن السؤال الذي يطرح نفسه هل تمكس الإسلام من القضاء على المعصية القمية؟ والجواب على ذلك هو ما سره بعد انخراط الجزيرة العربية لراية الإسلام

(١) صحيح مسلم ١٩٩٩/٤ مطبعة بصبي القاهرة ١٩٥٥.

(٢) رياض الصالحين ٢٨٦

(٣) المأثور، أبي داود والنسائي ٩٦.

(٤) البلاذري، المساب لأشراف، ٣٣٦-٣٣٧، المورد: الكامل في اللغة ١١٨/٦، جامع الأصول ٧/ ٣٨٨.

(٥) دلائل النبوة ٢/ ٤٢-٤٣٦.

موقف قريش من الدعوة الإسلامية:

جاء الإسلام وأشرف قريش هم، عتبة وشيبة ابن ربيعة وأبو البحتري العاص بن هشام وأبو لهبة بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن أطل وتبیه ومنبه ابنا الحجاج والنضر بن الحارث من عبد النضر والأسود بن عبد يحوث الرمهي وأممية بن خلف الجمحي^(١).

بدأ الصراع بين الرسول ﷺ وبين هؤلاء الرعاء عندما انتقل الرسول إلى المرتبة الثانية من دعوته عندما توجه لقريش استجابة للآية الكريمة ﴿والذر عشيرتلك الأخرى﴾^(٢) وذلك حتى تكون قريش هوأله في دعوته للقبائل الأخرى ﴿لننذر أمان القرى ومن حولها﴾^(٣) فبعد أن مكث الرسول مدة تقرب من ثلاث سنوات وهو يدعو الناس سرأً انتقل إلى مرحلة الجهر بالدعوة، وتوافق أن قريشاً كانت تعلم بدعوة الرسول، وأنه كان يحرج إلى الشعب خارج مكة فيصلي بين معه صلاة كنت قريش تكبرها. ومع هذا الإنكار لهذه الصلاة إلا أنها لم تحسن خفها في بادئ الأمر، فربما عتقدوا أن هذه الدعوة كمنياتها من الدعوات السابقة التي ظهرت في مكة ولتي سرعان ما تلاشت بعد أن قول أصحابها بالرفض والاستهزاء.

غير أن قريشاً بعد أن رأت أن أتباع الرسول يزدادون يوماً بعد يوم قام بفرض منعهم يتقصون أخبار المسلمين، ويتتبعونهم، فكان عملهم هذا الشريرة التي أضرمت يبرأ الصراع بين المسلمين وقريش

لقد جاء أن كتيب بن حمير وحاطب بن عمرو كذب بصليان في شعب بأجناد الأصغر إذ هجم عليهم ابن الأصده وأبو الغنطة وكانا فاحشين بباطشتهما ورمواهما بالحجارة مسحة حتى خرجا فامصرهما^(٤) وفي رواية ثانية أن جماعة من المسلمين منهم سعد بن أبي وقاص خرجوا للصلاة فظهر عليهم نفر من المشركين، وكانوا يرصدونهم

(١) ابن عبد البر، القدر في التفسير للمازني والسور ٤٥-٤٦.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٦١٤

(٣) سورة الشورى: الآية ٧

(٤) التاريخي: انساب الأشراف ١١٧/٦ جواد علي تاريخ العرب في الإسلام ١٦١.

ويتبعون آثارهم وهم يصلون فئاكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى بطشوا بهم .
 فأحد سعد لحي بعير فضرب به رجلاً من المشركين ، فشجبه شجرة أوغضت ، وانكسر
 افتركون وقرى أصحاب سعد فطردوهم حتى خرجوا من الشعب ، فكان هذا الدم أول
 دم أريق في الإسلام^(١) .

وملاحقة قريش هذه جعلت الرسول يتضح أصحابه أن يتلزموا البهوت مدة من
 الرمن حتى تهدأ نفوس قريش ، ودخل هو وجماعته دار الأرقم بن الأرقم للغزومي ،
 وقد كان لحماية الأرقم هذه ، أثر كبير في حمية المسموم لا سيما وأن بطش محزون كان
 من أشد المعارض للدهوة الإسلامية ، وبفضل مكانة الأرقم في بيته وبمحكم الخصمات
 الاجتماعية وعصية الدم تمكن المسلمون من التحصن في هذه الدار بأمان وسلام^(٢) .

وبعد مرحلة الدهوة السرية ، بدأ الرسول عهداً جديداً عند البدء بدعوته عشيرته
 قريش . بدأ سي هاشم فلم يستجب منهم غير علي وكان صبياً ، ثم انتقل إلى دعوة
 قريش ، وصعد الصفا وأحد يتادي على بطونهم بطاً حتى اجتمعوا حوله فقال .
 فإني أيتكم نو أجبركم أن نعيلاً سمع هذا الجليل أكنتم تصدقوني؟ قالوا نعم . أنت عندنا
 خير منهم . وما جربنا عليك كذباً قط - قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديدة وأخط
 يدهو بطونهم ويقول . «إن الله أمرني أن أمدد عشيرتي الأقرين ، وأني لا أملك من
 الدنيا منعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا . لا إله إلا الله ، خير أن دعوته هذه ثم نجد
 أدناً صاعبة عند قريش ، بل هاجمه أقرب الناس إليه لهما وهو صه أبو نهب حيث صبح
 قاتلاً . تباً لك سائر هذا اليوم لهذا جمعنا^(٣) .

وبعد الصفا أعاد الرسول يدعو كل من يقابله من قريش إلى الإسلام ، أما أهل
 مكة فقد أخذوا يتكلمون من الدهوة الجديدة ويطالبون المعجزات من الرسول . وفي
 الأمر على هذه الحال حتى انتقل الرسول إلى مهاجمة عبادة الأوثان وقسم آلهة قريش ،
 وهذا أدركت قريش خطورة الدهوة الجديدة ، وأنها ليست كمن سبقها من دعوات ،
 ففكرت في أمر يوقف استمرارية هذه الدهوة ، فلم تجد أمامها وحسب التقاليد القبلية إلا

(١) البخاري، ١١٦/١ .

(٢) جواد علي تاريخ العرب في الإسلام، ١١١ .

(٣) ابن سعد، الطبقات، ٢٠٠/١ .

أن تأتي إلى سيد بطنه وهو عمه 'أبو طالب' وفي المقاتلة حيروا بين أمرين إما أن يكف
ابن أخيه وإما أن يتركه قريش ، فرددهم أبو طالب رداً جميلاً .

ولما استمر الرسول في دعوته اجتمع الملائكة ثمانية وهدوا بني هاشم فأصبح أبو
طالب بين يدي عداوة قومه ، وأتركه لابن أخيه وهذا لا تسمح به التقاليد القبلية .

حاول أبو طالب بعد مقابلة قريش له أن يقنع ابن أخيه بالعدول عن هذه الدعوة
فأجابه : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر
حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » ويكنى اعتقاداً منه أن عمه سيتحلى عن حمايته ،
إلا أن لأواصر القرى والتقاليد القبلية دفعت أبا طالب أن يقول : يا ابن أخي فقل ما
أحببت لوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

ومضى الرسول في دعوته ومفتت قريش بمناهضته وهي لا تجرؤ على الابتعاد به
خوفاً من بني هاشم وبعد مناف ، وهذا فكري في أمر جديد فجاءوا بعمارة بن الوليد بن
المغيرة ، وكان أهدق فتى في قريش وقدموه لبني هاشم ليكون بديلاً عن الرسول ﷺ ،
فقال لهم أبو طالب : ليس ما نسووسي ، أعطونونكم أعذوه لكم ، وأعطيكمن ابني
تقتلونه ؟ هذا والله مالا يكون أبداً . فقال المدغم بن عدي : والله يا أبا طالب قد أسلمك
فرمك ، وجهود ، على التخلص مما نكره ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً . فقال له أبو
طالب : والله ما أنصفوني ، ولكنك قد أجمعتن خذلاني ومطاهرة أنقوم علي فاصبح ما
بذلك ، والمطعم هذا من عيد مثاف^(١) .

وشعر أبو طالب أنه يقف وحيداً في قريش ، فقال قصيدة يحرض فيها للمطعم
ولن يخله من عيد مثاف ومن يطون قريش الأخرى^(٢) غير أن دعوة أبي طالب لتذكير
بني هاشم وقريش بأواصر القرى لم تلق أذناً صاغية

وبعد أن أوجرت قريش وسائل المقاومة لجأت إلى خطة جديدة وهي أن تقوم كل
قبيلة بتعليب من فيها من المسلمين حتى يرجعوا عن الاسلام ، أما الرسول فقد منع بعه
أبي طالب وخاصة بعد أن دعا بني هاشم وبني المطلب إلى حماية الرسول فأجابه إلا أن
لهب .

{١} ابن هشام، السيرة ٢/٥ بهامش الروض، والسيرة النبوية ١/١٦٢

{٢} ابن هشام، السيرة ٢/٩ بهامش الروض.

وكان أشد ما يقلق قريش أن تنتشر دعوته بين القبائل العربية خارج مكة ومن هنا اتفقوا على وضع خطة موحدة، ينشرونها بين القبائل القادمة إلى مكة مؤدعاً أن محمداً ساحراً يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته وكرد فعل من أي حال، وخوفه على ابن أخيه من دمهائه العرب أن يقتلوا في عداوتهم على الرسول مع قريش، أخذ يتوعد إلى أشراف قومه ويحرمهم بأنه عائد بالبيت وغير مسلم رسول الله .

ولما أسلم حمزة، رأت قريش في إسلامه نصراً جديداً للمسلمين، فأرسلوا عتية بن أبي ربيعة بمفاوضته فعرض عليه المال والسيادة والملك والعلاج^(١)، غير أن الرسول ﷺ لم يجد بأفضل مما يرد به عليه من أن يقرأ آيات من القرآن، الحكيم فتلا عليه . ﴿حسم تنزيه من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قدوباً في أكمة مما تدعون إليه﴾^(٢).

وعندما سمع عتة ذلك حاول أن يوقع قريش بشرك شأن الرسول بقبائل قرآن أصبحت العرب كان ذلك، وإن ظهر على العرب لمملكة ملك لقريش وهزه حزنها، إلا أن مشيخة قريش ردوا عليه لقد سحرك يا أبا لهب^(٣).

وعادت قريش تعرض هذه الاغراءات على الرسول ﷺ مرة ثانية، إلا أن ردة فعله بأنه بشير ونذير لهم، وبعد ذلك لجأت قريش إلى طلب المعجزات، منها أن يجعل مكة مثل بلاد الشام والعراق، وأن يبعث لهم من مات من آبائهم وخاصة قصي فأجابهم . ما بهذا بعثت إليكم، وما جئتكم من الله بما بعثي به، وقد بعثتكم ما أرسلت إليكم، فإن تقبوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله به بيني وبينكم^(٤).

وبعد ذلك انتقلت قريش إلى تعذيب المستضعفين من المسلمين وهم الذين لا مشار لهم تحميمهم ومن هؤلاء بلال بن رباح، وهما بن ياسر، والظاهر أن قريشاً قد

(١) لمصدر سابق، ٢٥/٢ بهمش الرض

(٢) سورة فصلت الآية ١-٤

(٣) ابن هشام، السيرة ٢٥/٢ بهمش الرض.

(٤) لمصدر السابق ٣٦/٢

وأدت من تعليمها لهذه المنطقة بعد أن قام عبدالله بن مسعود وجهر بالقرآن على مرأى
ومسمع من قريش

والواقع أن المسلمين نصحوا بن مسعود بعدم الجهر بالقرآن لأنه لا حشيرة له لمحبيه
إلا أنه أصر على ذلك، مما نهالت عليه قريش بالضرب، إلا أن ذلك لم يردده إلا إيماناً
وقدر، ما كان أعداء الله أحرص على منهم الآن ولئن شئت لأعاديهم بمثلها فداً، فقال له
المسلمون: لا قد أسمعتهم ما يكرهون^(١).

وأرددت قريش في مقاومتها للدعوة الجديدة، وكبدن على رأس هؤلاء أبي
جهل، فكان إذا سمع بالرجل قد أسلم وله شرف أبيه، وإن كبد تجرأ هدده بكساد
تجارته، وإن كان ضعیفاً أعزى به^(٢)، غير أن هذه المقاومة لم تزد المسلمين إلا صلابة
وفدوة، والاسلام إلا انتشاراً، ويستدل على ذلك بأن الاسلام بدأ ينتشر بين القبائل
العربية ويؤيد ذلك قائمة أسماء المهاجرين إلى الحبشة فكان منهم من هبط ويهراء
ونجيم^(٣)

وقد حاولت قريش أن تلغ التجاشي برد من هاجر إليه من المسلمين إلا أنها
فشئت، وهنا عادة قريش مرة ثانية لتتخذ خطوة جماعية ضد بني هاشم فكانت
المقاطعة

لون العصية في نقض صحيفة المقاطعة:

بعد هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة، وبعد اسلام عمر بن الخطاب تحولت
قريش من العقاب الفردي إلى العقاب الجماعي، وخاصة عندما أيقنت أن بني هاشم
سوف لا يخذلون الرسول ولا يسلمونه، وأن الاسلام أحد ينتشر بين القبائل العربية
فقررت مشيخة قريش مقاطعة بني هاشم وقطعوا لا صلح بيت وبين بني المطلب ولا
رحم ولا آل ولا حرمة ولا على قتل هذا الرجل الكذاب السفيف^(٤)

(١) ابن هشام، السيرة ٤٧/٢ بهامش الروض

(٢) المصدر السابق ١٢/٨.

(٣) انظر الفاشة في المصدر السابق ٢/ ٧٥-٧٦ بهامش الروض

(٤) التلوي اسباب الاكراه ١٣٠/١

والمقاطعة هذه حصار اجتماعي واقتصادي من قريش وحلفائها من كثانة عبد بني هاشم وبني المطلب، ومع أن جميع بطون قريش قد اشتركت في هذه المقاطعة إلا أن بعضها لم يكن راضياً عنها. ومهم أبو رمعه بن الأسود حيث قال: والله ما رصيت كتابتها حين كتبت، وأبو اليحترى العاص بن هشام الأسدي الذي صدق رمعه وقال: لا مرضى ما كتب فيها ولا نقر به^(١)

ودام الحصار مدة ثلاث سنوات ذاق فيها أبو هاشم وبني المطلب مرارة الجوع والحرب، وزاد من الأمر سوءاً أن أبا لهب كان يعري التجار بأن يفلوا في أسعارهم على قومه

وكما كانت عصية المنافسة بين بطون قريش سبباً في إحكام المقاطعة فقد كانت العصية نفسها سبباً في نقصها. فبنو هاشم وبني المطلب دخلوا مع الرسول في شعب مكة المسلم منهم لاسلامه ودينه، والكافر حمية أن يهضم قومه^(٢). وهكذا كانت حماية بني هاشم والمطلب لرسول سبباً في حمايتهم من أدنى قريش

وقد بدأت مظاهر العصية منذ بداية المقاطعة، فحكيم بن حزام الأسدي كان يوجه العير للحملة بالحنطة ويقبلها شعب أبي طالب، ثم يهرس أحجارها ويتدخل عليهم ليأخذون ما عليها من الحنطة^(٣) وقد حاول أبو جهل التليل من حكيم ألا أن أبا اليحترى، وهو من أسد، هرب أبا جهل وشح رأسه^(٤). وقد حمل بنو أسد على ذلك، قرابة حكيم من خديجة بنت خويلد زوجة الرسول ﷺ.

ومن الذين قدموا المساعدة للمحاصرين، هشام بن عمرو بن الحارث لأنه كان أماً لفضله بن هاشم بن عبيد مناف لأمه^(٥) ولم يلق حمل هشام هذا عند المساعدة فحسب، بل كان من أشد المحسوس في نقض الصحيفة، فقد جاء إلى وهير بن أبي أمية الخزومي، وكانت أمه عائكة بنت عبد المطلب فقال له: يا وهير أوصيت أن تأكل الطعام

(١) الأصبهاني، دلائل النبوة ٢٢٩/١-٢٣٢.

(٢) البخاري، اسدب الأشراف ٢٢٠/١.

(٣) بن بكار، جبهة نسب قريش ٢٥٥.

(٤) ابن هشام ١٠٢/٢، بهاشم التوش طبعة ١٩٧١.

(٥) ابن الأثير، الكامله ٦٠/٢.

وتلبس الثياب، وتكنح النساء، وأحوالك حيث قد علمت، لا يباحون ولا يتابع منهم، ولا يتكلمون ولا يتكلم إليهم؟ أم أني أحلف بالله أن لو كانوا أحول أبي، لحكم بين هشام، ثم دعوته إلى ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً فقال زهير ماذا أصنع إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمعت في قصصها حتى أنقضها.

ثم مشى هشام إلى المطعم بن عدي وأخذ يصرب أمامه على أوتار العصية وقال له: يا مطعم أقد رغبت أن يهلك بكمن من بني عبد مناف، وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش، أم والله لن أملكتموهم من هذه لتجديهم إليها منكم سراها. فأخذته عصية القرابة ووافق علي نقض الصحيفة.

ثم ذهب هشام إلى أبي البختري العاص من هشام، وإلى أبي ربيعة بن الأسود الأسديان فوافقا على نقض الصحيفة بعد أن ذكرا بالقرابة التي تربطهم مع بني هاشم.

ولما اتفق هؤلاء المنهوا إلى أنهاء قريش فتكلم زهير الخزومي وبني حنيفة بني هاشم والمطلب في الشعب، وطلب من قريش نقض الصحيفة فأنسأ له أبو جهل يعارض ذلك بشدة، إلا أنه خذل أمام اجتماع بطون أسد وبوعل وجنح محروم رهط أبي جهل^(١).

ويذكر البلاذري أن نقاشم بأمر النقض هو المطعم بن عدي، فقد شرب يوماً وانتشى فقال له عدي بن قيس السهمي، ويقال عنه بن ربيعة إن كنت كما تقول فما بال بني هاشم جوعى وهلكى مظلومين؟ علمت لس سلاحه وأتى إلى أبي البختري وهشام بن عمرو وأبي زمعة بن الأسود وأخرجوا بني هاشم وبني المطلب من الشعب، فلما رأته قريش دعت سقط في أيديهم وهلموا أنهم لا يسلموهم وأن عشاثرهم تجمعهم^(٢).

وإن اختلفت المصادر في أمر النقاشم بالنقض إلا أن عصبية القرابة واللحم والمم والصهر والحزولة هي التي دفعت بعض بطون قريش إلى نقض الصحيفة.

(١) ابن هشام، السيرة ١٢٢/٢-١٢٣ بهامش الروض

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف ٢٣٦/١

قريش بعد نقض الصحيفة:

بعد أن فشلت قريش في مقاضعتها لبي هاشم، وبعد أن أفضتها الوسيلة في مقاومة المسلمين تقدمت بمشروع اردواجية العبادة وقتلوا^(١) به محمد فلم تعتد ما تعبد، وتعبد ما يعبد ففشت تركت بحن وأنت في الأمر فترلت سورة^(٢) الكافرون^(٣) تندب بما عرضته قريش.

وأمام هذا الرفض من الرسول ﷺ عادت قريش إلى البخم السابق وهو أن محمداً ساحراً وأخذت تشيع بذلك بين القبائل، كما حاولت أن تمنع كل قادم مكة من أن يستمع إلى الرسول، غير أن هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح، بل جعلت القادمين وبدايع من حب الاستطلاع أن يأتوا إلى الرسول ويسألوه عن أمر هذا الدين الذي يدعو إليه.

ومن هؤلاء الطفيل بن عمرو والنسروسى، وكانت قريش قد حذرته من الاستماع إلى محمد إلا أنه حدث نفسه وقال: وإنكل أمي، ونله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فبه يعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته فذهب إلى الرسول واستمع منه فبرئ قلبه بالإيمان^(٤).

وأعشى بن قيس بن ثعلبة جاءه إلى مكة واستمع إلى الرسول فقالت له قريش: إنه يحرم الزنا فقل مالي فيه من أرب، وقالوا إنه يحرم الخمر، فقال: إن في النعس منه لعلاوات، فانصرف عائداً يهكر في الأمر بعد مجيئه في السنة التالية إلا أن الحية صاحبتة ومات مشركاً^(٥).

وفي الرسول في حماية عمه وبي هاشم، ولم تنل منه قريش إلا بعد وفاة أبي طالب، وقد قال عليه الصلاة والسلام: وما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب^(٦).

(١) ابن هشام، السيرة ٢/١٢٠-١٢١ بهامش عرض

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن هشام، السيرة ٢/١٦٦ بهامش عروض (طبعة ١٩٧١).

وأمام استكبار قريش وأحقها من دعوته، وازدياد الأذى، أخذ الرسول يتجه إلى القبائل الأخرى كي يجد عندها نصرة حتى يبلغ رسالة ربه .

وبعد هذا العرض عرّف قريش من الدعوة الإسلامية لا بد من ذكر الأسباب التي دفعت أشراهم لها، فقد تسبّحت قريش بأسباب عديدة لمناغضة الدعوة ومن بين هذه الأسباب عصبية البطون وعصبية التقاليد .

أما عصبية البطون القرشية فقد كانت المناغضة بين هذه البطون على أشدها في قريش . ومن هنا كان الحسد من الأسباب التي دفعت الزعماء عدم الاستجابة لهذه الدعوة ومن هؤلاء الزعماء .

أبو جهل (عمرو بن هشام) : كان يدرك تماماً أن الرسول لا يكذب إلا أنه أصبر على عدوانه لا لشيء إلا بغيّاً وحسداً ، فقد قال له : لأخس بين سريق أترى محمداً يكذب أم يقال له ما كذب قط ، كنا نسميه الأمين ، لكن إذا كنت في بني عبد المطلب السفاهة والرفاة والمشورة ، ثم تكون فيهم السيوة لأي شيء يكون لنا^(١)

وفي رواية هاتكة يقول أبو جهل : "أنا استبقنا نجد وأنتم (عدو منا) قلتم فينا السالية فقلنا لا بيالي ، تسقون الحاج ، ثم قلتم فينا الحجابة ، فقلنا لا بيالي ، تحجبون البيت ، ثم قلتم فينا الندوة فقلنا لا بيالي ، ثم قلتم فينا الرفاة فقلنا لا بيالي تجمعون عندكم ما ترفعون به الضعيف ، قلما أطعمنا الناس وأطعمتم وازدحمت الركب واستبقنا المجد فكان كفر من رهاق قلتم منا شيء ثم قلتم منا شيء فلا والثلاث والعزى لا كان هذا أبداً"^(٢)

ومن مظاهر حسد أبي جهل للرسول ﷺ أنه كان يكره أن يجلس محمداً فوق مجلسه^(٣)

(١) السيرة النبوية ٢/ ٢٩ .

(٢) الواقدي للقبلي ١/ ٢٢٠ ، النعماني ، تاريخ الإسلام ، ١/ ٩٣ .

(٣) السيرة النبوية ٢/ ١١ .

وقد حاول أبو جهل أن يضعف على قريش بما كان يحدوهم إياه الرسول من الطلب أن يستمروا على كفرهم، فقال لهم بأن "الرقوم" هو عجوة يثرب في الزيد^(١)، وقد تقومه أنتم أكثر الناس عدداً وكثرة أفيمجر كن مئة رجل منكم من رجل منهم فوجود هذه الذين يعدونكم في النار تسعة عشر جندياً^(٢)، فنزل قوله تعالى ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾^(٣). واعتز أبو جهل بقومه وقال: أيهذهني محمد وقد علم أن ما بها رجل أكثر نادياً مني^(٤) فنزل قوله تعالى: ﴿عليه ناديه مندع الزبانية﴾^(٥). وهذا الحسد والبيح من أبي جهل هو الذي دفعه إلى إحكام الحصار على بني هاشم ومعاذ الرسول ﷺ.

الوليد بن المعيرة. لم يكن أبو جهل هو الوحيد من مغزوم الذي أحسته مظالم الرعامة، فكان منهم الوليد بن المعيرة وكان هذا يسمى في قومه "العدل" لأنه يعدل قريش كلها، وقد بدأت معارضة لرسول الله أشار على قريش أن يشبهوا، عنه بين القبائل بأنه ساحر، وعندما سب الرسول الله قريش قال الوليد: لئن لم ينته محمد عن صب آلهمنا لنسبي إلهه، وهو صاحب ازدواجية العباد.

وسبب معارضة الوليد هو تعجبه كيف ينزل القرآن على محمد ويشرك هو ومسعود بن عمرو الثقفي. فالقرآن يعرفهم يجب أن ينزل على رجل من أشرف مكة أو من أهل الطائف فنزل قوله تعالى ﴿ولولا أن هذا القرآن عسى رجل من القرينتين عظيم﴾^(٦)

ويذكر ابن هشام أن الوليد كان يقول أيرك القرآن على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود النقي وسحن العظيم القرينتين^(٧).

(١) ابن هشام، السيرة ٣٦٢/٦.

(٢) ابن هشام، السيرة ٣٦١/٦.

(٣) سورة البقرة الآية ٢١٦.

(٤) ابن عبد البر، القدر ٤٨.

(٥) سورة بقره الآية ١٨.

(٦) سورة الفرقان الآية ٣١.

(٧) ابن هشام، السيرة ٣٦١/٦ وانظر البلاذري، انساب الأشراف ١٣٢/١-١٣٤.

أمية وأبي إسماعيل خلف . كان من شرم ما يكون عليه أحد من أدنى النبي وتكذيبه فقد جاء أبي يوماً بعظم يخره في يده ، ثم قال : رحمت يا محمد أن ربك يحيي العظم ثم تنحله^(١) فقول له تعالى ﴿قول من يحيي العظام وهي رميم﴾^(٢)

بنو أمية : قام عتبة وشيبة دعوة الرسول ولا أنهما لم يتوليا ذلك بأيديهما ويستدل على أن موقف أبي أمية كان نبعاً من الحسد لبني هاشم والخوف من نفوذهم بالزعامة وهو ما قاله الرسول ﷺ لأبي سفيان بعد فتح مكة . لقد قاتلتني وأنت تعمد أني رسول الله فقال علمت أنك صدوق لا تكذب ، وإنما قاتلتك لأنك تعمد حالي في قرشي ، وجئت بأمر لا يقبل معه شرف فقاتلتك حمية وكراهة^(٣) .

بيته وعيه ابنا الحجاج : كان ينقده الرسول ويقولون أما وجد الله من يبعثه غيرك؟ إن هذا من هو أس منك وأيسر فإن كنت صادقاً فانت بذلك تشهد لك ويكون معك . وقد لا عنه معلم مجنون يعلمه أهل الكتاب ما يأتي به^(٤) .

لقد اعتقد هؤلاء الرعماء أن دعوته هذه ستعطيهم الرعامة وفي ذلك ضياع لمكانتهم ولد رافعوا لواء المعارضة ضد الدعوة الإسلامية فكانت العصبية والتنافس على الفرعامة من امراة التي دعمتهم بهذه المعارضة

ببعض مخروم لا يرون بببب عبد مناف أن تكون ببببهم الرعامة وحدهم ، وبببب أمية لا يرونها بببب يد بببب هاشم . ومن هنا أخذت البطون القرشية تتحد للقائمة دعوة الرسول .

أما عصبية التقاليد فقد لعبت هي الأخرى دوراً في ضد الدعوة الإسلامية ، فأبو أحبيبه سعيد بن العاص كان يقول ببببب أمية : دعو محمداً ولا تعرضوا له . فإن كان ما يقول حقاً كان ببببب دون غيرنا من قرشي ، وإن كان كاذباً قامت قرشي به دونكم حتى أتاه المنصور بن الحارث وأخبره أن محمداً ببببب آلهم وأن آباءهم في النار ومحمد يتوحد من ثم يتبعه بالعذاب ، فأظهر العبادة للرسول .

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ١/١٣٧ .

(٢) سورة يس : الآية ٧٨

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ج ٤ ، قسم ١/١٧٠ .

(٤) المصدر السابق ١/١٤٤ .

وقد كتب لطفه أبي حبيحه المعادي أثره في قريش بالعندوة لرسول، لا سيما وأن أبا حبيحه كان ذا شرف في مكة حتى أن أحد لم يكن يحتم بعنته وكان يسمى ذا الشانج^(١).

لقد كان قاصون اللأ ودمستورهم هو الاعتزاز بما فعله الآباء، فهم محافظون على تقاليدهم، حرصون كل الحرص على عدم مخالفتها، والذين جلدوا سوب يعير ويبدل من هذه التقاليد، وقد وصفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿يَبْلُغُونَ أُمَّةً أَهْلًا أَبَاءَهُمْ عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(٣).

لقد استمع رجال قريش إلى قراءة القرآن وتعاهدوا على أن لا يهودوا مرة ثانية إلا أن حلاوته جذبتهم للعودة مرة ثانية، ومع ذلك تحدوا في طيهم ومقاومتهم للدعوة الإسلامية.

إن مشيخة قريش كانت تألف من أتباع رجل لم يكن سيداً ولم يكن ثرياً والرسالة هي عرفهم يجب أن تكون في معظمه من رجالات مكة أو الطائف.

لقد كان هؤلاء السادة هم أصحاب الأمر والنهي، وهم عقلاء القوم ولسانهم ولداً تابعهم أفراد عشائهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا نَطعنا ما نأمرنا ونكفر ما ننهىنا﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا يَتَخَفُونَ فِي الْأَرْضِ يَقُولُ الضعفاء للذين استكبروا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فهُمْ أَنْتُمْ مَعُونَتُهُمْ﴾^(٥) وقال تعالى: ﴿وَقَالِ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فهُمْ أَنْتُمْ مَعُونَتُهُمْ﴾^(٦).

(١) المصدر السابق، ١٤١/١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢.

(٣) سورة البقرة، ١٧ واسطر لأمره ٢٨، لقمان ٢١، من ٦-٨ الزهراء ٢١-٢٢.

(٤) سورة الأحزاب ٦٧-٦٨.

(٥) سورة طه، الآية ٤٧.

(٦) سورة سبا ٣٣.

لقد كان من أعراف هؤلاء الزعماء أن يهتموا بالحسب والنسب والحاء والمال والصحر بالآباء لأنهم عنوان عرتهم وشرفهم وسؤدهم، وحب التماخر لأزمتهم في مأكلهم ومجلسهم وفي كل مكان يتفنون فيه فكانوا، إذا تقدم عليهم أحد أقل مرتبة اعتبروا ذلك إهانة للأعراف الموروثة المقدسة التي يجب ألا تمس بسوء^(١)

وجاء أثر هؤلاء السادة في مع أتباعهم من اعتناق الإسلام من قول عمرو بن العاص عندما سئل عن سبب نأغره في إسلامه قال: إنا كنا مع قوم بهم علينا تقدم ومن نؤري جلوسهم أحوال، ما سلكوا فجأ فتبعناهم إلا وجدناه سهلاً فلم أنكرنا على النبي ﷺ، بكرنا معهم، ولم نفكر في أمرنا، وقلدناهم، فلم ذهبوا وصبر الأمر إلينا نظرنا في أمرنا فإذا هو الأمر نوقع في قلبي الإسلام^(٢).

لقد كان اعتزاز ملا قریش بتقاليد الآباء وعبدية الأوثان عظيماً غانقوا من التخلي عن هذه التقاليد حتى في أشد المحالات حرجاً، فأبو أحيحة سعيد بن العاص وهو على فراش الموت أدق من ضيقه ورأى الرسول عبده فقال أنت الذي تعيب أللهما وتسفه أخلاما؟ والله لئن رفع الله سعيداً يجيبك عن مكة^(٣)

وعندما شارب أبو أحيحة على الموت بكى أمام أبي جهل، وذا سأله أبو جهل عن ذلك قال والله ما أبكي جرحاً من الموت، ولكن أخاف أن يصد إله ابن أبي كبشة بعدي، أبكي على العري ومعارفتها، . . . والله لقد غاطني أمر محمد وإنه لأوسطنا سباً، وقد سأ صديق الحديث، مؤدب للأمانة وقد جاءه بدني محدث فرق به جماعتنا، وشئت أمرياً، وأذهب بهدماً، ولئن صدقني طلي فيه ليمخرجن من قوم يقري بهم علينا^(٤)

والتمسحت بتقاليد الآباء لم يتقصّر على الأعداء محسب بل كان أبو طالب من أشد المتمسكين بدين الأشياخ. عندما طلب منه الرسول ﷺ أن يقول: لا إله إلا الله، قال أبو طالب لولا أن تعيذك بها العرب، فيقولون جرع من الموت لأعطيتكما، ولكن على ملة الأشياخ^(٥).

(١) جواد طلي، تاريخ العرب في الإسلام ٦٨

(٢) مصعب القرظي، نسب قریش ٤١٠

(٣) ابن حبيب، لمثل في أخبار قریش ٣٥٩.

(٤) الطائري، نسب لأشرافه ج ٤ قسم ١٢١/٢-١٢٩

(٥) الطائري، تاريخ ٣٢٥/٢

ولم يكن التمسك بالتقاليد مقصوداً على الرجل فحسب، بل شاركهم النساء في ذلك، فعندما جاء مصعب بن عمير إلى أمه يحاول إقناعها بالإسلام، رفضت وقالت: والثواب لا أدخل في دينك فيزري برئي، وضعف عقلي، ولكن أدعت وما أنت عليه وأقيم على ديني^(١).

وبما راد في حقد قريش أن الدعوة الجديدة، أحدثت تفرقاً من استضعفين الدين لا عشاير لهم، فصبوا جام غضبهم عليهم، فمهم من ارتد ومهم من أقام على الإسلام ومهم من أعطى ما أريد منه من غير اعتقاد به للكفر كما فعل عمار بن ياسر عندما هبته قريش وأبت إطلاقه إلا بعد أن يسب الرسول، ويذكر آلهة قريش بخير^(٢)، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿إِذَا مِنْ أَكْرَهٍ وَقَلْبُهُ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٣) وحاولت قريش أن تعد هؤلاء المستضعفين من صفوف الرسول فجاء وفد مهم إلى أبي طالب وقالوا له: «وأن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فلماذا هم صبيحتنا وحلفاءنا كان أعظم في ضررنا وأطرح له عندما وأدلى لآتياف إياه وتصديقه له

لقد اعتبر رعماء قريش أن هذه الفئة من المسلمين ما هم إلا من السفهاء، وحسب تقاليدهم يربأون بأنفسهم أن يكونوا متساوين مع هذه الطبقة قد تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ امْسُوا، كَمَا آمَسَ النَّاسُ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ وَلَا إِنْهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤)

كيف نزل رعماء أن يسلّموا وهم يسمون أتباع الرسول "بالأردال"^(٥) والسفهاء والعميد والقلعاء. وبالرغم من موقف الرعماء المعادي للدعوة فقد كان يمشي لو أن يسم هؤلاء الرعماء، فقد قال عن عمرو بن هشام: أنه سرى ابن سرى وددت أنه لو أسلم.

(١) ابن سعد، الطبقات ١١٩/٢

(٢) لابن بري، انساب الأشراف، ١٩٥/٦-١٩٧

(٣) سورة النحل، ٦٠

(٤) سورة البقرة، الآية ١٧٢

(٥) لابن بري، انساب الأشراف، ١٨١/٦-١٨٢

وقد عاتب القرآن الكريم الرسول في سعيه وراء الزعماء في سورة "عبس" وذلك عندما أظهر الصجر من بين يمين مكتوم الأعمى، وانصرف إلى الوليد بن المغيرة وكان قد طمع بإسلامه^(١).

دور العصبية في حماية الرسول ﷺ.

قبل الحديث عن دور العصبية القوية في حماية الرسول لا بد من القول بأن مشيئة الله ورعايته كانت هي العامل المباشر وأهم في حماية الرسول وبشر دعوته

ومع الحماية الإلهية وفقت العصبية تحمي الرسول ﷺ من الأعداء لا سيما وأن السوازع، الانسابة تدفع الإنسان إلى مساعدة قريبة وحمايته.

لقد امتنع الرسول ﷺ ببي هاشم وبني المطلب وقد رأينا أن قريشاً لم تجرؤ على الإيقاع بالرسول طيلة حياة عمه أبي طالب وبسبب هذه الحماية احترق رجال قريش أنفسهم وراء استمرار دعوته

جاء رجل من جهل إلى مكة فلقبه الرسول ودعاه إلى الإسلام فشاهده أبو جهل فجاءه من الهدني وقال له: إياك أن تركن إلى قوله أو أن تسمع منه شيئاً وما أعجب ما يأتي به فقال الهدني أما تحرجوه من أرضكم؟ قال أبو جهل نحن نخرج من بين أظهرنا فيسمع كلامه وحلاوة لسانه قوم أجدت نبيته ثم لا يأمن من أن يكر علينا بهم فقال الهذلي أين أسرته؟ فقال أبو جهل إنه امتنع من أسرته^(٢).

وقد همت قريش أكثر من مرة بالإيقاع بالرسول، إلا أنها كانت تحشى عيب مناف ومن هؤلاء عمر بن الخطاب عندما تطوع لقتل الرسول فقال له رجل من قومه وهو نعيم بن عبد الله النحام: أتري بني عبد مناف تاركين قمحي على الأرض وقد قتلت محمداً^(٣)؟

(١) الطبري تاريخ ٣٢٨/٢

(٢) البكري، شهاب، الأشراف ١٢٨/٦

(٣) ابن هشام، السيرة ٣٤٤/١

لقد كانت التقاليد القبلية لا تسمح بأن تتدخل القبيلة عن أفرادها، ومن هنا وقعت
 مو هاشم قسماً وتدافع عن الرسول ﷺ. بن ركانت العصية القبلية والحمة سبباً في
 إسلام حمزة، مما أن علم أن أبا جهل قد شتم ابن أخيه وأداه حتى أهدأ منه وأعلن
 إسلامه، وكذا الشر أن يقع بين بني هاشم وبني مخزوم هبر أن أبا جهل هذا من قومه
 وقال: إني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً^(١)

و لعصية القبلية هي التي دفعت أبا طالب أن يقف إلى جانب ابن أخيه وهو وإن
 لم يسلم، ومع تمسكه بملة الأشياخ إلا أنه كان يرضى عن ابنائه إذا ما وقفوا إلى جانب
 ابن عمهم، فعندما قالت له زوجته أن علياً يصلي مع محمد في شعب بأجناد قات لها:
 استكتي ودعي عنك هذا هو أحق من أرى من صمة، ولولا أن نفسي لا تطاوعي على
 ترك ديني عبد المطلب لأتبعته محمداً. ولما بلغ ذلك قريش راعهم وكبر عليهم^(٢).

وعندما رأى أبو طالب أن قريشاً قد أخذت تعذب من أسلم منها أمر بني هاشم
 وبني المطلب بحماية الرسول، واقتصد ابن أخيه يوماً فأوهر إلى فتاته بقتل أشرف قريش
 إن حدث فلرسول حادث - وحتى يحتل قريشاً من العدد بالرسول ﷺ لم يجد حرجاً
 من اخبار زعمائهم بما كان قد نوى عمله^(٣).

ولم يكن أبو طالب هو الوحيد الذي اجتدت العصية فقد رأها أن بني هاشم وبني
 المطلب دخلوا الشعب، ما إيماناً وإم حمية وبصرة للرسول.

وامتدت العصية إلى أبي لهب، فقد أخلته الحمية عندما جاءت مو مخزوم
 تطلب أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وكان أبو طالب قد منعه، فقام أبو لهب،
 وقد. يا معشر قريش والله لقد أكثرتم عني هذا الشيخ، ما تر لون ثوبين عليه في جزائه
 بين قومه، والله تنتهون منه أو لظنوم معه في كل مقام فيه حتى يبلغ ما أراد. فقالوا: بن
 ننصرف يا أبا هنية. ولما رأى أبو طالب هذا الموقف منه طمع به وأخذ يحثه على بصرة
 الرسول ﷺ^(٤).

(١) المصدر السابق، ٢١/٢ بهاشم (طبعة ١٩٧٦).

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ١١٢/٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٢/١ ٢٠٣-٢٠٢، مجهول، القصص بين العق والباطل، ٢١١/١.

(٤) ابن هشام، سيرة، ٣٧١/١.

وبعد موت أبي طالب، أخذت قريش تتدل من الرسول ما لم تكن تسانه وتطمع به. ولما بلغ ذلك أبو لهب جاء إليه وقال يا محمد أمض لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حياً فاصعه لا واللات لا يوصل إليك حتى أموت^(١)

وسر التحول في موقف أبي لهب نابع من التقاليد القبلية، فبعد موت أبي طالب أصبح أبو لهب سيد قومه، والسيادة بالعرف القبلي تستلزم حماية الأتباع والدفاع عنهم. ولم يفت أبو لهب عند حد تشجيع الرسول للاستمرار في دعوته بل أخذ يقدم كل من يتعرض له بسوء، ولما تعرض ابن العيطلة لرسول ونال منه جاء أبو لهب ونال منه فذهب ابن العيطلة يصيح في قريش نقده صباً أبو هبة فهال الأمر قريشاً، فاقبلت لتري لثوبه. فقال لهم أبو لهب، ما فارقت دين عبد المطلب ولكن أمتنع ابن أخي أن يهادم حتى يمضي لما يريد^(٢)

نكن هذا عرق من أبي لهب لم يستمر طويلاً، فقد تغلبت عصبية التعاليد على عصبية الرحم وعاد ليعادي الرسول من جديد.

كان موقف أبي لهب مثلهذا فهو يظهر العدوة في وقت ويظهر النعمة في وقت آخر وكأنه قد أراد أن يكسب الطرفين. وظهر ذلك من قوله لمويذ بن المغيرة: أن يظهر العري كنت قد اتحدت يداً عندها يقبني عليها، وإن يظهر محمد على العري ولا أراه يظهر فإن أخي^(٣).

وعلى أية حال فقد تغلبت عدائه على نصرته، بل وكان من أشد الماخذ على الرسول سواء في مكة أو في سوق حكاظ وأسباب هذه العدوة ترجع إلى ما يلي.

- تغلب سلطان عصبية التقاليد عنده على سلطان عصبية الرحم، فانضم إلى المدونين استجابة لداعي عصبية التقاليد الموروثة^(٤).

(١) ابن سعد، طبقات ٢١١/١.

(٢) ابن سعد، طبقات ٢١١/١.

(٣) نوافدي، المغيرة ٨٤٧/٢.

(٤) أحمد الشريف، مكة والدينة ٦٢.

- وقوسه تحت تأثير زوجته الأموية أم جميل حيث كانت من أعداء الرسول ﷺ^(١)
 - كان أبو لهب من أثرهاء مكة ممسحي على ثروته من قرش ومن القبائل الأخرى وهو بهذا الشأن يقول : «ما نحن عندهم إلا أكلة رأس»^(٢)
- هذه الأسباب هي التي جعلت موقفه يشبه موقف أبي جهل من حيث العنزة والقسوة والجهلاء^(٣)
- وكما تدخلت عصبية بني هاشم لحماية الرسول فقد كانت عصبية عبيد مناف تدخل في بعض الأحيان . فعندما لطم أبو جهل فاطمة بنت الرسول جاءت إلى أبي سفيان واشتكى إليه من أبي جهل . فرجع أبو سفيان إلى أبي جهل ، وأمر فاطمة أن تلطمه فقال أبو جهل . لقد أدركتكم دفالية يا أبا سفيان^(٤)
- ولم يكن الرسول وحده هو الذي حمته العصبية القبلية فهشام بن الوليد بن أظيرة رفض تسليم أخيه الوليد بن الوليد - وكان قد أسلم - إلى بني محروم . ولم يكتف بذلك بل قال : احملوا على عصى فاقسم الله لن قتلتموه لأقتلن أشرككم رجلاً^(٥)
- وبدلت عصبية أبيصاً عمر بن الخطاب ، فقد التفت قريش بقتله . فقال بعضهم أتروا بني هدي يسلمون صاحبهم^(٦) فعدلت قريش من ذلك
- وعند ضرب حبة بن ربيعة أبا بكر ، قالت تيم . والله لن مات أبو بكر لنظنن به حبة^(٧)

(١) المعصومي، تاريخ الأمم الإسلامية ٧٣/١، ارنلج حياة محمد ٦٢، انظر عن موقف أم جميل في التفسير من كثير ٤٦٤/٤-٤٦٥

(٢) أنساب الأشراف ١١٩/١

(٣) لمحاظفة العشائرية ١٠٢

(٤) المغلاني، أنساب الأشراف ج ٤، قسم ٧/١

(٥) ابن هشام، السيرة ٣٩١/١

(٦) سيرة عليية ٤٧٥/١

(٧) ابن هشام، السيرة ٣٤٤/١

وما تقدم يرى أن الرسول ﷺ كان في سعة من قومه وأن مقاومة قريش كانت تصطبغ بالحق من قومه خاصة وهم يعرفون أن التقاليد والأعراف القبلية كانت توجب على البطون ذات اللحم والدم أن تتناصر في وقت ضيق وهكذا كانت عصبية البطون القريشية وشدة التنافس والتحامد فيما بينها سببا في لجاح دعوة الرسول . فقريش كانت متعفة على مقاومة الدعوة إلا أنها كانت مختلفة في أسباب هذه المقاومة .

موقف القبائل العربية الأخرى من الدعوة الإسلامية حتى الهجرة إلى المدينة

في الحديث عن بيان موقف هذه القبائل لا بد من القول أن القبائل العربية كانت تنظر إلى الرسول بظرة الرجل الذي خرج عن قبيلته ولم تهتم بأمره ، ولذا وقعت هذه القبائل معارضة للدعوة الإسلامية . لقد كانت هذه القبائل ، وكلما جاء إليها الرسول تقول «نوم الرجل أعلم به» فمقاومة قريش كانت سببا في عدم استحباب هذه القبائل للدعوة الإسلامية .

لقد كان الرسول لا يترك مناسبة يأمل فيها استحباب فرد أو قبيلة إلا واختمها بدعوة الناس إليه . وكان لا يجد حرجاً من أن يأتي إلى القبائل في أسوأ أحوالها وعسارتها يدعوهم عدة مرات إلى الإسلام . ومن القبائل الهامة التي دعاها الرسول ﷺ هي :

بعد موت أبي طالب واشتداد أذى قريش على الرسول ﷺ ، اتجه الرسول نحو الطائف على بعد سعة عن أهلها . اتجه إلى الطائف لقرىبها من مكة ثم للصلوات الوليفة بينها وبين قريش ، وعندما وصلها اتجه إلى سادتهم وهم عبد المطلب ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير . فقال له أحدهم : ما رد يرد ثياب الكعبة إن أحد أرسلك ، وقال الثاني أم وجد الله من يرسله هيرك ، أما الثالث فقال والله لا أكلمك أبداً ، فإن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما يهني بي أن أكلمك^(١)

(١) الطبري، تاريخ ٢/٢٤٤-٢٤٥، ابن الأثير، الكامل ٢/٦٢-٦٤

فقد مكث الرسول عشرة أيام^(١) يدعو أهلها إلى الإسلام، وكان رد أهلها عليه كرهك أهل بلدك وقومك ولم يقبلوا، منك فنجتتنا فتنس والده أشد نك إياه وعليك رداً ومك وحشة^(٢)

وبعد ذلك نددو في مقاومته وقعدوا صفين على الطريق وأحلوا بضربوه بالحجارة ويقولون اخرج من بلدا ولحق بجناك من الأرض^(٣) وعندما اشتد أذاعهم عليه فأتجأ إلى حائط عته وشبه بها ربيعة فتحركت عندهما أواصر الرحم والقرابة، فذهبوا علاماً نصراً ثانياً يقال له عداس وحملوا قطفاً من العسل. ورغم حرج الموقف الذي كان به الرسول ﷺ إلا أنه ألقع عداساً بالإسلام.

لقد كان موقف قبيلة ثقيف من أشد المواقف على الرسول ﷺ فجلس يتأجج ربه قائلاً: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمرني، إن لم يكن بك عني غضب فلا أمان، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصالح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العني حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»^(٤).

وترجع معارضة ثقيف لسبب:

الأول: أن لطائف علاقات تجارية مع مكة، وهي لا تريد فساد هذه العلاقة بمشايعة محمد، وانطاع لا يمكن أن تستجيب وهي ترى قرشاً وهي أقرب الناس به رحماً لغرضه، والعرف القبلي أن يأتي النصر أولاً من قبيلته

الثاني: أن قبيلة ثقيف كانت تمني نفسها بالزعامة، كما اعتقد رجال قرش وجاء في تفسير الآية ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾^(٥) أن القريتين هما مكة والطائف، والرجلان هما الوليد بن المغيرة ومسعود بن عمرو

(١) ابن سعد، الطبقات ١/٢١٢.

(٢) دلائل النبوة، ٢٥١٢-٢٥١٦.

(٣) السيرة النبوية، ٢/٥٦٧.

(٤) السيرة، ابن هشام ١/ ٢٢١/٢٢٢.

(٥) سورة الزخرف، الآية ٣٦.

أما القبائل الأخرى فقد كان يأتيها الرسول في سوق عكاظ؟ ويدعوها إلى منعة ونصرته ويقول: الأرجل يعرض عبي قومه، فبن قريشا قد منحوني أن أبلغ كلام ربي^(١)، فكانت ترد عليه، قوم الرحمن أعلم به أفترى رجلاً يصلحنا قد أفسد قومه^(٢)، وخاصة أن أب لهب كان يسير وزاده ويقول: أن هذا قد يدعوكم إلى أن تفسقوا ثلاث والعري من أعناقكم فلا تطعموه ولا تسمموا إليه^(٣)

وقد مكث عليه الصلاة والسلام سبع سنين وهو يطوف على القبائل في أسواقها، ومن كثرة ما عرض نفسه عليها قال بعضهم: أما أن لك أن تياأس منا^(٤)، ومن القبائل التي جاء إليها.

كلمة:

أنهم الرسول ﷺ ودعاهم إلى عبادة الله ونصرة رسوله فقالوا له: ما أحسن كلامك ولكن بعيد ما عبد آبائنا وفي المرة الثانية حاول أحد الزهاد أن يحث قومه على نصرته غير أن كذباً آخر قال أخرجته عشيرته وتؤوه، وحار كنفة من القبائل العربية إذ قبلوا الرسول، فانصرف عليه السلام حينئذ^(٥)

وفي المرة الثالثة، طلبت كنفة الولاية بعد الرسول إلا أن الرسول رفض شرطهم، فقالوا: حثت نصبت عن آلهتنا ونأيت بك العرب، الحق قومك^(٦).

وما تقدم برى عصبية والتقاليد والعصبية القبلية قد وقفت حائلاً أمام استجابة كنفة للرسول

(١) التلخيص أسباب الاشراف ٢٢٧/٦ الطبري تاريخ ٢١٨/٢، السيرة الخطيب ١٥٣/٢

(٢) دلائل النبوة ٢٠٠/٢.

(٣) الطبري، تاريخ ٢١٩/٢.

(٤) دلائل النبوة ٢٥٧/٢

(٥) بن هشام السيرة ١٢٤/١، التلخيص أسباب الاشراف ٢٣٧-٢٣٨، دلائل النبوة ٢٥٦-٢٥٧

٢٥٥

(٦) ابن كثير بداية والنهاية ١٤٠/٢

حقيقة:

جاء إليهم الرسول ﷺ عدة مرات ، ولكنهم أعرضوا عن دعوته وكفوا عن أتبع
العرب رداً عليه^(١).

كلمة:

دعا الرسول بطلاً منهم يقال لهم " بنو عبد الله " فلم يقبلوه منه بالرغم من أن شيئاً
منهم قال : ما أحسن ما يدعو إليه هذا النبي ، إلا أن قومه بعده ، ولو صالح قومه
لأبغته العرب^(٢) . وعلمت كذب دعوها ، لاسلام على استجابة قريش لدعوته

عاصر بن مسعدة:

تبين موقف هذه القبيلة من الدعوة ، لاسلامية بين القول والرفض ، فيعصم نفي
الرسول بتجهم وقالوا والله لا يلزب بك قوم إلى دارهم إلا أبوا بشر ما أب به أهل
الموسم^(٣)

والعص الأخر شرف على قول ، بدعوة كعب بن فراس " الذي قال : والله لو
أنني أعدت هذا النبي من قريش لأبغته العرب . فتدخل رجل من قريش وقال : شس
ما صنعت مع منتم إلى ديني " قوم فأجروا لزميكم العرب عن قوس واحدة ، فتغير
موقفهم وقالوا يا محمد أحمل لطيفتك^(٤) وأصلح قومك فلا حاجة لنا بك^(٥)

ويذكر الطبري^(٦) أن عاصر طيبت السيادة من بعده فقال لهم الرسول : ان الأمر
إلى الله يلجأه حيث يشاء فقالوا له : أفتنهذ نحورنا لدعرب دونك ، فإذا ظهرت كان
الأمر لغرب لا حاجة لنا بأمرك^(٧).

(١) ابن هشام: ٤٢٤/١، أسدب الأشراف: ٢٢٧-٢٢٨، الطبري: تاريخ ٢/٢٤٩، بن الأثير: الكمال: ٦٥/٢

(٢) أسدب الأشراف: ٢٢٧-٢٢٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تحقيق طريه.

(٥) لطيفه نوحك.

(٦) الرمشري: القائل ٢/٢٨٩.

(٧) الطبري: تاريخ ٢/٢٥٠، بن الأثير: الكمال: ٦٢/٢، لسيرة لعلي: ١٥٤/٢

(٨) مجهول: الفاصل بين بعل والباطل ١/٢٤٥

شيبان

قابل الرسول أربعة من ساداتها وهم معروف بن هاشم، وشريك بن عمرو، وهاني بن قبيصة، وثلث بن أبي حارثة فدعاهم إلى نصرته ومنعته فدخلوا أحدهم عن قبول هذا الدين لأنه يخالف معتقدات العرس وهم في طاعتهم ولا طاعة لهم بقتالهم، وحجروه، دا أراد أن يجمعوه من العرب دون فارس فعلموا^(١)

وأنا استبعد أن تكون شيبان قد وافقت على منع الرسول من العرب، والأرجح أن السادة لم يعطوا رأياً قاطعاً في هذا الطلب وقالوا: "إن من ورائنا قوماً نكره أن يعقد عليهم عقداً ولكن ترجع وترجع فنظر ونظر"^(٢)

شعب

ذهب إليهم الرسول ومعه زيد بن ثابت ولم يستجيبوا له بل رجم من معاوية ميسرة بن مسروق العنسي اتخا قومه بحماية الرسول. وقد ردت عيس على ميسرة بقولها: "دعنا منك لا تعرضا علينا قبلتنا" فضع الرسول ميسرة فكلّمه بأمر الإسلام فقاتل ميسرة: وب أحسن كلامك وأبوره ولكن قومي يحلفوني وإلما الرجل بقومه، فإن لم يحصدوه فاعلناه أبعد"^(٣)

ومن القبائل التي دعاها الرسول سقيم وفزارة وبنو نصر من هوازن ومره وعلوه، والحضارمة وغيرهم وكانت ردودهم متماثلة ويقولون: أسرتك وحشيتك أعلم بك حيث لم يتبعوك"^(٤)

إن موقف القبائل الرافضة لدعوة مع من الأمور التالية:

- لمسك العرب بعصيتهم القبلية، وظهر ذلك في مواقف قبائل متعددة منها ثقيف وعامر بن صعصعة
- لمسك البعض بعصية الأقاليد لا سيما انتمالها لعبادة الآباء والأجداد، فكانت هذه القبائل تكره التجديد وتعتبر الهلالي أمراً مقدماً لا يجوز التلاعب أو المساس به

(١) دلائل النبوة ١/ ٢٤١-٢٤٢.

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٢٤٨-٢٤٩.

(٣) السيرة النبوية ١٧٥/٢.

(٤) ابن هشام السيرة ١٧٥/٢ بهامش نوهي (طبعة ١٩٧١).

- كان لوقف قريش ،معادي للدعوة أثره على رفض هذه القبائل الدعوة الإسلامية فمن هذه القبائل من حشي اجتماع القبائل الأخرى عليها ، ومنها من حشي النفوذ الأجنبي كشياح

الأوس والخزرج:

تذكر الروايات أن أول من قابِل الرسول من أهل يثرب هو سويد بن الصامت أحد بني عمرو بن عوف ، وكان هذا يسمى الكامل في قومه مدعاه الرسول وثلا عليه القرآن فعاد إلى المدينة ومات يوم بعث مسلماً على حد قول بعض الروايات^(١).

وقبل بعث قدم أبو الحيسر أنس بن رافع ومعه فتية من بني عبد الأشهل يطلبون حلف قريش على الخروج ، فعاد إليهم الرسول وثلا عليهم القرآن فقبل أياهم بن معاذ - وكان غلاماً حدثاً- :

أي قوم هذا والله خير مما جئتم له ، فأخذ أبو الحيسر حفنة من الطحلاء وضرب به وجهه ليأمن وقال له : دعت منك للحمري لقد جئنا لغير هذا^(٢)

لكن حلف أبو الحيسر لم يتم لمعارضة أبي جهل الذي قال : ما أصبتم حين حالفتهم بو الأشهل فأتهم أهل عذر وجلب ولقلما دخل قوم على قوم إلا أحرَبوهم من بلدهم وغلَبوهم على ديارهم^(٣) وبعد بعث قابِل الرسول رهطاً من الخزرج مكون من ستة أنفار فدعاهم إلى الإسلام فاستجابوا

وفي العام التالي قابِل الرسول منهم اثني عشر رجلاً وسرعان ما استجابوا لهذه الدعوة فإلهمهم الرسول فكانت بيعة العقبة الأولى ، وأرسل معهم مصعب بن عمير يعلمهم الإسلام ،

ولما قدم مصعب المدينة نزل على أبي أمامة أسعد بن زبد من بني النجار وهناك أخذ يتنقل بين بطون أهل المدينة يدعُوهم إلى الإسلام .

(١) ابن هشام، السيرة ١٧٥/٢، بهامش ترويض (شعبة ١٩٧٦).

(٢) الفهرست السابق، ١٧٥/٢، ١٧٦.

(٣) ابن حبيب، للمنفق في أخبار قريش ٣٢٩.

وعندما علم سعد بن معاذ بأمر مصعب وأسعد بن زرارة بمقتل أبيهم أسيد بن حضير وقال له: انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفائك فازجرهم واتهما أن يأتيا دارنا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كهيئت ذلك، هو بن خائني ولا أجد عليه مقدما^(١) فذهب أسيد غير أنه عاد إلى سعد بن معاذ مسلما، وحتى يجد طريقة يدفع بها سعداً للذهاب إلى مصعب ويستمع منه، قال له: إن بني حذافة خرجوا إلى أسعد ليقتلوه، لأنهم عرفوا أنه ابن خائلك ليخفروك. فقام سعد مصعبا وجاء إلى أسعد وقال له: لولا ما بيني وبينك من القرية ما رمت هذا تعشيتا في دارنا بما نكره^(٢). وكما أسلم أسيد، أسلم سعد بن معاذ بعد أن استمع إلى تلاوة من القرآن، وكان لا سلامه أثر كبير في انتشار الإسلام في المدينة وخاصة عند بني عبد الأشهل،

وبفضل مصعب وأسعد لم تنق دار في المدينة إلا ودخلها الإسلام، إلا ما كان من بني أمية بن زيد وخطمه بن وائل بسبب موقف سيدهم وشاعرهم قيس بن الأسيد المأوي للإسلام^(٣).

وهي العام الثالث لقي الرسول ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين، وكان يرافقه هذه امرأة عمه العباس الذي كان أول المتكلمين وقتل أن محمداً حيث هو في حر من قومه ومنعة في بعده، وأنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم والحق بكم. فإن كنتم ترون أنكم مسمومون خاذلوهم بعد الخروج إليكم فمن الآن فدهوهم، فنه في عز ومنعة من قومه وبلده وبحر وشيرة وليس بمسلمية^(٤). فقبلوا وباعهم الرسول ﷺ على أن يجمعوه مما يجمعون به ساءهم وساءهم^(٥) وبعد ذلك قام البراء بن محرز وأخذ بيد الرسول وقال: لست معك مما جمع منه أربا (سب مناه) وهي زينة ثابته أنهم يجمعوا على قتال الأحمر

(١) ابن هشام، السيرة ١٧٦، ١٧٥/٢، يهمل في نون (مبينة ١٩٧٦).

(٢) المصدر السابق ١٨٦/٢.

(٣) المصدر السابق ١٨٧/٢، لطيفي، تاريخ ٣٩٥/٢.

(٤) ابن هشام، سيرة ٤١١/١، البلائري، أصاب الأشراف ٢٥٧/١.

(٥) ابن هشام، السيرة ٤٤١/١.

والأسود، وعلى السمع والطاعة، واليسر . وعدم تنازعة الأمر أهله والقول بالحق ولا تأخضهم في الله لومة لائم^(١)

وقام أبو الهيثم بن تيهان وقال يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال حبلا وإننا قاطعوه - اليهود فهل عسيت إن نحن قمنا معك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتعدنا فتيسم رسول الله وقال: بل الدم الدم، والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتكم وأسلم من سلمتكم^(٢)

ووصل اسماع قريش عن حلف الرسول وأهل المدينة فأقبلوا إلى الأوس والخزرج يسألونهم عن أمر هذه البيعة فحلف لهم مشركوا الأوس والخزرج كذلك، ولم تكف قريش بذلك بل جاءت إلى ابن أبي وأحبرته بالأمر فقال ابن أبي: ن هذا لأمر جسيم وم كان قومي ليتعنوا عني بش هذا ما علمته كان^(٣)

ولما ثبتت قريش من أمر البيعة أحسست بالخطر خاصة وأن لأهل المدينة وجل في قلوب العرب حتى أنهم هابوا، أمرهم فامتثلت حوزتهم وعمر حذرهم^(٤) فسارعت إلى الاقتصاص من المعاهدين فلم يجد عير سعد بن عبيدة فردوه إلى مكة، ولم يلقه إلا أعبدة حبيب بن مطعم والحارث بن أبيه لأنه كان يجير لهما^(٥)

ولما أصبح للرسول قوة يستد عليها أمر صحابه بالهجرة إلى يثرب متفرقين خوف بعض قريش بهم، إلا أن قريش فطنت للأمر وحاولت أن تقتل من أسلم وترد من تستطيع رده، فأخذت تحول بين الزوج والزوجة، لا سيما إذا كانت المرأة من قريش ووجهها من غيرها ولم تستطع قريش أن تتخذ تدابير أشد من ذلك خوفا من قيام حرب أهلية بين بطون قريش إذا هي همت بقتل واحد من هذه البطون^(٦).

(١) البلاء، انساب الاشراف ٦/٢٥٢

(٢) ابن هشام، السيرة ١/٤٤٦، ٤٤٧.

(٣) المصدر السابق ١/٢٤٩

(٤) البلاء، فتوح البلدان ٢٠.

(٥) ابن هشام، السيرة ١/٤٤٩.

(٦) محمد حسين في كتابه حياة محمد، دار المعارف (١٩٧٤) ٣٢٠.

وبعد إردباد هجرة المسلمين نحو يثرب، واستناد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قوم عزموا بشدة وطائفتهم وقوة بأسهم أخذتهم الحيرة وقفاً، هذا شر شافل لا يطاق^(١). فأخذوا يحفظون لوضع خطة للقضاء على صاحب هذه الدعوة

جتمعت ملا قريش لمبحث في أمر صاحب الدعوة، إلا أنهم اختلفوا في بادئ الأمر حول الإجراء الذي سيتخذونه، فمن قائل بإخراجه، ومن قائل بتقييده حتى يهلك. وأنهى أبو جهل هذا الاختلاف وأقترح أن تقدم كل قبيلة رجلاً حتى يفسريه. محمداً صرية رجل واحد فيضيم دمه بين القبائل فلا تستطيع بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً^(٢)

لقد كان خوف قريش من العصبية القبلية وإثارة بطون عبد مناف عليها، وبالتالي انقسام قريش والعودة إلى حلف المتطيين والاحلاف السبب في اتخاذ هذا القرار.

إلا أن ما يحفظهم هذا فشل بفضل العناية الإلهية التي سلمت الرسول ﷺ فخرج مهاجراً إلى المدينة يبدأ من هناك تاريخ جديد وعهد جديد واستجابة الأنصار لدعوة لاسلامية ترجع إلى العوامل التالية

- حالة الفوضى والصراع التي كانت تحيها المدينة، فكانت هذه الحالة تستدعي وجود رجل محايد لا يميل إلى أحد من الجذبيين واستدعاء وليس من خارج القبيلة ليس جديداً على القبائل العربية، فقبيلة ربيعة وبعد أن سادها جو من العوصى والتشاوريين رؤسائها بحثت إلى والد الشاعر (امرؤ القيس) ليكون ملكاً عليها غير أن الأم لم يستتب طويلاً بين القبائل للتنازع لقرار الرجل عنها وعدم الانقسام فاء ربيعة إلى وطنه^(٣)

- جهدت الأوس إلى قريش قبل بحث تعذب حلفها معهم على الخروج، إلا أن أب جهل أنكر هذا الحلف، ووصف الأوس بأنهم أهل غدر وحلب، ثم جاءت هزيمة الخروج يوم بحث لتدفع الخروج إلى طلب حليف يشد من أزركم، أما الأوس

(١) ابن عبد البر، البدر ٨٥

(٢) ابن هشام، لسيرة ١٨٢/١، البخاري، انساب الأشراف ٢٥٩/١

(٣) جواد طهي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٤٦/١

فراحت في قبوله تحدياً لقريش التي رفضت محاسنتها، والتفت وجهات نظر الطرفين حول قبول دعوة الاسلام.

- ربما أن الأوس والخزرج قد رأوا في نصرة الرسول تحدياً للقبائل العدنانية التي رفضت أن تؤويه وتحميه، فأرادت القبائل اليمنية أن تجرب حظها في قبول الرسول.

- تأثر أهل المدينة باليهود، وما كانوا يحدثون به من ظهور سي، فأصبح أهلهم مستعدين للتطور الروحي أكثر من غيرهم من القبائل الأخرى

الدعوة الإسلامية في العهد المدني وموقف القبائل منها:

بدأ تاريخ جديد ببدء الهجرة، وحدث أمر لم تألفه الجزيرة العربية من قبل وهو تحقق مجتمع مبني على الألفة والتناصر والاحوة والوفاء، يلتقون بطون شتى وقبائل عدة حول رباط الاسلام.

إن أول ما قام به الرسول ﷺ هو اطلاق اسماء جديدة على جماعات المسلمين، فلم يعد هناك أوس ولا خزرج ولا قريش، فالأوس والخزرج انضموا تحت اسم جديد هو " الأنصار " وكان بهذا الاسم أثره في النفوس، لما عاد الأوسي يفخر أنه من الأوس، بل أصبح يفخر أنه من السابقين إلى الاسلام.

أما اسم " المهاجرين " فقد أطلق على كل من خرج من بلده مهاجراً إلى المدينة وبهذا الاسم ما عاد الفرد الذي هاجر من بطن عظيم أو قبيلة فله يعتز بطنه أو قبيلته لما أصبح اليوم مهاجراً من أجل مشر عقيدته والدفع عنها

والخطوة الثانية كانت المؤامعة " بين المهاجرين والأنصار "، والمؤامعة وإن كانت شبيهة بالأحلاف الاجتماعية إلا أن لمعطى كان أسمى وجوهرها أصق، إن المؤامعة الجديدة لم تقم على مصالح ذاتية تنتهي بتهدية هذه المصالح، إنما كانت قائمة على رابطة روحية تزاد التضامناً في المحن والشدائد.

لقد كان في هذه المواقف هذه لادها ب الوحشة عن اولئك الذين خرجوا من بلدهم وتركوا الأهل والعشيرة فكان لا بد لهم من مؤسسين يذهب الوحشة ويقرب بين
للموس^(١)

لم تنتظر الأنصار من المهاجرين ثناء ، بل أمسوا أبواب الله ، ومن هه هبوا لتقدم
للسعدة للمهاجرين بعد أن قال الرسول : إخوانكم ليس لهم مال ، ولا عشيرة فليضم
أحدكم اليه الرجلين أو الثلاثة^(٢) فقدم الأنصار يقدمون كل مساعدة ويطوفون : هذه
منارل ان شئت فقلها^(٣)

وبعمق هذه الأخوة جعلها الرسول ﷺ مقدمة على دوي الأرحام بالتواؤوت
وبقيت حتى اشتد امر المسلمين وقويت شوكتهم فتزل قوله تعالى ﴿والذين آمنوا من بعد
وهاجروا وجهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب
الله إن الله بكل شيء عليم^(٤) .

لقد استطاع الرسول بالأخوة الدينية أن يوطد الأمن في المدينة أولا وأن يجمع
أهلها ثانيا في طار يتألى مع لاطر القبية السابقة .

وبعد أن استقر الرسول في المدينة وضع دستورا ينظم العلاقات بين جميع
الأطراف في المدينة وقد جاء في مطلع هذا الكتاب^(٥) بسم الله الرحمن الرحيم هذا
كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قرش وثرب ومن تبعهم قلحق
بهم وجاهد معهم ، أنهم أمة واحدة من دون الناس . .

والأمة الواحدة تعبير يطلق لأول مرة في الجزيرة العربية ، فكان للعائنة الفضل
في أمر هذه الوحدة بعد أن عجزت رابطة النسب عن ذلك

(١) الموس الألف ٢/١٤١

(٢) من الآثار ، جامع الأصول ١٦/٦

(٣) تباري ، فتوح بولس ٢٠

(٤) سورة الانفال : آية ٧٥

(٥) انظر من هذا الكتاب في ابن هشام ٢٤ / ٢١٢ (بعض النسخ : ص ١٩٧٦)

ومع أن الدستور كان متحدا جديدا في الحياة السياسية والدينية في الجزيرة العربية إلا أن بعض المظاهر القبلية قد ظهرت في أمر هذا الدستور ، فالفرد في هذه الأمة لا ينتمي إليها إلا عن طريق العشيرة أو القبيلة^(١) فانها أجرون من فريش على ريعتهم ، يتعقلون بينهم وهم يمدون عندهم بالمعروف والقيسط بين المؤمنين ، وهو حوّل على ريعتهم ، وهو جشم والصحيحة بالرغم من إطلاقها كلمة الأمة الواحدة ، إلا أن هذه كانت بمثابة الحلف الذي يجمع بين أهل المدينة ومن رغب من العرب الدخول معهم

ومع وجود بعض المظاهر القبلية إلا أن هذا الدستور كان الأمة الأولى في صرح لأمة العربية ، واتّجه الجديد الذي عتق في تعاملهم فقد أصبحت المدينة مركز دولة جمعت العقيدة سكانها بعد أن فشلت رابطة النسب ، إن جامعة اليوم هي رابطة العقيدة ، فالأمر لا يحالف مؤمن دونه وأن المؤمنين المتقين على من يعي منهم ، وأن لا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا يتصر كافرين على مؤمن وإن ذمة الله واحدة يحير عليهم أديانهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس^(٢) وبين الدستور أن لا مهادنة بين الإسلام والشرك ، وأول من طلب الرسول عدم اجازتهم هم قبيلة قريش ، وهذا مما جعل الرابطة الجديدة تسمى فوق جميع الروابط التي كانت سائدة من قبل

وأروع ما في الصحيفة ، أنها وضعت حدا لعادة انتشرت في الجاهلية ، وكان يحسب بها الف حساب لا وهي الثأر ، فقد حرم الدستور الثأر وبين أن القتل بالثأر لا إذا رضي أهل المقتول ، وبذلك أصبح الثأر لا يتحول إلى ثأر ، بل وضع الإسلام حدا لأخطاره ومنفصل حق القصاص من الفرد إلى الدولة^(٣)

وهي الدستور الجديد أصبحت الأمة تخضع لقائد واحد بالمرء الجميع بأمره إلا وهو الرسول " ﷺ " هذا مع الاحتفاظ بالعهادات الأسرية .

(١) محمد حسين فيكال حياة محمد ٢٢٩.

(٢) الطهري، الدولة العربية ومقرها ١٢.

(٣) ابن خلدون، السيرة ٢٤١/٢ بهامش الروض (طبعة ١٩٧١).

(٤) الطهري، الدولة العربية ومقرها ١٤، ١٣.

لقد تكللت المهمة الفسحةمة بالسجاح وأصبح النظام القبلي شيئاً ثانوياً بالنسبة للشعور بالوحدة الدينية^(١) ومع هذه السجاح، إلا أن أبدي المتأففين والمتحاذين كنت تحاول أن تعيد أمر هذه الوحدة ومن هنا كان أمام الرسول ﷺ أربعة مواقف عليه موجهتها وهي

المناقشون في المدينة، اليهود، قریش، القبائل العربية الأخرى

المناقشون

كان رعيهم هذه الفئة عبد الله بن أبي السلول، وتذكر الروايات أنه كان سيد المدينة لا يختلف عليه إثنان، وأن الأوس والخزرج لم يهتموا على قبله وبعده وأن قومه قد أهدوا له قبل الإسلام غزاة لتزيجه^(٢)

لقد أظهر بن أبي استيائه من أمر الدعوة الإسلامية منذ أن سمع بالبيعة التي تمت بين الرسول والأوس والخزرج وقال: ما كان ينبغي أن على مثل هذا ما علمته كان^(٣).

وبعد أن هاجر الرسول ﷺ ورأى بن أبي حسن الاستقبال الذي لقيه الرسول ﷺ أحدثه العيرة والحسد، فأخذ يعد الخطط لمقاومة الدعوة الإسلامية.

جاءت حدوده عندما استجدت به قریش لأخراج محمد من المدينة، وبسرعة فائقة جمع حوله كل من لم يسلم من أهل المدينة، واستعد لمحاربة الرسول ﷺ غير أن الرسول ﷺ قال لأهل المدينة لقد بلغ وعيد قریش المبالغ منكم، ما كانت قریش تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقتلوا، ابتاعكم وإخوانكم^(٤) بهذه الكلمات تفرق الأوس والخزرج ولم يرغبوا في قتال بعضهم بعضاً لعدم إيمانهم بما أرادته ابن أبي.

(١) أولئك الدعوة إلى الإسلام ٥٢.

(٢) ابن هشام، السيرة ٥٨٤/٦، ٥٨٧.

(٣) المصدر السابق ١١٩/١.

(٤) ابن الأثير، جامع الأصول ١٦٤/٩، ١٦٥.

وبعد أن رأى خذلان قومه به جاء إلى الرسول وقال له : اجلس في بيتك فنقرأ القرآن على من يأتيك . وهي هذه المرة جوبه برده عنيف من رجل من الانصار وهو ابن ربيعة بندي قال أتصاهي مجالستك ودورنا ويوتنا فهو أحب^(١)

وكان فشل ابن أبي في مصادفة الرسول ﷺ سبباً لسلوك طريق التفات ، بأن يظهر الايدى ويحط الكفر حتى يصل إلى الهداه ، إلا أنه فشل في جميع محططاته

وابن أبي ورجل انتهزي ، يسمي ويلهث وراء العظيمة ، فبعد كانت انسيادة والزعماء ذلك العظيم حتى مع أقرب الناس إليه لحمه ودم ، يرم بحادث وقت ليشهد سيوف الأوس وهي تأخذ من رقاب قومه الخزرج ، ولم يشترك معهم في القتال . وما قتل عمرو بن النعمان وعيم الخزرج لنفس الصعدة وقال قومه : دوقوا وبأل الي^(٢) . ورجس يترك قبيلته في ساحة القتال يوم أن كانت احمية القبلية تحرك أبعد الناس رحماً ، ويوم كن انتاصر على الظلم والمعدون واجباً ، هل ينتظر منه غير ذلك

وبرداد ابن أبي حققه على المسلمين بعد انتصارهم في بدر ، وتوجه الرسول إلى بني قينقاع وهم خلفاء الخزرج في السنة الثانية من الهجرة ، عندها شعر ابن أبي بأنه قد أصبح فاقداً لكل شيء فتحركت عنده عصبية الحيف وجاء إلى الرسول ﷺ وقال : يا محمد احسن في موالي ، فأعرض عنه الرسول ، وبعدها أدخل ابن أبي يده في جيب الرسول حتى رأى في وجهه ظلالاً - تنوء - فقال له نرسون . ويحدث ارسلي فقال لا والله لا أرسلت حتى نحس إلى موالي ، ربعمائة حنجر ، وثلاثمائة دراع . قد منعوني من الأسود والأحمر ، لمصدهم في خدانة واحد وإني لا آمن وأخشى الدوائر ففقد الرسول هم لك^(٣) .

وهذه الرسول من وراء ذلك إلى نحيتي :

الأولى : تألف ابن أبي وجمعه ، إلا أن الحسد والحقد يعنى قلوبهم ، فلم يستشعروا طعم الاحسان بل اردوا خيأ وحقدا على المسلمين .

(١) ابن هشام ، السيرة ٨/٦٠٨ .

(٢) ابن كثير ، انكافى ٦/٢٥١ يباشه مرجع للعقب .

(٣) ابن هشام ، السيرة ٦/٤٨٧ .

الثانية: خوف الفتنة في المدينة، والناس قريبو عهد من الجاهلية، وعصبية الأحلاف لا تزال آثارها باقية في النعوس.

وفي السنة الرابعة للهجرة نشط ابن أبي عندما أمر الرسول بني النضير بالخروج وأمهلتهم عشرة أيام لذلك، هناك أخذ يأتي إلى بني النضير ويرى لهم عدم الخروج ويعندهم بأنه سيفتح إلى جانبهم ومعه سو قريظة وعطفا.

وبنو النضير ليسوا حلفاء وإنما هم حلفاء للأوس، وكأنه أراد أن يحرك مشاعر بعض الأوس المجاهد حلفائهم، إلا أنه فشل أيضاً

أما بنو النضير فقد جدعوا برعوده ولم يسمعوا من ابن مشكم الذي حذرهم من عود ابن أبي، وأنه لم ينصر حلفاءه من بني قينقاع فكيف ينصر من هم ليسوا بحلفاءه إلا أن اليهود اهتروا برعوده ابن أبي وبعثوا للرسول اصنع ما بدا لك^(١)

ولا استبعد أن يكون ابن أبي هو الذي دفع عبيد بن مسعود الأشجعي ليلعب إلى الأوس يذكرهم بعصبية الأحلاف ويقول لهم: ما هذا جرائهم منكم، لقد استنصرتموه فصرركم على الخروج ولقد استنصرتم سائر العرب فأبوا ذلك عبيكم.

غير أن الأوس لم يلتصقوا إلى ذلك بل قالوا: قطع الإسلام اليهود^(٢).

ولما كانت المناقشة بين عبي الأوس والخزرج على أشدها فقد جاءت الأوس إلى الرسول تشفع في حلفائها وقالوا يا رسول الله موالينا وحلفاءنا وقد فعلت في موالينا أحوالنا بالأوس ما قد فعلت بمنون (هو قينقاع)، فاستجاب الرسول لطلبهم، وفرض الأمر إلى رجل منهم وهو سعد بن معاذ، فحكم سعد بقتل مقاتليهم ومسي ذراريهم وقسمه أموالهم وقال لمن كان يتنادي عليه أن يحسن إلى مواليه: قد أبى سعد ألا تأخذ في الله لومة لائم^(٣)

والتفرق وأصبح بين سعد بن معاذ المسلم الأوس وبين ابن أبي اتفاق، فالأول هدفه إعرار الإسلام وأهله والثاني هدفه تحقيق مطامع شخصية

(١) السيرة الحلبية ٥٦١/٤

(٢) الواقدي، المغازي ٣٧٥/١

(٣) الطبري، تاريخ ٨٧/٢

ومع أن الحكم على بني النضير جاء من قبل الأوس أنفسهم، إلا أن أنفسهم لم تطلب عدما رأوا، بخروج يتوعدون قتل بني النضير، وعرف الرسول ذلك، فأمر عن بني من اليهود أن يذهبوا إلى الأوس ليضربوا، أعتقهم^(١)

وبقي ابن أبي يشير من المعرض للإيقاع بالمسلمين وجهدت عروة أحد، فرجع من نصف الطريق محتجاً أن الرسول لم يسمع منه، وسمع من الصبيان وحجة ابن أبي واهية وصعبة، فهو لا يريد القتال مع المسلمين وقد قال ذلك بوصوح علام نقشها ها أيها الناس^(٢) أما بالنسبة لإشارته فقد كان هو نفسه من المشيرين بالخروج وقال للنبي: أخرج بنا إلى الله إلا كلب^(٣).

ويظهر كذب ابن أبي أيضاً أن جماعته بعد القتال اخلدوا، يسررون موقفهم من العودة ويقودون^(٤) لو علم أنكم تقتلون ما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أن يكون قتال^(٥) وهذا الادعاء يناقض قول زعيمهم، فالرقيم لا يريد القتال، واتباعه لا يعلمون بأنه سيحدث قتال، علماً أن قريش أمضت فترة طويلة في الاستعداد لقتال المسلمين، والسؤال المهم هي كان وجوع ابن أبي ياتفاق سري مع قريش؟ هذا ما لم نسمعنا المصادر بالإجابة عليه.

عاد ابن أبي آملاً أن يستعيد وعادته، إذا ما تحققت هزيمة المسلمين إلا أن غله كان محطاً فلم ترد معركة أحد المسلمين إلا انتحاماً، ونش خذل ابن أبي قومه، فقد ظهر من قتل حمية وعصبة لقومه قريمان بن الحارث كان مشركاً ولم يسمع بخروج قومه خرج وقاتل معهم وهو يهدي. يا معشر الأوس قاتلوا من أحسابكم لماوت خير من العار وبقرار^(٦) ولم أصيب في المعركة بجاءه المسلمون وقالوا: ولله لقد أبليت يا قريمان هاأبشر، هاأجابهم عما أنشروا أنه ما قاتلت إلا عن أحساب قومي ونولا ذلك ما فعلت^(٧)

(١) ابن هشام، السيرة ٤٩/٢.

(٢) ابن هشام، السيرة ٦٤/٢، بن قتيرة، المعارف ١٤٩.

(٣) الطبري، تاريخ ٥٠٢/٢.

(٤) المصدر السابق ٥٢/٢.

(٥) المكنزي، نسب الأشراف ٢٨٩/١، ابن حزم، جوامع سيرة ١٦٦.

(٦) السيرة المطبوعة ٥٢٧/٢.

والأصيرم من بني عبد الأشهل كان يأبى الإسلام، فلما كان يوم أحد سأل عن قومه فقبل له^(١)، حرجوا القتال وأخذ سيده ولحق بهم لقتال حتى أئتمته الجراح فسقط بين القتلى^(٢).

جاءت معركة أحد بنتيجة سلبية على المتأفقين لم ينتظرها ابن أبي إلا وهي التهام المسلمين أكثر فأكثر، وظهر ذلك بعد أن عاد المسلمون من أحد فقد كان من عادة ابن أبي إذا جلس الرسول يوم الجمعة على المسر قدم وقال: أيها الناس، هذا رسول الله بين أظهركم، أكرمكم الله تعالى وأهركم، هانصروه وهرروه واسمعوه له وأطيعوا. ثم يجلس علماً قدم هذه المرة، قامت الأصابع وأخذوا بشويه وقللوا له، يجلس عدو الله، والله لست لأذيت بأهل، وقد صنعت ما صنعت - فخرج وهو يقول: كأنما قلت هجر^(٣).

وحاول من أبي أن يشير العتة فكان يقول لمن يصادفه بطريقه: لقد وثب على رجال من أصحاب محمد بن عبد بنو بني وعصوني، ولم يحصل ابن أبي هؤلاء الأصحاب من أنهم الجميع، علماً بأنه لم يتدخل أحد من المهاجرين^(٤).

استمر ابن أبي في ثقافته، وجاءت غزوة بني المصطلق في السنة السادسة للهجرة ليهادي المتأفقون بالعصية جهاراً، وذلك عندما اختطف أحد المهاجرين وهو جهجاه بن سعيد العمري أجير عمر بن الخطاب، وساد المهدي حليف بني عوف من الخزرج على الماء، ونادى كل واحد قومه، هناك يستغل ابن أبي هذه الحادثة، ويجدهم مرتعاً حصصاً لإثارة الخلاف، فقال ابن أبي ما سمع بما حدث، أوقد لعنوها قد بانفروا وكاثرونا في بلادنا والله ما عدنا وجلايب قريش^(٥) إلا كما قال الأول: «سمن كئيب بأكلك أما والله لئن رجعا إلى المدينة ليخرجن الأهر منها الأذل، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم احلتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أم والله لو أمسكنهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم^(٦)».

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق، ٢/٢٣٩.

(٣) الواقدي، الثاني، ١/٢٩٧.

(٤) جاليل قريش، نقل، طه، لشركن على من أسلم من قريش.

(٥) بن هشام، السيرة، ٢/٢٩١، الطبري، تاريخ، ٢/٦٨٥.

شعر الرسول يحظر العصية القبية ، وليقطع دابر الجاهلية ويشمل الناس أمرهم بالمسير ليلاً وبهراً حتى أدت الشمس المسلمين فأخذوا يتسائلون عن سبب المسير هذا ، فعلموا بالخبر فجاء أسيد بن حصير وقال أثت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الدليل ، وأنت لعريز ، يا رسول الله أرفق به فوالله لقد جده الله بك ، وإن قومه ليظلمون له فخرر ليتجوه ، فوه ليري أنك قد استلبته منك^(١) .

أما عمر بن الخطاب فقد كان من رايه أن يقتل ابن أبي ، وعرض أن يقوم بذلك بنفسه ، أو أحد الأنصار إن كره أن يقتله مهاجري و قترح اسم محمد بن مسلمة الأنصاري فقال له الرسول : كيف يا صمر إذا تحدث الناس بأن محمداً يقتله أصمابه^(٢) .

ترك الرسول أمر ابن أبي خوفاً من أن يشير عليه فتة هو في حبسها وترك لابن أبي يفعل ما يريد ، وكان لهذه الحطة أثرها في نفوس الأنصار ، مما أن علموا بما قاله ابن أبي حتى أخذوا يمتعون صحتهم ويعاتبونه . ثم جاء به عبدالله إلى الرسول وقال له يلقي أنك تريد قتل أبي ، فإن كنت فاعلاً فمري به ، فإن أحمل يديك رأسه ، فوالله لقد علمت الخروج ما كان بها رجلاً أير بوالده ، مني ، إني أخشى أن تأمر به فيري قبلته ، فلا تدعي معني أن أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في الناس فاقبلته ، فأقتل مؤمناً يكافر فأدخس النار^(٣) . فأجابه الرسول بل تحس صحتته ، وهنا تقدم ابن أبي إليه وأخذ بجلايبه وقال له . لا أفارقك حتى ترعم أنك الدليل ومحمد العريز . ولما رأى الرسول ذلك قال لعبدالله دعه فنعمرني بحس صحتته ما دام بين أظهرنا^(٤) .

كان في الإنشاء على حياته نصراً لوقف المسلمين وحفاظاً على وحدتهم ، فقد جاءت الثقة على ابن أبي من الأنصار أنفسهم ولذا قال الرسول لعمر . كيف ترى يا صمر ، أما والله لو قتلتك يوم قتلت لي اقلته لأرعدت ده أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ، فقال عمر قد والله صمت لأمر رسول الله أعظم بركة من أمري^(٥) .

(١) التبيين: تاريخ ٦٠٦/٢

(٢) السيرة الطيبة ٩٧/٢

(٣) الخبري: تاريخ ٦٠٨/٢

(٤) ابن سعد: الطبقات ٦٥/٢

(٥) ابن هشام: السيرة ٢٩٣/٢

ولما قُشِلَتْ جهود المتأففين في إثارة العصبية استمعوا لحادثة الإفك، فكان ابن أبي من الروج، لهذه الإشاعة وبدأ لسانه يطق عبارات التشريح كقوله: فمريها ورب الكعبة، ما برئت ولا برئ منها، إلى غير ذلك من الإشاعات ونمذى في ذلك حتى قال جماعته: هذه امرأة بيبكم بائت مع رجل حتى أصبحت^(١)

كثير أذى، شافقني فصدق الرسول بهم ذرعاً فصعد المنبر وقال: ما بال رجال يؤذوني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق، وفي رواية ثانية من يعذرني من رجل قد بغني أداه في أهل بيتي خواله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكرو رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي ولا معي^(٢).

ولما سمع الأنصار ذلك قام أسيد بن حضير الأوسي وقال: يا رسول الله إن كان من الأوس تكفكمهم وإن يكون من غوثنا الخزرج لممرنا بأمرك، فوالله إنهم لأهل أن تصرف أصنافهم. فأخذت الحمية -وقيل اجتهتته حمية- سعد بن عباد وقال لأسيد: كذبت لعمر الله لا تصرف أصنافهم ولا تقدر على ذلك، ولو كانوا من الأوس ما قلت ذلك، ولكذك تأخذوا بدحول كانت ييس في الجاهلية وقد معاه الله ذلك^(٣)

وتطور النزاع بين الطرفين وتذكروا يوم بحث، ونادت الأوس بشعارها والخزرج بشعارها، وكاد الشر أن يقع بينهم لولا أن رسول الله أخذ يهدأ من الموقف، فعاد القوم إلى رشدهم، وبعد أيام وحتى يذهب الرسول ما كان في نفس القوم أخذ سعد بن معاذ إلى منزل سعد بن عباد وابن عباد إلى منزل ابن معاذ^(٤)

وكادت حادثة الإفك أن توقع بين المسلمين المفسرين وبين الأنصار، فقد ضرب صفوان بن أمية صفوان بن ثابت لأنه عرض له ولئن أسلم من مصر، فوثب ثابت بن قيس الخزرجي وأخذ صفوان وأطلق به إلى دار بني الحارث من الخزرج، ولا إن عبد الله بن ربيعة صف ثابت وقاد به جترأت، وفعل سعد بن معاذ كذلك وكأنه قد سم على ما حصل منه وأطلق سراح صفوان^(٥).

(١) سيرة نصيب ٢/٦.

(٢) ابن هشام، ٣٩٢/٢، الواقدي، المغازي، ٤٣١/٢.

(٣) ابن هشام، ٣٩٢/٢، الواقدي، المغازي، ٤٣١/٢، نحوه، غيره.

(٤) الواقدي، المغازي، ٢٧٥/٦.

(٥) الطبري، تاريخ، ٣١٨/٢-٣١٩.

وتم بمعاقب الرسول بن أبي ، لأنه كان يدرك مكانته في قومه ، فكان الرسول بغض البصر عنه على يترك نعله إلا أنه أصر على ذلك ومات متأثراً
 حقق الرسول بصبره على نصر فاته نصراً جديداً في المدينة ليوم أن أعطى ثوبه
 لابن أبي يستشفى به أسلم ألف رجل من جماعته على حد قول الديار بكرى^(١).

اليهود واستغلال العصبية القبلية:

بالرغم من كتاب المودعة الذي وضعه الرسول بين أهل المدينة والذي نظم العلاقة بين المسلمين واليهود ، إلا أن هؤلاء لم ينظروا إلى الاسلام بارتياح وخاصة بعد انتصار المسلمين في معركة بدر ، فأظهر اليهود بحسد ولبس ، ودعب نفر منهم إلى مكة ليكون وينسبون قتلى قريش وقد في مقدمة الباكين كعب بن الأشرف .

صنع كعب لما علم بانتصار المسلمين في بدر وفقد صوابه حتى أنه قال والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم ليطعن الأرض غيرك من ظهرها^(٢) . ولما تلقى من حقيقة النصر أخذه حمزي نفسه ويقول لم يلق محمد من يحسن القتال ، ولو لقيها لاقى عنده قتال لا يشبه أحد^(٣).

بدأت عدوة اليهود ضد تعرض رجل منهم إلى امرأة مسمة ، فقتله الأنصار ، وكانت النتيجة لذلك أن ظهرت المدينة من أحد جيوب التناق وهم يهود بني قينقاع

وبما رأى اليهود أن قوة المسلمين أخذت تزداد لجأوا إلى سلاح العصبية القبلية هلهم يجمعون في إثارة الصراع بين الأوس والخزرج . وجده ذلك عندهم مرشداً من ليس وكان شيخاً قديماً^(٤) عظيم التكبر ، شديد الصنع والحسد للمسلمين . على قوم من الأنصار ورأهم متحابين متألين فهاهنا ذلك وقال : لقد اجتمع ملا بني قبيلة بهذه البلاد والله ما لنا إذا اجتمع ملوهم بها من قرار ، فأمر قتي يهودياً أن يجسس مع الأنصار

(١) الديار بكرى، السيرة، ١٥٦/٢.

(٢) طبري، تاريخ ٢/ ٤٤٨.

(٣) انصهر السابق ٤٧٩/٢.

(٤) صبا: ابن زبي.

ويذكرهم يوم معات وما كان قبله، وأن يشهدهم بعض ما كانوا اتفألوا فيه من الشمر فقص ذلك، وتكم القوم وتنازهوا وتواصدا بالخروج إلى الحرة فيبع ذلك الرسول فجاء إليهم ومعه بعض المهاجرين وقال: الله الله أهدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام، وأكثرمكم به وقطع عنكم أمر الجاهلية واستقلدكم به من الكفر وألف بين قلوبكم فاعرفوا أنصار أنها نعمة من الشيطان وكيد من العدو فبكوه وتعانقوا^(١) فزل قلوبهم بعد إيمانكم كافرين، وكيف تكفرون وأنتم تثلث عليكم آيات الله وفيكم الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين، وكيف تكفرون وأنتم تثلث عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم^(٢).

ففس اليهود في إثارة النزاع من الداخل، فالتجهوا إلى القوى القبلية التي كانت خارج المدينة عليهم يستثيرهم ضد المسلمين. وقام بهذه الدعوة سلام بن أبي الحقيق وحبي بن أحطب، ونهبوا إلى قريش ورووا لهم قتال محمد، ومحوهم شهادة تفصيل مؤداها أن ذهم أفضل من دين محمد. وبعد قريش التجهوا إلى عطفان وحروها على قتال المسلمين فمقت عطفان اشتراكها في الحرب على اشتراك قريش

استطاع اليهود أن يجمعوا الأحراب فجاءت قريش وعندها أبو سفيان، وعطفان تحت قيادة عيينة بن حصن الفزاري، ومره تحت قيادة الحارث بن عوف، واشجع وعليها مسعود بن ربيعة، وسليم وأسد، وكان هذا الجيش من أصحاب الجبوش التي شهدتها الحرة العربية.

وما أن علم الرسول بذلك حتى ضرب حذفاً حول المدينة، ووجهت الأحزاب بذلك، ولم يتمكروا من اجتياز الحندق، فسمى اليهود إلى بني قريظة حتى ينقضوا حلفهم مع المسلمين ويكفروا مع ذلك. وما أن سمع سعد بن العوف ذلك حتى أظهروا اتفاقاً وقالوا: بعدنا محمد كور كسرى وقصر وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى العائط^(٣) وقالوا ما وهذا الله ورسوله إلا عروراً فزل قلوبهم بعد إيمانكم كافرين، وكيف تكفرون وأنتم تثلث عليكم آيات الله وفيكم الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين، وكيف تكفرون وأنتم تثلث عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم^(٢).

(١) ابن هشام، سيرة ٥٥٥/٦-٥٥٦

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٠-١٠١.

(٣) ابن هشام، سيرة ٢٢٢/٢

الظنون^(١)، وفي آية أخرى: ﴿وَيَذِيقُوا الْمَذْقُوقَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا^(٢)﴾.

وشعر الرسول بأن العرب قد رمت انضمامهم عن قومن واحد، فأراد أن يفرط عقد تألفهم فبعث إلى عيينة بن حصن والحارث بن صوف بينهما ثلث ثمار المدينة إن هم رجعوا عن قتالهم لقبول عيينة وحصن إلا أن رعيمة الأوس والخزرج لم يقبلوا بذلك وقالوا والله لا يعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم^(٣).

واستمرت المدينة بالمقاومة واستمر الأحزاب بتشديد الحصار وزيد من الحفر موقف بني قريظة، ولا أن نعيم بن مسعود الأشجعي، نقل الموقف وتحكم من الايقاع بين الأحزاب وبين بني قريظة، فقد جاء إلى اليهود وأشار عليهم أن يأخذوا رهائن من الأحزاب، حتى لا يتركوهم وحيدين أمام المسلمين بعد رجوع الأحزاب، وانتقل إلى الأحزاب وأخبرهم أن اليهود بدمت على ما جرى منها وتريد أخذ رهائن منهم لتسلمهم إلى محمد يقتلهم، وجاء يوم السبت فبعث الأحزاب إلى بني قريظة ليخبروه، فلقتلوا إلا أن اليهود رفضوا ذلك واحتجوا بأن اليوم يوم السبت، كما طلبوا الرهائن من الأحزاب وهم اعتقدوا أنها حروب أن ما قاله ابن مسعود صحيحاً فمكروا بالعودة من حيث جاءوا.

لقد كانت المصالح الذاتية للقبائل هي السبب في تجمعهم وكانت العصبية القبلية أحد الأسباب التي أدت إلى تفرقهم، وفي الأحزاب ظهرت عصبيتان الأولى عصبية العرب ضد اليهود والثانية عصبية عهدة بن قريش.

أما الأولى فقد قالت عطفان وسليم، محمد أحب إلينا وأولى من يهود، وقالوا ما بالك يؤذيه بأفأس^(٤) وقال الحارث بن صوف المري: بمداً وسخطاً بي قريظة محمد أحب إليا من اليهود^(٥) وهذه العداوة وإن كان عدم استجابة بني قريظة سبباً من أسبابه إلا أن الشعور ضد اليهود قد ظهر عند هذه القبائل فمحمد قريباً وهو أقرب حماً ودماً من اليهود.

(١) سورة الأحزاب: آية ١٠.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ١٢.

(٣) بن هشام، المسيرة ٢٢٣/١.

(٤) الجلائري، انساب الأشراف ٢٤٥/١.

(٥) الواقدي، المغازي ١٧٩/٢-١٨٠.

والعصبية ضد قريش ظهرت عند الأحزاب واصحة أيضاً فقد تصورت القبائل أن انتصارها على محمد والمدينة سيكون انتصار قريش ، فتصيح قريش من جراء ذلك زعيمة للقبائل العربية . وقد عبر اخبرث بن عوف المري عن ذلك بقوله : أما إنا لم نصب بعترينا لنصر قريش على محمد ، والله لئن ظهرت قريش على محمد لبيكون الأمر فيها دون سائر العرب ، مع أني أرى أمر محمد ظاهراً^(١) .

وقال عبيد بن حصص : إيا والله ما جيشنا لنصر قريش ، ولو استنصرنا قريشاً ما نصرتنا ولا خرجت معنا من حرمها ، ولكني كنت أطمع أن تأخذ ثمر المدينة فيكون لنا ذكر مع ما لنا من منعة الغنمة^(٢) .

جاءت الأحزاب متحدة لقتال المسلمين إلا أن غاياتهم وأهدافهم كانت مختلفة ، ومن هنا انصرف عقدتهم عند أول احتيار ، فانشغل مخططهم ، وعادوا أذراجهم إلى أملاكهم

الصراع بين المدينة ومكة والقبائل العربية الأخرى:

بعد أن وعد الرسول أسره في المدينة بدأ بحاربة قريش ، فالتحق من السلاح الاقتصادي وسيلة لمواجهة قريش ، عامتدت انظاره الى الطريق التجري الذي كانت تسلكه قريش إلى الشام حتى يحرم قريش من أكبر مواردها الاقتصادية .

ولتحقيق هذه الغاية قام الرسول بسلسلة من السرايا والغزوات أثارت محادق قريش ومن هذه الغزوات ، غزوة ذات العشرة سنة ٢ هـ وسرية عبدالله بن جعش

وأحس قريش بالخاطر الذي أخذ يتهددها عندما علمت أن محمداً قد خرج ليعترض أكبر قوافلها التجارية ، فأرادوا عماؤها أن يضعوا حد ، لاعتداءات لمحمد . وأن يظهرها للعرب أن قريشاً لمثلث قوة تردع كل من يعترض ثقواقيها التجارية . ومن هنا صمموا على الخروج بالرغم من أن القافلة قد لجت من حطير المسلمين ، وقد كانت مواقف البطون القرشية متباينة في الخروج

(١) المصدر السابق، ١٧٩/٢

(٢) المصدر السابق ١٨٠ / ٢

هو هشام: لم يخرج وعيم المعارضة من بني هاشم وهو "أبو لهب" فجاءت إليه قريش فطلبت منه أن يخرج أو يبحث أحداً مكانه حتى لا يشجع بتصرفه أحداً من قومه، إلا أن أباه لهب رفض كلا الأمرين

وبعد ذلك جده أبي جهل وقتل له: والده ما خرجت إلا غضباً لدينت وعين أبائك فلم يتكلم أبو لهب بشيء، وحشيت قريش أن يسلم أبو لهب^(١) وتذكر الروايات أن أباه لهب أخرج مكانه العاص بن هشام، والظاهر أن ذلك قد تم أمام ضغط قريش عليه ومطالبته بالخروج.

وامتناع أبو لهب يمكن رده إلى هاملي. الأول حمية لأبي أخيه حيث لا يرغب مواجهته بالسيف والثاني وكما نذكره بعض الروايات من أنه كان من رياء وهذا هو الأرجح.

أما بقية بني هاشم فيظهر أنهم لم يكونوا راغبين في الخروج، ومن خرج منهم أظهر التباطؤ حتى أن قريشاً قالت: أن هؤلكم مع محمد^(٢) وهذا الموقف من بني هاشم دفع بعض قريش إلى عدم اصطحابهم إلى ساحة القتال، إلا أن أباه جهل قد ألا تباراً لرايكم ماذا صنعتكم، خلعتم بني هاشم وراءكم فإن ظفر بكم محمد كانوا في ذلك بنجوه، وإن ظفروا بكم محمد أخذوا ثأرهم منكم من قريب أولادكم وأهلككم فلا تدروهم في بغيضكم ومهالككم ولكن أخرجوهم معكم وإن لم يكن عندهم شيء فعادت قريش ومطالبتهم بالخروج مرة ثانية^(٣) ويذكر ابن سعد^(٤) أن بني هاشم كانوا في قبة تحت حراسة حكيمة بن حرام في معركة بدر، وبهذا الموقف أثبتت رابطة النسب أنها ما تزال قوية ضد التشركي

بنو أمية:

كان رعيما بني أمية هم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، ومن هنا لابد من القول أن زعماء الزعامة قد خرجت من بني عبد مناف بمكة، فهي الجاهلية كان لا يسقط لعتبة وشيبة

(١) الرافعي، صفاري ١/٢٢٠.

(٢) الطبري، تاريخ ٤/٤٢٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ١/٩٠.

(٤) المعمر سابق، ١/١٦٠.

رأى، فلما جاء الإسلام وعادوا الرسول لم يعد لهم رأى في مكة^(١) والسبب في ذلك أن عبد مناف قد انقسموا على أنفسهم فكانت نوفلاً وأمياً ضد هاشم والمطلب

أما موقف بني أمية من الخروج إلى بدر، فيظهر أنهم لم يكونوا راضين في القتال ظهر ذلك من قول عتبة لأخيه "أن ابن اختنلية (أبو جهل) رجل مشؤوم، وليس يسه من قرابة محمد ما يسب، عبر أن شعبة خشى عار قريش"^(٢) فأخذته العزة بالإلتم، وحث أحماء على الخروج

وكان رأي عتبة أن يترك محمد بقارع العرب، فإن كان كاذباً كفتهم العرب شأنه وإن كان صادقاً فهو منهم وإلهم^(٣)

وإزاء ذلك قام بعدة محاولات لاقناع قريش بالعدول عن قتال محمد ومنها:

بمسل حكيم بن حرم، ليقتنح أبا جهل بالعودة وأنه سيتحس دم ابن الحنظلي الذي قتل في سرية عبد الله بن جحش، إلا أن أبا جهل رفض ذلك وأخذ يحث ابن الحنظلي حتى يمسح عقه من بني عبد شمس ويحالف محروم، وانهم أبو جهل عتبة بالعصبية ويأنه لا يريد محاربة محمد لأن إبه مع محمد ومحمد ابن عمه وهو يكره قتالهما^(٤)

وبد فشلت وساطة حكيم أظهر عتبة أن الأنصار لا يكفؤهم، وحثهم على العودة وقال لا تقبلوا وجوه أبناءكم التي تضيء هدياء المصاييح، وأن تجعلوهم أنداداً لهذه الوجوه التي كأنها هيون الخيانت^(٥).

وقد دخل عتبة وشبيهه للحرب حمية خوفاً من أن يتهموا، بدليين، ومع دخولهم الحرب إلا أنهم لم يسو عصبيتهم لبني هاشم، وذلك عندما هدد أبو جهل بأن يتنقم منهم بعد عودته فقال له عتبة:

(١) ابن عبد البر، الاستبصار ١٩١/٢ بهامش الإصابة.

(٢) البلاء، نساب الأشراف ٢٩١/١.

(٣) الواقدي، الفاري ٤٢/١.

(٤) الفوار، بكرى، سفيان ٢٢٢/٢.

(٥) سيرة العلية، ٢٩٧/٢.

إن لهم أرحاماً وقرباً غريبة^(١)

مطروم:

كان أبو جهل من أشد المتحمسين للخروج، اعتقد أن هذا الخروج نزهة عسكرية يرثا فيها الأسواق وبحر اجزر، ويعرف القيان وتسمع به العرب فتهاجم قريش إلى الأبد^(٢).

وقد دفع أبو جهل حياته لمن يهره هذا، وراى من الله ما رأى عبدالله بن مسعود قبل ليجهز عليه ويطأ على رقبته فقال وخسرة تعمر قلبه، لقد ارتقيت يا رويحي الغم مرتقى صعب وقال أيضاً ما أنت أول عبد قتل سيده، لقد رافقت العصية أبا جهل حتى آخر لحظات حياته، فقد ألف أن يقتله عبد، وثنى لو كان قتله على يد رجل من المطيبين أو الأحلاف^(٣).

زهره:

لم تشترك في القتال، وجاءت عودتهم بسبب الأخس بن الشريق الذي بين لهم أن القافلة قد نجت، وأن محمداً رجل منهم وابن اختهم^(٤). فكانت عصبية المطرولة والمصلحة الذاتية لبني زهره هي السبب في هودتهم شللي: لم يشتركوا في القتال، ولم تشر المصادر إلى سبب عدم اشتراكهم.

جهن:

لم تكن رابعة في القتال، بل خرجت حمية وخوفاً من هدر قريش، فقد جاء أبو جهل إلى أمية بن خلف وفان به 'أنت امرأة' وقال له عفة بن أبي معيط: إنما أنت حارة في أريكه^(٥) ولما سمع ذلك من رجالات قريش خرج للقتال.

(١) نوالدي، المداري، ١١/٦.

(٢) مطيري، تاريخ، ١٨١/٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ٨٨/٢.

(٤) الجندري، أنساب الأشراف، ٩١/٦.

(٥) نوالدي، مقاري، ٨٦/٦.

وما تقدم برى أن هاشماً، خرجت وهي كمارحة للقتال، وأمية هير رغبة فيه، وخاصة عندما ثبت القافلة، أما محزوم فقد كانت من أشد البطون تحملاً في القتال، إلا أن هذا البطى ترك مساحة القتلى يملأ حول أبي جهل ليمنعوه من القتل، بن وفكر بعضهم أن يلبسوه لأمة رجل منهم حتى لا يعرف^(١)، إلا أن سيوف المسلمين تناولته فسقط صريعاً في مساحة الرضى

أما المسلمون فقد خرجوا، يطربون أحد الحسنيين إما الشهادة أو النصر ولا يفكرون بأمر غيرهما وكعادة الجاهليين بدأ القتال بالمبارزة، فخرج نعر من قريش، وخرج ليقابله نعر من الأنصار، إلا أن قريشاً، لم تر فيهم كعوا لها فأرادوا بسى قريشهم، فلما سمع الرسول ذلك، ورأى أن الحارثين من قريش هم من بني أمية بعث إلى بني هاشم وقال لهم: قوموا فقاتلوا، بعثكم الله يبعث الله به بيكم فخرج حمراء وعلي وعبيده بن الحارث، وأردد الرسول من ذلك أن تكون الشوكة لبني عمه وقومه^(٢)، وليدفع إلى مساحة القتال أقرب الناس إليه رحماً.

ومن أخرج أن الرسول ﷺ بعد اشتداد المعركة لم يكن رغبة في قتل عمه العباس لأنه صرح لقتال مكرهاً، ثم أن الرسول أراد أن يكافئ كل من قدم له المساعدة وهو في قريش من أمثال هؤلاء الذي قاموا بقتل الصحيفة فلما سمع أبو حذيفة بن عتبة قال أنقتل أباءه وأباده وأخواته وحشائرا وترك العباس، وأقله لئن لقيته لأخمنه بالسيف، ولما عوتب أبو حذيفة في ذلك قال أن سبه ما كان من رايته لأبيه وعمه وأخيه وقد قتلوا جميعاً^(٣).

وفي بدر ظهر تبين في الموقف بين قوى الكفر وقوى الإيمان، فقوى الكفر كانت مختلفة في الهدف والغاية، وقوى الإيمان كانت مؤلفة متحدة فكان أن نصبت العقيدة على العصبية.

(١) المصدر السابق، ٦٨/١

(٢) ابن سعد، طبقات، ١/١٠٠-١١٠

(٣) المصدر السابق ١/١٠٠-١١٠

في بدر انكسرت شوكة المشركين ، فكانت هذه المعركة مقسمة وحيدة شبه الجزيرة العربية تحت راية الاسلام ، ومقسمة لا نشأ مسراطورية اسلامية مترامية الأطراف^(١).

تجلت روح العقيدة في بدر ، فالمسلم لا يقاتل حماية لقومه ، ولا لكي يسمع الناس ببطونه ، بل يقاتل ليبرع كلمة الله ، ويحقق نصر الاسلام ، في بدر حدث لأول مرة في تاريخ الجزيرة العربية أن يقتل الابن اياه ، أو أن يهزم لأب يقتل ابنه

لقد قتل أبو عبيدة أبيه ، والرييس بن العوام قتل عمه نوفل بن حنظل بن أسد الطيبيين^(٢) . وبذلك تم بعد الرابطة النسب ما كان لها في الجاهلية ، وأصبح المسلم يحامي عن أخيه المسلم دون أن يجمعهم نسب واحد ، بل يدفع عنه رابطة العقيدة والإيمان التي تجمع بينهم

إن الإسلام لا يعترف ولا بالمسلم ، والمسلم لا يهرب في الله شيئاً ولا يؤخذه في الحق قرينة ولا قبيلة . قال تعالى ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾^(٣)

بهذا العمل الرائع تحققت النصر للمسلمين ، فكانت معركة بدر أول تحرر للإنسان العربي من قيود العصبية القبلية الضيقة .

ومع قوة الانتماء بين المسلمين إلا أن بعض الاختلافات في وجهات النظر قد ظهرت في مواقف المهاجرين والأنصار في قضية الأسرى .

فالأنصار وهي مقدمتهم سعد بن معاذ أظهروا الكراهية عندما قتل الرسول من قتل مشركاً سببه ومن أحد أسير أهونه . ولما سأل الرسول سعداً عن ذلك أجاب : إنها أول وقعة أوقعتها لله بالمشركين فكان الأثمن في القتل أصعب من استبقاء الرجال^(٤) .

أما ابن رواحة فكان رأيته في الأسرى إضرام النار بهم^(٥) .

(١) محمد حسين فيقال ، حياة محمد ، ٢٧٩ .

(٢) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ١٢٠ .

(٣) سورة المجادلة الآية ٢٢

(٤) الطبري ، تاريخ ١١٩/٣ .

(٥) الروض الكف ٩٦/٢

وانقسم المهاجرون إلى قسمين الأول يرى قتل الأسرى، وأن يقوم كل رجل بضرب عنق قريبه ومثل هذا الرأي عمر بن الخطاب^(١)

الثاني يرى أن الأسرى هم بنو العلم، ولشيرة ولاخوان ف لإبقاء على حباتهم أفضل من قتلهم، ومثل هذا الرأي أبو بكر وقد أخذ به الرسول ﷺ^(٢)

ولم يكن أبو بكر الوحيد الذي أظهر العطف على الأسرى، فهذه سودة بنت زمعة عندما رأت القيد في يد سهل بن عمرو لم تتمنئ نفسها وقالت: أبائي يزيد بفعل هذا؟ أي أب يريد أهلاً متم كراماً فلما سمعها الرسول قل لها أعني الله ورسوله يا سودة أجبت: والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيته على هذه الحال^(٣)

وظهرت عاطفة القرابة كذلك عند أم سلمة، عندما استأذنت الرسول ﷺ أن يسمح لها باستقبال أبناء عمومتها من مخزوم، فوافق الرسول على ذلك، فذهبت رؤوسهم ولدت شعبهم^(٤) وأحرب الرسول عليه الصلاة والسلام لما سمع أن ابن العباس علم بحرف اليوم ولما علم أن أحد المسلمين قد فك رباطه أمر بعك رباط جميع الأسرى.

كانت معركة بدر شديدة الوحشية على قریش، إلا أنها من ناحية أخرى جعلت من أبي سفيان رعيم قریش دون سائر، بعد أن قتل معظم الرهماء في بدر

لقد أعلی أبو سفيان بأنه لن يقرب النساء ولن يغتسل حتى يأخذ بثأره من الأوس والحزرج وجبير بن مطعم لا يجد كفاً لعمه طعيمه الذي قتل بيتر خير حمزة

وكانت الدوافع الاقتصادية من أهم العوامل التي حركت قریش للتأثر فقد قالت قریش أن محمداً وأصحابه قد هربوا علينا متجرب لما ندري ما نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل وأهل الساحل قد وادعهم ودخل هانتهم معه وقالوا أليسوا أن أقما بمكة أكلنا رؤوس أموالنا، وقد انتقلت الدوافع الثأرية والاقتصادية بتجهيز حملة جديدة فخرجوا إلى أحد.

(١) ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ٢٧-٢٨.

(٢) السيرة النبوية، ١٤٦/٧.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٠٣/٦.

(٤) الواقدي، المغاري، ١١٨/١-١١٩.

ولما علم العباس بأمر قريش أدركته العصبية فأرسل إلى ابن أخيه يعلمه بما
اعتزمت عليه قريش، فاستعد الرسول لذلك وخرج إلى أحد بعد أن استشار أصحابه في
أمر هذا الخروج

وهي أحد كانت معركة ثأرية أكثر منها صراعاً بين خصمين، فقريش تريد الثأر
لقتلها، غير أنها لم تلح شيئاً جديداً فيها وهو أن قريشاً اعتبرت انتصارها هو انتصار
لوثيبتها ولذا كان أبو سفيان ينادي أهل هبل .

وكما اعتبرت الأنصار أن الانتصار في بدر هو انتصار للأوس والخزرج، فقد
اعتبر رجال قريش أن انتصارهم في أحد هو انتصار على أهل المدينة من الأوس
الخزرج^(١)

لقد انتصرت قريش في أحد، ومثلت ببعض المسلمين فلما رأى الرسول ﷺ حمة
حمزة وقد مثل به قال: «لئن ظفري الله بقريش، في موطن من المواطن لأمثلن بسبعين
منهم من قوته تعالى» «وإن عائلتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين»، وصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما
يحكرون^(٢).

وحركت أرواح القرابة عند أبي سفيان. فقد تأسف لأنه مثل بحمزة ثم أخذه
لحمية إجماعية وعاد ليفوز أما إذا كان ذلك لم نكرهه^(٣). وعندما رآه وهيم الأحابيش
وهو يهتف بهم حمزة يرمحه قال له: أكنمها علي فهاولة^(٤).

والرسول ﷺ في تعامله مع قريش اتبع خطتين، الأولى وهي القوة، والثانية
إظهار الرفق معهم لعل الله يهديهم إلى الإسلام

فعندما قطع لعامة بني أمية الخلفي المخطئة عن قريش، كتبت قريش إلى الرسول
إليك فأمر بصلته أرحم وأنت قد قطعت أرحامنا فكتب الرسول إلى لعامة يطلب أن

(١) ابن هشيم، السيرة ١٣٦/٢-١٣٧.

(٢) سورة نصر ١٢٦-١٢٧.

(٣) الواقدي، المغرر، ٢٩٧/١.

(٤) الأصبهاني، الأعلام، ١٦/١٤ (بورد).

يحلي بين قريش وبين ميرتهم^(١) وفي السنة الخامسة للهجرة أصبحت قريش بمحط هارسل إلى بعض رعايلهم سوى من ذهب فقبلها أبو سعيان، ورفضه سهيل بن عمرو وصفاوا من أمة^(٢)

كان الرسول يسعى م وسعه، ليجهد إلى فك عقد تكلف قريش المجتمع على حربه ومناخضة الإسلام، فما أن قتل هشام بن الوليد «بخزومي أبي أريهر الدوسي» وكان هذا في جو ر أبي سعيان، حتى أمر حسان بن ثابت أن يحرض بني عبد شمس على أخذ ثأرهم من محروم، فحرك شمره حمية يريد بن أبي سفيان هادي بحلف المطيبين، وعقد لواء وسار إلى بني محزوم، فلما علم أبو سفيان أسرع إلى بنه محمداً إياه من ضرب قريش بعضهم بعضاً من أجل رجل من الأزد، وقال به أن في فرقنا قوة لمحمد، وبأدى بأعلى صورته أيها الناس إن خلفنا عدد شامت (محمد) وحتى يفرغ ما بيننا ننظر فيما بيننا ويحكم علينا صرف كل نسان إلى مرله فتفرقوا^(٣).

ومع انحصار قريش في أحد، فقد ظهر لها أن المسلمين قد أصبحوا قوة لها شأنها وأنه لم يعد في استطاعتهم مواجهة المسلمين وحدها، وقد ثبت ذلك عندما انحطقت قريش وعددها بالخروج إلى المدينة في العام الثاني لأحد، وبرزت عدم اقترانهم بسبب الجلباب ولا يصلح لهم إلا عام حشب^(٤).

وجدت قريش متمسكة لها بالحركة التجميعية التي قام بها اليهود، فساروا مع الأحراب، إلا أن محاولتهم هذه لم يكتسب لها النجاح، وكانت النتيجة أن رد المسلمون قوة بعد أن طهروا جيياً من جيوب اليهود، وعندما شعر المسلمون بأنهم قد انتقلوا من الدفاع إلى الهجوم، وأعلن ذلك الرسول عدم قال الآن معزوم ولا يفرو.

حاول الرسول أن يكون احتكاكه بقريش سلمياً بعد الأحراب، فخرج فاصداً بهارة البيت الحرام، وما أن علمت قريش بذلك حتى أخذت تستعد لمحاربة المسلمين من دخول مكة، وحاول الرسول أن يتجنب القتال، وخرج من طريق غير طريقهم وقال لا تدعوني قريش أبزم إلى حطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياه^(٥)

(١) الدوار بكري، المقيس ٤٢/٢.

(٢) ابن شد بن الربيع، السند والطلب ٦.

(٣) ابن جرير، سب قريش ٢٢٢، ابن حبيب، الملق في أخبار قريش، ٢٤٠-٢٤١.

(٤) السيرة النبوية ٨٨١/٢.

(٥) ابن هشام، السيرة ٢٦٠/٦.

وعندما وصل المسلمون إلى الحديبية أراد الرسول أن يرسل عمر إلى مكة ليتفاوض مع أهلها، إلا أن عمر غشي قريشاً، وأشار بعثمان لأنه أعز منه عشيرة. بعثه الرسول فكان له حمى ومعة من بني أمية^(١). ولم أن أشيع أن عثمان قد قتل حتى يبيع المسلمون الرسول ببيعة الرضوان. أما قريش فقد أرسلت عروة بن مسعود الثقفي يبعده عن المسلمين، فجاء عروة وأخذ يضرب على أنعام القرابة والقربى وقال: لقد جمعت أوباش الناس ثم سرت بهم إلى عثرتك وبيعتك، التي تفلقت عنك لتبيد خضرهم^(٢). وفي موضع آخر قال: أرأيت أن استأصبت قومك فهل سمعت بأحد من الحرب يستأصع أصلاً قبلك. فوالله إنني لأرى وجوهاً وأوشاباً حلقاً أن ينفروا ويدهوك^(٣).

ولما أصر المسلمون على موقفهم انتقل عروة إلى التهديد وقال: لقد جئت من عند كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد لبسوا جلود الممر عبد، أعود المطاليل بفسمون بالله لا تعرض لهم خطة إلا عرضوا لك أمر منها^(٤).

تراجعت قريش من موقفها، فلتصيب بعد أن رأت حسن تنظيم المسلمين وطاعتهم، فرأت أن من خير لها أن تعقد اتفاقاً مع المسلمين على أن لا يدخل عليهم الرسول عتوة هذا العام، فوافق المسلمون على ذلك وكان صلح الحديبية.

وحقق الرسول الأهداف التالية من هذا الصلح:

- استطاع أن يتزع قريشاً من القبائل التي كانت تتعاطف معها، وأول هذه القبائل الأحباش، حيث غضب قائلهم على عبد المسلمين عن زيارة البيت الحرام وقال: يا محشر قريش والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا، عاقبتناكم، وإنني نفس الحليس بيده لأحتل بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفر الأحباش مرة رجل واحد، وظهرت قوة الأحباش عندما منعوا قريشاً من حرق الجمن الذي

(١) شهر بكري، جمادى ٢٢/٢ دائرة المعارف الإسلامية المجلد، ٣/٥٨٨.

(٢) أبو يوسف الفراء، ٢٣.

(٣) الطبري، تاريخ ٢/٦٢٦.

(٤) أبو يوسف الفراء، ١٣٠.

جاء عليه عثمان وكان هذا الجمل لجوهر بن أمية الخراساني^(١)

- اعترفت قريش بقوة المسلمين ، وبأنهم أصبحوا متساويين عرفاً وشرعاً .
- أيقنت قريش بعد الحديبية أنه لم يعد بإمكانها مواجهة المسلمين علناً فأخذت تعمل من وراء ستار ، فساهدت بعد هذا الصلح قبيلة بكر حليفها على غرامة حليفة المسلمين
- تعيرت بفترة القرشيين للمسلمين بعد الحديبية ، وحصل انقسام فيما بينهم ونظموا ذلك عندما قدم الرسول بحزو أقوى مراكز المقاومة في الحجاز وهي حيسر لقسم منهم وعلى رأسه صفوان بن أمية كان يقول : لا يفلت محمد من حيسر وأينما في ذلك حاس من مردس السلمي . وقسم منهم أكد نصر محمد ونزع هذا الجانب حويطب بن عبد العزى ، وثران القوم عن مائة بعير ، فأظهر أبو سفيان خوفه من عدم انتصار محمد ، فقال له صفوان بن أمية : أدر كنتم لثأفة فأخفى أبو سفيان مشاعره^(٢) .

ولما دخل المسلمون مكة في صام العشرة كاد الشر أن يقع بين قريش وسعد بن عباد ، فقد أراد الرسول أن يتقرب إلى قريش ويدعوهم إلى طعام عده إلا أن قريشاً قالت انخرج عنا من أرضنا ، فغضب سعد بن عباد وقال : كذبتم بأرضكم ولا أرض أبائكم والله لا يبرح منها إلا هذا لأرضياً ، فحشي الرسول حدوث فتنة وتيسم وقال : لا تؤذ قوماً زاروا في رحالنا ثم أمر بالرحيل^(٣)

لقد حشي الرسول ﷺ من حدوث مراح بين المسلمين وقريش وخاصة ما بين الأنصار وقريش ، فقد كان عبدالله بن رواحة يطوف حول الكعبة ويقول :

خلوا بيني بالكعبة من سبيله خلوا فكل القسوس مع رسول الله
لحن قسوسكم على ثوبه كسما قسوسكم على ثوبه

(١) البزار بغيره: التقيي ٢١/٢ .

(٢) لؤدي: القدي ٧٢/٢ .

(٣) السيرة العظمى ٧٨٢/٢ .

فقال عمر أيها ابن رواحة، فسمع الرسول ذلك وقال يا عمراني اسمع وقال لابن رواحة أيها ابن رواحة قل لا إله إلا الله وحده، نصر عبده وأمر بجنبه وهرم الأحراب وحده^(١).

فتح مكة

بعد أن غرقت قريش سود صلح الحديبية، تجهز الرسول لفتح مكة، فخرج ومعه عشرة آلاف من قبائل سليم ومكة وغفار وأشجع وجهينة والمهاجرين والأنصار، وقد اتبع الرسول السرية الثمة في أمر خروجه والجهة التي يري الذهاب إليها.

وعندما وصل الرسول مر بظهران لقيه العباس، ولما تحقق أنه ذاهب إلى مكة أخذته الحمية وقال: والله ولئن بنتها رسول الله في بلادها مدخن مكة حنوة إنه بهلاك قريش حتى أمر الدهر^(٢). فأخذ يبحث عن رجل يوصل الخبر إلى قريش فصادف أن طهر أبو سفيان، فأخبره العباس بقوة المسلمين، وهي لحظة اليأس لم يدر أبو سفيان ما سيفعل، فتدخل لدى العباس حتى يأخذ له الأمان من الرسول وفي طريقه إليه نقيه عمر بن الخطاب فقال: الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد ولا عقد، وأرد أن يضرب عنقه، فدفن العباس والله لو كن من رجال بني عدي ما قلت هذا ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف^(٣).

إن ما فهم الجاهلية والعصبية كانت ملازمة للعباس وهو لم يعلم بعد أن عمر بن الخطاب قد أصبح في حال يغير حال الجاهلية، وأنه لا تؤخذ في الله لومة لائم وبذلك قال للعباس: فوالله لأسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب^(٤).

أما أبو سفيان، وعيم قريش فقد استهجن أن يصدر هذا القول من عمر فقال والله لقد أمر بني عدي بعدي، والله لقد دله^(٥).

(١) ابن سعد الطبقات ١٢١/٢-١٢٢.

(٢) ابن حزم، جوامع المسير، ٢٢٩.

(٣) القاسمي، شفا القلوب، ١١٥/٢.

(٤) ابن حزم، جوامع المسير، ٢٢٩.

(٥) الواقدي، الثقات، ٢٢٦/٢.

واتبع الرسول ﷺ مع أبي سفيان الحرب النفيسة، فأمر القبائل بجر من إمامه، فدهش أبو سفيان من ذلك لا سيما بعد أن رأى قبيلة أشجع وقد دخلت الإسلام وكانت قبل ذلك من أشد المتأولين للمسلمين^(١) فأسرع إلى مكة ليعلن لقريش أن لا طاقة لهم بقتال المسلمين.

ولما دحس المسلمون مكة سمع أبو سفيان أن سعد بن عبيدة يقول: 'اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أدل الله قريشاً'. ففرع من ذلك وأسرع إلى الرسول وقال له: 'هل أمرت بقتل قومك، إن سعداً وقومه حين مروا بأرعموا أنهم قاتليها، أنشدك الله في قومك، فأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم قطعاًه الرسول وقال له: 'اليوم يوم الرحمة أهر الله فيه قريشاً. وأرسل إلى سعد فأخذ الراية منه ودفعها لابنه قيس، إلا أن سعداً غشي أن يسكر الرسول من إبه شيئاً واعتذر عن حمل الراية. فأجابه الرسول إلى طلبه.

ولعل أحد البرية هو الذي حرك مشاهير بعض الأنصار، وقالوا: أما الرجل فأدركته رغبة في قومه ورأفة في عشيرته^(٢) وما أن سمع الرسول ذلك حتى جمع الأنصار وقال لهم: قتلتم كذا وكذا، كلاً بي عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإيكم فاللهيا محباكم والمعات مائتكم^(٣)

وما كان عمل الرسول هذا، تعصياً لقومه، وإنما أراد أن يحقق «بدماء» وأن يخفف من الحقد الذي كان في قلوب قريش والأنصار وقد صور هذا الحقد ضرار بن الخطيب بقوله.

عزجي لو يستطيع من الفسيف
بمسائل بالفسيف والفسيف^(٤)

ويأثرهم من المعاملة الحسنة التي تلقيتها قريش من الرسول، إلا أن حصبية التخليد والحسد بقيت ملازمة لبعضهم

(١) سيرة النخبة، ٢/١٧٢

(٢) البلاء، شرح البلاء ٥٠

(٣) البلاء، شرح البلاء ٥٠

(٤) الراس، ١٧١/٢

لقد هال قريش أن ترى بلالا يؤذن على ظهر الكعبة، وشعرت بأن تقاليد الآباء والأجداد قد احترقت فقامت. يا عبد الله لهذا بلعبه الأسود أن يؤذن على ظهر الكعبة، وقالت جويرية بنت أبي جهل: 'قد نصري رفع لك ذكرك، أما الصلابة فنصلي، ووالله ما نحب من قتل الأحبة'

وقال خالد بن أسيد الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمح بهذا اليوم وكان أسيد قد مات قبل الفتح بيوم أحد

وقال الحارث بن هشام وإكليل يشي مت قبل أن اسمع بلالا يهتف فوق الكعبة وقال احكم بين العاصي، هدد والله، لحث أهل أن يصيح عبد بني جميع يهتف على بيت أبي طلحة أما سهيل بن عمرو فقال: إن كان هذا سجعاً فسيميره الله أما أبو سفيان فقد التزم الصمت وقال: لو قلت لأخبرته هذه العصابة^(١).

وعلى أية حال فقد اعتبرت قريش انصار الرسول هو انتصار لهم، وعزته حرة لهم، فمضت حرب عبد الله بن الربيعي إلى نجران فذكر بالأمر وقال: على أي شيء أقيم مع بني الحارث بن كعب، وأترك ابن عمي، وحير الناس وأبرهم، ومع قومي ودري، فراجع إلى مكة وأعلن إسلامه^(٢) وأثنى عمير بن وهب صفوان بن أمية وقال له: عزه حرك، وشره شرفك، وملكك ملكك، فسمع صفوان منه، وعاد إلى مكة وأسلم بعد مرور فترة قصيرة^(٣)

لقد ظهر تماثل قريش مع المسلمين عندما خرج مسلمهم وكفرهم للفتنة مع الرسول ﷺ في حنين، بل بعضهم قدم أذعة إلى المسلمين على أن تكون حرة مضمونة^(٤).

وفي حين ظهرت عصبية قريش للرسول، وذلك عندما جاء كندة بن أمية وهو أخو صفوان بن أمية لأمه، وشره بهيمة المسلمين فقال له صفوان: أتشرني بظهور لأعراب^(٥)

(١) انظر هذه الأقوال في أسباب الاشراف ٥٦/١ أخبار مكة ١٨٤/١، هنا بخرام ١٥٨/٢

(٢) الواقدي، للفايزي ٨٤٨/٢

(٣) لطيفي، تاريخ ٦٢/٣

(٤) انصار السابق ٧٤/٣.

(٥) لسيرة المدينة ٧٠/٣

وهي روية أخرى أن رباحاً قریش، أحب إلى من رب من هوازن، ولش يريبي
رجس من قریش أحب إلى من أن يريبي رجل من هوازن^(١).

ونظراً لقرب الناس بالحاهلية فقد أراد أساس أن يأنفب قلوب بعض الزعماء من
العالم، وكاد هذا الأمر يفسد بعض القنوب، لقد أراد الرسول أن يبتذل قلوب من
أسلم حديثاً، أو من لم يسلم بعد، لأن في هذا المعطاء استحلاب لقلوب^(٢) الرزسم
الدين اذا عضوا غصبت لهم عشارهم وادا رضوا رضوا لرضاهم واد أسلم هؤلاء لم
يتخف عنهم أحد^(٣). وإزاء ذلك شعر الأنصار بأن الرسول قد أخذ يحايي قومه فقال
شباب الأنصار ان هذه لعجب يعطي قریشا وسبوا تغفر من ذنائبهم، وقالوا أيضا
اد كانت أشدة سعى انبياء، ويعطي العنبة غيرنا^(٤).

وقالت أيضا أثر قومه عينا، وقسم لسا سم باسمه لنا، وما براء فعل هذا الا وهو
يريد الاقامة بين أظهرهم^(٥).

هذه الأقوال دفعت شيوخ الأنصار ان يمشوا الرسول بالأمر، فجاء اليه سعد بن
عبادة وقال له ان هذا الخي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ما صحت في هذا
القيء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطفا عظيما في قبائل العرب، ولم
يك في هذا الخي من الأنصار بها شيء عطلب منه أن يجمع الأنصار فجمعهم سعد
فأتهم الرسول محمد الله وأثنى عليه وقال يا معشر الأنصار مغالة بلعني عكم،
وجدة وجدقوها عن في أنفسكم؟ وأخذ الرسول يبين فضل الاسلام على الأنصار،
وما قدمه الأنصار من أجل الاسلام، وبين أن ما أعطاه لميرهم هو من أجل تأييدهم
للالسلام، وقال في آخر حديثه. هو الذي عسي بيده، لولا الهجرة لكنت امرأ من
الأنصار ولو سلك الناس شعبا، وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار، بل
اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وباءه أبناء الأنصار فيكى القوم^(٦)

(١) مؤلفي، مداري ٨٩٥/٢

(٢) المصدر السابق ٨٩٥/٢

(٣) زاد الليد ١٩٢/٢، ١٩٣.

(٤) جامع الأصول، ٣٧/٨.

(٥) الأصطفي، الاثافي ٢٣١/١٣

(٦) ابن هشام، السيرة ١٥٩/٧، بهش القرش (طبعة ١٩٧٦).

ولم تكن الانصار وحدها التي احتجبت عن غنائم حنين، بل قام ذو الحويصر
 والميممي وقال: لم أرك قد عدلت؟ فعضب الرسول منه وقال: ويحك اذا لم يكن العدل
 عندي فعدت من يكون؟^(١)

وهكذا نرى أن البعض قد اعتقد في توزيع غنائم حنين محاباة لقريش ولم يدركوا
 الهدف الأبعد الذي كان يريد الرسول ﷺ من وراء ذلك إلا بعد حين

أما القبائل العربية، الأخرى فبعد أن هاجر الرسول إلى المدينة، أراد أن يرتبط مع
 القبائل المجاورة منها برابط المواطنة لا سيما الواقعة على الطريق التجاري المؤدي إلى
 الشام ومن هذه القبائل حراصة وبني ضمره وبني مدلج أم القبائل التي اتخذت
 جانب العداء فقد كان هناك السرعة والمفاجأة والرد عليها، بل هو الطابع المميز لحركات
 الرسول في غزواته وسراياه.

قام الرسول بعد بدر بتوجيه ضربات سريعة إلى قبائل سليم وعطفان بعد أن هلم
 بمحاولتيها فروا مسلمين فأثر ذلك الفزع في نفوسهم

ولما هجرت بعض القبائل عن مواجهة الرسول المعلقة جاءت إلى دروب الحليل
 والعنبر فقد جاءت هضيل والقارة وطلعت من الرسول أن يبحث معهم نمر يعلمهم
 لاسلام فبحث معهم ستة أنفار وما أن وصلوا ماء سرجيع وهو ماء لهذين حتى
 غدروا بهم واستصرحوا عليهم بني خيكان من هذين فقتل بعضهم وأرسل أحدهم إلى
 مكة ليقتص منه أهلها^(٢).

وتكررت هذه الحادثة عندما قدم أبو براء عامر بن مالك ملاعب الاسمه وطلب
 رجلا إلى أهل نجد يعلمونهم الاسلام، فوافق الرسول بعد أن تعهد أبو براء بحوارهم،
 ولما وصلوا بشر معونه خمرت بنو عامر جوار أبي براء وجاءت سليم حتى تأخذ بثأرها
 من المسلمين وفي هذه الواقعة لم ينج إلا عمرو بن أمية الضمري الذي أطلق سراجه عامر
 بن الطفيل لأنه مضري^(٣)

(١) المصدر السابق.

(٢) الديري، تاريخ ٥١٢/٢

(٣) المصدر السابق ٥١٧، ٥٤٦/٢.

وأمام حوادث العدد هذه أراد الرسول أن يضع حداً لها، لا سيما وأن التقاليد القبلية لا زالت تسمح بأخذ الثأر فقام يعزى بن خيسان^(١)، ثم اتجه إلى نجد يريد بني محارب بن ثعلبة من غطفان وذلك في غزوة ذات الرقاع^(٢).

لقد كان موقف القبائل يخضع لعامل المصالح الذاتية فإذا رأت القبيلة أن في محاربتها للمسلمين مصلحة تحفظها سم تتوان عن ذلك. وكما حدث في غزوة الأحزاب عندما أقبلت غطفان وسليم وأسد وغيرها إلى المدينة. وكما أبطلت اليهودي والأعرابي^(٣) عن الرسول عندما حرج إلى مكة في أول مرة. بل وشك بعضهم في قدرة المسلمين وقالوا: ما محمد وأصحابه إلا أكلة جروء، لن يرجع من سفره هذا أبداً^(٤).

ومن أشد القبائل عدواة للمسلمين كانت غطفان التي اشتركت مع الأحزاب وحاولت مساعدة يهود خيبر، ومن القبائل التي أظهرت عدوانتها قبيلة ثقيف وذلك بعد فتح مكة فتأزرت هوازن وثقيف على مهاجمة الرسول قبل أن يبدأ بمهاجمتهم غير أن حلفهم قد هزم في حنين، فأسلمت هوازن وامتثلت ثقيف داخل حصون الطائف لم هادت وأعلنت إسلامها بعد أن رأت أن لا طاقة لها بمقاتلة العرب.

لقد كان انتصار الرسول على قريش هو انتصار على القبائل الأخرى، لقد وفقت قوة قريش حاجزاً مادياً أمام انتشار الإسلام لما أن نهاوت حتى غلبت صفات العرب^(٥).

بعث الرسول بعد فتح مكة حملات إلى قضاعة ويلي وعلوة وجهينه وأحبط محاولة رفاعة بن قيس شجيع القبائل القيسية لمحاربتهم، كما بعث بكتب إلى القبائل الأخرى يدعوها إلى الإسلام أو الحرب.

وكما كانت العصبية القبلية وعصبية التقاليد سبباً في هدم قبول القبائل بدعوة الرسول، فقد كانت هذه سبباً لمواصلتهم لمقاومة الدعوة الإسلامية. وقد ظهر ذلك على لسان بعض زعمائهم ومنهم:

- (١) بن هشام، السيرة ٢/٢٩٠.
- (٢) الطبري تاريخ ٢/٥٥٥.
- (٣) بن هشام، السيرة ٢/٨٧٩.
- (٤) الواقدي الفائق ٢/٧٤١، ص ٧٥٥.
- (٥) ابن حبيب، المنقذ في اختصار قريش ٩.

الأقرب بين حبابس التميمي جاء إلى الرسول يوماً وقال له: إنا نابعك سراقة الخبيث من أسلم وفقار ومريئة وجهينة، ولما أحبره الرسول بأنهم أفضل من نبيهم قال حبابوا وخسروا، ومضت أن يكون في النار مع قومهم على أن يكون مع هؤلاء في الجنة^(١).

وقد كان الرسول ﷺ يداري الأقرب خوفاً من أن يفسد عليه خلقاً كثيراً^(٢).

عامر بن الطفيل لما قيل له أسلم فإن الناس قد أسلموا أجاب: والله لقد كنت ألا انتهى حتى تسبع العرب عتي، فأتبع أنا عقب هذا العتي من قرش^(٣) وتقدم يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون له الوبر وللرسول للمر فلما رفض الرسول ذلك هذبه قائلاً: لأملأنها عليك خيلاً ورجلاً^(٤).

عبيدة بن حصن الغزاري: لم تطعم نفسه للإسلام لأنه لا يرى أن يكون تبعاً لغيره، كما أن أسلمين - وحسب رأيه - يزرون من جاء بغيرهم؛ ولا مكانة إلا لمن شهد بدراً وغيرها من الوقائع الأولى^(٥) وحسبه هذا دفعه للتخالف مع كل مساوي للمسلمين فقد اشترك في الأحزاب لأجل عمر المدينة، واشترك في حصار ثقيف من أجل الحصول على حامية عليها تدد له رجلاً لأن ثقيف قوم متكبر^(٦).

ولمست عصبية التقاليد دوراً في صد البعض عن الإسلام، فقد جاء قيس بن شراحيل الجعفي ومعه مسلمة بن يزيد إلى الرسول حتى يسلموا فسألا عن أمهم التي وأدت بنتاً في الحاهلية قبل الرسول هي في النار، فقاما مطهيين. فناداهم الرسول ﷺ وقال لهما أمة مع أمكما، فأبيا ومضيا وهما يقولان: والله إن رجلاً اعطمت القلب (وكانوا يحرمون القلب في الجاهلية) ورعهم أن أسأ في النار لأهل أن لا يتبع^(٧).

(١) جامع الأصول ١/ ١٣٥.

(٢) التوش ١٨٧/٢، ١٨٨.

(٣) الأصبهاني، الألفاني ٢٠٤/١٥ (سيرت).

(٤) ابن هشام، السيرة ٥٦٨/٢.

(٥) الرازي، دلفاري، ٢٢٩/٢، ٧٣٠.

(٦) ابن الأثير، الكامل ١١١/٢.

(٧) ابن سعد، الطبقات ٢٢٤/١، ٢٢٥.

استطاع الرسول بحسن معاملته لهؤلاء الرهماء أن يكسب إسلامهم وإسلام قبائلهم معهم. فعلمت بن خوف يقول قبل حين. أن محمدا لم يقاتل قط قبل هذه المرة، وإذا كان يلقي أقواما أعجازا لا خدم لهم بالحرب، لكن هذا الموقف تغير بعد أن أعطاه الرسول مائة باقة، فقل الرسول ﷺ. ما إن رأيت ولا سمعت بها أرى في الناس كلهم مثل محمد^(١).

وكانت معاملته لأحد عدي بن حاتم الطائي سببا في عودة عدي وإعلان إسلامه ورفق بحسن المعاملة أن الرسول أصبح يملك من القوة العسكرية ما جعلها تحطم أكبر التجمعات القبلية التي شهدتها الجزيرة العربية فأصبح كل مخالف له أو خدرج عليه ضحيما هدم التأثير^(٢).

وارتبط الرسول أيضا مع عدد من القبائل برابط المصاهرة مثل خزاعة وكنانة وسليم وكنانة وكناب^(٣).

وبحسن المعاملة وحرف القبائل قبلت هذه القبائل تعلى إسلامها حتى أن السنة التاسعة من الهجرة سميت بعام الوفود.

وواقع أن ورود القبائل قد بدأت منذ السنة الخامسة للهجرة، فكان أول من وفد منها وفد نصر من مريه فجعل الرسول الهجرة لهم في دارهم، ثم وفد سعد بن بكر بركة ضمام بن ثعلبة^(٤) ووفد سليم الذي اشترط أن يكون لوالدهم أحمرًا ومقدمًا وقد شهدوا فتح مكة وحيا وهم في مقدمة القبائل^(٥).

ومن القبائل التي قدمت سنة ٩ هـ ربهط من بني أسد، وقد أخذ هؤلاء يبتون بإسلامهم على الرسول وقالوا: أتيك نتدع اليبس الهيم في سنة شهباء ولم تبعث لنا بعثا فنزل قوله تعالى «يؤمن عليك أن أسلموا قل لا آمنوا على إسلامكم»^(٦) وكان مع بني

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب ٣/ ٢٨٠ بهمش الاصابة

(٢) أنبؤك، الدعوة إلى الإسلام، ٥٩.

(٣) ابن حبيب المصير ٨٠، ٩٨.

(٤) ابن هشام، أسيرة ١/ ٥٧٣

(٥) ابن سعد، الطبقات ٢/ ٣٠٨.

(٦) سورة الممتحنة ١٧

أسد قوم من بني نضير فغير اسمهم إلى بني الرشيدة، ولا أنهم رفقوا وقلوا: لا يكون مثل بني محولة يعنون بنو عبد الله من غطفان الذين قبلوا بتغيير اسمهم^(١)

وجاء وفد قيس وهو يحسن تقاليد الحاضرة فطلب جلاء مفاجرة بين شاعرهم وخطيبهم وشاعر الأنصار وخطيبهم فأسلموا بعد أن تعوق عديهم شاعر النصارى وخطيبهم^(٢) وقدم وفد من بني نزار عديهم خارجة بن حصن فشكروا جند بلادهم فدها بهم الرسول بلطر فأمرت السماء وقدم بنو مره وعليهم الحارث بن عوف^(٣).

وجاء وفد بني عامر وفاووس رئيسه عامر بن الطفيل أن يكون له الوير والرسول المنع، فقد له الرسول بن اجعل لك أمة الخيل، فرفض عامر ذلك وهدد الرسول بأنه سيملأها عليه حيلًا ورجالًا، ثم عاد الوفاء مرة ثانية وأهل إسلامهم^(٤) وتكتبت وفود فقيف، ويكر بن وايل، وتعلب، وحنيسه، واليسمن، والأزد، وطية، وكناب، ومالحج، وكندة وكان وفد الخيم هو آخر لفود ودست سنة ١١ هـ

وحتى تكمل وحدة الجزيرة العربية بحث إلى القبائل التي لم ترسل وفودا عنها يحبرهم بين الإسلام أو الحرب، فبحث هذه القبائل ضد وبين عهد كجدام وأهل جرش وبعد هذا الاستمرار في مراحل الدعوة الإسلامية هل استطاع الإسلام أن يفضي على المعصية القبية؟

من خلال الحوادث التاريخية، يرى أن الإسلام وبالرغم من فروق آيات تنهى عن المعصية، وأحاديث عدة تنذرها، إلا أنه لم يستطع القضاء عليها، أو أن يستأصلها من نفوس العرب، ركن ما فعله للإسلام هو التحفيف من شدة وعظمتها وإلى حين.

وكانت المعصية تظهر بين فترة وأخرى في حياة الرسول، فظهرت بين الأوس والخزرج، وظهرت بين المهاجرين والأنصار - عدة مرات، فيوم فتح مكة، على بعض الأنصار أن الرسول سيهود إلى قومه، ويوم حين، اعتبروا عدة مؤلفة قلوبهم بأنه

(١) ابن سعد الطبقات ١/٢٩٢

(٢) الاستيعاب ١/٣٤٢ = ٣٤٣ بعض النسخة

(٣) ابن سعد، الطبقات ١/٢٩٧. ٢٩٨

(٤) المصدر السابق ١/٣١٠

عصية تقومه ، وعندما بعث علي بن أبي طالب مالا من اليمن وقسمه الرسول بين عبيده بن حصن وعلمفه بن علاثة والأفرع بن حبس ، وزيد الخليل الطائي ، غضبت الأنصار ، وغضبت معهم قريش وقالوا : يعطى صاهد أهل نجد ويدعنا^(١) .

قد ضرب الرسول ﷺ المثل بالأعلى بعدم محبة بني هاشم فلم يؤثرهم علي من هو أفضل منهم ولم يول أحدا منهم إلا بما هو أهل له^(٢) .

وشأ بجانب العصبية القبلية عصبية السبق إلى الإسلام فالمسلمون الأوائل كانوا في بداية الأمر لا يقدحون أبدا سعياء ، فطلب أبو سفيان من الرسول أن يؤمره علي قتال الكفار حتى يكون له أثر في الإسلام^(٣) .

ومر أبو سفيان يوما علي مجلس فيه بلال وصهيب وسلمان فقالوا : ما أخذت سيوف الله من حق حذر الله فأخذها بعد ، فسمعهم أبو بكر فقال لهم اتقولون هذا لشيخ قريش وسيد . وانطلق أبو بكر وأخبر النبي بذلك فقال له : لعلك أخصبتهم أتى كنت أخصبتهم فقد أغضبت ربك ، فعد أبو بكر مسرعا إليهم يعتذر عما حصل منه^(٤) .

وعكرمه بن أبي جهل كان كلما مر علي مجلس من مجالس الأنصار قالوا : هذا من أبي جهل فيسيوه ، فعاد إلى النبي وشكاه ذلك فقال عليه الصلاة والسلام : لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات^(٥) .

وعصبية السبق في الإسلام لم تبلغ في شدتها حدود العصبية القبلية التي أخذت تظهر في أواخر حياة الرسول ﷺ . وقد ظهرت هذه العصبية على صورة متبئين ومن هؤلاء :

مسندة الكذاب في بني حيفة ، الذي أرسل إلى الرسول ﷺ . يعلن أنه قد أشرك في الأمر معه ، ويذكر أن نصف الأرض لقريش ، والنصف الآخر لحيفة ، فبعث

(١) الشامي، تاريخ الإسلام ٢٢٢/١ .

(٢) انظر ابن جوامع السير ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

(٣) جامع الأصول ١٠ / ٢٠ .

(٤) البيهقي، أنساب الاشراف ١ / ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

(٥) الزبيدي، سب القريش ٣١١ .

اليه الرسول * ص بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله أنى مسيلمه
الكذب ، السلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين^(١)

والأسود العسي الذي تسليح بمصبيتين الأولى ضد الأبناء وهم من العوس الذين
وجههم كسرى إلى اليمن .

والثانية ضد قريش أولاً وضد المسلمين ثانياً ، فطالب بإخراجهم من اليمن مع رد
ما أخذوه من أموال القبائل اليمنية .

واستطاع لأسود العسي أن يجمع حوله قبائل اليمن وإن تستمر حركته عدة أربعة
أشهر إلى أن اقتضه فيرور بديلمي قبل وفاة النبي بخمسة أيام^(٢)

قد عمل الاسلام جهداً للقضاء على العصبية القبلية لا أنه لم يتمكن من ذلك ،
فبقيت هذه العصبية داء العرب الذي لا داء له . وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام
أربعة في أمي من أمر الجاهلية لا يتركونهن . العفر في الاحساب والعن في الانساب
والاستفد بالانجوم والثياحة^(٣) .

(١) ابن عسري ، تاريخ ١١٦/٢

(٢) الطبري ، تاريخ ٢٢٩/٢ .

(٣) جامع الأصول ١٢/٣٤١ .

الفصل الثالث

العصبية القبلية في عهد الخليفتين: أبو بكر وعمر

- أ- في عهد أبي بكر .
 - التنافس على الخلافة .
 - القبلية وحروب الردة .
- ب- المظاهر القبلية في عهد عمر بن الخطاب .
 - القبلية والنظام الحربي .
 - انقبلية وتخطيط المدن .
 - القبلية وديوان العظام .
 - موقف عمر من العصبية .

AIMAD VR

أ- في عهد أبي بكر

التنافس على الخلافة:

رأينا في الفصل الثاني أن، لإسلام لم يستطع أن يتأصل روح العصبية القبلية من عوس القبائل، وكل ما فعله الإسلام أنه استطاع أن يجمع من ولائها وشرورها، وما أن انتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربه حتى ظهرت العصبية القبلية من جديد، بعد أن انحدرت إلى العقل بساطن هي عهد^(١) وثقلت هذه العصبية بأمرين. التنافس على الخلافة وردة القبائل العربية أما التنافس على الخلافة فقد ظهر بين المهاجرين والأنصار، بل وتعدى ذلك إلى التنافس بين البطون.

كان العباس هو أول من بهدلى شأن الخلافة حيث جاء إلى علي وأشار عليه أن يسأل رسول الله ﷺ عن هذا الأمر، أهو في بني هاشم أم في غيرهم؟ لكن عليا قال "والله لئن سألتها رسول الله فتمنعها لا يعطيها الناس أبدا." ورفض أن يسأل رسول الله عنها^(٢).

والرسول عليه الصلاة والسلام لم يعين خليفة بعده، ونستج من ذلك أنه لم يكن يرغب في تقييد المسلمين بقوانين قد تثبت مع الأيام أنها لا تتناسب والأوضاع المتطورة، ومن هنا حرص لشرع على أن تبقى القوانين الإسلامية متطورة ملائمة لكل الظروف وصالحة لكل زمان ومكان^(٣).

ويؤكد هذا الرأي أن رسول الله لم يمت فجأة، بل كان يأتيه بلال في كل يوم وهو في مرضه يؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس^(٤).

(١) الطيب النجار، الموائد في العصر الأموي، ١٨.

(٢) الميري تاريخ ١٩٢/٣ ١٩٤.

(٣) مسند الأطراف ٨٢/١.

(٤) محمد ضياء الحق، رئيس، النظريات السياسية، لجنة البيان العربي ١٩٥٢ ٢٦.

وبعد وفاة رسول الله حاول العباس مرة ثانية أن يأخذ البيعة لابن أخيه إلا أن عبداً رد عليه هذه امر، قائلًا: "أو منهم من يكره حلفاً ويستبد عبدًا"^(١). وموقفه هذا يختلف عن الموقف السابق ففي المرة الأولى، رأى أن الأمر في هذا الشأن هو للأمة، أما الآن فهو يتصور بأنه أحق الناس في هذا الشأن.

وبينما كان المهاجرون مشغولين في تجهيز رسول الله ﷺ أدنبا اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة يصل إلى أسماعهم، فنهض أبو بكر وعمر وتوجها إليهم، وفي الطريق التقيا بأبي عبيدة، ونهجه الثلاثة إلى سقيفة بني ساعدة.

بؤنفس السقيفة،

اجتمع الأنصار بعد وفاة الرسول ﷺ في سقيفتهم للبحث في أمر الخلافة، ويعتقد أنه لهذا الأمر جذوراً سابقة، وفكر فيه من قبل، ولعن طموح سعد بن عباد، سيد الخزرج هو الذي أوحى إلى الأنصار لهذا الاجتماع حتى يظهر بالخلافة قبل أن يظهر من يزاومته^(٢).

وفي اجتماع الأنصار نهض خزيمه بن ثابت وبين فصل الأنصار وتضحياتهم للإسلام وحث قومه على اجتماع كلمتهم لاختيار رجل تهابه قرش، وتأمسه الأنصار. وانعقدت كلمتهم على ترشيح سعد بن عباد^(٣).

واختيار سعد مد، هو تابع من الأعراف والتقاليد القبلية، فهو المقدم في الخزرج، والعادة القبلية أن يكون المقدم هو السيد المطاع

وبعد أن رشع سعد، حطب في قومه، وبين الحقير التي تزلزل الأنصار لطلب الخلافة^(٤)، ومنها سابقة الأنصار في نصرة الدين، وهذه لا تتوفر لأي قبيلة أخرى، يضاف إليها أن الرسول أمضى في قومه ثلاث عشر سنة فلم يجد عدهم النصرة إلا من عدد قليل منهم، وما كان باستطاعة هؤلاء أن يمحوه، وإن يعرفوا دينه، ولا أن يبدلوه، عنه العظيم.

(١) ابن عبد ربه العقد الفريد ٩/٥

(٢) محمد ضياء الدين، الرئيس، انظريات السياسية ٢١، ٢٢

(٣) ابن اثير، انظر ٢/١.

(٤) ابن قتبية، الامامة والسياسة ١٢/١.

وبين الأنصار أيضا أنهم أهل النار، والمهاجرون طارئون عليهم، وإذا كان المهاجرون يدلون بالسابقة فهم يعتززون بأن الرسول ﷺ قد مات وهو عنهم راضٍ

وحجج الأنصار هذه فيها مسحة قبلية فمن الناحية الإسلامية ما ذكره سعد بن عبيدة أما من الناحية القبلية فهم لا يرون أن يكون صاحب الأمر عليهم من غير أنفسهم.

وبعد، اجتماع الأنصار جاء أبو بكر إلى السقيفة وقد طهر عليه الفزع الشديد^(١) فدخل السقيفة ومعه أصحابه وهناك أخذ كل من الطرفين يدلي بحججه لئلا يخلط.

قام أبو بكر فينبأ أسباب مطالبة المهاجرين بالخلقة وهي، أن المهاجرين هم أول الناس سلماً، والناس لهم تبع، وهم عشيرة الرسول، وأوسط العرب أنساباً ليست قبيلة من قبائل العرب ولا لغريش فيها ولادته، وبين في كلمته أيضاً فضائل الأنصار ونصرتهم للإسلام^(٢).

وفي حجاج أبي بكر أيضاً مرجح بين التقاليد القبلية والتواحي الإسلامية، فمن الناحية الأولى أن قرشاً هم عشيرة الرسول، وهم أقرب الناس رحماً إليه، وقد كانت النبوة فيهم، فبالخلقة يجب أن تكون لهم أيضاً

ومن الناحية الإسلامية، هم أقدم الناس صفة في الإسلام، وعلى اكتافهم تنتشر الإسلام ومن أجله دافقوا مصروف الأذى وتعذب. وقد قدم هذه على التقاليد القبلية

وبعد أبي بكر قدم الحباب بن اسلم، فذكر بأن الأنصار أهل العز والثروة وأولوا العدد والمعة وهم أهل النار، ويسير بهم غرضت العرب للإسلام، واقترح أن يكون الأمر بين الأنصار والمهاجرين، وحجته في ذلك إن عمل المهاجري شيئاً في الانصار رد عليه الانصاري وإن عمل الانصاري بالمهاجرين شيئاً رد عليه المهاجري^(٣). والأمر الثاني يحسب الانصار من أن يلي الأمر من قرش عن قتل الانصار أباءهم أو إخوانهم^(٤).

(١) ابن كتيبة، الاسماء والسياسة ١٢/١.

(٢) المصدر السابق ١٤/١.

(٣) الفيلسوفية، تكملة الطبقات ٨١/١.

(٤) ابن سعد، الطبقات ١٨٢/٣.

وفي قول الحبيب هذا مسحة قبية شاملة ، وكأنه قد تصور أن أمر الخلافة سيأخذ بالقدرة ، وقام عمر بن الخطاب بعد الحبيب ، وعرض بأن العرب لا تولي هذا الأمر إلا من كانت النشوة فيهم ، وأولوا الأمر منهم ، وذكر أن قريش هم أولياء الرسول وحشيرة^(١) وموقفه هذا أبيض فيه أمور وتقاليد قبيية وهي أن قريشا هم أمس الناس رحما برسول الله ، وهم أولى بهذا الأمر من غيرهم ، وأن العرب لا تقبل بحليفة من الأنصار ، إنما تقبل به إذا كان من قريش لأن النشوة كانت فيهم .

وبعد هذه المقالة ، حدث الحمية الحبيب بن بشر وقال : يا معشر الأنصار ، ملكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بتصبيكم من هذا الأمر فإن أبوا عنكم ما سألتهم ، فأجلوهم من هذه البلاد ، وتولوا عنهم لأمر فأنتم أحق بهذا الأمر منهم^(٢) وقال أيضا : أنا جديتها ، لمحكك وهديقها لمرجب ، أن شتمت فردناها جعدة من يدها^(٣) .

وهنا كثر اللفظ بين الناس ، وكادت الغتة أن تقع بين الأنصار والمهاجرين فلما أحد الخزرج وهو بشير بن سعد هأيد معالي المهاجرين ، وحذر قومه من تبذيل النعمة بالكفر ، وذكر أن قريشا هم أحق الناس وأولى بالأمر ، ولا يجوز صارتهم في هذا الأمر^(٤) .

وذكر ابن قتيبة أن بشير قال بذلك حسدا لسعد ، لأن بشيرا كان من سادات الخزرج ، فلما رأى أن الأمر سيهيئ إلى سعد قام واتخذ إلى جنب المهاجرين . ولما رأى الحبيب ذلك تقدم إلى بشير وقال له : حقك حقائق ، ما المصيرك إلى ما صنعت ؟ حسدت ابن عمك على الأمازة ، فأجابه بشير لا والله ولكني كرهت أن أنارح قوما حقا لهم^(٥) .

وأما انشقق جبهة الأنصار ، تقدم المهاجرون ليأبوا رجلا منهم ، فوقع الاختيار على أبي بكر ، وكان اختياره لأسباب إسلامية بحتة وهي سابقته في الإسلام وأمانته للمسلمين بالصلاة ، فالرسول ارتضاه للدين والمسلمون ارتضوه للدين

(١) ابن قتيبة ، إمامة وسياسة ١٤/١

(٢) الطبري ، تاريخ ٣ / ٢٢١ ابن عبد ربه ، العقد الفرید ١٠٠/٥ .

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ١/٨١

(٤) ابن أبي شيبة ، تاريخ ٢/٢٢١ ، ابن الخطيب ، مفتوح ١٢/١

(٥) ابن قتيبة ، إمامة وسياسة ١٦/١ .

ولما رأى حبيب أن الأمر انقلب من يد الأنصار، أخذ سيفه، إلا أن الأنصار منعه فقتل. فعدمتوها يا معشر الأنصار، أما والله لكأنني بأياكم على أبواب بناتهم وقد وقفوا يسألونهم بأفئدتهم لا يسألون الماء، فقال له أبو بكر، أما تخاف يا حبيب؟ قال ليس منك إحاف ولكن من يجيء بعدك^(١)

ولما رأى سعد بن عباد أنه أسيء قد تمت لأبي بكر قال: أما والله لو أن لي ما أقدر به على اليهود، لسمعتهم في أقطارها زئيراً يحررك أنت (أبو بكر) وأصحابك ولأهلك بقوم كنت بينهم، تبعاً غير مشروع حاملاً غير عريض^(٢). وكادت أن تحدث مشادة بينه وبين عمر بن الخطاب، إلا أن أبا بكر قال مهلاً يا عمر، الرفق هنا أبلى فأعرض عنه عمر.

وقد اختلف في أمر بيعته فبعض الروايات تذكر أنه لم يبيع، وقال سبله لا أبيع لقرش أسد^(٣). والآخرى تذكر أنه بايع تحت ضغط الأنصار والمهاجرين وهذا هو الأرجح إذا أخذنا بنص في الطبري مؤداه أنه لم يتحلف عن البيعة إلا مرتد ومن قد كاد أن يرتد^(٤).

لعبت العصية في موقف الأنصار من طيب الخلافة دوراً بارزاً، فعندما سمعت الأوس - بن الحارث تطلب الخلافة لنفسه، قام أسيد بن حضير وقال يا معشر الأنصار، إنه قد عظمت نعم لله عليكم إذ سماكم الأنصار وجعل إليكم هجرة وفيكم قبض الرسول. فمن هذه الأمر في قرش دونكم ممن قد دعوه فقد دعوه، ومن أعزوه فأعزوه^(٥) فقدم نفر من الأنصار وأخذوا له في القوم وأسكتوه، وري كان ذلك هو السبب الذي دعى أسيد ومعه قومه أن يحدوا إلى جانب المهاجرين^(٦).

(١) ابن كثير، الأممية والسياسة ١٧/٦.

(٢) المصدر السابق ١٧/٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف ٨٩/٦.

(٤) الطبري، تاريخ ٢٠٧/٣.

(٥) ابن أبي عمير، الفتوح ٢/١.

(٦) ابن هشام، السيرة ٦٥٦/٢.

وبنت الأوس ذلك خوفاً من أن يفوز بها بخروج دويهم، وجاء ذلك على لسان أسيد بقوله: «والله لئن وليتها بخروج عليكم مرة لا رثت لهم عليكم بذلك العvisلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً»^(١).

وراد من انقسام جبهة الانتصار أن انشق بشير بن سعد على سعد بن عباد وطالب بأحقية المهاجرين بالخلقة، وهكذا جاءت جبهة الأنصار غير متحدة في طلبها للخلقة، وقد شعر سعد بذلك عندما اقترح بعض الأنصار أن يكون لأمر مناصفة بين المهاجرين والأنصار فقال سعد: «هذا أول الوهن»^(٢).

أما فريش فلم تظهر فيها الانقسامات وجاءت متحدة تطلب الخلقة لنفسها، وهي دعوتها هذه جمعت بين العلمانيين، الأسلامي والقبلي، فالأسلامي هم أول الناس إسلاماً، وأكثرهم تطهية من أجله.

والقبلي، أن السوة في فريش، والعرب لا تعترف بخليفة إلا إذا كان منهم كما تسلموا بالحديث: «الأئمة من فريش»^(٣).

واحدث هذا صحيح رواه نحو من أربعين صحابياً وثمانين من التابعين واثنين من تابعي التابعين^(٤) كما ورد أيضاً في العاطف مختلفة، أو جميعها تؤكد أحقية فريش بالخلقة^(٥) فكن إذا نظرت إلى هذه الحديث من رواية أخرى تجد أنه بحالíf الآيات والأحداث التي تحدث على المساواة، وتطلب عدم التفرقة بين المسلمين لهم هذا الحديث جاء بحالíf بهذه الآيات أم أنه جاء بمعنى آخر

أن رسول الله وكما رأينا في الفصل الثاني لم يخص قوماً دون قوم، ولا قرب قبيلة دون قبيلة أخرى، ولم يؤثر أنه فضل فريشاً على غيرها من القبائل، ومن هنا يمكن القول أن الحديث ما جاء ليخصص الأمر في فريش دون غيرها من الناس، وأن جاء ليخبر بأن الأمر سيكون في المهاجرين الأولين من فريش ويستدل على ذلك من:

(١) نهج البلاغة ١/٢

(٢) لطويج: تاريخ ٢/١٩٩

(٣) السيرة النبوية ٢/١٨٠

(٤) نظر كثر لعمال ١٢/٢ طبقت الشافعية ١/١٠٣

وصية لرسول إلى المهاجرين وحدهم دون قريش كلها، ويؤيد ذلك ما جاء على لسان أبي بكر في السقيمة مش: «نحن الأمراء وأنتم الوزراء» (فنحن) انفسهم إنما يعبر عن المهاجرين دون غيرهم وأنتم يعبر عن الأنصار^(١) - وفي الآية الكريمة: والسابقون السابقون أولئك المقربون^(٢) فالسابق هو الذي قدم قريش، ولم يقدمها شيء آخر.

أما ابن خلدون فقد اعتبر عدل اشتراط النسب لأن الحماية والمطالبة لا تكون إلا به، وقريش كانت عصبية مضطربة وأصلهم وأهل العلب منهم، وكان لهم على سائر مضطربة بالعدالة والكثرة والعصبية والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك^(٣) وهذا القول لا ينطبق تماماً علىبيعة أبي بكر وذلك لأننا نسمع رجلاً من غير قريش أو الأنصار هو معمر بن عدي المصلاحي من قضاة يقيمون فوالله ما مات رسول الله ﷺ حتى صلى بنا أبو بكر فعلمنا أنه قد رغبه لنا، لأن الصلوة صفة الدين^(٤).

وما يضعف من رأى ابن خلدون أن القبائل العربية جميعها قد هبت دفعة واحدة غير معترفة لقريش بهذا الأمر وقد جاء ذلك من القبائل المضطربة والبيانية ونحن إذا نظرنا إلى قريش في الجاهلية نرى أنها لم تعز بسبب كثرتها وقوتها، بل عزت بوجود البيت بها، فبما كانت كانت تمشي على القبائل الأخرى، وبه كانت تحتمي. ثم إن قريشاً كانت من أشهر القبائل التجارية في الجزيرة، فارتبطت مع عدد من القبائل برباط الحلف والمواصلة والمصاهرة فأحترمتها القبائل العربية.

وكما قام المهاجرون الأولون بمطالبة بالخلافة، فقد آزرهم مسلمة الفتح من قريش عصبية لقومهم ومن هؤلاء المنادين بالخلافة إلى قريش هم:

الطائر بن الضمر السهمي^(٥). قال شعراً يطالب فيه بالخلافة لقريش. وقال أيضاً اتقوا الله يا معشر الأوس والخزرج واحشوا عواقب الأيام.

(١) لريش، المطبوعات، سياسية ١٩٤-١٩٦.

(٢) سورة التوبة الآية ١٠٠.

(٣) ابن خلدون، المقدمة ١٩٤.

(٤) ابن عسك، المقترح ٥/٦.

(٥) ابن حجر المصلاحي ٢٩٦/٦.

سهيل بن عمرو^(١) قال قريش ' اذعوهن الى صاحبكم (أبو بكر) والى تجديد بيعته فان أجابوكم وإلا قاتلوهم .

الحارث بن هشام^(٢) . ليس بيننا وبينهم إلا السيف .

عكرمة بن أبي جهل^(٣) . لو لم يبق من قريش كلها إلا رجل واحد نصير الله هذا الأمر إليه

أبو سفيان^(٤) ليس للأنصار - إن يفضلوا على الناس حتى يقرأوا بفطنتنا عليهم

المثالبه بين بطون قريش '

لما علمت قريش بأمر السقيفة ، انقسمت بطون قريش فكان بنو هاشم ومعهم الزبير مشغلين بتجهيز الرسول ﷺ . أما بنو أمية فقد انحزوا الى عثمان ، وزهرة الى عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص . أما أبو بكر وعمر وأبو عبيدة فقد ذهبوا الى السقيفة ، ويرجح عدم دهاب قريش معهم الى السقيفة خوف حدوث فتنة بين قريش والأنصار . ولذلك كتبت بالثلاثة الذين ذهبوا الى السقيفة .

وبعد بيعة أبي بكر جاء عمر الى قريش وقال لهم يايعزوا لأبي بكر فقد بايع له الناس وباهية الأنصار فقامت بطون قريش تباعج لأبي بكر

وقد أظهر بنو عبد مناف نوعا من عدم الرقب عن هذه البيعة وجاء ذلك على لسان عذرة منهم

أبو سفيان يذكر أنه يوم وفاة رسول الله لم يكن في المدينة ، ولم يعلم بموته إلا وهو في طريقه الى المدينة ، وعندما علم ببيعة الناس لأبي بكر قال ، ما فعل المستضعفان علي والمهمل ؟ أما والله لئن بقيت لهما لأرضن من أعقابها . وقال أيضا أرى خيرة لا يقطعها ، لا أهدم . وعندما وصل المدينة أخذ يطوف في أركانها يردد أشعارا يحرض بها بني هاشم على القيام للمطالبة بالخلافة . فقال عمر لأبي بكر ان هذا قد قدم وهو فاعل شر

(١) نهج البلاغة ١/٢

(٢) المصدر السابق ٤/٢

(٣) المصدر السابق ٤/٢

(٤) المصدر السابق

وقد كان النبي يتألف على الاسلام ، فترك له أبو بكر ما بيده من الصدقة فرضى أبو
سعيد ويبيع لأبي بكر^(١)

ومطالبة أبي سعيد بالخلافة لعبد مناف استندت إلى تقاليد جاهلية ، فقيم كانت
أقل «بطون» قريشية مكانة^(٢) والرعاة كانت لعبد مناف فاستعرب أبو سفيان أن تذهب
اليهم

لقد جاء أبو سعيد إلى علي وحاول أن يقتعه للقيام بعلم الخلافة ، إلا أن عليا رد
عليه^٣ إنك وإنه ما أردت بهذا إلا فتنة وإتاك وإتاك وإتاك فإني بالاسلام شرا ولا حاجة
لنا في نصيحتك^(٤) ولما وجد أن لا حركة منه التجه إلى العاص ، وكان جواب العاص
يدفعها عني وأقبلها أما ، وهكذا فشل أبو سعيد في مساهة لعلم الخلافة لبني عبد
مناف .

خالد بن سعيد بن العاص . قدم من اليمن بعد وفاة الرسول فجاء إلى علي
وعثمان وقال لهما : انتمما انشعرا دون الدثار ، أرضيتما يا بني عبد مناف أن يلي امركم
عليكم غيركم . فقال علي أو غيبة ترها ! الخا هو امر الله يلعبه حيث يشاء . ولم يباع
خالد إلا بعد مرور عدة أشهر^(٥) ويذكر أيضاً أن أولاد سعيد بن العاص وهم عمرو
وخالد وبيان قد رجعوا من ولاياتهم وقالوا نحن بنو أبي حبيشة لا نعمل لأحد بعد
رسول الله^(٦)

وتظهر أهمية موافقة بني عبد مناف من قول أبي حنيفة ، فما أن سمع بأن بنه
اشتبخ خليفة حتى قال : المرهني بذلك هو عبد مناف وهو مخزوم فقد وانعم . قال^{*}
فأنه لا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع^(٧) .

(١) ابن حبان ، العقد الجديد ١٠/٥ .

(٢) ابن كثير ، انساب الاشراف ١/٥٨٨ .

(٣) طبري ، تاريخ ٢٠٩/٣ ، وانظر الأصبهاني ، الاغني ١/٦ ٢ ونسرة لأحمد الزبيدي ، مصطلح
مصور بجامعة الشريعة العربية تحت رقم ١٩٧ ط

(٤) ابن سعد ، طبقاته ١/٩٧ ، ابن كثير ، انساب الاشراف ١/٥٨٨ .

(٥) ابن كثير ، انساب الاشراف ١/٥٨٨ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ١/٨٨٣ ، ابن كثير ، انساب الاشراف ١/٥٩٠ .

وإذا قام بنو عبد مناف وخاصة بنو أمية يطلبون الخلافة ليعطهم فقد رأى رجال من بني هاشم أن تكون خلافة لهم، وظهر ذلك من تطلعات العباس للخلافة قبل وبعد وفاة رسول الله ' صلى الله عليه وسلم ' وعندما يبيع لأبي بكر جاء إلى علي وقال له : ما قلعتك إلى شيء إلا تأخرت عنه^(١).

ولما يبيع أبو بكر قام عتيبة بن أبي لهب وقال : ما كنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم مها عن أبي الحسن^(٢) والفضل بن العباس قال لثيم : إذا احلتم الخلافة بالهوية، ويتر هاشم أولى الناس بها^(٣).

أما علي فقد حثفت الروايات في موقفه من بيعته أبي بكر فبعضها ذكر أنه يبيع بعد بيعة أبي بكر مباشرة والبعض الآخر بعد مرور ستة أشهر على خلافته

أما الراي الأول فأورده الطبري عن سيف بن عمر وقد : يوم مات رسول الله كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة . . ولم يتخلف عليه أحد إلا مرتد أو كاد أن يرتد . . وتتابع المهاجرون على بيعته، فخرج (علي) في قميص ما عليه إزار ولا رداء، عجلًا، كراهية أن يظن بها حتى يابعه، ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأتاه فلبسه ولم يجلسه^(٤).

الراي الثاني أنه لم يبيع إلا بعد موت فاطمة وبعد مرور ستة أشهر بالتحديد وفي هذا مسألة أيضاً، فعلى رفض اقتراح العباس، كما هاجم مشروع أبي سفيان بل ونسمع أنه : استل عن بيعته لأبي بكر قوله ' رضي المسلمون لذيهاهم من رغبة الرسول لديهم فابعوه وابعته^(٥)

ومن اقتران الدلة على بيعته قبل هذه المدة أن أبا بكر جعل عليا ومعه بعض الصحابة والأنصار أمر حراسة المدينة خوفا من غزو المرتدين، فإذا كان علي لم يبيع له فكيف أمن أبو بكر حياته ووضعها على الأنصار

(١) الألباني، مساب الأثراف ١/ ٥٨٢.

(٢) الطبري، تاريخ ١١٤/٢.

(٣) نهج النبلاء ١٢/٢.

(٤) الطبري، تاريخ ٢٠٧/٣.

(٥) ابن عبد ربه، العقد القريد ٩/ ٥. قبل هلال العسكري، الأول ٧٤

ومما تقدم أرى أن علياً لم يبيع في البيعة الخاصة والتي كانت في اليوم الأول،
والما يباع في اليوم الثاني وهي التي سميت بالبيعة العامة. ويذكر المسعودي أن علياً قال
لأبي بكر يوم جددت البيعة على العامة: أفست أموراً ولم تستشر ولم ترجع لنا حقاً،
لقال أبو بكر بلى ولكن خشيت الفتنة^(١).

ومما يؤيد ذلك ما ذكره العساري^(٢) من أن علياً قد: وأمله بو عهد إلي رسول
عهداً لحاهدت عليه، ولم أترك ابن أبي قحافة يرقى درجة علي منير رسول الله.
وموقف علي هذا يخصص ما ذكره ابن أبي حديد من أن علياً قد: أما وأمله فقد تلمصها
ابن أبي قحافة فإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي^(٣). وما ذكره أيضاً من
أن علياً أمر روجته بملوف على الأنصار تسألهم نصرة علي، وأن الأنصار كانت تقول
قد مضيت بيعتنا لهذا الرجل^(٤).

مما تقدم نستج أن انتخاب أبي بكر قد خضع لالتجاهات اسلامية بعته فهو من
السابقين الأولين، ومثل الرسول على الصلاة ورغبته في الهجرة. وانتخاب أبي بكر
حدث المسألة الأولى التي واجهت المسلمين، كما أنهم به اتحاد كلمتهم استطاعوا أن
يعيدوا القبائل المتمردة إلى سلطان المدينة.

(١) المسعودي، مروج الذهب ٢/١٠٤

(٢) قسطل أبي بكر، مخطوط مصور بجامعة الدولة العربية تحت رقم ٣٦٥.

(٣) موج النبلاء ١/٧٣

(٤) المصدر السابق ١/٧٣

القبيلة وحروب الردة:

كانت ردة القبائل ردة مبياسة، حركتها نرواات قبلية قبل أن تكون ردة دينية فالقبائل رأت خلافة أبي بكر وزعامة قريش ضربا من الاستعباد تأباه الأنفة العربية . ويضاف إلى ذلك أن القبائل العربية وحسب عرفها - قد خضعت لشخص الرسول ولم تلخص لأبي بكر ، وما الوعود التي قطعتها هذه القبائل للرسول ، إلا وعودا شخصية انتهت بوفاة الرسول " صلى الله عليه وسلم " وبم يعد هناك ما يربطها مع أبي بكر من شيء .

أما الخليفة فقد اعتبر خروج القبائل عليه هو خروج عن الدين ، والاسلام بقضي إعادتهم إلى حظيرة الاسلام بهما كان التصحيحات . وقد كان هذا الحرم من قبل الخليفة هو السبب المباشر في إعادتهم إلى حظيرة الاسلام

وأحس قريش أن الردة موجهة إليها وإلى سلعونها بالبرجة الأولى وقد جاء ذلك على لسان عمر لبعض الصحابة : . . . إنكم قلتم ما أخوفا على قريش من العرب ، وأخلفهم ألا يقرؤا بهذا الأمر ، قالوا صدقت . قال فلا تحالوهم ، أنا والله معكم على العرب أخوف مني من العرب عليكم ، والله لا تدخلون معاشر قريش حجرا لدخلته العرب في آثاركم ، فائقوا الله فيهم ^(١) .

وأذا استعرضنا أسباب الردة نجد أنها ترجع إلى عوامل عديدة منها : عدم تمكن الاسلام عند القبائل المرتدة . فقد سميت السنة التاسعة من الهجرة بعام الوفود وذلك لكثرة من وفد من هذه القبائل على المدينة لتعصن اسلامها ، وتقديم الولاء للرسول ﷺ . ونظرا لقصر الفترة الزمنية التي قضاهم الرسول بعد عام الوفود فقد أبقي التنظيمات القبلية على حالها ، كما ترك لهذه القبائل الحرية التامة في اختيار رؤسائها وجاه ذلك من قوله لبي سليم . جعلوا رأسكم على ما كانت في الجاهلية ، وفودوا عليكم من كان يفودكم في الجاهلية ^(٢)

(١) ابن الأثير، التكملة ٩١/٤ .

(٢) ابن حبيب، المصير ٥٠ .

لقد ترك برسوة^(١) صلى الله عليه وسلم^(٢) القبائل على شأنها، ولم يشتر إدارة مركزية تجمع هذه القبائل، وكل ما قام به أنه أرسل ممثلاً عنه إلى هذه القبائل حتى ينشر الإسلام ويعلمه للقبائل. وفي مررت أخرى حتى يجمع الصدقات، بل وفي حالات كثيرة كان جامع الصدقات من القبيلة نفسها.

وعلى أية حال كان رسال هؤلاء المبعوثين، ما هو إلا خطوة أولية نحو الحد من القبيلية شيئاً فشيئاً، كما أنه بحملته التمهيدية الكبرى لتعليم مبادئ الإسلام كانت خطوة إيجابية نحو الحد من الأوصاف السابقة^(٣) غير أن الفترة الزمنية وكما قلت كانت قصيرة فلم تدخل الدهورة إلى أعماق القلوب.

لم يكن إسلام كثير من القبائل إسلاماً للمؤمن بتعاليم الإسلام، بل كان إسلام من وجد نفسه عربياً في محيط أحدثت القبائل فيه، ثعلبي ولائها برسول^(٤) صلى الله عليه وسلم^(٥) جاءت بعض القبائل إلى المدينة، وعادت إلى مواطنها وهي لا تزال تحمل معها عصبيةاتها الجاهلية.

وقد رأينا كيف أن بعض القبائل كانت تمس في إسلامها على الرسول، وكيف أن الأعراب كانت تبطن على رسول الله دهاها إلى اجهااد، ولقد كان الكرم أشار لذلك بقوله تعالى ﴿فأنت الأعراب أما قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولا يدخل الأيمان في قلوبكم، وإن تظيعوا الله ورسوله لا يشكم من أيمانكم شئف إن الله غفور رحيم﴾^(٦).

فلنعرق واضح بين من أسلم ظاهراً، وبين من كان إسلامه من إيمان واعتقاد. ومثالة الإسلام قد وجدت عند بعض القبائل بسبب الظروف التي رافقت إسلام هذه القبائل، فهذهان مثلاً أسلمت في يوم واحد، وهضمان بن ثعلبة عاد إلى قومه من بني سعد، فلم يأت آخر النهار إلا وقد أسلموا جميعاً^(٧).

(١) البصري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ٤٢

(٢) سورة لمجرات الآية ١٤

(٣) ابن هشام، السيرة ١/٤٧٣-٤٧٤

وصور عينيه بن حصص هوية المرتدين أحسن تصوير، فعندما أحضر إلى المدينة
يرسب في قيده أحد صبيان المدينة يقولون له . أكفرت بعد إيمانك، فرد عليهم والله ما
أمنت بالله طرفه هي^(١)

وهكذا كان إسلام القبائل هو من باب الدأهان للرسل، وليس من باب الإيمان
العميق بأمر هذه الدعوة .

وسب آخر من أسباب الردة وهو نظرة القبائل إلى قريش ، فقد كان حب القبائل
في حكم نفسها بنفسها، من الأسباب الرئيسة لهذه الردة . تطلعت القبائل إلى قريش
فراأت فيها قبيلة مستحكمتهم ، ولها نذهب أموالهم ، فاعتبرت خضوعها لها صريحا من
الذلة والهران ، فأعلنت القبائل ردتها .

نفرط للعقد الذي قضى رسول الله في جميعه سنوات عديدة وكانت العصبية
القبلية من أقوى البواعث على انقسامه . لقد آرتت العصبية القبلية هؤلاء المرتدين
وقادتهم النصر القبلية فلم يجدوا ما يعبرون به عن ردتهم إلا ظهور المنتهين المهووسين
بالزحامة .

إن هؤلاء المنتهين هالهم ومسرع لبهم ما حققه الرسول من نصر في الجزيرة
العربية ، فأرادوا أن يجرؤوا حظهم في هذا الشأن ، ومن هنا قاموا بدعوة قبائلهم
لإزادتهم ، ولما كانت العصبية القبلية لا تزال تحكم النفوس ، فقد أقيمت هذه القبائل من
كل فج حيل حتى تلف وراء أنبيائها .

وظهر أثر الإسلام في الردة من أن المنتهين لم يجدوا غير البهرة حتى يحلقوا بها
مأريهم .

فكانت الثورة على قريش . وروضة القبائل في حكم نفسها بنفسها والعصبية القبلية
من البواعث القوية على الردة ، فكانت الردة ردة سياسية أكثر منها دنية

كان موت الرسول صلى الله عليه وسلم " إيذنا بانطلاق القبائل في وضعها
السابق فكانت بو عث القبلية العنيفة التي لا تؤمن بالقيادة الجماعية سببا في
خروجها على سلطان المدينة

(١) ابن الأثير، الكامل ٢/ ٢٢٥.

لقد أظهرت القبائل حسدها لقريش منذ غزوة حنين، فقد أيقنت هذه القبائل أن الزعامة قد أصبحت بيد قريش لا محالة، وعبر عن ذلك أبو ثواب زيد بن صحرار أحد بني سعد بقوله

فأصبحتنا لمسوقنا قريش
فسيبنا في القيسر يحسبونها السهم

وأعلنت القبائل حسدها وعصبيتها ضد قريش صراحة بعد وفاة رسول الله، وجاء ذلك بصورة واضحة على لسان الشاعر الخطيب

أطعنا رسول الله ما كان بيننا
فسيبنا بعد الله سيابا يحمر

أهولها بكرا إذا مات بعده
فذلك لعمري فسيبنا الظفر^(١)

وزاد من غضب هذه القبائل أولئك العمالء الذين كانوا في خدمة المدينة فاعتبرتهم القبائل مصدرًا من مصادر الأرعاج وحدا من سلطة القبائل التي كانت تتمتع من قبل بكامل حريتها واستقلالها^(٢) وما يؤيد أن الردة كانت سياسة من أن عمر بن الخطاب أشار في بداية الأمر بأنه لا يجوز للدولة أن تجرد السيف على القبائل العربية، على اعتبار أن بعض المرتدين كانوا مقيمين على إسلامهم وإن حركتهم كانت ذات أهداف سياسية وهناك من القبائل من أعلن وقال "والله ما كمرنا بعد إيماننا ونحن شحنا بأمرنا"^(٣).

كانت الردة صدام بين التيار الإسلامي الذي مثله المدينة وبين التيار القبلي المتعدد الجوانب والأهداف والذي صورته القبائل العربية المختلفة.

بدأت الردة بظهور حركة التنشيط قبل وفاة رسول الله، ففي اليمن ظهر الأسود العنسي، وفي قبيلة حيفه مسيلمة الكلاب. وكانت نبوة هؤلاء فتحا جديداً في عالم القبائل التي أحلت تسابق في أظهر التنشيط منها

(١) شعري، ٢٦٦/٢، لسان ١٥٧/٢ (دار الكتب).

(٢) بروكلمان، تاريخ العرب، الإسلامية ٨.

(٣) المبردي، الاحكام السلطانية ٥٧-٥٨.

وظهرت قوة العصبية عند الارتدين أن لكل قبيلة أنبياءها الخاصين بها سواء كانوا من مضراً واليمن، وإذا سارت بعض القبائل حول متني بعيد عن سببها فمرد ذلك إلى المصالح الذاتية التي كانت تحكم بعض هذه القبائل أو عصبية للأحلاف كما حدث من توجه طي إلى بني من أسد.

القبائل المرتدة:

ارتدت معظم القبائل العربية إمارة عامة وإمارة خاصة، وقد امتدت هذه العمود حتى إلى مكة والطائف، أم مكة فقد قام بها سهيل بن عمرو وحذر الناس من برده، وفي الطائف قال عثمان بن أبي العاص: يا معشر ثقيف لا تكونوا آخر العرب اسلاماً وأولهم ردة^(١).

لقد ارتدت جميع القبائل ولم يبق على الإسلام إلا المذنبه ومكة والطائف.

جاء الصحابة إلى أبي بكر وقالوا له: إن العرب قد تنصفت عليك وأنت لا تصنع بشيء الناس منك شيئاً، فأجابهم * والذي نفس أبي بكر بيده لو ضمت إن السباع أكتفي بهذه القرية بعد هذا البحث الذي أمر رسول الله بأنماذه^(٢). ويقصد بذلك إرسال أسامة بن زيد إلى الشام

وامتد الاحتجاج على قيادة هذا الجيش، حيث رأى بعض الأنصار تسليم القيادة إلى رجل أكبر سناً من أسامة، فذهب عمر إلى أبي بكر وأخبره بذلك، فاستشاط أبو بكر غضباً وقال: تلكت أمك وعدمت يا ابن الخطاب! استعمله رسول الله وتأمرني أن أزوجه^(٣) فصرح عمر إلى الناس بعدئذ ما جرى له

وكان حرم أبي بكر في مكانه وأنت أنه بعيد النظر في ذلك، لقد كان بعث أسامة بمثابة حرب بحرية أكثر منها حرب فعلية، فقد أوحى للقبائل المرتدة أن المدينة لا زالت تتمتع بقوة لها شأنها، وأنها مستعدة للقتال على جميع الجبهات.

(١) مصعب بن زياد، نسب قريش ٤١٨

(٢) بن خياط، تاريخ ٦/٩٥

(٣) الطبري، تاريخ ٣/٣٦٦

أما قتال المرتدين ، فقد كان حرمه في قتلهم أشد وأصعب مما كان في بحث أسداه ، فعندما حاصره بعضهم يقرون بالصلابة وينهون الزكاة قال عمر - يا خبيثة رسول الله تألف الناس وارفق بهم ففعل له أبو بكر جبار في الجاهلية غور في الإسلام بماذا أنالكهم بشعر معتدل أم يقول معتري . هيهات ، هيهات ، مضى النبي وانقطع الرحي ، وألفه لأجنادهم ما استمسك السيف في يدي وإن محوي عدلا^(١)

وكم كان بعيد النظر في قتال المرتدين ، كان بعيد النظر في عدم الترخيص لهذه القبائل شيء من مدد ، لاسلام ، وقاد من هذا الشأن . إن جميعا إذا أدن لها من الاسلام في نفس عروة لم ترض عنه بكر بن وائل ، ولو أعفيت كدبه وألفاه وأحايشها أمرا لم ترض فليس حتى ترداد ، ولئن سمعت قولكم لأنقضن الاسلام عروة عروة^(٢)

وهنا استعد أبو بكر للقتال ، وكان أكثر ما يشغله ردة القبائل الحجازية التي كانت حول المدينة وهي قبائل أسد وخطيمان ومرة وعيس وهوازن وسليم وبني عامر بن صعصعة ولبيث والذيل ومدلج من كتانه .

وقد بدأ القتال جهات وفود بعض القبائل تطلب الترخيص لها بعدم دفع الزكاة إلا أن أبا بكر قد رفض ذلك كما رأينا ، وجاء بعد ذلك بعض أقطابهم يطلبون خراج البحرين حتى أن يقسموا عدم ردة قومهم ، فوافق أبو بكر على ذلك . إلا أن عمر بن الخطاب عارض ذلك ولم يزل رجال تميم ما جلا من أجله^(٣) .

قتال المرتدين

بو أسد ومن نف نفيسها وهذه القبائل من القيسية باستثناء على التي كانت من اليمانية ، وأزرت أسدا حلف بينهما

وانتفت هذه القبائل حول طليحة بن عويشد الأسدي . وكان اجتماع هذه القبائل عليه مانع من الترتبة الأولى من اختصارات شخصية . ويظهر ذلك من مواقف هذه القبائل ، فطعن وقتت عد حسودها ولم تتجاوزها عند بداية التراجع

(١) تميمي تاريخ لاسلام ١٩٢/١ سبويي، تاريخ الطلاء ٧٢-٧٣

(٢) ليهامد العشانية ٨٣

(٣) لطريي تاريخ ٢٤٤/٣

أما عطفان فكانت العصبية القلبية هي التي أدت إلى ردتها ، فعند قائلها عيبه بن حصص : بني من «عليين» (أسد وعطفان) أحب إليه من بني من قريش . ومحمد مات أما طليحة فهو لا يزال على قيد الحياة^(١) ، ومن هنا أثر بني أسد عصبية للحلف الذي كان يرتبطهما في «عاهدية» سرح عيبة عند ظهور طليحة إلى تجديد الحلف مع أسد ، وهذا الحلف كان يضم أسماً وطياً وعطفان ، وقبل «بعثة النبوة اجتمعت عطفان على علي و أنزاحوا بعض مطوبها من مساكنها . ولما اجتمعت علي على ذي الحمارين عوف الجذامي ، أرسل إلى البطون التي هاجرت من مساكنها ، وأعادهم إليها . فاشتد ذلك على عطفان ، فما أن مات رسول الله حتى قام عيبه وقل : ما أعرف حدود عطفان منذ انقطع ما بها وبين أسد ، وأي تجديد الحلف الذي كان يبتا في تقديم ومتبع طليحة^(٢)

ومع أن عيبه قد ارتد عصبية لأسد ، إلا أنه لم يكن محصياً خلفاته فقد جاءه إلى أبي بكر ومعه بعض رجالات عطفان يطلبون جعلاً ويكفون من زراعتهم^(٣) ، كما ظهر عدم احتلاصه عندما ترك بني أسد في الميدان وحدهم وقال لقومه هذا كذاب فولي من عسكره^(٤) . وما كان هذا إلا حمق لطوع أن يحصى حقيقة أطماعه حتى أمام أبي بكر ، فقد له عندما أورد ضرب عقبه . يا خليفة رسول الله أن جبين أجمل وقد كن رسول الله أعرف بي منك ولم يخف عليه شيء من أمري ، ولقد خرج من الدب وإني لأقيم على الاتفاق غير أنني تألب إلى الله وإليك في يومي هذا ، فاعف عني عفا الله عنك^(٥) .

أما علي فلم تشترك إلا في بدء حركة الردة ، واستطاع عدي بن حاتم أن يبتزها من حلفائها إلا أن عصبية علي قد ظهرت يوم براحة ، عندما رفضت أن تقاتل بني أسد . وذهبت في قتال قيس ، وحينئذ عدي أن يسمعهم بقتال أسد إلا أنهم أصروا على ذلك ، بل إن خيلهم كانت تنقح حبل أسد ولزارة فلا يقتتلون وهذا قد لهم حائل من الوليد . اصمدوا إلى أبي القيسلين أحببتم لقاتلوا قيساً^(٦) .

(١) ابن كثير ، الكامل ٢٣١/٢ .

(٢) الطبري ، تاريخ ٢٤٧/٣ .

(٣) الديار بكرى ، تميم ٢٢٤/٣ - ٢٢٥ .

(٤) التلندي ، فتوح كلبان ١٠ .

(٥) ابن أهدب ، فتوح ١٧/١ .

(٦) الطبري ، تاريخ ٢٤٣/٣ .

عامر بن صعصعة * كنت تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، في الاشتراك بحرب المسلمين ، أما ردتها فقد كانت احتجاجاً على أخذ الزكاة منها ودفعها لفريش .

وجاء ذلك على لسان فراه بن هبيرة نعمرو من العاص * إن العرب لا تطيب لكم نفساً بالأنثوة فإن أنتم أغفيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع ، وأن أبيتكم فلا أرى أن تجتمع عليكم^(١) .

ولم رأت عامر أن يدثرة قد دارت على طليحة الأسدي في براخه جاءت إلى علي وقالت * مدح فيما خرجا منه ، لم يجمع علي ما يبيع عليه أهل براخه^(٢)

سلم بن جهم رآني أبي بكر تطلب منه أن يمدّها بالسلاح لمحاربة المرتدين فأمر أبو بكر لها بذلك ، إلا أنها قتلت سيوف المدينة على أهل المدينة فبعث إليهم أبو بكر خالد بن الوليد فجعلهم في حفائر وأضرم عليهم النيران^(٣)

أسد . بعث دوراً كبيراً في الرداء ، ويذكر أن طليحة قد أظهر بوادر رده في أواخر حياة الرسول ، إلا أن صدقه أغشى أمره عنده جده فرار من الأזור مبعوثاً من النبي إلى بني أسد وبعد وفاته اشتدت حركة طليحة وصارت ورده على قبائل

ولعظم جيشه قسمه إلى قسمين ، الأول كان بالأبرق ، والثاني في ذي الحليفة ولما علم أبو بكر ذلك أحكم مدهم الحراسة على المدينة وأكرم الناس بحضور المسجد^(٤) . وبعد اهارة المرتدين على المدينة ، سارع أبو بكر وخرج بنفسه إلى قتال المرتدين غير أن الصحابة نصحوه بالعودة ، فعاد أبو بكر بعد أن عقد خالد بن الوليد وأمره أن يصعد لطلحيه . وحتى يوهن أبو بكر من هزيمة المرتدين ، قال لخالد إني مواليك مكان كذا وكذا ، وكان ذلك مقدمة للمرتدين^(٥) .

(١) الطبري تاريخ ٢٥٦/٣

(٢) المصدر السابق ٢٦١/٣ - ٢٦٢

(٣) ابن خياط ، تاريخ ٦٨/١

(٤) ابن الأثير ، الكامل ١٤٢/٢

(٥) ابن خياط ، تاريخ ٦٧/١

وتقدم خالد إلى ذي الحخصة والتقى بهبهال بن عوييد الأسدي وكان معه قبائل أسد وليث و بدس ومذليج واستطاع خالد أن يحقق انتصاراً سريعاً على حبهال ، فكان انتصاره أول فتح على المسلمين . كما كان من أكبر العون على نصرة الإسلام وأنه فقد هو المسلمون هي كل قبيلة ودل الكفار هي كل قبيلة^(١) .

ونتيجة انتصار خالد قامت القبائل المرتدة ، وانتقمتم من مسلميها ، فحلف أبو بكر ليقبضن المشركين كل قتله^(٢) .

أما طليحة فقد اجتمعت إليه حلول القبائل من ذي الحخصة ، وهناك بدأ تحالف جديد ضم قبائل عبس وديان وأسد وفظفان وقسم من بني عامر ، وتمكن خالد أيضاً من هزيمتهم في براعة وفي بطردهم حتى أنهى شوكتهم^(٣)

لقد قامت ردة أسد على المعصية . فكانوا يوم براعة ينادون : إنا لا نعطي العنية في ديننا أبداً ، ونحن أحق بالخلافة من ابن أبي قحافة^(٤) . لقد أمنت أسد بطليحة "معصية وحسد" مع معهم أنه كان كذوباً ، فقد كان هذا المتبع لا يصدق نفسه ، بل يعتبر أن ما قام به هو ضرب من السحر ، فيوم براعة سئل : هل أتاك جبريل منذ نزلت هذا القرآن ؟ قال لا . قليل له . هل ترجو أن يأتيك . قال نعم . وعندما استعسر طليحه عن سب هذه الأسئلة فقد له سائله : أي سمعت هذه الأمة السوداء تزعم أنها سمعت من هذا البعير كذ . وكذا فطمعك طليحه وقال : يرى أن سحر قريش وصل إلينا من المدينة^(٥)

ولما كانت المعصية القبلية هي السبب في التقاء أسد وحلفائها حول طليحه فقد كانت المعصية معها سبباً في القضاء عليه . لقد كنت مصالحي القبائل ، رغم الحلف الذي يجمعها مشايخ ، ثم إن القيادة الموحدة اجتمعت عند هذه القبائل ، فكانت القبائل تقاوم متساندة لكل مها فائد وراية . وهذا مما سهل على جيش امدية أن يحطم هذا التحالف القبلي بسرعة فائقة .

(١) ابن كثير، البداية ونهاية ٣١٧/٥

(٢) المدبري، تاريخ ٢٤٦/٣

(٣) ابن خيابة، تاريخ ٦٧/١-٦٨

(٤) ابن اديم، الفتح ١٠/١

(٥) المصدر السابق.

وحسب يكسر خالد من شوكة هذه القبائل ويريدنا، ذللاً رفض أن يقبل أحداً من
أسد وعطمان وهرارن وسليم وطية إلا بعد أن يأتوا بالذين مثلاً بالمدح فاضطرت
القبائل أن تأتي بهم وهي صافرة، فاحرق خالد بعضهم، ورضخ البعض، الآخر
بالحجارة أما الفريق الثالث فرمى بعضهم في أعالي الجبال والبعض الآخر في أعماق
البحر^(١)

القبيلة

ظهرت من قبيلة عجم متبشة وليس متبشاً، وهي سجاج بنت الحارث بن سويد
وكانت تدرس الكهنة في الجاهلية

ودامت رسول الله، وانتشرت موجة التبشات: أظهرت سجاج رذنها عند
أخوالها من تغلب وهناك انتف حولها قبائل السمر بن قاسط وزيد وشيبان وأخوالها من
تغلب بالبطيخ وبهذه الجموع أقبلت تنهذى نحو قبيلتها عجم

لقد كان من حسن حظ الإسلام والمسلمين أن هذه القبيلة كانت العصبية على
أشدّها بين بطونها المختلفة، كما كان على كل بطن زعيم يناصر زعماء البطون الأخرى
وبعضهم. ونتيجة المناصاة بين البطون تخلصت مواقفهم من الردة

دادت بعض البطون انتمية بعدم دفع الزكاة، ومن هؤلاء مالك بن نويرة الذي
كان يأتي إلى أشراف قومه ويقول: يا بني عجم إنكم قد علمتم بأن محمد بن عبدالله قد
كان جعلي على صدقتكم قبل موته، وقد هلك محمد ومضى لسبيله، ولا بد لهذا
الأمر من قائم يقوم به فلا تعصموا أحداً في مالكم، فأنتم أحق بها من غيركم^(٢).

ومنع الصدقة أيضاً قيس بن عاصم الذي كان على بطون. مقدس والبطون

وإن كان مالك قام بمنع الزكاة فقد صدق بعض هذه البطون إلى إرسالها إلى المدينة
ومن هؤلاء البرمقان بن بدر وكان على بطون الرماح وعوف والأبناء^(٣).

(١) العدي، تاريخ ٢/٦٦٢ ٦٦١

(٢) ابن احن، للفتح ٨/٢٠-٢١

(٣) الطبري، تاريخ ٣/١٧٨

وعندما وصلت مسجح إلى قمم، أرادت أن تثير حمية النعصبة عندهم فأرسلت إلى مالك بن بكرة ودعته إلى أفرادهم، فأجابها مالك على شرط أن لا تهجم أحبابهم، فقبلت مسجح ذلك وقالت: «ي امرأة من بني يربوع، فون كان مدك فذلك لتعميم»^(١) وهكذا تجد أن مسجح وبالرغم من أن غالبية جيشها من ربيعة إلا أنها لا ترى اللعنت إلا لقبيلتها قمم

وبعد أن وصلت إلى مضارب قمم، هاجمت بطون قمم التي بعثت بعدد قائنها إلى المدينة، إلا أن قبيلة أرياب ومعها بطون أخرى تمكنت من هزيمة اتباع مسجح ولما رأت ذلك منهم أدركت أن لا مفر لها من قمم فالتجعت نحو اليمامة.

ومع احتفافهم في جمع قمم حولها، إلا أنها استمرت على ولائها لقبيلتها وعلى أن الملك هو لشعر دون ربيعة، وقالت لقومها: «إن الله لم يجعل هذا الأمر في ربيعة وإنما جعله في مضر، ومع عتريتها بأن السوة في مضر، إلا أنها لا ترى لقرش فيها نصيب، فكان مخطئها مهاجمة مسيلمة أولاً ثم غزو المدينة ثانياً»^(٢)

وما أن اقتربت من اليمامة، حتى غشي مسيلمة أمرها، وغدا أن يقع بين قومي كعاشه جيش شر جليل بن حسنة، وجيش مسجح فرأى أن أسهل الأمرين إليه مهادنة شريكته في الكذب، فسعت إلى مسجح بعدد بنصف الأرض لئلي يسرع بها سابقاً لقرش^(٣) فوافقت مسجح بعد محادثات هوينة، والتفت وجهات نظرهم حول الرعاية لطلب مسيلمة ازواج منها حتى يأكل قومه وقومها العرب، فوافقت مسجح بعد محادثات مطولة، إلا أن نهمة الرواح أساها أهم عامل من هو مل التضاليد لقبيلة إلا وهو المهر فعادت مسرعة إلى مسيلمة بعد أن خرجت من عنده تغلب مهرها، فلم يهجه مسيعة ما يعطيها إلا أن يسقط عن قومها صلاة العشاء والفجر على حد قول بعض الروايات التي أكثرت من التهكم عليها.

(١) المصدر السابق.

(٢) الأتاني، ٢٨٥/١٨ (بيروت).

(٣) الصيرفي، تاريخ ٢٧٢/٢.

وظهر الامتناع على وجوه سادة قيم وريفة من تصرف مسجاح فقال عطار بن حاجب:

أصغرت نبيقتنا التي لطيف بها وأصغرت ألبسة الناس لكسرة
وقال حكيم بن عياش يعير مطر:
أنوكم بمن نسلكم بالهستم بمنسج القمات في مسجف طب^(١)

ويكسر تفسير وحدة مسجاح ومسيلمة بأن معظم القبائل التي كانت تزاور مسجاح هي من ربيعة، ولم يتبعها من تميم إلا عدداً قليلاً، وبما أن مسيلمة من حنيفة وحنيفة من ربيعة، فقد رحبت قبائل ربيعة في الالتفاف حول بيها مسيلمة الكتاب.

وبعد أن فرغ خالد من أمر عليقة الأسدي اتجه إلى تميم، فقتل مالك بن نويرة في رهط من قومه، وحجبة خاله في ذلك أنه لم يسمع لهم نادياً، وأن القوم لا قومه بسلاحهم^(٢).

أما مسجاح فعما أن سمعت بظهور خالد في حريرة حتى تمرقت جمعها، وعلقت مسجاح مع بعض أتباعها في تغلب حتى نقلهم معاوية إلى الكوفة^(٣)
حنيفة: ظهر فيها مسيلمة الكتاب وبدأ بؤته حين وفاة الرسول، إلا أنها تعاطفت بعد وفاته.

وسبب ظهور مسيلمة أن البوّة بنظرة ليست مقصورة على قريش وحدها، بل يجب أن يشاركها في هذا الأمر عدد آخر من القبائل على حد قوله، وبعد أن اشتهر أمره، أخذ يتمتع كيف صارت قريش أحق بالنوّة والإمامة من حنيفة، وخاصة أن قريشاً لا تتمتع بالصعامة التي تتمتع بها حنيفة، فحنيفة حسب رأيه أكثر عدداً وأشد شكبة، وبلاذع أكثر اتساعاً وأموالها أكثر من قريش وحتى يجمع حوله الاتباع ذكر أن جبريل يأتيه كل يوم ينادي يريده من الأمور وينزل عليه كما كان ينزل على محمد بن عبدالله من قبله^(٤)

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ٦٩٨-٧٠٠.

(٣) الطبري، تاريخ ٣٧٥/٣.

(٤) ابن هشام، الفتح ٢٣/١-٢٤.

وكم دعت العصبية القبلية قبائل أسد وعيم أن تلعب حول متبناها ، فقد دعت العصبية حيعة كي تزارر بيها ومن هه قالو . كيشار انتطحا فأ حبهما الينا كسشنا (مسيلمه)^(١) واشتعل أمر مسيلمه بسرعة فائقة ويرجع ذلك إلى أنه كان من الدعاة الذين يصانعون ويألفون الناس ولا يبالون أن يطلق الناس منهم على أمر قبيح ورد من موقعه شهادة ارجال (الرجال) بن عمرو مبعوث النبي صلى الله عليه وسلم لأهل اليمامة الذي اعترف بشوة مسيلمه وأنه قد اشترك مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الأمر فكانت فتنة أعظم على بني حنيفة من مسيلمه^(٢)

وتشبه مسيلمه بقريش كثيراً ، فوحية مشابهة لوجيه قريش ، والنسوة حسب رأيه جائزة في حيفه كما ظهرت في قريش ، ولم يبق عليه إلا أن يتخذ حرم مشابهاً لحرم قريش فوضع يده على قطعة من أرض اليمامة واتخذها حرمًا ، خير أن حرمه هذا أصبح ملجأً للنصوص الذين ينفرون على ثمار اليمامة ويهودون إليه^(٣) .

وبعد ذلك قدم باستمالة القبائل ، فسمح لهم براءة مسيلمية جاء فيها إن بني قيس قوم طهر لقاح ، لا مكروه عليهم ولا أناة ، مجاورهم ما حبيب ، بحسان فإذا متا حامرهم إلى الرحمن^(٤) .

لقد كانت حنيفة تعرف كذب مسيلمه إلا أنها سارت وراء عصبيتها بعيداً وغالت لقريش : متا نبي ومنك نبي^(٥) .

ومع ذلك ظهر من شككت في بوته مثل مؤدنه ثيب بن ربيعي . أشهد أن مسيلمه يرصم أنه رسول الله . وقد اعترف ضمني بكذبه ، إلا أن كذاب ربيعيه أحب إليهم من صادق عسري .

(١) ابن جحر ، الأصباه ، ٦/٥٣٩ .

(٢) طبري ، تاريخ ، ٢/٢٨٧ .

(٣) المصدر السابق ، ٢/٢٨٢ .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ٢٨٢-٢٨٤ .

(٥) ابن حنبل ، تاريخ ، ١/٧٢ .

ومسيلة نفسه لم يجد يوم عطراء ما يبحث به قومه عن القتال إلا أن يقول لهم :
اليوم يوم المعيرة ، إذ هزمتم مسترون النساء مسيات وينكبن غير حظيت فقاتلوا عن
أنسابكم^(١).

ومع التعاف ربيعة حول مسيلة ، إلا أن هذه القبيلة كانت تضع مصالحها
الشخصية في مقدمة أهدافها ، صحيح أنها حاربت إلى جانب مسيلة عصبية وحمية ،
إلا أن أمورها الخاصة كان يحسب لها ألف حساب . فمجددة بن مرارة لم يخرج مع
مسيلة إلا ليطلب ثأره بني عامر وبني نجيم مستعلاً القوصى في الجزيرة العربية^(٢).

وأبو مسيكه الابهادي قاتل جيش المدينة لأن لا سلام يحرم الحمر ، وهو لا يستطيع
الصبر عنها ، فيما يحل مسيلة شريها^(٣).

لقد كانت حبيبة من أكثر العرب عدداً وأشدّها شكيمة ، وبسرعة فائقة استطاع
مسيلة أن يجمع حوله من المرتلين أربعين ألفاً^(٤) . ومن هنا كان القتال مريراً بينهم
وبين المسلمين . ولشدة الفدومة والحق قاتل جيش المسلمين أن يمتار القوم في القتال حتى
يعلم أكثر الناس بلاه . والنسب في ذلك ما حدث بين المهاجرين والأنصار من جهة
وأهل البوادي من جهة أخرى ، فقد اعتبر كل منهما بأنه أقوى شكيمة من الآخر
فلحم حائل جيشه حسب لرايات القبيلة ، فمروا أحد ولا أعظم من ذلك اليوم ولم
يفر أي العربي من أشد شكيمة ، إلا أن العصبية كانت في المهاجرين والأنصار أكثر
منها في أهل البادية^(٥) . وأمام تماسك المسلمين وقوة دفاعهم حانت الهزيمة بمسيلة ،
ولما رأى أنه مشارب على ملوت أخذ ينادي قومه . أما الذين فلا دين لكم ولكن قاتلوا
عن أحسابكم^(٦) وهكذا سبي مسيلة سواه في حديقة الموت

- | | |
|-----|--|
| (١) | الذهبي، تاريخ الاسلام ٢٥٢/١ |
| (٢) | الطبري، تاريخ ٢٨٢/٢ |
| (٣) | ابن هشام، سيرة ٥٧١/٢ ابن مناذر لا اعتبار ٢٨. نسخة مصورة من مخطوطة لايسكسبريدل
اسبانيا |
| (٤) | الذهبي، تاريخ الاسلام ٢٥٦/١ |
| (٥) | الطبري، تاريخ ٢٩١-٢٩٢/٢ |
| (٦) | ابن أثير، الفتح ٨٢/١ |

لقد أمر خالد حنيفة بعدد من مجاعة بن مرارة الذي أمر النساء والأطفال أن يلبسوا السلاح وأن ينفقوا على السطوح، ثم جاء إلى خالد وقال له: "ما جارك إلا سرعان الناس وإنما جمهر الناس لمي إحصون، ولشدة الهول الذي لقيه مسلمون في حنيفة، بلوت أمن خالد بن حنيفة، ولم اكتشف خالد حدة مجاعة، قال مجاعة: لم أجد بداً مما فعلت فهم قومي وعشيرتي^(١)."

وهكذا انتصر شعار 'يا أهل الدين والإسلام' وهزم التيار القبلي الذي كان ينادي 'وبكم يا معشر بني حنيفة قاتلوا عن لأحساب' لم يفتح حنيفة أحسابهم ولا بهوة مسيطرة فعدوا إلى الإسلام بعد أن ذاقوا ويلات وغرورهم. لقد انتصر التيار الإسلامي ولكن بعد أن دفع خمسة وثلاثين شهيداً من حملة لقرآن بالإغادة إلى عدد كبير من المسلمين. ولما علم أبو بكر يحدث كتب إلى خالد يأمره أن لا يستبقي من بني حنيفة رجلاً أب^(٢) إلا أن الكتاب وصله بعد أن فرغ من الصلح

عبد القيس:

احتجعت عبد القيس على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت لو كان محمد نبياً لما ماتت وكأنها قد سبقت الآية ﴿وَمِمَّنْ مَعَهُ﴾ يوم محمد إلا رسول قد خلت من قبله «الرسول أمآن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»^(٣) وحشاً حاول الجزارود بن اعلی إقناعهم أن ما جرى على الأنبياء من قبله جرى عليه، ولا أنهم عصروا على عبادهم وردتهم^(٤) ولحق عبد القيس في ردتها بعض قبائل ربيعة ومنها بكر بن وائل وأمروا عليهم لئلا ينالوا من النعمان لأنه أحق بالأمر من ابن قحافة^(٥)

والرسول ولهم أبو بكر العلاء بن اخصرمي الذي استعمل خطرات أشعلهم بشرح الحضر فينتهم وأعمس سيف بهم^(٦)

(١) ابن أشتب الفتح ٤٢/٦

(٢) بن حنيفة، تاريخ ٣٦/١-٣٧

(٣) سورة آل عمران الآية ١٤٤

(٤) الطبري، تاريخ ٣/٣٠٣

(٥) ابن أشتب الفتح ٤٤/٦

(٦) الطبري، تاريخ ٣/٣٠٣

الأندلس

جاء في أسباب ردتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم آخر الأفاضة من حرفة من أجل إسماعية بن ريد، فلما قدم قال أهل اليمن حينئذ من أجل هذا الغلام الأفطس الأسود فلم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم "ذو الناج" فقيط بن مالك الأزدى حين أن ردتهم لم يكن لها شأن فقد تمكن جيش المدينة من قتل لقيط وسبي أهل ديار^(١)

وفي مهرة انقسم المرتدون إلى فرقتين، فرقة يقوده شخص يدعى "شحریت" وأخرى يقوده "المصيح" وكان الشافعي على الرئاسة بينهم على أشده، فسهل هذه على عكرمه أن يقضي على حركتهم، فعندما قدم مع مهرة دفع الحسد "المصيح" فوقف إلى جانب عكرمه، فبقي شحریت وحيداً قتلته عكرمه وسبي أتباعه^(٢).

كثافة

بدأت ردة كنده عندما أخذ عامل المصنفات زياد بن أبيد قلو حراً من أهل حضرموت ووسمها لأهل الصدقة. فتدخل حارثة بن سراقة وقال لزياد أطلقها وأنت كريم وإلا أطلقناها وأنت لثيم. فغضب زياد من ذلك ورفض إطلاقها وتدخل زعيم كنده الأشعث بن قيس لدى زياد حتى يطلقها لفرط وساطته

وجاء حارثة إلى صاحب القلوص وقال له "خذ ناقتك، فإن كنتك أحد فاحطم ألفه بالسيف، نحن إنما أطعنا رسول الله إذ كان حياً، ولو قام رجل من أهل بيته لأطعناه وأما ابن أبي تماعة فلا والله ماله في رقبتنا طاعة ولا بيعة

وهنا انتفضت بعض بطون كنده على زياد، وتمكن زياد من قتل مائتين ومسي خمسة عشر رجلاً منهم، ولما مر زياد بالأسرى على الأشعث أخذت النساء تنادي يا أشعث يا أشعث حيا لالك، خال لالك. فحمى الأشعث وخرج مع قومه وقتل لاكرامة لزياد أن يقتل قومي وبني عمي وبني النساء والدريري ويحوي الأموان وأقعد عنه فتأذى الأشعث في كنده وسار يريد ريداً ومعه ألف رجل من فرسان قومه

(١) ابن سعد، الطبقات ١/ ١٦٢، البلاذري، فتوح البلدان ٩٣، البحاري التاريخ الكبير ج ١، قسم ٢/ ٢

(٢) الطبري، تاريخ ٣/ ٣١٧.

ولما وصفت أنباء ردة كنفة إلى مدينة بعث أبو بكر إليهم أن لا يتخسروا العهد وأن لا يرجعوا عن الإسلام ، كما عرض عليهم أن يعزل زياد بن أبيه وتولية من تحبه كنفة^(١).

إلا أن الأشعث رفض ذلك ، وقال أن أبا بكر يلزم الكفر بخالفتنا ولا يلزم صاحبه الكفر بقتل قومي وبني عمي ، ولم يكتب بذلك بل بارك لأشعث قاتل رسول أبي بكر إليه^(٢).

لقد استهوت الزعامة الأشعث كما استهوت غيره من المرتدين ، فوقف في قومه يقول : خير لي عنكم يا معشر كنفه إذا كنتم يهتم عني مع البركة وحرب أبي بكر فهلا كنتم زياد بن أبيه فكن يكون الأمر لي ذلك وحداً كائناً ما كان ولكنكم أمسكنتم عني حتى أخذ زكاة أموالكم ثم رحل عنكم لصاحبه وكتب إليكم يهددكم بالقتل

فقدم رجل من أصحابه وقال : صدقت يا أشعث والله ما نحن إلا كعبيد لقريش مرة يوجهون إيتنا أمية مباحدون من أموالنا ما يريدون ومرة يولون علينا مثل زياد فيأخذون أموالنا ويهددون بالقتل والله لا طمعت قریش في أموالنا أدأ^(٣)

وم تقدم يرى أن أسباب ردة كنفة لم تكن من تصرفات زياد فحسب ، بل إنهم تصوروا أمر دلعهم للركاة وكانها ضريبة تأخذها قریش من القبائل لنفسها ، إضافة لذلك أن الأشعث وهو ابن قيس بن معدى كرب صاحب مروج حضرموت ، وغير ملك ظهر فيها ، وصيته ملا الحيرة كلها ، كيف يخضع لأبي بكر ومن هنا قال أبي أعلم أن العرب لا تقر بطاعة بني تميم من مرة وتذع مسادات البطحاء من بني هاشم إلى غيره فإنها لما أجود ونعم لها أخرى . وأصلح من غير أن ملك قس أن يكون عني وجه الأرض قرشي ولا أبطحي^(٤).

(١) ابن اعظم ٦٥/٦٦

(٢) مصدر سابق ٦٨/٦٨ -

(٣) ابن اعظم ٦٥/٦٦

(٤) ابن اعظم ٦٨/٦٨ -

وقام رجس آخر وبين أن أمر الأمة ليس بيد المهاجرين، ولا أنصهر، وإنما للعرب جميعاً، وقد أخرجوا هذه الرجل حكيم 'رياد بن ليبيد'، فما صاحبه بأهل للخلافة ولا يستحقها بوجه من الوجوه وما المهاجرون والأنصار بأنظر لهذه الأمة من بينها
 محمد^(١)

وما تقدم نرى في صحيح كتلة التهامات لم تظهر عند القبائل الأخرى منها دعوة العرب جميعاً في تقرير أمر الخلافة، وسوف يتطور ذلك في خلافة عثمان بن عفان، والناحية لثانية أن هناك من أحد يدعو لآل البيت من خارج المدينة^(٢).

وبعد أن أخرج ريد من حضر موت كتب أبو بكر إلى حكرمه بن أبي جهل بحيرة بحال المسلمين المحاصرين في 'تريم' وطلب منه أن يتجهز في من يجيبه من أهل مكة ومن أحياء العرب ويتوجه إلى كنده وغيرهم من قبائل اليمن^(٣).

وما أن وصلت طلائع حكرمة حتى أحس الأشعث بالخاطر فأرسل إلى حكرمه يقول له: إما لم ترد عن الإسلام ولكن لا طاعة علينا لأحد حتى تأتي المدينة وننظر أمر الناس إلى ما صدر، وإن كان رسول الله أوصى لأحد وشهد بذلك شهود أعضاء، وإن لم يوصى وكان أمر الناس إلى أنفسهم وكان بهم الرضى وكان لنا مثل ذلك ولعلنا نكون من أول من يرضى بأبي بكر، إذ طلب ذلك ما لما نعرفه إلا مقدماً عند الرسول ومن رضى به أهل بيت الرسول والمهاجرين والأنصار فحقيق أن نرضى به^(٤) ولم يكن كتاب الأشعث هذا إلا محاولة لكس الوقت، وجمع بطون كنده لمواجهة حكرمه بن أبي جهل. كما أنه باقصر نفسه بنفسه فهو تارة يريد التحقق هل أوصى النبي لأحد بالخلافة؟ ثم يذكر بأنه سيقبل من قبله المهاجرون والأنصار، وقبل فترة لا يرضى ببيعه أبي بكر.

لقد خشي الأشعث أن يقع بين نارين، نار حكرمه ونار قبيلة مذحج ويستدل على ذلك من قول أحد رؤساء كتلة وهو حفيظ بن معدى كرب: يا معشر كنده إنكم قد

(١) ابن اعثم، ٦١/١.

(٢) ابن اعثم، ٧٣/١.

(٣) ابن اعثم، الفتوح، ٧٣/١.

(٤) مجهول، خلاصة بين الحق والباطل، ١٩٦/١-١٩٧.

علمتم النبي ببتكم وبين ملجج من العداوة والشحناء، وهذه خيل أبي بكر قد سارت إلى مقابلتكم فحسروني الآن أي اخبروني تدفعون عنكم، يحيل أبي بكر أم يحيل ملجج^(١).

وتقدم عكرمه إلى كعدة وتمكن من حصره في حصن النجير، وهذا محركت العصية عند بطون كعدة التي لم تشترك في القتال وقالو: إن بني عصا قد حصروا، وهذا عار علينا، فجزوا برأصبيهم ونعقدو على الموت^(٢)، غير أن شدة الحصار على الأشعث جعلته يطلب الأمان، فاستغل عكرمه طبعه حتى يوهن من عزيمه كعدة التي كانت تخرج الحصن، فنادى عليهم على ماذا تقاتلون ومماحبكم قد طلب الأمان فأصرف لقوم وهم يسيرون الأشعث ويدعون له^(٣).

وأرسل الأشعث إلى المدينة مكرماً، ولم يقتل من كعدة أحد^(٤). ولما مثل الأشعث أمام أبي بكر قال: قد رأسك قومك وعدائني قومي وقد كنا نقول في منكما إذا كان رأيي عند من لا يقبل منه، والسلاح عند من لا يقاوم به، ولما عند من لا يدفعه، فهاهنا الأمور وطلب من أبي بكر أن يعفو عنه وأن يطلق له سراح كل أسير باليمن من معد كب طلب أيضاً مصاهرتة من أخته أم فروه ولفيل أبو بكر: وقد أيتها الناس، أن أساس حديث عهد بالجاهلية وإن دينكم هذا لم يبد، وقد رأيت تأليف هذا الرجل وحياته خير من قتله، أم عمر فقد كان من رأيه أن يقتله حتى تستقيم الأمور في اليمن^(٥) وقد مذم أبو بكر في آخر حياته على عدم قتله وقال: أنه يحيل إلي أنه لا يرى شراً إلا معنى فيه^(٦).

(١) ابن بطي، الفتوح ٦٣/١

(٢) الطبري، تاريخ ٣٢٦/٣

(٣) ابن بطي، الفتوح ٨٢/١-٨٢

(٤) المصدر السابق، ٨٥/١

(٥) مجملته الفاضل بين بني النضير والمناظر، ١٩٦/١-١٩٧

(٦) التلخيص، فتوح البلدان ١١٢

اليمن:

لم تترقب ردة أهل اليمن باعتيال الأمود العنسي، بن قامت ردة ثانية عند قبائل اليمن. ويعد أبو بكر إلى من ثبت منهم على إسلامه أن يعيشوا الأبناء وأن يسمعوهم من قيروز الديلمي

أما لقبائل اليمنية فقد عادت وتعصت ضد الأبناء، وكتب قيس بن المكشوح إلى رؤساء اليمن أن الأبناء نزع في بلادكم، وثقلوا فيكم، وإن تركوهم لن يزلوا عليكم وفي آخر كتابه طالب بإخراجهم من اليمن^(١).

والظاهر أن حركة قيس هذه لم تعص رؤساء القبائل، إنما كانت تحوي صوام القبائل ولم يؤثروا من القيادة إلا حمرو بن معدي كرب الزبيدي. وقد استطاع المنصور بن أبي أسمية وبمساعدة الأبناء من هزيمة المرتدين وأسر قيس بن المكشوح وحمرو الزبيدي وأرسلهما إلى أبي بكر، وقد غلب أبو بكر عنهما وردهما إلى عشائرهما.

وهكذا اسدل الستار على هذه الحق القبلية التي صورها سيد أمير علي^(٢) منهر طفحت مياهه وطفحت على سهوله في يادئ الأمر مهاج وصح وغرب ودمر ولكن ما حال الزمن حتى هبط مسويه وعاد إلى مستواه فخصبت الأرض وأبجع الروح

أسباب فشل المرتدين:

لقد جاءت عوامل عديدة أدت إلى فشل المرتدين ومنها الخزم الذي تسلع به أبو بكر عند التحركات الأولى للردة، فهو لم يقبل من القبائل المرتدة إلا "الحلقة المحزبة أو الحرب المجلية"^(٣) والحلقة المحزبة أن يقرؤا بأن قتلهم في الشر وما أخذ من أموال المسلمين مردود عليهم، أما الحرب المجلية، الخروج من ديارهم وطسره بوفد براشه أن يبرح منهم الحلقة والكرام ويقسم ما أصاب منهم ويردوا ما أصابوه من المسلمين وأن يردوا

(١) ملل ردة يوم في العنبي، تاريخ ٣٧٤-٣٧٦، ٢٢٠.

(٢) مختصر تاريخ العرب، ١٩.

(٣) بلادي، فتوح بلدان، ١١٣.

(دفع الدية) قتل المسلمين^(١) ووافق حرم أبي بكر، حرية التصرف للقيادة وخاصة ما كان خالد بن الوليد. ولما احتج بعض المسلمين لما فعله خالد بالمرتدين من أسد وغطفان رد عليهم، أي لا أتتبع سباً منه بله على الكفار^(٢)

لقد أذاق مسجون المرتدين ويلات المذاب والالام، وقد كتب أبو بكر إلى خالد: لا تظهر بأحد قس اسمين إلا قتلتك وبكلت به غيره، ومن أحببت عن حاد الله أو ضاده من ترى أن في ذلك صلاحاً فقتله^(٣).

ومع الحرم والشدة هذه لم ينس الصديق حسن المعاملة مع رؤساء القبائل فقد تألف بعضهم، ورد البعض الآخر حتى يكسب عشائهم، بل خدم سماع شعر متمم بن نويرة في رثاء أخيه مائل أمر برد سبي بني يربوع^(٤). وتابع أبو بكر سياسة الترحيل والاستيلاء على أراضي بعض القبائل التي اشتركت في الردة، فقد حصص منطقة الابرق، وأرعى سائر بلاد الرملة للمسلمين، ولما احتج بولعبي على أنه أرضهم قال لهم: كنتم ليست لكم بلاد ولكنها موهبي وبغدي^(٥). وبعث إلى المهاجر بن أبي أمية أن اخرج المرتدين من ديارهم فإن أكره أن أقر أقواماً فعلوا فعلهم في منازلهم ليعلموا أن قد أمروا ليلذوقوا وبال بعض الذي أتوا^(٦).

ومن الأسباب التي عجلت في القضاء على حركة الردة العصبية لقبيلة، فكما كانت هذه العصبية سبباً في تجمعهم كانت سبباً في القضاء عليهم فقد وقعت العصبية سبباً سبباً أمام اتحاد هذه القبائل فلم يظهر هناك اتحاد فعلي، وكل ما حدث هو حلف أو عقد كان يفرط عند احتلال الصالح

لقد دخلت القبائل تحارب متساندة، على كل قبيلة رئيس. ولها راية منفصلة وراد من ذلك اماسة بين بطون القبائل كما حدث في تميم والأزد وكذلك

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الطبري، تاريخ ٢/٢٦٢.

(٤) المصدر السابق، ٢/٢٧٩.

(٥) المصدر السابق، ٢/٢٨٤، نقلي، ما استقل من لغو

(٦) المصدر السابق، ٣/٢٢٧.

وقابل هذا التمرد القبلي وحدة جيش المسلمين الذي خضع لقيادة موحدة وأدرك أبو بكر أهمية وحدة جيشه وتطهيره من آثار العصبية القبلية عندما احتج الانتصار على عدم تولية قائد منهم، فسارع أبو بكر وعين ثبث بن قيس على الانتصار وخالد بن الوليد على المهجرين والقيادة العامة إليه^(١).

ظهرت وحدة المسلمين عندما رجع الانتصار بعد قتال طليحة وتوجه حائل إلى مسيئمه، وقالوا أن هذا القرار لم يأمر به أبو بكر مدفعتهم رابطة العقيدة الإسلامية بالحاق بخالد وقالوا إذا ظهر أصحابنا لقد حسنا بهم ولئن هربوا لقد خذلناهم^(٢).

واستعمل أبو بكر رساء القبائل حتى يردعوا قبائلهم عن الرد، فأرسل عدي بن حاتم إلى طي وعرفجه البارق الأري إلى الأزد، والعلاء بن الحضرمي إلى كتبه وجرير بن عبد الله إلى بجيلة وأن يقاتل خشم التي ارتدت غضباً لنفسها دي الخليفة^(٣).

ويضاف إلى ذلك فساد المبادئ التي قامت عليها حركة الرد، فكان المرء يقاتل حمية وعصبية المسلم يقاتل لرفع كلمة الله بل كان أحدهم لا يهجد حرباً أي قتل أقرب الناس إليه، فأمر أبو بكر عدي بن عدي الكندي قتل عمه وقال له: أنت عمي والله ربي^(٤).

نتائج الردة

كان انتصار أبي بكر على المرتدين هو انتصار لتيار الإسلامي على التيار القبلي وبالتالي تسليم القبائل العربية للزعامة القريشية.

جاءت الردة نتيجة إيجابية، وهي خلق مجتمع جديد، أصبحت قبائله مفتوحة على بعضها البعض بعد أن كانت القبلية تحيطها بسور منيع لا يجوز اختراقه إلا بحلف أو جوار، أما اليوم فقد جاءت الحشوش إلى اليمن والبحرين وعمان كما توجعت إلى

(١) ابن جرير، فتح بستان ٩٩

(٢) البخاري، فتح بستان ٩٩

(٣) طبري، تاريخ ٣/٢٢٢

(٤) ابن هزم، جمهرة أنساب العرب ٤٢٨

مساكن قصاهه وبني وتعلب ، هذا الاختلاط أدى إلى دمج بعض الجيوش مع السكان الأصبيين لاسيما بعد أن سمح أبو بكر بالإقامة لمن يرغب في ذلك^(١).

ورافق عملية الاختلاط هذه حدوث مصاهرات بين القبائل ، فحالّد بن الوليد تزوج من روجة مالث بن مويده من تميم^(٢) ومن بنت مجاعة بن مرارة ، من حنيفة^(٣) ، وأصهر معد بن جبر إلى بني بكره - السكون - وكان لهم أثر في حميتهم من الأسود العسري^(٤) ، وتزوج الأشعث بن قيس من أخت أبي بكر^(٥).

وبعد أن فرغ أبو بكر من ردة الجزيرة العربية أراد توجيه الجيوش إلى خارج الجزيرة العربية فكانت الفتوحات الإسلامية - إلا أنه لم يستعمل المرتدين عقاباً لهم حتى ردتهم .

وكما حارب أبو بكر المرتدين فقد حارب العصبية القبلية القديمة ، فقد حارل خالد بن سعيد بن العاص عن قيادة أحد الجيوش المتوجهة إلى الشام لما علم أنه يحمل أمره على المعركة والتعصب^(٦) وقال ليريد بن أبي سعيد : ياك وعيبة الجاهلية فوالله يعضها ويغض أهلها^(٧).

وأوصى أبا عبيدة بأن يحسن صحبة من صحبه وليكن ثناس عنه في الحق سواء^(٨) . والسؤال الذي يطرح نفسه هل كان اختيار أبي بكر لقواده من قرش عصبية لقبيلته؟ الواقع أن أبا بكر قد سار على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في محاربة العصبية ورأبأ تحديده القواد من العصبية القبيلة فلا يمكن وإحالة هذه أن يأتي هذا التحيين عصبية لقومه وإنما كان للعوامل التالية

- (١) الطبري، تاريخ ٢/٢١٤.
- (٢) المصدر السابق، ٢/٢٧٨.
- (٣) ابن أحم، الفتوح ٦/٤٢.
- (٤) الطبري، تاريخ ٢/٢٢٠.
- (٥) البلاذري، فتوح البلدان ١١٤.
- (٦) البلاذري، فتوح البلدان ١١٦.
- (٧) ابن الأثير، الكامل ٢/٢٧٧.
- (٨) الأزدري، فتوح الشام ١٠.

- إن بعض هؤلاء القادة قد تمس في حروب سابقة وغبطة حروب الردة، وأظهروا كفاءة متدرة فأراد استغلال هذه الكفاءة في حرب الروم والعرس
 - لم يشأ أبو بكر أن يتمتع باب المفاضة بين القبائل وتسايقها على الرئاسة ولذا تركه أمر اتفاقيات لغرض
 - ربما أن أبا بكر قد حشي من حدوث ثرد قبلي جديد، فرعب في بقاء الزعامة بيد قريش حتى تعيد الأمر إلى نصابه أن حدث حادث .
- وأثبت أبو بكر باختياره لعمر بن الخطاب خليفة للمسلمين أنه يبعد عن العصبية وأهلها كما أن ولادة أبي بكر كانوا من مختلف القبائل فالعلاء بن الحضرمي كان على النحسين ولها حريين بن أمية على صنعاء وعلي بن مية^(١) على خولان وعتاب بن أسيد على مكة، وعثمان بن أبي العاص على الطائف وسيط بن قيس على اليمامة^(٢).

ب- المظاهر القبلية في عهد عمر بن الخطاب:

بوجع عمر بالخلافة سنة ١٣ هـ بعد عهد من أبي بكر إليه وقد خضع اختياره خيفة للمسلمين لأموار إسلامية منها أنه من السابقين إلى الإسلام إلا أنه لم يكن من بطن بارز من بطون قريش ولما وقع عليه الاختيار لمؤملاته .

ومن الناحية الأخرى أن عمر كان من أكثر الصحابة نفوذاً في خلافة أبي بكر، وأبو بكر لم يرشحه إلا للكمادة التي كان يتمتع بها واستشار أبو بكر أعضاً بعض الصحابة في هذه الشأن فجاءت مراقبتهم على هذا الاختيار وهذه الأمور لا يتمشيان والتقاليد السياسية التي كانت سائدة قبل الإسلام^(٣) . وفي عهد عمر تأثي ثلاث عوامل وعن غير قصد لتبقى على الفواصل القبلية داخل المجتمع الإسلامي وهذه الأمور هي :

(١) ابن خلدون، تاريخ، علي بن أمية ٩١/٦

(٢) المصدر سبق، تاريخ ٩١/٦

(٣) قانون النوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ٤٨

١- القبيلة والنظام العربي:

جاء عمر ليسير على التهج الذي سار عليه أبو بكر من استمرار في التوسعات لأحد بحث الناس على الجهاد لأمرين هو غريضة مقدسة يجب على كل مسلم القيام به، ثم أن مورد الحجاز ما عادت لتكفي سكان الجزيرة العربية وقد إن الحجاز ليس لكم بدر، لا على السجعة ولا يتسوى عليه أهل ولا بذلك^(١) وقال أيضاً إنكم قد أصبحتم في دار مقام بالحجاز وقد وعدكم النبي صلى الله عليه وسلم فتح بلاد كسرى وقبصر فسيروا إلى أرض فارس^(٢).

ويضاف إلى العوامل الدينية والاقتصادية العوامل الاجتماعية فأبو بكر وعمر من بعده أرادوا استعمال الطوائف القبلية وتوجيهها إلى قتال الأعداء بدلاً من قتل بعضها بعضاً، وبهذا القتال يمكن إشغال هذه القبائل التي كانت أسداً يأكل بعضها البعض^(٣).

بدأ عمر همه بتوجيه الجيوش نحو العراق، ومكث أربعة أيام حتى استطاع أن يجمع جيشاً يرسله إلى العراق وقد عين على هذا الجيش أباً عبيدة بن مسعود الثقفي ولم يكن هذا من السابقين وعينه عمر لأنه كان أسرع الناس إلى القتال فقال عمر أولى بالبراسة من سبق إلى الذبح وأجاب إلى الدهاء^(٤).

واقفه أبو حبيدة إلى العراق، وعلى العادة الجاهلية كان لا يمر على قبيلة أو حي من قبائل العرب إلا دعاهم إلى مجلته والسير معه^(٥). وفي أول لقاء له مع الفرس دخل الحروب حمية وبدون تحفظ مسق عندما عبر الفرس بالجزر والخوف فعبر الجسر، ولم يستمع إلى نصيحة سليط بن قيس الأنصاري، الذي أشار بعدم العبور وكان عمر طلب من أبي حبيدة أن يسمع له ويعطيه. وكانت النتيجة أن هزم المسلمون هزيمة منكرة.

(١) أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة ١٠٢/٢

(٢) مسعودي، مروج الذهب ٣١٥/٢

(٣) أبو حيان، الامتاع والمؤانسة ١٠٢/٢

(٤) نظير تاريخ ٤٤٥/٣

(٥) ابن خلدون، المقدمة ١٢٢.

ونظراً لحاجة عمر إلى المتانلة أسقط الخطر الذي كان مفروضاً على القبائل التي ارتدت وسمح لها أن تنخرط في الجيوش وتساهم في الفتوحات. فكتب إلى القبائل يستلهمها وأجابه منهم الأردي بمعاملة منهم وكان عليهم مصادم بن سليم الأردي، ووجه الخصم بن معبد بن رزازه في جمع من بني تميم يقدر بألف رجل ووجدت طي وعليها عدي من حاتم، ولشذر بن حسن في جمع من عصب.

وكتب عمر إلى عمارة حتى يحرر جواكس من يتسبب إلى بعيته ويوافقوا جمعهم في مكان بين مكة والمدينة والعراق. ويعد أن لجمعت بجيلة أرسلها إلى العراق بعد أن وعدها ببيع العبيدة^(١)

وقبل خروج بجيلة حدث بين جرير وعرصة الأردي نزاع حول رئاسة القبيلة، لقد احتجت بجيلة على رئاسة عرصه، وشكوا ذلك إلى عمر بن الخطاب وطلبوا عزله عنها فرفض عمر في بادئ الأمر لأنه أقدمهم هجرة وإسلاماً وأعظمهم بلاء، ولما رأوا إصرار عمر على إبقائه قالوا له: استعمل علينا رجلاً ما ولا تستعمل علينا رجلاً فينا. فظن عمر أنهم يقعون سبه فبعث إلى عرصه فصدق قلوبهم وقال إنني من الأردي وكنت حليفاً فيهم فاعتزل عرصه قيادتهم وتسلم جرير قيادتها^(٢). وهكذا نجد أن القبائل لا زالت تؤمن أن الرياسة تنتهك لا تكون في غير سبهم^(٣)

وخروج الجيوش حسب تشكيلاتهم القبلية كان يشير التناقص بين القبائل. وخاصة عند الرؤساء وثبت ذلك لما خرج جرير بن عبد الله نحو العراق بعث إلى المشي بن حازنة الشيباني يقول إليه على اعتباره أنه مدد له، غير أن جرير أرفض ذلك وقال أنت أمير وأنا أمير^(٤).

وفي إرسال القوات إلى العراق لاحظ عمر أن القبائل اليمانية كانت ترهب في الذهاب إلى الشام بينما كانت القبائل المضرية تتجه نحو العراق فقال عمر لليمانية أرحاكم أوسع من أرحامنا، ما بال مضر لا تذكر أسلافها من أهل الشام^(٥)

(١) الخازن، فتح بغداد ٣٦

(٢) الطبري، تاريخ ٤٦٢/٣-٤٦٣

(٣) بن خلدون، المقدمة ١٣٢.

(٤) الطبري، تاريخ ٤٧١/٣.

(٥) الطبري، تاريخ ٤٨٧/٣

وتفسير اتجاه القبائل اليمنية نحو الشام، أن حوثها قد استنفروا هناك قبل البعثة النبوية بزم طويل هذا بالإضافة إلى السمعة التي كانت تتحدث عن قوة العرس وشدة مفارمتهم.

أما القبائل المصرية فكان قريباً من حدود القوس، واحتكاكها بهذه الدولة قبل العتوجات، ومعرفة طبائع العرس دفعها إلى الانجاء نحو العراق ولذا كانت أكثر القبائل قرباً لأعلى العراق ربيعة وتميم. وعندما تجهز سعد لخروجه إلى العراق والحقت به قبائل بارقي ومعهم سعد وحضر موت وملحج والسكون وكندة ويحيلة وطى وهذه جميعها قبائل يمنية وراقله من القبائل العدنانية خطمان وتيمم انرياب وأسد وربيعه كما خرج معه عدد كبير من قضاة^(١٦).

ولما كان خروج الجيش قد حقيق للتنشكيلات القبلية أراد سعد أن يحقق من حمدة هذه التشكيلات، فبحث إلى سعد بن أبي وقاص بأمره بتنظيم الجيش في القتال وقد جاء هذا التنظيم على النحو التالي:^(١٧)

القائد العام: وهو الذي يعينه للحقيقة، وكان في العراق سعد بن أبي وقاص
أمراء التعيين: وهم أمراء المقدمة والميسرة والملاحق والرجالة.

أمراء الأعشار: عشر سعد الناس (أي قسم إلى عشرات) وعين على كل عشرة عريف وكل عشرة مرده عليهم أمير وقد سمي أمير الأعشار

أصحاب الرايات: وهم حملة رايات القبائل
القواد ورؤساء القبائل:

أما القيادة فقد جعلها سعد لأهل السابقة، ولم يسمح لمروء أن يتولى من أمر المسلمين شيئاً، لأنهم حديثو عهد بالجاهلية وفيهم عجيبة^(١٨).

(١٦) المصدر السابق، ٤٨٧/٣.

(١٧) المصدر السابق ٤٨٩-٤٨٨/٣.

(١٨) مجيوله، فواصل من أسبق والباطل، ٢٥٠/١-٢٥١.

لكننا نرى أن هذه التفسيرات لا وجود لها في ساحة القتال، وكل ما زودته به المصدر أنها كانت تقاتل متساوية، وظهر ذلك في القادسية حيث كانت بجيلة تقاتل متعردة فكانت الهزيمة أن تحيق بها فأرسل سعد إلى بني أسد لمساعدتها^(١).

كما أن هذه القبائل كانت تنادي بشعاراتها الخاصة فأسد تنادي وأسداه وبجيلة وابعيلاه^(٢) ورؤساء القبائل هم الذين كانوا يتولون تشجيع الناس وحث الحماس فيهم ومن هؤلاء الرؤساء جرير بن عبد الله الذي كان يقول لغومه: لا يكوس أحد أسرع إلى هذا العدو منكم منكم في هذه الملاد حظوة ليست لأحد من العرب^(٣). والأشعث بن قيس يقول لكتنه: يا معاشر كتنة لله در بني أسد أي فرى يفرون، وأي هذا يهدون عن موقفهم منذ اليوم أغنى كل قوم ما يليهم وأنتم تنظرون من تكفيكم البأس أشهد ما أحسستم أسيرة قومكم تعرب منذ اليوم وأنهم ليقنلون ويقاقلون وأنتم جماء على الركب تنتصرون^(٤)، وعاصم بن عمرو التميمي يحث قومه على ضرب نخ راطهم الفيلة في يوم أرمات^(٥).

وعمر بن الطفيل يقول للأزد: لا يؤثرون أسلمون من قبلكم، وجندب بن عمرو الأزدي يقول لهم أيضاً: يا معشر الأزد إنه لا يبقى منكم ولا ينجو من الأثم والعار إلا من قاتل، إلا وأن أقتول شهيداً وخائباً من حرب اليوم^(٦).

وأبو الأحور السلمي يقول: يا معشر قيس خادوا بحكمكم من النصر والأجر: فإن النصر في الدنيا حر ومكرمة، وهي الآخرة رحمة وفسيحة فاصبروا وهابروا^(٧).

وظهر الشافعي القبلي وخاصة في القادسية، فالقبائل اليمانية اجتمعت لتباحث حول أفضل الوسائل لكسب النصر في القادسية حتى يكون لهم شرف ذلك الانتصار،

(١) المسعودي، مروج الذهب ٣/٣٣٦.

(٢) الطبري، تاريخ ٣/٥٦٢.

(٣) الديلميري، الأخبار الطوال ١١٤.

(٤) الطبري، تاريخ ٣/٥٢٩، الفر الأثر السريع، هذا القطع السريع.

(٥) الطبري، تاريخ ٣/٥١.

(٦) الأزدي، فتوح الشام ٢٤٤.

(٧) المصدر السابق، ٢٢٨.

ولارأت قبائل ربيعة ما فعلته، اليمانية عقدوا اجتماعاً مماثلاً وأحد الرؤساء يحثون أتباعهم على مواجهة القرص يباس وأقدام^(١).

وإذا تنافست القبائل على حسن البلاء، فقد تنافس الأفراد على السيادة، وهذا عمرو بن معدى كرب لا يعترف لقيس بن هبيرة بالرئاسة عليه ويقول يا قيس إن زماناً تكون على ما فيه أمير لزمان سوء، ثم رجع عن دينكم هداً إلى ديني الذي كنت عليه وأقاتل حتى أموت أحب إلي من أن تتأمر عني ثنية، وهذا إذا عين عليه قائداً مرة ثانية ليعرف سعد بن أبي وقاص^(٢).

إن التنافس على الرئاسة كد أن يوهن شوكة المسلمين في القادسية وذلك عندما أصيب سعد بحرق الساء ففرض القيدة على حائل بن عرفة، وهنا تأثرت ثائرة رؤساء القبائل، وأحجم بعضها عن القتال، فاصطر سعد أن يدير سير معركة وهو منكب على وجهه^(٣).

ولم يحتلف الوضع في الشام عنه في العراق، فخالد بن الوليد استعرض جيشه قبل التبرمك قبيلة قبيلة، وسمح لرؤساء القبائل والشعراء أن يحرضوا قبائلهم على حسن البلاء، إلا أن التنافس على السيادة لم يظهر بين قبائل الشام كما ظهر بين قبائل العراق.

والواقع أن هذا الترتيب قد جاء بنتائج إيجابية وسلبية، فمن ناحية إيجابية وحد من عصبية العرب نحو عدو مشترك، فأرادت كل قبيلة أن تظهر تفوقها على القبائل الأخرى حتى يكون بها شرف العحر في هذا المجال.

ومن الناحية السلبية فقد عزز الانقسامات القبلية وزاد من اتساعها، فالقبائل الصغيرة العدد اضطرت إن تتبع القبائل الأكثر عدداً والتي ترتبط معها برابطة النسب، ولأول مرة نسمع اجتماع قبائل يمنية وقبائل ربيعة كما حدث في القادسية.

(١) الطبري، تاريخ ٥٦٣/٣.

(٢) المصدر السابق، ٥١١/٣.

(٣) طبري، تاريخ ٥٣١/٣.

وعمر بن الخطاب كان معلوماً في هذا التنظيم، فلم يكن هناك من وسيلة تجمع بها «الجوش عبر طريق القبائل، والناس حديثو عهد بالجاهلية فلم يكن بالإمكان تكوين الجيوش المنظمة التي لا تحصص للهيكل القبلي، ورأينا مثلاً ذلك قبيلة بجينة التي رفضت أن يفردوا حليمتها واعتبرته نزحاً لا يحق له قيادة أهل العصبة البجيدون عه في النسب

ولم يكن أمام عمر إلا إخراج جيشه على شكل وحدات قبلية، والهجرات كانت تأتي متباعدة، وعلى شكل قبائل فكان يرسلها إلى ساحات القتال حسب ما جاءت إليه

وإذا أراد أن يسلح عي جيشه لم يكن أمامه غير السؤال عن كل قبيلة وكيف يلازمها في القتال^(١)، بل عندما زار الشام تقدم بجيش السلام عليه على شكل قبائل يتقدم كل قبيلة سيدها^(٢).

لم يعب عن بل عمر اضطراب هذه التشكيلات القبلية، فبعث أولاً إلى سعد يطلب منه تشكيل جيشه على أسس تتناهي مع التنظيم القبلي وثانياً رأي في الشعيرات القبلية عودة للجاهلية فكتب إلى أبي موسى الأشعري يطلب إليه أن يمنع مناداة القبائل بشعاراتها وقد له... وإذا كانت بين القبائل ثائرة فتنادوا يا فلان يا فلان فإني نكت نحوي من الشيطان وعريهم بالسيف حتى يغيثوا، إلى أمر الله وتكون دعواتهم إلى الله والإسلام وبلغني أن هبة تهادي بالضيبة، والله ما علمت أن هبة ساقى الله بها حبراً قط ولا صرف بها شراً فودد جارك كئابي هذا فأنتهكهم عقوبة حتى يفرقوا إن لم يفتقروا^(٣).

هذه وقد لعبت العصبية العربية دوراً بارزاً في الفتوحات، فعندما تحدثت للعصبيات القبلية نحو غاية واحدة وهدف واحد حققت أهدافها وحادت على الأمة بالخير العظيم لقد اندمجت هذه القبائل تقاوت العدو وتبذل العالي والرحيم من أجل رفع كلمة الله بعد أن كانت تتقاتل في الجاهلية حمية وعصبية

(١) مروج الذهب، ٢/ ٣٣٧-٣٣٤

(٢) من أعظم الفتوح ١/ ١٩٤.

(٣) الأذني في أخبار مكة ٢/ ١٨٧-١٨٨.

وإن كانت عصبية الإسلام هي التي وحدت هذه القبائل، فقد كانت العصبية العربية هي التي دعت القبائل العراقية الصراعية أن تحوض مع اخوانها العرب ساحات القتال جنباً إلى جنب - وبدأ ذلك عندما بحث ثلثي إلى قبائل ربيعة التي تسكن العراق بقوله - أنتم عرب وإن كنتم على خير ديننا، فجاهد معهم أنس بن حلال النخعي في قومه من بني الحر من قسطن وابن مردئ النهري في قومه من تعلق^(١) كما عمل بعض أهل الحيرة عيوناً للمسلمين على الفرس^(٢)

وفي الشام وقعت قبائل الحنم وجرام^(٣) وغسان إلى جانب العرب بعد أن حاربت إلى جانب الروم في بدء «سرع» بن شدت العصبية جبلة بن الأيهم كي يحارب مع الأنصار لأنهم اخوانه ويترأى^(٤).

القبيلة وتحطيط المدن

لم يسمح عمر في بادئ الأمر بإقامة مدن للجيوش العاتجة، وإنما رغب في إبقائها على شكل حامية عسكرية يسهل نقلها من مكان إلى آخر وكلما استدعت الظروف ذلك وهدف عمر من ذلك عدم إشغال المسلمين بأموال المدن.

غير أن معارضة عمر لم تدم طويلاً أمام ادّعاء قائد العراق الذي يرى له أن هذه المدن أو المراكز ستكون قواعد عسكرية تنطلق منها الجيوش بعد أن تكون قد نالت قسماً من الراحة - فوافق عمر على إقامة مدن للجيوش

اتباع في تحطيط المدن الطريقة التي اختطت بها مكة والمدينة من قبل، وهذا التخطيط قام على أساس تقسيم المدينة إلى خطط تتناسب مع عدد القبائل والبطون التي تسكنها - فمكة غططت أربعاً ثم قسمت هذه الأرباع بين بطون قريش وأهلها^(٥)

(١) المصدر السابق، ٤٦٥/٣-٤٦٧

(٢) المصدر السابق، ٨/٣-٩٠٤

(٣) المصدر السابق، ٣/٣-٥٧٠-٥٧١

(٤) «بغاري، فخر» لندن ١٤١١

(٥) ابن هشام، السيرة، ١٢٠/١، لأزدي، أخبار مكة ١٨٧/٢-١٨٨.

والتي قسمت إلى خطتين رئيسيتين إحداهما للأومى والثانية للمعروج ، ثم قسمت كل حطة حسب البطون والأفهاد . وها هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل المهاجرين بخط حصة بهم ومن هذه الخطط حطة لبي شعار وبني صمرة ، لبي أسلم ، محزوم ، عذبة ، أشجع وغيرها^(١) .

ويعد أن وافق عمر على بناء المدن لم يجد مخطوط المدن إلا أن يتعقبوا الطريقة التي كانت معروفة عندهم وهي تقسيم هذه المدن حسب القبائل

وأول مدينة اختطت هي البصرة وذلك سنة ١٤ هـ ، حيث بحث عتبة بن روران إلى عمر بن الخطاب يعلمه أنه نزل البصرة ، واتخذها مقراً لمسكره ، فوافق الخليفة على إقامتهم فيها . وبنا يوتهم من القصب حتى لا تتحد مكان إقامة دائم ، لكن حريق البصرة أثبت عدم جدوى بناء البصرة من القصب ، فعاد عمر ووافق على بنائها من الأجر بشرط أن لا يتناول الناس بالينان .

لقد اختلف في مخطط البصرة فمن قال هو محجر بن الأورع السلمي ، أو نافع بن الحارث بن كندة ، أو الأسود بن سريع التميمي^(٢) ، والأسماء الثلاثة تعطي مدلولاً عن القبائل أو الكتل القبلية الثلاث التي سكنت البصرة وهي قيس وكندة وتميم وليس بهمها من قام بالمخطط بقدر ما يهمننا شكك هذا المخطط ونوعه

لقد قدم تخطيط البصرة على خمسة خطط ، وقد حفظت بـ المصادر التاريخية هذه الخطط على النحو التالي :

- **خطة أهل العاقلة** ، وهذه الخطة تقسم قبائل متعددة لا يجمع بينها ربطة نسب وإنما أربعة الأماكن أي القبائل التي كانت تقسم في منطقة الحجاز وهذه القبائل هي : سليم وخثبة ومريه وباهله وتقيف وليث وخزاعة وهذيل وغس وقشير وهمد وغيره ، وكثرة هذه القبائل تدل على أن أعدادها كانت قليلة في البصرة .
- **خطة تميم** ، كانت تميم من أكثر القبائل التي سكنت البصرة ، ومن هنا كان لها حطة خاصة بها تقسم بطوبى لمختلفة ومن هذه البطون سعد وصرم وفروع وجشم ، ومجاشع ، نهشل ، يربوع وغيرها .

(١) السمووي ، وفقاً لبرهان ٥١٧-٥١٩

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ٣٤١

- **خطه بكر بن وائل**، والقبيلة التي كان لها كثرة في البصرة هي ربيعة، وكان لها من بين حطط البصرة، خططان أحدهما بكر بن وائل والثانية لعبد القيس، وضمت خطه بكر بن وائل بطونها المختلفة مثل عجل وقيس بن ثعلبة وسدوس وعجيمة، ويشكر وذهل، وخنيقة، وتيم بن ثعلبة، وهنزة.

- **خطه عبد القيس**، وتضم ثمانية بطون منها: محارب، طغر، عصر، عامر بن الحارث، صباح.

- **خطه الأزد**، وتضم القبائل التي تنتمي إلى أرومات بمائة ومن هذه القبائل هتيك، أحمدان، الزهران، فردوس، وبلغ عدد البطون التي سكنت في هذه الخطوة أربعة وعشرين بطناً^(١٧).

ومن هذه الخطط يرى أن أكثر القبائل التي سكنت البصرة هي من القبائل التي كانت تقطن في شرق الجزيرة العربية أي مناطق الخليج العربي اليوم.

أما للديانة الثانية التي أقيمت في العراق هي الكوفة وقد أنشأت سنة ١٧ هـ ويذكر السبب في ساقها أن الخليفة عمر استقل وقتاً من أهل العراق فرأى تعيراً في وجوههم، فسأل عن ذلك فبين له من وحومة البلاد فكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص ليتأكد من حقيقة الأمر، فصدق سعد ما سمعه عمر، فكتب إليه أن يبعث رائدي الجيش سمعان العامري وحديقة بن اليمان ليرئذا مكدماً يلائم الخند، واشترط أن لا يكون بينه وبينهم بحر^(١٨).

ووقع اختيار رائدي الجيش على أرض الكوفة، وكأختها البصرة أقيمت أول الأمر من القصب، ولا أن الحريق الذي شب بها وأتى على ثمانين عريشاً مهد دعا المسلمين إلى إعادة بناء الكوفة من الأجر كما بيت البصرة.

«ختلف تحيط الكوفة عن تحيط البصرة ومرد ذلك إلى كثرة القبائل التي سكنت الكوفة، فالبصرة قسمت أحماساً، أما الكوفة فقد قسمت أسماهاً

(١) صالح أحمد الطي: منتظيات الاجتماعية في البصرة ٣١٧-٣٢٦

(٢) ابن حبان، تاريخ ١٠٩/٦، الطبري، تاريخ ٤٠-٤٢.

وتظهر العصبية عندما قسمت المدينة إلى قسمين في بادئ الأمر أحدهما لليمانية والثاني للزارية ، وكان اختيار الطريق لحفظه حسب نظام القرعة ، فخرج السهم لشرقي للقبائل اليمنية والسهم للغربي للقبائل الزارية^(١)

جاءت حطط الكوفة على النحو التالي :

- الخطوة الأولى : وتضم كانه وحلفائها من الأحابيش .
- الخطوة الثانية : وتضم أبند وعك وعبدالقيس وأهل حجر والحمره (الوادي) .
- الخطوة الثالثة : وتضم قضاة ومعه غسان بن شيبم ، وبجيله وخشمم وكندة وحضرموت
- وهذا يدل على قلة اعداد القبائل التي كانت هناك .
- الخطوة الرابعة : حطة الأرد .
- الخطوة الخامسة : وتضم مدحج وحمير وهداد وحمالاهم .
- الخطوة السادسة : وتضم ثيم وطوبها ومهم هوزن .
- الخطوة السابعة : وتضم أسداً وطفدان ومحارب وهبيعة وتعلب^(٢)

وقسمت المدينة أيضاً إلى خمسة عشر نهجاً ، والنهج هو مسكن القبيلة حيث لا يشاركها فيه أية قبيلة أخرى . وهذه النهج كانت على الشكل التالي^(٣) .

- ١- هي ودعة الصحر (أي في شماله) كان فيه خمسة مناهج ، وبن كل مناهج طريق وهذه المناهج هي : (سليم) ، (ثقيف) ، (همدان) ، (بجيله) ، (ثيم الملانت) .
- ٢- قبلة الصحر (أي في جنوبه) فيه أربعة مناهج وهي : (أسد) ، (بن أسد والنجم) ، (كندة والنجم) ، (كندة والأرد)
- ٣- شرق الصحر : فيه ثلاثة مناهج : (الأصهار ومينة) ، (ثيم) ، (أسد وعامر) .

(١) البغدادي، فتوح البلدان ٢٦

(٢) البغدادي، بلدان ٢١٠-٢١١

(٣) الطبري، تاريخ ١٥/٤ .

٤- غرب لصحي : فيه ثلاثة مناهج : (بجالة وغطمان وبجالة بن قيس) ، (جديده) (جهينه) .

هذا وقد استعان سعد بعدد من الساسة العرب منهم سعيد بن ثمران ومشعنة بن نعيم حتى يتم عن طريقهم توزيع القبائل حسب الخطط التي حصصت لهم

وبقي هذا التقسيم محافظاً على طبعه حتى خلافة علي حيث أجرى تعبيراً على خطط الكوفة فكان هذا التعبير الأول وأصبحت خطط الكوفة على النحو التالي :

الأول : همدان وحميم .

الثانية : ملحج وأشعر وعلي

الثالثة : قيس وتضم عس وديك ومعهم عبد القيس

الرابعة : كنده وحضرموت وقضاة ومهرة .

الخامسة : الأزد وبجينة وخشم والأنصار .

السادسة : بكر وثلث وبقية بطون ربيعة عدا عبد القيس

السابعة : قريش وكابة وأسد ونعيم وغبية وأرياب^(١)

والتقسيم الجديد يجمع لقبائل ذات النسب الواحد أكثر مما كان في التخطيط السابق والملاحظة الثانية أن معظم قبائل الكوفة هي من القبائل اليمنية ، بينما كانت غالبية قبائل البصرة من المضرية والربيعة .

ورغم أن خطط الكوفة قد جمعت قبائل متباعدة في سبها إلا أن هذا الجمع ما كان يعني الاختلاط بالمعنى الدقيق ، فقد كان لكل بطن أو قبيلة منطقة سكنية يهبطها من البطن أو القبيلة الأخرى زقاق .

كان نظام الأحمس والأسباع نقطة البدء في إحداث تشكيلات قبلية واسعة لم تكن معروفة من قبل . لقد حتمت الظروف الجديدة على القبائل الصغيرة العدد أن تنظم إلى القائل الأكثر منها والتي تمت إليها بهيمة السب والقربة ، هذا بالإضافة إلى إعادة الأحلاف التي كانت معروفة في الجاهلية .

(١) مسيب - خطط كوفة ١٠

جاءت الخطط لتساعد على الظاهر القبلية ، وتقيم النظام ، لاجتماعي على أساس قبي ، فقد كان لكل قبيلة خطتها ومسجدتها ، وحتى جبالها الخاصة بها^(١) لقد أعاد التوزيع القبلي الحديدية الحدية القبلية التي كانت عليه في العصر الحديث على بل ويشكل أوسع مما كانت عليه

وكان عدد سكان الكوفة عند تخطيطها ما يقرب من أربعين ألفاً^(٢) وتضاعف العدد بسبب الهجرات اختراصة حتى بلغ عدد سكان الكوفة في وقعة صعين حوالي ٧٥ ألفاً ومن حوالي ثمانية آلاف^(٣) .

وفي البصرة كان هناك ثمانية ، لك نسمه عند انشائها ، لكن الهجرات ضاعفت من سكانها مما اكسب المدينة مركزاً هاماً من النواحي الاقتصادية^(٤) .

وتخطيط المدن ، يستدعي قيام وظائف إدارية لم تكن معروفة من قبل . وهذه الوظائف هي رؤساء الأسياع والأخماس ، فقد كان لكل سبع أو خمس رئيس يتمتع بصلاحيات قيادية ، تدعّمه قبيلة لها في العصر شأن . وقد لعب هؤلاء الرؤساء أدوراً بارزة في أوقات الأزمات والحروب التي ظهرت في البصرة والكوفة . وكان هؤلاء يعتمدون كثيراً على هؤلاء الرؤساء وخاصة في الأزمات ، كما كان لهم دور في ضبط أنفسهم وتوزيع العطاء .

وبأني بعد الرؤساء طبقة العرفاء ، وكان هؤلاء مخصصون لتوزيع العطاء على المجموعات التي يتمنون إليها ، ولتجاوز أمر العرفاء توزيع العطاء ، فكانوا يذهبون الناس للقتل في أيام الحروب . وبعد العرفاء تأتي طبقة الحرامس ، حيث كان لكل خطة حارس يحافظ على الأمن فيها . وبهذه التنظيمات يمكن القول أن القبيلة كانت تشكل دولة داخل العصر الذي تسكنه .

وفي الشام كانت المدن مبنية قبل قدوم العرب إليها على أن التوزيع القبلي على هذه المدن شابه ما كان في العراق ، واتباع في إقامة القبائل بأسحيتين . الأولى توزيع بعض

(١) يعقوبي . لسان ٢٦٦

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، مدّة كوفه .

(٣) ابن قتيبة . لإمامة والسياسة ١٤٨/١ .

(٤)

القبائل على قرى ربيعة، فأصبحت هناك قرى لعيس، والسكون وغيرها. والثانية تقسيم القبائل حسب الخطط، فهي حمص مثلاً كان المثلثي لخططها السموال بن الأسود الكندي قسم القبائل ومعظمها من «بمانية على الخطط التي اختطها هناك.

وخططت المدن في غرب الدولة الإسلامية على أساس قبلي، كما اختطت في شرقها ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا مدينة القيروان، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن هذه المدينة كانت قاعدة عسكرية في بداية إنشائها، يضاف إلى ذلك قلة عدد الأفراد المشركون من كل قبيلة وانتمائهم إلى قبائل كثيرة، مما صعب معه توزيعهم حسب الخطط خاصة

والفسطاط خططت حسب النهج الذي اتبع في الكوفة والبصرة وكان المثلثي لتخطيطها معنوية بن حذيف وشريك بن العنيسي، وعمرو بن مغروم الخولاني وحيويل بن ماسره الماعفري، وفي خطط العسقاط شاهد تفصيلاً أدق للقبائل التي سكنت فيها، وقد ذكر ابن دقماق أكثر من عشرين خطة وجدت هناك ومن هذه الخطط^(١).

أهل الرابية:

وتضم القبائل الحجازية من قريش والأنصار وعمر ومزينة وأشجع وجهينة وثقيف ودوس وعيس وليث وسموا بذلك لقلة أعدادهم، فلم يرد لهم عمرو بن العاص في الديوان باباً خاصاً بهم فذكرها أن يدعو باسم قبيلة غير قبائلهم فجعل عمرو لهم راية لسموا بها.

اللفيف:

وهما منهم من قبائل الأزد وعسان وجدام والحم وتنوخ. وسموا بذلك لانتشار بعضهم ببعض، وكانوا جميعاً كثيراً فسألوا عمرو أن يرد لهم دعوة بالديوان فمتمنتت عشائرهم فقال لعمرو أنا أجمع في المنزل حيث كنا نوافق على ذلك فكانوا مجتمعين في المنزل متفرقين في الديوان.

(١) ابن دقماق، الانتصار، طبعة بولاق ١٩٠٤/٢، ص ٢٢٦.

أهل الظاهر:

وهم المعتق الذين احتقهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا يذرون على أهل المدينة وسموا بذلك لأن بعضهم برل الاسكتنية ثم عادوا بعد رجوع عمرو، وكان الناس قد سكو، في غصطهم فقال لهم معاوية بن حديج أرى تكم أن تظهروا على أهل هذه القبائل وتصلوا منزلاً فسمى الظاهر

ومن الخطط أيضاً: مهرة، نجيب، خولان، مذحج، بحصب من اليمس، المعافر وربعين من حمير، الكلاع، سبأ، بلي، قضاعة، حضرموت، لحم، هذيل، وشطط للروم.

وتفردت قبيلة همدان في حطتها وأقامت في لجيزة، ولما دم عمر بن الخطاب بذلك طلب من عمرو أن يفلهم، وأن لا يجعل يسه ويبنهم بصرأ، وعندما رفضت همدان الازجال أمر عمر ببناء سور حولهم من بيت لذل^(١).

بهذا الخطط التي وجدت في العراق والشام ومصر، وخراسان فيما بعد نجد أن العرب قد تنقلوا من قبيلة الصحراء إلى قبيلة للذل^(٢)، وكل ما جد على العربي أنه استبدن الخيمة بالبيت. فالقبيلة تسكن في حطة معينة، وجميع مراتق الحياة تظهر فيها المظهر القبلية، وعمازاد من ذلك أن الخليفة نفسه كان يأمر كل قبيلة أن تتخذ لها مسجداً معيناً، وفي يوم الجمعة وعند الضرورة يلتقون في المسجد الجامع.

ويعلم الدكتور شكري فيصل حتى هذا التخطيط بقوله^(٣): . والواقع أن مسططي هذا المدن لو اتبعوا، تحطيطاً يورج على أفراد من حيث هم من جسم الدولة وأعفاء في هذا الخيش، لا حسب تكتلاتهم القبلية ربما خففت من حدة نفوذ القبيلة وانطباعها في النفس.

وسوف لرى أنه ما أن حمدت حركة الفتوحات الإسلامية مضافاً إليها عوامل أخرى حتى أحدثت هذه الكيانات القبلية تنوع تدن جياً بل عادت تد يدها إلى أحلاف تنصرها وتؤازرها ضد قبائل أخرى.

(١) ابن عبد الحكم فتوح مصر ٢٨-٢٩

(٢) شكري فيصل، للمشعات الإسلامية ١٠٢

(٣) المصدر لسابق ١٥

ومع أن ما توصل إليه الدكتور شكري فيصل صحيحاً إلا أنه لم ينظر إلى الواقع الذي كانت عليه حالة الدولة الإسلامية آنذاك ، بحيث لم يكن أمام المخططين من وسيلة غير هذه الوسيلة ، فالتبعة كانت تستدعي أن تكون القبائل مجتمعة في مكان واحد وتوزيع العطاء كان يستدعي أن يكون الفراد القسبة في مكان معين ، ثم أن المخططين لم يحظر بالهم أن يتبعوا تخطيطات جديدة ، فاتبعوا التخطيطات التي كانت معروفة إليهم

القبيلة وديوان العطاء

وجاء تنظيم ثالث في عهد عمر بن الخطاب يعبر المظاهر القبلية ، وهو ديوان العطاء .

قام هذا الديوان على قاعدة النسب ، فكتبت القبائل حسب أروماتها ومفصلة عن بعضها البعض ، ومن أجل هذا الديوان أهتم الناس بعلم الأنساب ، وكان على رأس هؤلاء عمر بن الخطاب الذي قال : تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم ولا تكونوا كبط السواد إذا مشى أحدهم من أنت قال من قرية كذا ، إنه يكون بين الرجل وبين أحبه الشيء لو يعلم الذي بينه وبينه من دعة أرحم لردعه عن ذلك من انتهاكه^(١) ، كما اعتبر الشعر وسيلة ومن وسائل معرفة الأنساب وحث على تعلمه^(٢) .

لقد أقبل العرب على تعلم الأنساب محبين بدراسة حيث كانت العصبية القبلية تحمل كثيراً منهم على أن يتخذ من عمله هذا وسيلة لتفخيم في أنساب العير . ولذا قام عمر يحذر من تعلم الأنساب من أجل العلم بها^(٣)

وعندما أراد عمرو وفي سنة ٦٥ تدوين الديوان وجد نفسه محتاجاً إلى بعض رجال الأنساب ، فاستدعى حنظل بن أبي عذلب ، ومعمرة بن نوفل ، وجبير بن مطعم

(١) ابن عبد البر، الأئمة ٤٢

(٢) ابن رقيق، العدة ٢٨

(٣) لومطري، الثالث ٢٨٧/٢ . ناهض الدين، الأسماء، مصادر الشعر الجاهلي، ٢١٦

وكان هؤلاء من عتداء السب في قریش^(١). والظاهر أنه اعتمد في أساس كل قبيلة على بعض نسائها

أما سب تدوين الديوان فكانت كثرة الأموال التي أخذت تتدفق على الدولة فأشير على عمر بتنظيم ديوان يضم أسماء الخدم والقبائل، وبه تتمكن الدولة معرفة من أخذ عطائه من ثم يأخذه.

إن التطورات، الجديدة للدولة استدعت إيجاد نظام مالي دقيق، وما كان عمر بن الخطاب ليحجر عن هذا النظام لا سيما وأنه يقول: . . . من أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإن الله جعلني حازناً وقاسماً^(٢)

وقبل البدء بالتدوين استشار عمر كبار الصحابة في هذا الشأن. فأشار بعضهم بالتدوين؛ ورأى هؤلاء فيه وسيلة لإحصاء الناس حتى يعرف من أخذ عطائه من ثم يأخذه^(٣) وعارض فريق آخر، وكان من رأيهم قسمة الأموال كل سنة ولا حاجة لإنشاء هذا الديوان. ومن المعارضين من نظر فيه معياراً لخصخصة قبيلته كحكيم بن حزام الذي قال أن قریشاً أهل الجدة ومضى فرس لهم المعطاء أكلوا عليه فيدهوا التجارة؛ فباتي من يحسن عنهم المعطاء وقد خرجت منهم التجارة^(٤)

وكان رأي عمر مع المؤيدين على التدوين وأوهر إلى رجال الأنساب أن يقوموا بهذه المهمة، إلا أنه اصطدم بمشكلة ترتيب الديوان، فجاءه إلى عبد الرحمن بن عوف وسأله عن ذلك فأجاب ابن عوف أن يبدأ بنفسه، فقال عمر أني حضرت رسول الله وهو يبدأ ببني هاشم وبني المطلب^(٥).

(١) بن سعد، الطبقات ٢/٢٦٢

(٢) ابن مكرم، الأموال ٣١٩، ابن مذك، اللؤلؤ والنيار ٦٧

(٣) ابن عدي، الأحكام لمناسبة، ٢، اللؤلؤ، صبح الأعشى ١٣/١٠٧

(٤) ابن مكار، جبهة شبه قریش ٣٧١

(٥) ابن عدي، فتح البدر ١٣٥، اللؤلؤ، صبح الأعشى، ١٣-٨، ١.

أما رجال الأنساب فقد، قترحوا تنظيم الديوان بتقديم النبوة ثم على الخلافة أي هو هاشم، بن تيم، بنو عدي، لا أن عمر لم يقبل ذلك وقد أبدأوا بقرابة رسول الله الأقرب فالأقرب حيث تقبّعوا عمر حيث وضعه الله^(١)

وفي شأن الديوان يلمح أمير ' تنظيم الديوان وكتابته، وكيفية المعطاء

أما بالنسبة لتنظيم الديوان وكتابته فقد أقيم حسب القبائل، وأصبح لكل قبيلة ديوان خاص بها^(٢). وحتى يتمكن عمر من احصاء دقيق لهذه القبائل كان يستعين بنسابة منها، فبسبب قريش كتبوا ديوانهم والأنصار تولى أمر ديوانهم ربيعة بن ثابت^(٣) فشأ هو ذلك سجل منفرد لكل قبيلة، وكان عمر يحمل سجلات هذه القبائل إلى منازلها ويوزع عليها أعطياتها^(٤).

وعمم إلى القبيلة موانئها ولم يشأ عن هذه المقاعدة إلا ديوان الحبشة حيث رغب بلال في بقائه مع حثعم لأن أبي ربيعة عبدالله بن عبد الرحمن الخثعمي كان من أحبي الرسول بينه وبين بلال^(٥) ومع أن عمر توحى العدل وقرابة الرسول في ترتيب وتنظيم الديوان إلا أن تجميله عدي جاءت إليه وطلبت أن ينظم الديوان حسب الخلافة فكان لهم ' يخ يح سي عدي أردتم، لأكل على ظهري، وأن أهب حساني لكم، لا والد حتى يأتكم الدعوة وأن يطبق عليكم الدفتر (يعني ولو كتبوا. آخر الناس)^(٦)

أما من حيث كمية المعطاء فقد راعى عدة أمور هي:

القرابة القريبة من رسول الله، فإذا استوى الناس بالقرابة قدم أهل المساكنة وقد حالف عمر بذلك سلعه أباً بكر بذلك، فأبو بكر اتبع السوية فكانت بفرته نظرة إنسانية من هذه السجية وقد فضلهم عبدالله وأما هذا المعاش فالنسوية فيه خير من الأثرة^(٧)

(١) المصادر السابقة ١٣٦، ١٠٧/١٣.

(٢) ابن سعد، طبقات ٢٩٩/٣.

(٣) أبو يوسف، الفرائد ٤٩.

(٤) بلخري، فتح البیان ٤٣٨.

(٥) بلخري، أنساب الأشراف ١٩٣-١٩٤/١.

(٦) ابن سعد، طبقات ٢٩٥/٣.

(٧) ابن مفلح، الأموال ٣١٩.

وبطرفة عمر كانت واقعية ومن هنا اعتمد على القرابة والسابقة، والواقع أنه نادى بهذه الفكرة منذ عهد أبي بكر وقبل للحليفة أنساوي بين من هاجر الهجرتين وصلى إلى القبيلتين وبين من أسلم عام الفتح خوفاً من سيف فاجابه أبو بكر: إنما عملوا لله وإنما أجورهم على الله، وإنما الدنيا دار بلاغ للراكب. وعندما تسلم عمر الخلافة قال لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه.

ونظام السبق قام على طبقات منها: من أسرعت فيه الهجرة أسرع به العطاء، ومن أسلف في ذلك أيضاً به العطاء، ولا ينوم رجل ولا متاح رحلته^(١) وبهذا يرى أن معاشنة عمر ليست قائمة على قرابة أو محربات أو قبيلة وإنما قامت على أساس ما قدمه المسلم للإسلام، وحتى يحقق عمر العدالة على الجميع اعتبر نفسه كرجل من المسلمين يهيئه ما يهيئهم^(٢).

كما رأى عمر أيضاً الجهد والمشقة والبعد. ففضل أهل الشام على الكوفيين، ولما احتجوا على ذلك قال: يا أهل لكوفة أجرة من أن فصلت أهل الشام عليكم بعد شقتهم^(٣) ورفض لأهل اليمن في ٧٠٠-١٠٠٠ درهم لعدد دراهم عن المهاجرين^(٤).

وساوى عمر بين العربي والعربي في كميات العطاء فالنوبي البصري أخذ كالعربي البصري أم موالي الأمصار وهم الذي دخلوا الإسلام بعد الفتوحات فقد حث عمر على مساواتهم من ناحية المادية والاجتماعية حيث كتب إلى أحد عماله: أما بعد فبحسب المرء من عسر أن يحقر أخاه المسلم^(٥) ويحث إلى أمراء الأجناد: أن من اعتنقتم من اصمراء فأسلموا فاحقوهم بمواهبهم لهم مالههم، وعليهم ما عليهم، وأن أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلوهم أسوتهم في العطاء، ولم يقف عمر عند هذا الحد بل فضل من أظهر من بلوالي بلاد في الإسلام "في العطاء" وساوهم من هذه الناحية بالعرب^(٦).

(١) ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب ١٩.

(٢) ابن سني، الأموال ٢١٨، ٢٨٠، وانظر الجاحظ، العثمانية ٢١٢.

(٣) ابن سعد، طبقات ٦/٩.

(٤) الجاحظ، العثمانية ٢١٢.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان ١٤٢.

(٦) الطبري، تاريخ ٩/٩٦، انظر الجاحظ، العثمانية ٢١٢.

ومما تقدم نرى أن الخنسية العقيلية لم تكن هي التي تحدد كمية العطاء وإنما كان يحدده بلاء بلرجل وقلعه وسابقته وغناه في الإسلام. ومن هنا جاء الديوان مقسماً إلى أربع عشر طبقة^(١)

(الأولى) طبقة العباس، (الثانية) أرواح النبي صلى الله عليه وسلم (الثالثة) البيريين، (الرابعة) الحليفة وخلق به، (خمس) و(خمس) لقرينهما من الرسول صلى الله عليه وسلم، (السادسة) أهل الحديبية وخلق بهم أسامة بن زيد وعمر بن أبي سلمة، (السابعة) من أسلم بعد الحديبية وخلق بهم عبدالله بن عمر، (الثامنة) ذوي الأيام في القادسية (الثامنة) أهل القادسية وأهل الشام، (التاسعة) ما بعد القادسية واليرموك، (العاشرة)، الروادف وهي التي هاجرت بعد الفتوحات وكانت هذه ثلاث طبقات، (الرابعة عشر) طبقة النساء والصبيان.

الاحتياج على كمية العطاء

اختلف المسلمون في بطرتهم لديوان العطاء، فدعيس قد نصح وصالتك رحم وهذا يدل على رضائه من هذا الديوان^(٢).

أما عبدالله بن عمر فقد أظهر احتجاجاً على العطاء الذي أحله أسامة بن زيد وذكر أنه شهد وقائع في الإسلام ثم يشهد أسامة وقد برز عمر حمته هذا بأن أسامة كان أحب إلى رسول الله من عبدالله، وأبوه أحب إليه من أبيه فسكت عبدالله^(٣) واحتج محمد بن عبدالله بن جحش على فريضة عمر بن أبي سلمة فقال عمر فليات الذي يستعيت بأمر مثل أم سلمة وكانت أمه زوجاً لرسول صلى الله عليه وسلم^(٤).

واحتج أبو سفيان وقال، أديوان مثل ديوان بني الأصغر، إنك إن فرغت للناس اتكلوا على الديوان وتركوا التجارة، فقال عمر لا بد من هذا فقد كثر الناس^(٥) والذي

(١) انظر كمية عطاء كل طبقة في حساب الأقدواف ١/٤١١، فتوح «عبد» ٤٣٤ السبري ٦١٤/٣ وما بعدها.

(٢) الخليلي، فتوح البلدان ٤٤٤.

(٣) المصدر السابق، ٤٣٨.

(٤) البكري، فتوح البلدان ٤٥٦.

(٥) المصدر السابق ٤٤٤.

يظهر أن احتجاج أبي سفيان إنما لوجود من يأخذ فريضة أكثر منه ويستدل على ذلك من امتناع صعوان بن أمية، والخارث بن هشام، وسهيل بن عمرو من أخذ فرائضهم وقالوا لا نعترف أن يكون أحد أكرم منا، واتهموا عمر بأنه يعرف حق قريش إلا أنه يقصر بهم^(١). وعشراً حاول عمرو إقناعهم بأنه أعطى الناس على السابقة لا على الأحساب^(٢).

وتم تكن قريش وحدها هي التي احتجت على النهيوان، فلقد شاركها بعض القبائل فعندما كان عمر في الشام تحدث عن توزيع العطاء، وبين الناس الأئس التي قام عليها هذا التوزيع فنهض رجس من جذام وقيل: يا ابن الخطاب أنشدك الله في العدل والسنوية فرد عليه ما يزيد ابن الخطاب بهذا إلا العدل والسنوية، والله إنني لأعلم أن الهجرة لو كانت بصنعاء ما خرج إليها من لحم وجذام إلا قليل، أفأجعل من تكلف السر وابتاع الظهر بمنزلة قوم ولما قاتلوا بسيدتهم^(٣).

لقد كانت السابقة في الإسلام والفاء فيه هي الأمور التي استند إليها عمر في هذه الكميات العطاء، إلا أنه كان في بعض الأحيان يتراجع عن ذلك أمام غسوط القسائل. لقد كتب إلى سعد بن أبي وقاص بأن يعطي الناس على قدر ما معهم من القرآن؛ فطلب سعد عمرو بن معدى كرب الزبيدي وقال له: ما معك من القرآن فقال ما معي شيء فقال سعد: أن أمير المؤمنين كتب إلي أن أعطى الناس على قدر ما معهم من القرآن فقال عمرو:

إنا قلنا ولا يعطي لنا أحد قالت فلهي ألا تلك الفاسد

لعمري المسوية من طعن له لقد ولا سنوية إذ نعطي العدلانهم

فكتب سعد إلى عمر بذلك فترجع عمر عن شرعه الأول، وأمر سعداً أن يعطي الناس على مقاديرهم في الخروب^(٤).

(١) ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب ٧٨

(٢) الطبري، تاريخ ٦١٣/٢

(٣) ابن سلام، الأموال ٢٧٥.

(٤) ابن عبد ربه، العقد المفرد، ٢٦٧/١.

والاحتجاجات التي ظهرت على الديوان ربما كانت هي الأسباب التي جعلت عمر يفكر في تعديل نظامه وقد قال بهذا الشأن: «كنت عشت إلى قابس لأخض آخر الناس بأولهم حتى يكونوا بيانا أي: هرباً واحداً في العطاء»^(١) لكن المثنية عاجلته وبقي نظام العطاء على حاله.

وكما عظم عمر العطاء فقد ندم النبيء أيضاً فجعله لأهل الأمصار وهي البصرة، والكوفة ودمشق وحمص والأردن وفلسطين ومصر، والعناية من ذلك استمرارية الهجرة إلى هذه الأمصار^(٢).

الديوان والعصبية القبلية:

رأينا في الفصل الأول أن الأنساب هي جراثيمة العصبية، وهي الأساس الذي تقوم عليه الرابطة القبلية، ولما كان ديوان العطاء قد قام على الأنساب، فلا بد وأحاله هذه من أن يقبل أساساً بحساس على تعلم أنسابهم. ولم يشوقت الأمر عند ذلك بل تحدت معالم الربطين العدنانية والقحطانية نتيجة ديوان الطعاء. لقد قدمت القبائل العدنانية على القحطانية لأن السوة كانت فيهم، وقدمت مفر على القبائل العدنانية لمبوبة أيضاً واستمر في هذا الترتيب حتى استقر في بني هاشم فابديون هنا أوثق من الروابط القبلية وتآزر مع تحطيط المدن ليحافظ على التشكيلات القبلية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي.

والواقع أنه لم يكن أمام عمر من وسيلة يجمع ويحصى بها أفراد القبائل إلا هذه الطريقة. لقد كان احصاء الناس في ذلك العهد عمل شاق وصعب، فكان لا بد من الالتجاء إلى القبائل والمعاشر لتكون منهجاً له في ترتيب الديوان. وبهذا العمل ثبت الأساس في قبائلهم وهو تثبيت لم يتعمده عمر وإنما جاءه عمواً

(١) ابن سعد، الأموال، ٣٧٥، الرمضري، الفائق، ٦/٦٠٦

(٢) الطبري، تاريخ، ٦١٥/٢.

عمر وموقفه من العصبية:

حارب عمر العصبية القبلية بأمرين: عدائته وشدة، وهيبته في غير عتب ولين في غير ضعف

أما بالنسبة للأمر: لأول فقد بدأ عمر بنفسه وتبيلته، فلم يميز أحداً منهم في العطاء، من أعطى كلا منهم ما يستحقه، وأما كيف عارض قبيلته عدي عندما احتجبت على ترتيب الدوان، وكيف أقنع به عدائته بأن أسامة بن زيد يستحق أكثر منه عطاء.

وعمر لم يول أحداً من أقاربه شيئاً إلا بمقدار ما يستحقون، وفي هذا الشأن قال ما أحببت من أهلي إلا العماد بن عدي وقدمائه بن مظهرين لما بورك لي لبيهما. فقدّمه حد بالحمر والعماد ولأه ميسان ثم عزله بعد أن سمع قوله

فمن بلغ الحسد أن محبها بهمسك يسقى في (ساج وحش)^(١)

وعند عمر هو الذي أوحى إليه أن لا يرشح سعيد بن زيد وهو من العشرة المبشرين بالجنة للخلافة، كما أنه لا يرض بالعهد بها لأنه حتى لا يلبها وجلان من هدي^(٢)

وعلاقة عمر بقرش كانت تتأرجح بين الشدة والعطف عليهما. فقد أدرك عمر مقدور حب قرش لتملك الأرض وجميع الأموال، وأدرك أيضاً تطلع القبائل الأخرى إليها فأمر بالحجر على اعلام قرش ولحد محدوده ولم يسمح لهم حتى بالجهاد^(٣).

كان عمر لا يهاب أحداً في الله، فهو مع تكرمه للعباس وتفضيله في العطاء إلا أنه قال له لقد بلغني أنك تقول إنما حرموها منك (الخلافة) حسداً وبعياً وظلماً اختارت قرش نفسها فأصابته^(٤) وضرب سعد بن أبي وقاص لأنه كان يزاوم الناس وقل له أنك لا تهاب سلطان الله في الأرض فأحييت أن أعلمك أن سلطان الله

(١) ابن حزم جمهرة أساط العرب ١٥٧-١٥٨ أثيري، مجمع ما نستعمل ١٢/٢

(٢) النجوم الزاهرة، ١/١٤٦-١٤٧

(٣) ليثوي، تاريخ ١١٨/٢

(٤) ابن الأثير، الكامل، ٣/٣٤

لا يهينك^(١) وحقن أبنا سعيان بالثبته، علما نأدي يا آل قصي وقال له أئدعو يدهري الجاهلية^(٢) كما وضع القيد في رجليه لأنه أخفى بعض المال الذي أرسله معاوية إلى عمر بن الخطاب^(٣).

كانت عين عمر ساهرة على قریش في الحجز وهي حارجه لقد كتب إلى أبي عبيدة يسأله عن القواد القرشيين المتواجدين في الشام وخاصة عن خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وعمر بن العاص^(٤).

وقصص من أبي الأكرمين (محمد بن عمرو بن العاص) لغيره رجلاً مصرياً وقال: لا والله يا معشر قریش ما نظفون إلا آل الناس عبيد لكم^(٥).

وظهرت درجة العدل عند عمر عند أقام أحد على ابنه وبشره بنفسه فقال له به يا ابتاه قمتي، فرد عليه يا بني إذا لقيت ربك فاعلمه أن أبك يقيم الحدود^(٦)

ولم يكن عمر في عقابه يعاقب عقاب المنتقم إذا كان يعاقب عقاب المصالح فعدما حد بعض أفراد من قریش بشرب الخمر، أحد بعضهم يستحي من الخروج فكتب إلى أحدهم أن الله لا يعمر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فقب وارفع رأسك وابرز ولا تقتطع من رحمة الله، ووجهه إلى عامة الناس كتاباً حذرهم فيه من عيب الظن أنهم عليهم الحد^(٧)

لقد تنبه عمر إلى قریش حتى في مجالسها؛ فقال لهم يوماً بلغني أنكم تتحدون مجالس لا يجلس اثنان معاً حتى يذال من صحابة فلان من جلساء فلان؟ حتى تحوميت الجبابرة وأنتم والله إن هذا لتسريع في دينكم، سريع في شرفكم، سريع في دانت بينكم، ولكأنني بين يأي بعدكم يقول. هذا رأي فلان، قد قسموا الإسلام أقساماً أفيضوا في مجالسكم بيسكم وتجالسوا معاً لأفنتكم وأعيب لكم في الناس^(٨).

(١) مجهول، تاريخ الطلاء ٧

(٢) أنساب الأشراف، ج ١، قسم ٨/١.

(٣) المصدر السابق ١٨/١.

(٤) الأزد، فتح مبدع، ٩٩.

(٥) ابن أبي الفتح ٨٢/٢.

(٦) ابن حبيب، التلوق في أخبار قريش، ١٩٧.

(٧) الخيري، تاريخ ٩٧/٤.

(٨) المصدر السابق، ٢١١/٤.

لقد أدرك عمر مدى مراقبة القبائل لقريش، وحسدكم لها، وسنرى أن هذا الحسد كان أحد العوامل التي أدت إلى الثورة على عثمان. وحتى في عهد عمر نسمع أن حبيب بن مسلم وهو صحابي يقول لمن حوّه أصبح والله أميركم. (يزيد بن أبي سفيان) يحسن الشاء على عمر بعد أن جعله والياً على الشام^(١)

اشتد عمر على قريش كما أحبها في غيرهم، ففي السفينة كان يرى أن الأمر لا يصلح إلا لرجل من قريش ولن ترضى العرب إلا به^(٢). وقريش عنده هم رؤوس الناس^(٣) واحتج على نافع بن عبد الحارث، كراهي لأنه عين مولى على أهل مكة، لكنه تراجع عن ذلك عندما علم بأنه أقرأ الناس نكتات الله^(٤).

وشتكى عتبة بن عروان من سعد بن أبي وقاص فقال له: أم عليك أن تقر بالأمارة لرجل من قريش به صحبة وشرف^(٥). وعندما رأى أفراداً من قريش صغرت أجسامهم أمرهم أن ينثروا في الزواج من الجدة^(٦).

عمر والعرب

بعد أن تسلم عمر الخلافة رفع الحظر الذي كان مفروضاً على أهل الردة، لسمع لهم أن يكونوا جنداً لا قادة، ورد أيضاً سبب أهل الردة إلى عشائرهم وقال أنه كرهت أن يصير السبي سنة عند العرب^(٧).

وفي معاملة عمر للقبائل كان لا يبعد معروفاً من تقديم سادة العشائر على غيرهم^(٨). ومع هذا الاحترام لرؤساء القبائل إلا أن عيته كانت ساهرة لكل شيء وإنما ما أحسن يحظر كان لا يتروى عن تطبيق العقوبة الرادعة. لقد سجن عبدالله بن مسعود وجماعته لأنهم أكثروا من رواية الحديث عن رسول الله ولم يحرجوا من السجن إلا

- (١) الأندلي، فتح الشام، ٧٧٧.
- (٢) القدير بكري، الخميس ١٨٢/٧.
- (٣) ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب ١٦٠.
- (٤) أخبار مكة ١/١٢٩.
- (٥) الأندلي، فتح البلدان ٣٣٦.
- (٦) أحمد أمين، فقه الإسلام ١/١٨-١٩.
- (٧) القبطوني، تاريخ ٢/١٢٩.
- (٨) ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب ٦٤.

بعد مقتله^(١) وسجن الأحصاف بن قيس سيد تميم سنة كاملة حتى رأى منه صلاحاً فأطلقه^(٢).

ودخل عليه عيسى بن حصن المزاري وقال أنا ابن الأنخيار. فقال له عمر بل أنت قيس الأسير^(٣) وحقق الحارود بن المعلل سيد ربيعة حتى لا تحدثه نفسه بالفرور عندما سمع من أحد الناس بأنه سيد ربيعة^(٤).

وكف أحب عمر قريشاً فقد أحب العرب، وكان يحوّلهم برعيته، ويقول لهم إياي واحلاق العجم، لقد أردت أن يحافظ على وحدة القبائل العربية، ومنى من أجل ذلك كثير أفتدفع رجل جيله بن الأهم إلى الروم أرسل إليه صمير بن سعيد يستعطفه بالقرابة ويدعوه إلى الرجوع إلى بلاد الإسلام^(٥).

وقبيل من تغلب الجزيرة صغين لما علم أنهم صمموا على الرحيل إلى الروم^(٦) والخرس على وحدة الجزيرة دفعة إلى أن يظهرها من غير المسلمين فأخرج اليهود والنصارى منها مستنداً إلى الحديث الشريف «لئن عشت إلى قابل لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب»^(٧) ولم يتمكن أبو بكر من إخراجهم بسبب انشغاله بحروب الردة، فلما تولى عمر أجلاهم إلى أطراف الشام وسواد الكوفة^(٨).

أما ولاته فقد كان لا يستعمل أكثر من عامل واحد من قبيلة واحدة^(٩)، كما كان لا يعين من طلب الولاية^(١٠). وكان لا يجذ حرجاً أن يعين ولاته من الموالي كما عين حماد بن ياسر على بيوتات العرب وروّسهم في الكوفة. وفي الأمصار كانت أجهرة صحابته منتشرة في كل مكان، تصله الأخبار قبل أن يسمع بها أهل المصر نفسه كما

(١) ابن العربي، المعاصم من القواصم ٧٦

(٢) ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب ٨٢

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد ١٧٤/١

(٤) ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب ١٤٢.

(٥) الباطلي، فتوح أبلدس ١٤٢.

(٦) المصدر السابق ١٨٥-١٨٦.

(٧) التتبيه على ما روي من إخراج اليهود من جزيرة العرب مسخرة ١٢.

(٨) المصدر السابق ٥.

(٩) الباطلي، تاريخ ١٥١/٢.

(١٠) ابن عبد ربه، العقد الفريد ١٥/١.

حرص أن يكون ولاته ممن يهتمون بالقنطرة الإدارية، وإذا ما أحس بضعف من أحدهم سارع إلى عزله كما فعل مع شرحبيل بن حسنة^(١) والوليد بن عتبة^(٢). وأوجد عمر نظام التفتيش والمقاسمة، فالأول عين له محمد بن مسلمة الأنصاري وكانت وظيفته التفتيش على ولاية الأنصار، وقد فُتِش هذا على سعد بن أبي وقاص، وصمرو بن ذباب وعياض بن غنم^(٣) والمقاسمة هي احصاء أموال الولاية عند التعيين والعزل وأخذها للمال غير المشروع.

ومع عزل عمرو وهيبته إلا أن مدينة الكوفة أخذت تتململ على عهده، فاحتج أهلها على سعد بن أبي وقاص مدعي بأنه لا يحسن الصلاة ولا يقسم بالتسوية، وعصى عمار بن ياسر بأنه غير كاف ولا عالم بالسياسة ولا يفري على ما استعمل واشتكوا من أبي موسى بأنه يتاجر بفلات الشعب ويبيع العلف^(٤).

فقال عمر من عديري من أهل الكوفة أن استعملت عليهم القوي فجروه وإن وليت عليهم الضعيف حلروه^(٥).

وعلى عمر إلى العصبة القلبية محارب كل ما من شأنه أن يثيرها، فنهى عن إنشاء شيء من مناقضات الأنصار ومشركي قرش، وقال شتم علي باليت للجليل للضعاف وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام^(٦).

وكتب إلى الغيرة بن شعبة أن يستشرد من قبله من الشعراء ما قيل في الإسلام^(٧) ولما أكثر الخطبة من شتم أعراض الناس مسجته، وبقي في مسجته حتى أُرسل إليه يستعصمه ويمنعه بعدم العودة إلى ما كان فيه^(٨). كان عمر يبحث الناس على تعلم الشعر لأنه يدل على معالي الأخلاق وصوب الرأي ومعرفة الأنساب^(٩) لا على أنه صورة من صور مفاسد الجاهلية.

(١) الضري، تاريخ ٦٥/١

(٢) مجهول تاريخ أقطاب ٢٢

(٣) انظر البغدادي، فتح البدان، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، أبو يوسف، الخراج ١٢٩

(٤) ابن الأثير، الكامل ١٦٢.

(٥) البغدادي، فتح البدان، ٢٤٢

(٦) الأسطهسي، لأغني، ٩١٢، نهضة المصرية.

(٧) ابن حجر، الإصابة ٥٦/٦.

(٨) ابن عبد ربه، العقد للفريد ١٤٥/٦.

(٩) ابن رشيون، الصفة ٢٤

ومع كل ما تقدم لم يستطع عمر أن يقطع دابر العصية «القبيلة» ، فالتنظيمات التي حدثت في عهده قد تبثت العرد في قبولته سواء في النظام الحربي أو في بناء المدن أو في كتابة الديوان . وفي عهده ظهرت العصية الإقليمية وخاصة ما بين البصرة والكوفة وبدأ ذلك عندما أراد أهل البصرة أن يأخذوا الداهين ويضموه إليهم لزيادة عدد سكان البصرة وقلة خرجيها ، فرفض أهل الكوفة ذلك وطالبوا من عمار بن ياسر أن يتدخل بهذا الأمر لدى الخليفة فرفض عمر فقال له عطاردة بن حجاب عما تدع فيشأ أيها العبد الأجدع^(١)

وتنزع أهل البصرة في فتح حصيها مع أهل الكوفة وإدعى كل منهم أن الفتح له^(٢) واحتلوا على أرض تستر إلى أن بعث إليهم عمر بأن الفتح لأهل البصرة وأهل الكوفة شركاؤهم في الأجر والنعمة وحذرهم من برعات الشيطان^(٣)

وظهرت دعوى الحاهلية كما رأينا في نداء صبة في الكوفة ، وفي نداء أبي سفيان عنى آل قصي . كما رفض الربير بن العوام أن يقاد منه لشراحيل بن حجابة المرادي لأنه أهانه وقال لعمر بن العاص : أس نعمة من نعمة اليمس ، استنيد بين السابعة^(٤) .

لقد حذر عمر المسلمين من أمر العصية وهو في آخر خطبات الحياة فقال لعلي «و ليت من أمر المسلمين شيئا فلا تحملن بني عبد المطلب عنى رقاب الناس وتقال لعثمان مثل ذلك»^(٥) .

لقد مات عمر بعد أن طعمه علق غير مسلم في ٢٦ ذي الحجة وقيل ٢١ منه سنة ٢٣هـ^(٦) .

(١) عسري تاريخ ١٦١/٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) ابن أثير الفتح ٢٧/٢ .

(٤) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ٢٧٤ ليري ، القبائل العربية في مصر ٢٢٦ التلغ ، تودني ألف لآل والنم .

(٥) ابن سعد ، طبقات ١/٤٤٢-٢٤٤ .

(٦) ابن خياط ، تاريخ ١/١٣٦ .

الفصل الرابع

العصبية القبلية والثورة على عثمان

الهجرات ونشوء العصبية الإقليمية

مجلس الشورى وانتخاب عثمان

حالة الأمصار في عهد عثمان

الفتنة :

أسبابها

مجرياتها

ونائجها

AIMAD VR

الهجرات ونشوء العصابات الاقليمية:

أردادت حركة هجرة القبائل العربية إلى الأمصار الجديدة في أواخر عهد حمير بن الحظب ومطلع عهد عثمان بن عفان، وقد اطلق على هذه القبائل المهاجرة اسم ' الملواحق والروادف'^(١) فميسرأ لها عن القبائل التي خرجت للمشاركة في الفتوحات الاملامية الأولى

وقد توزعت القبائل على الأمصار بناء على رغبة منها فكان ان توجهت قبائل التي كانت تسكن في شرق الجزيرة العربية نحو العراق، ومعظم هذه القبائل من قبيلة وربيعة والأزد، واتجهت القبائل اليمنية نحو بلاد الشام.

الهجرة إلى العراق:

نقد سكنت اطراف العراق ومنذ العصر الجاهلي قبائل وربيعة وأهمها بكر بن وائل وثعلب والسر بن قسطن كما سكنها أيضا بعض قضاة وطعم وقد رأينا في الفتوحات كيف أن العصبية العربية قد دعمت هذه القبائل تتقاتل مع أعوتها في الدم بل أن بعضها جاء في نهاية الفتوحات هي ثلثي يطلب تأميره على أهله حتى يحارب الغرس من ناحية^(٢) كما عمل أهل الحيرة عيريا على الغرس^(٣).

ونتيجة ما عادت به الفتوحات من غنائم، انضمت القبائل النزارية واليمانية باتجاه العراق وكان من هذه القبائل: ثريب وحشم وحصر موت والصدف ومدحج والسكون وعطمان وقيس وأسد وطى وقضاة وقد كانت هذه القبائل نواة أهل الكوفة ومن يطلق على حطط الكوفة والقبائل التي سكنتها يرى أن غالبية سكانها هم من القبائل اليمنية.

أما البصر فقد سكنتها قبائل همدان وحمير ومدحج والأشعريين ومن قرش وكاه وأسد وقيم والرباب ومريه وقيس وعبد القيس وكندة وقضاة ومهرة والأزد وبجيلة وحشم وحرارة والأندلس ويكر وتعلب وكانت هذه القبائل هي نواة أهل البصرة ومع كثرة القبائل اليمنية فيها إلا أن الغالبية كانت للقبائل العدنانية وخاصة قبائل تميم ويطونها وربيعة ويطونها.

(١) الطبري تاريخ ٢٧١/٤

(٢) الطبري، فتوح البلدان ٢٩٥.

(٣) الطبري تاريخ ٤٤٦/٣ ونظر ٣٦١-٣٦٢، ٢٧٦ ٢٧٥

وفي خارج البصرة والكوفة انحلت القبائل المصرية موطن لها في الجزيرة الفراتية وكانت قصبتها الرقة، أما القبائل الأرمية فكانت الموصل لقبيلة تملب، ومنطقة آمد لبكر بن وائل^(١) ومن هنا أخذت هذه المناطق اسماءها من القبائل التي سكنتها فأصبح سمع ديار مصر، وديار ربيعة، وديار بكر من وائل^(٢)

استمرت الهجرات إلى العراق في عهد عثمان بن عفان فكانت هذه القبائل تبحث بشبابها القادرين على القتال وتبقى بقية القبيلة في موطنها. ويستدل على استمرار عمدة الهجرة من اردباد عدد سكان الكوفة وحدها فقد بلغ عدد مقاتليها يوم صعيص حوالي (٥٧) ألفاً من العرب، ومعهم ثمانية آلاف من الموالي

ولا احتصار عد أكثر القبائل هجرة إلى العراق كانت هي عبد القيس وقهم والأرد^(٣) واستلمت هذه القبائل الثلاث أدواراً عديدة في الفتن التي حدثت في القرن الأول للهجرة.

الهجرة إلى الشام

منذ حادثة سبيل انعم خرجت بعض القبائل اليمانية من الجزيرة العربية وتجهت نحو بلاد الشام واستقرت هناك منذ الألف الأول قبل الإسلام. ولما جاء الإسلام كانت أشهر القبائل اليمانية في الشام هي "قبائل حسان وتوخر ولخم وجذام وعاملة وطلون أخرى من قصاعة مثل بو سليح وبهراء وكلب"^(٤) وكانت تسكن هذه القبائل في الجهة الشمالية الغربية والجهة الجنوبية الغربية لبادية الشام

لقد أقامت قبائل حسان في منطقة دمشق وحمص وصوران وحمص وسكنت قضاة في منطقة البلقاء من شرق الأردن حالي، وبعضها أقام في جنوب شرق الأردن، كما سكن بو سليح في حلب، وقد بقي معظمهم على بصرايته. أما توخر فقد سكنت في منطقة قنسرين وحلب وحاصه في منطقة الحاضر^(٥) وقد اعتلرت هذه القبيلة لخاند بن الوليد

(١) القنصبي، حسن التلخيص ١٣٧

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب ١٢٢

(٣) ابن خلدون، المقدمة ٢١٦

(٤) النوري، مؤتمر بلاد الشام، الجامعة الأردنية ١٩٧٤

(٥) النعاصر، مكان قرب حلب (ابن العديم، زبدة النطب ٣٧٨)

لقتالها إياه فأسلم بعضهم وبقي البعض الآخر على نصرته^(١)

وسكنت جندام في مناطق متفرقة من بلاد الشام فقسم منها أقام في الأردن وقسم آخر أقام في فلسطين، إلا أن معظم مضربيه كانت تمتد ما بين مدبر وتبوك إلى أذرح ويطس آخر سكن ما يلي طبرية من أرض الأردن وامتدت إلى ناحية عكا^(٢)

وتفرقت قبيلة لحم أيضا في مناطق متعددة في الجولان وحوران وأطراف جبال الشراء^(٣) وعلى الحدود العراقية

أما قبيلة كلب وهي أشهر قبائل قضاعة فقد كانت منطقتها تقع في بادية السماوة لا يحالطهم فيها أحد، وهناك بطون حصرية منها سكنت في غوطة دمشق وتدمر ولسلمية والعاصمية في غرب العراق

كما سبق نرى أن القبائل التي كانت سكنت الشام قبل الفتح الإسلامية هي من قضاعة واليمن وقد انتشرت في سوريا والأردن وفلسطين.

وبإذن بدأت حركة الفتح الإسلامية حتى وجد قبائل كبير من قبائل اليمن لتتوجه إلى بلاد الشام وهذا ما دفع عمر بن الخطاب أن يرغب الناس في الذهاب إلى العراق، كما أنه أعطى قبيلة بجينة ربع أو ثلث سواد العراق من أجل دهابهم إليها

ولما سرت الجيوش إلى بلاد الشام بلغ عددها ما يقرب الثلاثين ألف^(٤)، ومعظم هذ الجيش من حمير ومذحج وهمدان وطى والأزد، وقيس^(٥)، إلا أن الكثرة العالبة في بلاد الشام هي لقبائل اليمانية وكانت هذه القبائل أيضا براة للجيش الذي توجه إلى مصر

وبعد فتح سوريا واستقرار، لاديرة الإسلامية ازدادت حركة هجرة الأعراب إلى الشام، وكانت هجرة هذه القبائل هي هجرات استيطانية. أي أن القبائل كانت تتحلل

(١) ابن القيم، روضة لطيف، ٦/٢٦٦

(٢) التهمذاني، صفة جزيرة العرب، ١٢٩.

(٣) امصبر، أسديق.

(٤) الطبري، تاريخ، ٢/٥٩١، مطبعة الاستقامة.

(٥) ابن اعثم، الفتوح، ١/١٠٤، (الذي) فتوح الشام، ١٦-٢٨، ٢٤-٤٠.

موقعه في الأمصار الخديعة وتسمى ارتباطها بماضيها السابق من حيث أماكن الإقامة ونرى أن عثمان في بداية عهده قد شجع على الهجرة أيضا فقد كتب إلى معاوية أن يرون العرب بمواضع ما يليه من البلد والقرى وأن يأذن لهم في اعتزال الأرضين التي لاحق فيها لأحد فأئذني في غيم ومعها قيس في ديار مصر عرب الفرات ورتب ربيعة في ديارها^(١)

وهكذا كان تشجيع الخلافة للقبائل بالهجرة والتعاقد بها بالأمصار من أجل الفتوحات سبب في إزدياد هذه القبائل وما إن جاء عهد معاوية حتى كانت القبائل في بلاد الشام موزعة على الشكل التالي:

ففي شمال سوريا وفي منطقة (حمص) أقامت قبائل غزو وكندة وحمير وهمدان وكلب^(٢) ومعهم أقلية من قيس حتى أنه صرب بهم مشلا فليل ، ذلة القيسية في حمص^(٣) وفي (حمص) أقامت قبائل يهود وبنو نوح ، (صور) فيها قوم من إباد ، (دمشق) فيها كلب كما كان قبل الفتح الإسلامي وسكن في (اللاذقية) قبائل بنو سليح وريث وحمص وهمدان (جبله) سكنت همدان ، ومعهم قوم من قيس وإباد وقد شكل هؤلاء فيما بعد جند أهل حمص^(٤)

أما جند دمشق^(٥) فقد ضم (دمشق) وبها بطون من حسان وقيس وربيعة (حوران) سكنها قوم من قيس من بني مره باستثناء (السويداء) التي كان بها قوم من كلب (أدرعات) سكنها قوم من قيس ، ومعهم جماعة من غزيش (غزندي)^(٦) قبائل حسان وفي ماب و زعر (حور الصافي) سكن أحلاط من حسان.

وفي الجولان سكن قوم من قيس أكثرهم من بني مره ، كما سكنها بعض اليمانية وخاصة من حسان وهم سكانها قبل الفتح وفي (بصرى) أقامت كلب ومعهم بعض اليمانية ، أما منطقة الشراة فسكنها قسم من غصّة و كلب

- (١) البلاذري، فتوح البلدان ١٨٢.
- (٢) البلاذري، البلدان ٣٢٤.
- (٣) أمياني، مجمع الأمثال ٢٩٤/١.
- (٤) البلاذري، البلدان ٣٢٤ وما بعده.
- (٥) المصدر السابق ٣٢٦-٣٢٧.
- (٦) غزندي قرية تقع في جنوب الأرض.

أما (بعثث) فقد سكن في أطرافها قوم من اليمس، وأقام قسم من عامله في جبال الجليل، وسكن قسم من قريش واليمس في بيسان وصيدا وعلى الساحل سكنت حنيعة، كما سكن في هذه المناطق قوم من العرس نقلهم معاوية من العراق إليها.

وتوزع جند الأردن على طبرية وبها قوم من الأشعرين وهم الغلبون عليها. وسكن صور أخلاط من النمس، وفي عكا وبيسان وفعل وجرش أقام أخلاط من النمس من العرب والعجم وبالأجمال كانت قصاعة هي العائلة في الأردن والبلقاء^(١)

جند قسرين: كانت ثوخ حاضرم قسرين وبحاضر سميت، وامتدت مضاربها إلى جهة بلس من انطراث. كما سكن قسرين أيضا قبيلة تغلب، أما الأكثرية في هذه المنطقة وخاصة بعد أن أسكن معاوية المهاجرين الجدد من هذه المنطقة فقد كانت لقبائل القيسية وخاصة في مدينة قرقيسيا^(٢)

كما سكن هذه المناطق بعض قبائل طي وسبيع^(٣)

وعلى صغر هذا التقسيم يرى أن القبائل الشاميه كانت مجردة أكثر مما كانت عليه حال القبائل العراقيه، وربما كان هذا هو السبب الذي أضعف العصية البسيطة في الشام حسبما في العراق. إلا أنه من ناحية ثانية أدى إلى تكتل قبلي عظيم قسم جميع القبائل اليمانية والقصاعية. ووقفت كتلة واحدة وسيد تشهره الدولة الأموية فيما بعد عند كل من يرفع لواء العصيان، ومن ناحية ثانية نرى أن القبائل القيسية قد انحلت من جبريرة مركزها الأول، وأصبحت القبائل اليمانية ومعهم قصاعة في دمشق وسنرى عند انقسام عصية أهل الشام أن الدولة الأموية ستعقد قوتها وجودها.

الهجرة إلى مصر:

كانت معظم القبائل التي توجهت مع عمرو بن العاص إلى مصر هي قبائل يمانية ومن هذه القبائل عث حيث شكل عدد أفرادها أكبر كتلة مع عمرو بن العاص فقد

(١) النصاب للإشراف على قسم ١٧٨/٧

(٢) المصدر السابق ١٤١/٥، ٣٠٠-٣٠٢

(٣) ابن السكيت، زيادة الطب ٨٩/٦، ٩٢

اشترك معها ما بين ٣٥٠-٤٠٠ مقاتل^(١) ويعد ذلك جماعة طاقق والصيدف (بطن من كنده) وبلي وعمدن وحره^(٢) وقدم عمرو بن العاص قبيلة بلي لحسن بلاكه في القتال وكان بينه وبينها حذوكة^(٣)

ويؤخذ من حفظ المعسط أن القبائل التي سكنت مصر هي من قريش والأنصار وغزاة وأسلم وعصار ومزبه والشجع وثقيف وجهينة ودوس وعيس وكندة وليث واليحيب والأرد وعسان ولحم وتثوخ وحولان وحضر موت وملحج والكلاّب وساء^(٤)

وكانت العالمية للقبائل اليمانية حيث سكن منهم في مصر ما يقارب الستين قبيلة بينما بلغت القبائل العدنانية ثلاثين قبيلة، وكانت قبيلة مرء من أكثر القبائل الفصحائية بينما كانت قريش من أكثر قبائل العدنانية عدداً^(٥). وقد كانت حركة التثوخ في غرب أفريقيا تجري على قدم وساق فقد توالى الهجرات إلى مصر، إلا أن هذه الهجرات كانت من القبائل اليمانية أكثر منها من القبائل القيسية

ومع اسكان القبائل المهاجرة إلى مصر ضمن مدن جديدة لمحوثة بقدمهم من الأحرارية إلا أن عمرو بن العاص أوجد فيهم نعام المرتع^(٦) وهذا النظام كان يقضي بأن تخرج القبائل في الربيع إلى مناطق ريفية ثم تعود إلى موطنها بعد انتهاء موسم الربيع. وقد كانت هذه القبائل تتحد أحياناً معينة لها كما كان ذلك في العصر الجاهلي.

ومع استقرار القبائل المهاجرة في أماكنها الجديدة واحتكاكها مع القبائل المجاورة أتت من طريق الجوار، أو عن طريق الصحرة، إلا أن القبائل لم تنس عصبيتها التي حملتها معها، إلى المواطن الجديدة. بل زاد الأمر خطورة ظهور عصبية جديدة تمثلت بالعصبية الإقليمية أو عصبية الأمصار فأصبح أهل الشام يتعصبون لمصرهم، وأهل العراق كذلك. وسرى أن الصراع في الاقطار الإسلامية هو صراع الأمصار طيلة العصر الأموي.

(١) ابن عبد الحكم، الفتح مصر ٥٦.

(٢) المصدر السابق ٦٣

(٣) ابن هشام ٢٢٩/٤ بهامش الروض.

(٤) بن دقاق، الانتصار ٢/٤-٤

(٥) البربر، القبائل العربية في مصر ٢٢٣-٢٢٤

(٦) البكري، البلدان ٢٣٦.

لقد جاءت القبائل إلى الأمصار الجديدة وهي تحمل معها منافعها الاجتماعية وبدلاً من أن تحدث هذه المنافرات بين القبائل أصبحت تجري بين الأمصار، وقد طبعت هذه المنافرات المذهبية طابع التاريخ الإسلامي بلون من التعصب انعكست آثاره على الواحي التاريخية والثقافية.

لقد بدأ كل مصر يتعصب لمصره، ورأيت أن بداية هذه العصبية قد ظهرت في عهد عمر بن الخطاب، وزادت حدة التعصب في عهد عثمان، واستمرت إلى ما بعد القرن الثالث الهجري حتى أن هذه العصبية قد حلت مكان العصبية القبلية في يوم من الأيام.

بدأت المناكرات لمذاهب في العراق قبل غيرها من الأمصار والسبب في ذلك أن معظم القبائل التي هاجرت إلى هذه المناطق هي قبائل بدوية، فلم تستطع أن تتحلى دفعة واحدة من مآثرها ومعارفها، ولما كان الإسلام يحرم ذلك فالتجهمت منافراتها إلى الله.

لقد انتحر أهل العراق بحر قهقمة لأنه حسب قولهم يقع في بقعة متوسطة من العالم كما يتميز بهو ته الغني الذي يختلف من هواء الشام السحيق، ومنافاته أوسع من منافات الشام كما أنه يخلو من الطوفان، ويختلف العراق عن مصر، فهو مصر يجلب الوفاء ويعبد العدا، هذا بالإضافة إلى جذب مصر، ويتميز عن أفريقيا لقربه من جزيرة الإسلام وبيت الله الحرام، ثم إن أفريقيا جالية لأهلها، كثيرة العدد، والعراق أفضل من غيرها التي يحيط بها الأعداء من كل جانب، وأفضل من أصحاب النكد المعاش الضيق المكاسب والذي قوت أهله من الخارج.

واضحت حمى المناكر بين الأمصار إلى داخل مدن المصر الواحد، فاشتدعت بين الكوفة والبصرة، فأهل الكوفة يقولون عن مدنتهم بأنها جديرة جميلة ولكن لأمال لها فهي تحضن بجمانها يعكس البصرة التي هي عجوز شمساء، غير أنها ذات مال فهي تخطب لاهله الغاية^(١).

واضحت أهل الكوفة ينهر القرات وفصلوه على نهر النيل ودجله بعلوية مائة وهو قد أخذ اسمه من ذلك^(٢).

(١) جاحظ، بغداد، نشره مع مقدمة وتعليقات الدكتور صالح أحمد الطي في مجلة كلية الآداب، مطبعة المكتبة بغداد سنة ١٩٧٤ من ٤٩٦

(٢) المصدر السابق ٤٩٦

وافتحرت الكوفة أيضاً بكثرة فتوحاتها سواء كانت في العراق، أو في خراسان فقد شركت في فتوحات الحيرة وياثرياء، وتستر وعين الثمر ودومة الجندل والأنبار، كما امتنخروا، على أهل الشام بأنهم شاركوا، خالد بن الوليد في فتح بصرى، ودمشق، وافتحروا أيضاً بأهالي الحضر والقادسية والمذارى وجلولاء وأدربيجان والنوحيين

وفي الكوفة برز الخلفاء وبها حصل العراق والدعوة لهم في المعطية قبل أهل البصرة وأن عدتهم ثمانون ألفاً ومقاتليهم أربعون ألفاً^(١)

كما احتجروا بمن برلها من البصريين، وأن أمير المؤمنين صعد قال قبة الاسلام الكوفة. وبأنها مدينة العراق الكبرى والمصر الأعظم، وقبة الاسلام، ودار هجرة المسلمين وهي أول مدينة احتطها المسلمون بالعراق سنة ١٤ هـ، وبها حفظ العرب، وهي على معظم الفرات ومن شرب أمهها. وهي من أطيب البلدان وأمسحها وأحداها وأوسعها^(٢)

وقدوا عن البصرة. إن أهل البصرة أسرع لأرض حرايا، وأحبها نراها، وأبعدها من السماء، وأسرعها غرقاً^(٣). كما سموها بدارعاه لأن هواها يتغير في اليوم مرتين، ووصفوا أهلها بأنهم من بقايا نمرود^(٤) وهم من قاتل عيب يوم الجحش وشقوا عصا الطاعة عليه^(٥).

أما البصرة فقد افتحرت بتساليها ومن حير ساء على وجه الأرض، إلا ما ذكر النبي من ساء قريش^(٦) وهم أجوع الناس للسلطان وأعرفهم برسوم الاسلام، وهم أكثر الناس أموالاً، ولا عذر للكوفة عندهم بشيء، إلا أنهم أحلم منهم بالفتوحات^(٧)

وافتحرت البصرة بمن نزلها من البيوتات العربية وكما افتحرت الكوفة بذلك

(١) ابن الكلبي مختصر البلدان ١٦٥ حيلة نيس.

(٢) الجاهلي، البلدان ٤٩٦.

(٣) الجاهلي، البلدان ٤٩٨.

(٤) ياقوت، معجم البلدان مادة بصره.

(٥) ابن الكلبي، مختصر البلدان ١٦٧.

(٦) ياقوت، معجم البلدان، مادة بصره.

(٧) ابن الكلبي، مختصر البلدان ١٧٠.

قلها^{١٦} كما انتحروا من ظهر فيهم من البيوتات العربية، لأخرى كبيت بني المهلب وبني
مسلم بن عمرو أباهلي، وبيت آل الحارود^{١٧}

وافتحرت البصرة بكثرة غزائها فحراج، لعراق بلغ مائة ألف واثنى عشر
ألف ألف، وبلغ حراج البصرة منه ستون ألف ألف، بينما لم يزد حراج الكوفة عن
خمسين ألف ألف^{١٨}.

وامتدت حنقة التناحر إلى بلاد الشام فظهر من يقول بأن الشام حروس بين سرة
جلوس، تجلب إليها الأمويون كما أن أهلها يتميرون بالشجاعة^{١٩}، وهم أطوع الناس
لرؤسهم^{٢٠} واقتضروا أيضا بأنهم موطن الأنبياء، وموضع الرهاد والعباد وعندهم
التمتع الذي يصرب به المثل في الحس والعيب، وفيه أيقب الزيت العبد في التظليل،
والرجاج وغيره بعد مسجد دمشق الذي اختاره أهل الشام من صحائب الدنيا كما انتحروا
أيضا بأن من حصائص الشام الطلائع، شجاعة والصاعون^{٢١}.

أما الخصوم فقد اعتبروا بأنهم أطوع الناس لمخلوق في معصية الخالق^{٢٢}.

أما الحجاج فقد انتحروا بالبيت الحرام وبمسجد الرسول في المدينة، كما أن المدينة
انتحرت بهولها وترتيبها، وأن الرسول ﷺ سمعها طيبة، وهي بهذا دم يحدث بها
حارون ولا جذام^{٢٣}، واتهم أهل مكة بأنهم أهل جفاء لا أن من سجنهم الولد^{٢٤}.

واستقلت البغداد إلى مصر فقال أهلها إن هواها طيب وحرها ضعيف
وبردها خفيف وقد سلم أهلها من شأني الأهوار، وطواهي الشام، وعو عن تهامة،

(١) المصدر السابق ١٩٠

(٢) أجماع، البلدان ٤٩٧-٥٠٥

(٣) المصدر السابق، البلدان ٤٩٧-٥٠٥

(٤) نيلنري، الأبحر الطوال ٣٢٢

(٥) ابن الأثير، الكامل ٧٢/٣

(٦) من لندف المعروف قسماي، بحثية البلدان لملاحظ ٤٨٧-٤٨٨

(٧) النيلنري، النسب الأشراف ١١/١٦ آب مفسر

(٨) البصيرة، البلدان ٤٨٦

(٩) النيلنري، الأبحر الطوال ٣٢٢

وإدخال الجزيرة وحرب اليمن ورمصام العراق، وطحال البحرين، وحمى حبر^(١)

وشبه أهل مصر بلذهم بالمردوس في خصرة روعها وتور ثمرها، كما افتتح
أهلها بأن اسمها ورد في القرآن الكريم في الآيات ٨٧ يونس، ٢١، ٣٠، ٩٩ يوسف،
٦٦ النقرة، ٥٠ المؤمنون.

كما افتخروا بأنها أطيب الأرضين تربية، وعجسها أكرم العجم أنسابا، ومصر
خرانة لأرض كلها وسفطانها سبطان الأرض كله، وهي أم البلاد وغوث العباد،
وولايتها جامعة تعدل الخلافة كما قال عمرو بن العاص^(٢).

ولم تغف مسافرات الأمصار على بيان لمربا الجغرافيا ولا اقتصادية لمصر فحسب
بل امتد ذلك إلى الواسي الثقافية والدينية، وأبرز ما كان في الساحة الثقافية هو ظهور
مدستي الكوفة والبصرة ولطاسة الشامية التي حدثت بين ههنا المسريين

وقد امتدت حركة التعصب إلى كتابة التاريخ فأخذ كل مؤرخ يهتم بالمصر الذي
يقبض فيه- فأبو محمد، اهتم بأمر العراق وأحارها وشوحها أكثر من غيره، وادعائي اهتم
بأمر خراسان واهلها وفارس، والواقسي اهتم بأمر الحجاز والسيره واشتركا جميعا في
كتابة فتح الشام^(٣).

وحسب الروايات التاريخية كانت مطبوعة بطابع التعصب الاقليمي فأبو مخنف
المتوفى سنة ١٥٧هـ ٧٧٤م هو أخباري من أهل الكوفة، وفي روايته تعصب لأهلها،
بالإضافة في رواياته على قبيلته الأزد أكثر من غيرها

وهو ابن الحنكمت ١٤٧هـ-٧٦٤م أخباري كوفي تناول مسيرة معاوية ومي أميه
وتدل رواياته على معرفة داخلية بشئون الأمويين - وبعده أعيد معلوماته هذه من قبيلة
كلب، هو اليه للأمويين- لاسيما وأنه يفخر بعملها وهو يقدم رواياته الاموية للحوادث
على الأكثر مقابلة لروايات الخواري

أما سيف بن عمر فهو كوفي أيضا ت ١٨٠هـ-٧٩٦م وهو يقوم في الاساس على
انظر العنصرية، ويعتمد على رواية من قبيلة تميم وأحباره عن الفتوحات وخاصة فتح

(١) الخريزي، المخطط ١٠/١.

(٢) الكندي، فضائل مصر ٢٢-٢٨، ٢١، ٤٤-٤٥ وما بعده.

(٣) ابن النديم، الفهرست ١٢٧.

العراق، مجموعة افول وبسجه لئن تكون في اختيارها كاستلوب الأيام في الحاهلية^(١)

وهكلا نرى أن الاتجاه القبلي قد أخذ طريقه في دراسة التدرج الاسلامي نتيجة
الاستخدام بالشئون القبلية، كما لعبت عصبية الامصار أيضا في ظهور الاحاديث سواء ما
كان منها عصبية للجنس أو الموطن. لقد أدت العصبية إلى الموطن إلى وضع أحداث
كثيرها تدل جميعها على فضل الأمصار، ومن هنا نشط رجال الحديث في الجرح
والتعدي لبيان لاحاديث الصحيحة من الاحاديث الموضوعة

في البصرة قال الكلبي: إني لأعرف أرضا يقال لها البصرة أقومها قبله وأكثرها
مسجد ومؤدلين، يدفع عهد البلاء مالا يدفع عن سائر البلاد^(٢)

ووضع عبد الرحمن السلمي حديثاً يأتي على الناس زمان يكون فضل الرباط
رباط حدة^(٣) ووضع ميسرة بن عبد ربه أريصون حديثاً في فضائل قروين^(٤). كما
وضع أحمد بن كنانة الشامي حديثاً: ذا ذهب الأيمان من الأرض وجد بطن، لأردن^(٥)

وفي مقام الاحاديث التي تدخر بتلذذ وضعت أحداث أخرى لدعم وعاصمة من
القبائل المدفوعة زمن هذه الاحاديث ما وضعه ابن أبي عياش: بلقاء والبهني في
الشم. ووضع حماد بن زيد في دم البصرة أنه سيكون بها خصف ومسح وحديث
بابان مفتوحان في الدنيا للجنة عبادان وفزوين^(٦)

وأب العصبية للجنس فظهرت في بعض الاحاديث الموضوعة مثل: دعوي من
السودان إنما السواد لبطنه وفرجه وحديث الزنجي إذا شيع ربي، وإذا جاع سرق، وإن
فيهم سماعة ولجده^(٧) ولعن هذه الاحاديث في دم الزنج تظهر كرامة أهل البصرة
لهؤلاء.

(١) انظر النوري، هم التاريخ ٢٥ وما بعده.

(٢) ابن مراك، أبو الحسن عني بن محمد الكندي ٩٦٢هـ، تقرير شريعة طيبة القاهرة ٥٨/٢

بهرت في السنة المشرقة، أكرم ضياء العربي ٢٤ إرشاد بغداد سنة ١٩٧٢ ٣٩

(٣) المصدر السابق.

(٤) ابن الجوزي، الاحاديث الموضوعة ١٥/٦ مصطوفة

(٥) ابن عوالي، تقرير الشريعة ٥٧/٢، بهرت في سنة المشرقة ٣٩.

(٦) بن عرق، تقرير الشريعة ٥٠/٢ وانظر ٤٧، ٤٨، ٥٩

(٧) المصدر السابق.

كما أن العصبية امتدعت أيضاً أن ترتب بعض المسانيد حسب الفئات^(١)

كما امتدت المقارنات بين الأقسام إلى سوحى الدينية فسيان بن عبيته يقول
عبدوا لماسك عن أهل مكة وانقرعة عن أهل المدينة والحلال والحرام عن أهل
الكوفة^(٢).

وفي مجال المقارنات أخذ أهل حمص يفتخرون بأن قراءتهم هي أفضل للقراءات
واحتجت الكوفة وتبعها البصرة ودمشق وقالوا إن قراءتهم هي الأفضل وبمس شدة
العصبية عند أهل الكوفة لما أمر عثمان بتوحيد المصحف فكل الناس عرف فضل ذلك إلا
أهل الكوفة^(٣) تمسحاً منهم لقراءة ابن مسعود.

وبالمقابل فإن العصبية الإقليمية لعبت دوراً بارزاً في الحركة العلمية والأدبية
وخاصة ما كان يتوارىح المدن، وتراجم اللطائف، وتراجم وتوزيع الفرجان المحلية.

وبمس ذلك التدافس من أن عباس بن إبراهيم فر كشي ألف كتاب 'الأعلام'
صم حل مر كش و غمات من الأعلام^(٤) لأنه لم تبق أي مذبة إلا وقد احتضنت
بكتاب كامل مثل تاريخ المدينة ومكة والطائف واليمن والشام والقدس وحمص
والبصرة والكوفة والحيرة إلا مر كشي لقام بعمله هذا.

والعصبية الإقليمية وإن لم تأخذ دورها في عهد عثمان كثيراً إلا أن بعض
مظاهرها قد بدأت في عهده وخاصة ما بين الشام والعراق. فقد أمر عثمان حبيب بن
مسعدة الغهيري أن يتوجه لفتح أرمينيا، وأرسل إلى سعيد بن العاص يطلب منه أن يبعث
مدداً لحبيب بن مسلمة، وما أن علم حبيب ذلك حتى قال لأهل الشام: ويحكم لقد
جاءكم مدد أهل الكوفة فأحشوا أن يظفروا بالعدو فيكونوا الذكر لهم والاسم لهم من
دوركم، وحشهم على مواجهة العدو قبل قدوم أهل العراق، ولتحقق له النصر على
العدو. ولأقل جيش العراق طلب قاتله سليمان بن ربيعة الباهلي أن يشر كوا بالعيمة
مرفض أهل الشام وكاد الشر أن يقع بينهما لولا أنهما اتفقا على تحكيم الحليفة في الأمر

(١) ابن السكيت، ترويض الروي، شرح لغوي التوازي، طبعة مصر ٢٥٤-١٩٥٩-٢٥٥

(٢) الفوت، معجم عثمان ٤٩٣/٤ طبعة دار صادر

(٣) ابن الأثير الكامل ٥٥/٣

(٤) انكشاف طابعة فارس ١٩٣٦، مطر ٢/٦

فأرسلوا إلى عثمان فقال العيمة بآرده لأهل الشام فكانت هذه أول عدوة وقعت بين أهل الشام والعراق^(١).

وهكذا رافقت العصبية القبلية عصبية جديدة وهي العصبية الأقليمية وأصبحتنا نرى أزد الكوفة وبني الشام، وقيم العراق إلى غير ذلك من التسميات وهذا مما سيطع التاريخ، لا إسلامي بلون جديد من اللون الصراع وخاصة في العهد الأموي

وبما تقدم نرى أن الأمصار في عهد عثمان قد أصبحت تصمم مهاجرين حدد أمور ما فيهم منهم من أهل الخفاء والعصبية والمتصاخر والبعد عن سكية الأيمان^(٢). ويمكن لهذه القبائل شأن في الثورة عليه

مجلس الشورى وانتخاب عثمان

عهد عمر رضي الله عنه إلى ستة من أصحابه وسماهم رجال الشورى حتى ينتخبوا من بين أنفسهم خليفة للمسلمين وقد كان هؤلاء الصحابة مورعين على خمسة من بطون قريش هم عبي بلندم في بني هاشم، وعثمان شيخ بني أمية، والزيبر رئيس بني أسد، وطلحة بن عبيد الله سيد بني قليم، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص سيد بني زهرة. ولم يدخل معهم سعيد بن زيد لأنه من بني عدي

وقد استند عمر في ترشيحه لهؤلاء على ميديين: الأول. أنهم رؤساء الناس وقادتهم^(٣)، والثاني أنهما من أهل امة أي من العشرة المبشرين بها

وبالظر إلى هذين الميادين يرى أن عمر قد جمع بين التيار القبلي الذي قتل بأن المرشعين هم رعماء الناس، وقادتهم وبالإبقاء الاسلامي لسابقتهم في الاسلام وقد مات الرسول وهو عنهم راض

ويذكر البلاذري أن عمرو بن العاص حاول أن يكون له من الأمر شيء إلا أن عمر قال والله لا أجعل فيها أحد، جعل السلاح على نبي الله^(٤).

(١) ابن اشد، الفتوح ١٠٨/٢ - ١١٠.

(٢) ابن خلدون، اللقمة ٢١٥

(٣) الطبري، تاريخ ٢٢٨/٤

(٤) البلاذري، انساب الاشراف ١٧/٥.

وتذكر الروايات أن عمر كان محتاراً في اختيار أحد منهم حتى أنه قال: «لا أدري ماذا أصنع بأمة محمد»^(١) ثم أحد بعد المأخذ على هؤلاء المرشحين فقد حشي عمر إن وليها عثمان بن عفان أن يحمل آل أبي معيط على رقاب الناس وقال عن علي بن أبي طالب: «لا يصلح هذا الأمر لمن حرص عليه أب ابن عوف فهو رجل مسلم غير أنه ضعيف وأمره بيد امرأته، ولا يصح بهذا الأمر إلا أنقوي في غير عفاً وتلين في غير ضعف الممسك في غير غض والخو د في غير سوف» أما حشيه فببته ورهه وأعجاب بعسه والبرير بطن ومعه خبيث وجشع أما سعد فهو صاحب حرب وأما وإلي أمر فلأ^(٢)

ونتيجة ذلك أراد عمر أن لا يتحمل مسؤولية أحد من هؤلاء، بل ترك أمر اختيار الخليفة إلى الأمة نفسها والتي يمثلها هؤلاء الرهط

وقد شعر عمر بالتماس بين المرشحين ومن هنا قال لهم: «ي لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم ولكن أخاف أن تنقسموا فيما بينكم فيختلف الناس»^(٣) ولتصور عمر لهذه المنافسة أوفر لأبي طلحة: «لأنصري أن يختار خمسين رجلاً من الانصار، كي يبحث أعضاء لشورى عن سرعة اختيار خليفة للأمة قبل انقضاء الوقت المعطى لهم وهو ثلاثة أيام»^(٤) كما حذر من العرقه وقيل ليتبع لأقوال الأكثر ومن يخلف فيفسد رب عتقه»^(٥)، وفي عملية ترحيب الاصوات جعل ابنه عبد الله مشيراً اذا تساوت الاصوات على أن لا يكون له حق الترشيح، فان لم يرض به المرشحون فالحائب الذي به عبد الرحمن بن عوف وقال نعم ذو الرأي عبد الرحمن فاسمعوا وطيعوا»^(٦) وبذلك يكون ابن عوف هو رئيس مجلس لشورى، وصوته هو الذي يحدد هوية الخليفة

ولما عدم علي بذلك حشي من معاهدة سعد لأبته حبه ومن معاهدتهما معا لعثمان بن عفان حيث رابطة المصاهرة بين عبد الرحمن وبين عثمان والواقع أن ما

(١) المصدر السابق ١٦/٥

(٢) البيهقي، تاريخ ١٤٨/٢، ابن عظم، الفتح ٨٤/٢ = ٨٦.

(٣) ابن كثير، الكامل ٢٧/٢ يوافق.

(٤) المصدر السابق ٢٨/٢ يوافق

(٥) البلاء، نسب الاشراف ١٨/٥.

(٦) ابن كثير، الكامل ٢٨/٢ يوافق.

توقعه علي لم يحدث فعمي بدابة الاجتماع طرح كل مرشح نفسه للحلابة . ومن هنا تقدم عبد الرحمن بن عوف بمشروع مؤداه أن يخرج نفسه وابن عمه سعد من الترشيح وأن يتولى اختيار حبيبة من بقى المرشحين^(١) ، موافق عثمان في الحال ، أما علي فقد طلب من ابن عوف اليهود والمواثيق ، أن يؤثر الحق ولا يتبع الهوى ولا يختص بدرهم ولا يالكو ، الأمة نصيحاً - موافق ابن عوف على ذلك وأخذ اليهود والمواثيق أن يرضوا عن مختار بهم^(٢)

وبدأ ابن عوف مشاوراته فجاءه ابن الزبير وقال له حلي ابي عبد مناف وهذا الامر فقال الزبير : نصيبي لعلي^(٣) .

وهكذا حصر التنافس بين سي هاشم وبني أمية ، فبدأ ابن عوف يسأل المهاجرين وأهل السانقة والأنصار وامراء الاجناد ومشيجة قريش فوجد أن الجميع يعالجبون بعثمان . وكثرت الأيام الثلاثة أن تنقصي دون التوصل إلى نتيجة معينة ، وأرد أهل الأمصار العودة إلى أمصارهم ، وهج خرج ابن عوف على الناس ورأى بوادر الفتنة فبدأت غارداً أن يصحح حذراً لذلك ، وقبل أن يعرض اسم الحبيبة بهض سعيد بن زيد وقال إنما نترك لها أهلاً ، كما قام سعد بن أبي وقاص وقال : يا أبا عبد مناف وأرضع رؤوسنا ، فقال ابن عوف : إني قد خدمت نفسي منها على أن أختار ، ولو لم أعمل وجعل الخبير إلى لم أردنا^(٤) .

ولما رأى عمار بن ياسر أن بني زهرة تعدت بأن تكون الحلابة لها نهض وقال إن أردت ألا يحتلف المسلمون فسيح حبيبا . وقدم بلقاءه بن الأسود وأبد صمراً في رأيه وقال : إن بايعت علي قلته سمعنا وأطعنا^(٥) .

وهذا وقف بنو أمية عمام عبدالمه بن سعد بن أبي السرح وقال . إن أردت ألا تختلف قريش فبايع لعثمان ، ونهض بطر آخر من قريش توارى عن المسرح السياسي منذ معركة بدر ، لا وهم بنو محروم فأبدى بني أمية وقال عبدالمه بن أبي ربيعة المطرومي

(١) البلاء في انساب الاشراف ٢١/٥

(٢) ابن الأثير الكامل ٢٩/٢ بولاق .

(٣) المصدر السابق ٢٩/٣ بولاق .

(٤) المعبري ، تاريخ ٢٢٤/٤ ، ابن عبد ربه العقد الفريد ٢٨/٥

(٥) نهج بديعة ٩٥/١

هنا فتجمعوا على عزله ومعهم عامة الناس^(١).

لقد اعتسرت قبائل الكوفة أن تعين الوليد بن عقبة عليها ما هو إلا ضرب من انتعصب من الخليفة إلى أخيه الوليد، وهذا ما عبر عنه يزيد بن قيس الأرسبي لقد أريد عثمان كرامة أخيه يهران أمة محمد^(٢)

والواقع أن عثمان قد استعجب في أمر تعيين الوليد فرد على من عاتبه أنه لم يعينه لقرابته منه وإن قرابته من الرسول ﷺ حيث أن ابن عم حكيم اليربوع عمه رسول الله وتوأمة أبيه^(٣)

ومما تقدم يرى أن العصبية ضد قريش كانت هي الدفع الذي أدى إلى عزل الوليد بن عقبة عن الكوفة

وبعد عزل الوليد لم يستطع عثمان أن يفعل إلى الداء الذي أدى إلى عزل الوليد والواقع أن ضرب الحمر يجب أن يحد ويعزل مكتسباً بهذا الاجراء وعين والياً أمراً قريشاً جديداً على الكوفة مما أدى إلى حدوث لصراع مرة ثانية

والوالي الجديد هو سعيد بن العاص، وهو شاب عترف ليست له سابقة^(٤)، وقد كان عمومته من ذوي البلاء والسابقة في الاسلام^(٥).

وفي سنة ٣٠ هـ قدم سعيد الكوفة ومعه بعض اليمانية الذين ذهبوا ليشهدوا على الوليد بن عقبة، وما أن دخل الكوفة لا وصمم أن يسير بأهلها سيرة تخالف ما كان على عهد الوليد، فبادر إلى المنبر ففلسه بالرحم من نهى رجال قريش له بالآ يفعل وقالوا له إن هد، فبيح والله لو أريد هذا ميرك لكأن حقاً أن تدب عنه، يلزمه عاز هذه أبداً فأبى إلا أن يفلسه^(٦)

وقد أظهر الولي الجديد اعتداده بقريشته وبأمويته ضد اللحظة الأولى لصعوده

(١) المصدر السابق ١٤-١٥

(٢) تطريي لشباب الأشراف ٢٥، ٣٩/٥ تطريي تاريخ ٢٧٧/١

(٣) المعاصم من تطريي، ٨٥

(٤) المصدر السابق ٨٥

(٥) تطريي، تاريخ ٢٧٨/١

(٦) المصدر السابق، تاريخ ٢٧٢/١

على سبر الكوفة حيث خطب أهلها وقال: والله لقد بعثت إليكم وإني لكاره ولكي لم أجد بداً إذا أمرت أن أفر، إلا إن الفتنة قد اطلعت حطمتها وعيبها، والله لأضربن وجهها حتى أقمعها أو تعينني وإني لرائد نفسي اليوم^(١)

وانتهج سعيد سياسة مخالفة لتوليد عنده بدأ يقرب إليه وجوه الكوفة وأشرفها، فكان مجلسه يصم وجوه الناس من أهل الأيام والقدسية وجوه اللواحق والروادف والقراء

إلا أن مرحلة «وفيق الودي» لم تدم طويلاً في الكوفة فسارع سعيد بالكتابة إلى عثمان يبين له حقيقة أمر الكوفة وفيه كشف عن عاملين^(٢):

الأول: أن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وعلب أهل الشر فيهم على أهل الشرف، والبيوتات والسابقة والقدم في الإسلام

الثاني: أن غلبة أهل الشر آتية من بردية هجرة اللواحق والروادف من الأعراب أي من المهاجرين المحدود وكان أهل السابقة يتقصصون هؤلاء يرددون حتى غلب أهل الشر على أهل الكوفة

والحقيقة أن ما ذكره سعيد هو أصل اللد في الكوفة، وما ثبت ذلك أن أهلها أخذوا يتناقصون في مجال استضافة الضيوف فكانوا يقولون: من أتى الكوفة فليترل على در فلان وفلان وقد تنبه الوليد بن عقبة لهذا الأمر، وأرسل يخبر عثمان بذلك فوافق عثمان على اتحاد دور لضيافة تكون تابعة لدار الإمارة ومن الدور التي انحلت لهذا الغرض دار عبدالله بن مسعود وكانت في هدي^(٣)

ولما وصل الكتاب إلى عثمان رد عليه بأن يفضل أهل السابقة والقدم وأن يجعس المهاجرين المحدود تبعاً لهم، إلا أن يكون أهل السابقة قد تناقلوا عن الحق وقام به الخدد، ثم طلب منه أن يحفظ لكل منزلته وأن يعطهم بالحق فإنا المعرفة بالناس بها يصاب المعدل^(٤)

(١) الطبري، تاريخ ٦/٢٧٩، أبو بكر الأندلسي، التمهيد ونيس ٤٧.

(٢) الطبري، تاريخ ٦/٢٧٩، ابن كثير، تكامل ٣/٥٤، أبو بكر الأندلسي، التمهيد والبيان ٤٧.

(٣) نصري، تاريخ ٤/٣٧٣.

(٤) المصدر السابق ٤/٢٧٩.

وبعد هذا الكتاب جمع عثمان أهل المدينة وأخبرهم بما بعث به سعيد وما رد عليه فاستحسنوا رأيه ووافقوه وقاتلوه . لا تطمع هؤلاء الأعراب فيما ليسوا له بأهل

ولكن هل كان هذا الحل شافياً لما تشد منه الكوفة؟ الواقع لا ، إن هناك نقطة جوهرية وردت في كتاب الخليفة وهي تقديم أهل السبقة والقدمية في الإسلام ، فهل مستقبل الأعراب من الخليفة ذلك وهي ترى أن رأس الدولة وحليقة المسلمين لم يتغير بذلك؟ غير كذا الخليفة يعبر هذا الأمر والوالي من أهل السبقة لربما خفف من حدة التلحر ولما أدى إلى تعقيد الأمور

استمرت الكوفة في تحملها حتى سنة ٣٣هـ وهنا انفجر الموقف العناني بين أهل الكوفة وسعيد بن العاص وقد جاءه تعداد الوالي بقرشيته سبباً في ذلك . ولي هذه الحادثة روايتان .

الأولى . تقول أن مجلس سعيد بن العاص كان يضم وجوه أهل الكوفة من مختلف القبائل فيها الواثق وروادف فقال عيسى الأسدي ما أجود طليحة بن عبيد الله فقال سعيد أن من له مثل النشاستح لحقيق أن يكون جواداً ، والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله عيشاً رهيئاً فقام عبد الرحمن بن حنيس ونحى ملطاط كسرى انقلب لفرات لو كان لسعيد بن العاص . وقت غضب أهل الكوفة واعتبروا ذلك تحدياً لهم فقام . رجال من البمانية وربيعة وهريزوا عيسياً وابنه حتى هشي عليهما ، ولما عدت قبيلة أمد قدم طليحة لمعاصر القصر مما أدى إلى استمذاد القبائل للقتال إلا أن سعيداً هماً الموقف ووعده بمرمان أصحاب الشغب من حضور مجلسه^(١) .

الثانية . أن سعيد بن العاص هو القبائل إنما هذه السواد يستأن قريش . فقال الأشتر أترحم أن السواد الذي أعاءه الله علينا بأسياناً يستأنك ويقومك ، والله ما يزيد أدامكم فيه نصيباً إلا أن يكون لأحد . وتكلم القوم فقام عبد الرحمن الأسدي وكان على شرطة سعيد لمأعظ بلقوم مما أدى إلى ضربه حتى هشي عليه^(٢)

(١) العبري، تاريخ ٣١٧/٤ أبو بكر الأندلسي شهيد ولبس ٤٦

(٢) العبري، تاريخ ٣٢٤/٤

وفي الروايتين نجد أن قبائل الكوفة قد عضت من سعيد بن العاص ومن صاحب شرطته فتوبهم أن السواد يستأن قريش ، فلقد رأت في هذا القول إهانة لها وخاصة إن ما بأيديها هو فينها قاتلت عليه وضحت من أجله ، فكيف سيسمحوا بهذا الأمر القريشي أن يسمى أو يدعي بأن السواد لقريش ، ويعرفهم بكمي قريش ، فثلث الإدارة والمال وبه تستعني على العرب ، أما وأن تأخذ ما في أيدي القبائل فهذا شيء لا تحتمله قريش

ولهذا سارعت القبائل بتأييد الأشتر وقالو : وفلك الله فيما صنعت وفلك قول الله لئن رجعت لهؤلاء فليأخذنهم ولو أن دورنا وموارثنا التي ورثناها عن آبائنا في بلادنا لهم من دورنا^(١).

وأدى لعلاج الذي اتخذه سعيد بحق أشراف الكوفة الأمر اشتعالاً ، فقد أصبح هؤلاء يطعمون بالوطني والحنيفية معاً و جتمع إليهم الناس حتى كثروا فكتب سعيد ومعه أشراف من أهل الكوفة إلى عثمان يحبروه بمحال أهل الكوفة ، فكتب إليه عثمان يأمره بأخراجهم إلى الشام وقد كذب المبعوثون^(٢) من القبائل ليمانية وربيعة ونعيم إلا أن العالية منهم من اليمانية وهذا يدل على أن القبائل اليمانية هي التي كانت على رأس القبائل النخبة.

وبادر سعيد بإخراجهم من الكوفة إلى الشام وهناك تلقاهم معاوية فرحب بهم في بادئ الأمر وأمرهم كنيسة مريم وأجرى عليهم ما كان يجري عليهم بالعراق ثم بدأ بعد ذلك يظهرهم ويكاشفهم عن أسباب بقتهم على قريش وبين لهم أن قريشاً لو لم تكن لكانت القبائل العربية ذليلة ، وهنا ثارة ثارة المصعدين فقام صمصمة بن صوحان فيبين أن لا يحصل لقريش على العرب فهي لم تكن من أكثر العرب وأصعب في الجاهلية^(٣) ، ثم أن الإسلام لا يفرق بين قبيلة وأخرى ولا يعتبر قبيلة فضلاً على أخرى إلا أن معاوية رد عليهم فيبين مآثر وفصائل قريش وبأنهم أكرم العرب أحساباً وأمحضهم أسباب وأعظمهم أخطاراً وأكملهم مروءة وقد امتنعوا في الجاهلية بالله يسمو كان الناس يأكل بعضهم بعضاً^(٤)

(١) ابن أعثم، الفتوح، ١٧٢/٢

(٢) انظر اسد الله القديس، ابن أعثم، الفتوح ١٧٦/٢

(٣) المصدر لسبيل، تاريخ ٢٢٢/٤

(٤) العربي، تاريخ ٢٢٢/٤

ويستند على اعتزاز القبائل بكبيرائها، لما هدد معاوية الأشتر بالسجن، وقال له همدون بن رواء: لئن حسنت لتعلمن أن له عشيرة كثيرة عدها لا يحصا، شديدا شديدا على من خالفها وبزها^(١).

وهذه المناظرة تشير بوضوح إلى نعمة القبائل على قريش، فالقبائل اعتادت أن ترى ولاتها من أصاب السابقة، ومن سبق عثمان لم يحص ذا رحم ولم يورث ذا قرابة، وعثمان لم يتقيد بذلك عما جعل صعبه بن صوحان العنكب من معاوية أت يعتزل الأمر ليتولاه من هو أحسن سابقه وقد في الإسلام منه ومن أبيه، لكن معاوية أجابهم بأن تعيينه كان من عمر وليس من عثمان^(٢).

عاجز معاوية عن إصلاحهم، حشي على الشام أن يفسد وخاصة أن بعض أهل الشام اغتلبوا بحالسون المبعدين فأرد أن ينخلص منهم فلم يجد من وسيلة، لا أن يحفف من شأنهم وقاد إنهم ليسوا إلا أهل شعب ونكير^(٣) وكتب إلى عثمان بردهم. وفي هذه الشأن رويثان^(٤) الأولى تقول إنهم انجسوا إلى الكوفة واستمر شعبهم فساد وأخرجهم سعيد إلى حمص وإثنية تقول أنهم انجسوا نحو حمص بناء على رغبته المخاصة ولكن الأرجح أن عثمان سبرهم إلى حمص^(٥) بعد أن خرجوا من دمشق. وفي حمص قابلهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ينتهي لشدة، وحشد من شأنهم، وكان كدما ركب أمشاهم^(٦) وأراه هذه الشدة أهلوا، ثوبتهم فأرسلوا الأشتر ليعلم هذه التوبة أمام الخليفة في المدينة، فأذن عثمان للأشتر بالإقامة في أي مكان إلا أنه أقر الرجوع إلى أصحابه وربما أن عودة الأشتر إلى حمص ليكون مع جماعته جاءت نتيجة عدم موافقة الخليفة على رجوعه إلى الكوفة.

أما الحالة في الكوفة فلم تهدأ بنمي أهل الشغب منها، بل زادت اشتعالا وخاصة أن لهؤلاء المبعدين قبائل تعصب لغيرهم، ومن هنا استغلوا خروج سعيد بن العاص إلى

(١) ابن أمث، الفتح ١٧٦/٢.

(٢) الطبري تاريخ ٣٢١/٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل ٩/٢ بولاق.

(٤) المصدر السابق ٩/٢ - ٦٠.

(٥) البلاذري، انساب الاشراف ٤٢/٥.

(٦) ابن الأثير، الكامل ٩/٣ بولاق.

المدينة فعقدوا اجتماعاً موسعاً صمم رؤساء قبائل بنيّة ربيعة وجميع بني نهاية الاجتماع كتشوا إلى عثمان اتفق الله وانضم سعة اصحابه من قبيلته وارتفع عن ضرب رقبته وفي صلحاته وتقسيم ميثا بين اشرارنا، والا استبدال صا واتخاذك بغالة من الطلقاء وأبناء الطلقاء دوساً^(١)

وهذا الكتاب يعطينا صورة واضحة عن الاسباب التي كان يشكو منها أهل الكوفة وهي: بني الصلحاء، وولاية والطلاق وتقسيم فيثهم في غير اصحاب رسول الله الأوائل وهم الشيوخ حسب قولهم وتقريبه لهذه البطانة من بني أمية دون القبائل الأخرى ويستند على ذلك من قول كعب بن عبيدة الهندي بعثمان فقد حملت بي أبيك على رقاب الناس حتى أوعزت صدورهم، واحتشرت عنواتهم^(٢) للمعاداة ليست لأن عثمان خالف من سبقه في الأمور السنية إنما هي أمور دينية أهمها تزييه لبني أمية.

لم يحرك عثمان لهذا الأمر ساك ولم يتخذ خطوة فعلية لدراسة ما جاء في كتاب أهل الكوفة، بل أبقي الوضع على ما كان، وهذا لا بد لأهل الكوفة من أن ينقلوا معارضتهم من الخطوة الكلامية إلى الخطوة العملية.

وبعد أن رأوا أن الخليفة لم يغير شيئاً كتب أهل الكوفة إلى المبعدين للمحضور إلى الكوفة حيث لا طاعة لعثمان مع إقامته على ما ينكره^(٣) وبذكر الطبري^(٤) أن يزيد بن قيس الأرحبي أراد أن يجمع عثمان لولا تدخل لقنقاع بن عمرو التميمي فعند أن حبل بيه وبين الخلع كتب إلى المسييرين كي يعودوا إلى الكوفة وهكذا يرى أن الثورة قد بدأت تتجه نحو الخليفة نفسه بعد أن كانت موجهة نحو الولاء كما ملاحظ في موقف القنقاع تصادم الاتجاه الإسلامي والاتجاه القبلي، فانهاجرون الحدد يمثلون الاتجاه القبلي بأجلى صورة، أما القدامى فهم يمثلون الاتجاه الإسلامي ولا يريدون من الشعب أن يتطور إلى التمرض لمصعب الخلافة والخليفة

ويصعب كانت الكوفة كد لرجل ذق من عليه بن الهيثم السدوسي وكان هذا من

(١) المصدر السابق ١٧٩/٢ - ١٨٠.

(٢) ابن اعثم، الفتوح ١٨١/٢.

(٣) الطبري، سار، لأشرف ٤٣/٥.

(٤) الطبري، تاريخ ٣٣١/٤.

للقريش إلى سعيد وقد خرج معه إلى المدينة ، فأحبر أهل الكوفة أن سعيداً قد أقبل عليهم^(١) ورائق قدوم عياد وصور^(٢) لاشرت وجماعته إلى الكوفة فبادر لاشر إلى قصر الاميرة واخرج ثابت بن قيس الأنصاري^(٣) نائب سعيد على الكوفة ثم اتجه إلى مقر الكوفة وأعلن للناس أن الخليفة قد أحاد عليهم سعيد بن العاص ، ولم يكتب بذلك بين إن هذا هو إلى حاول اقناع الخليفة لأقاص عطاء النساء مائة درهم . ورد أهل ابيلاء إلى الذين ويرحم ان فيتهم ستمن لقريش^(٤) . فأتخذت أقواله هذا طريقها إلى العوفانية فصمموا على مع سعيد من دخول المدينة وعين حاول أهل الرأي صدهم عن ذلك

وقد حاول قبيصة بن جابر الاسدي التعرض للاشر وحذره العرق والعنة إلا ان الاشر قال له : وما أنت وهذه فوالله ما أسلم قومك إلا كرها ولا هجروا الا فقرا فوثب الناس على قبيصة وضربوه وجرحوه فوق حاجبه^(٥) . وربما كان اندافع الجاهل هو أن أسناً كانت من القريش إلى طوالي ثم إن هذه القبيلة لم تنس بعد لما حدث لصاحب شرعتها ، وسرى فيما بعد وثوقها إلى جانب المطاليين بدم عثمان هذا بالإضافة إلى كون هذه لقبيلة من عضر

وجتمع إلى الاشر عشرة آلاف كلهم بايع له على ألا يدخل سعيد الكوفة^(٦) ، وانجهوا نحو بجرعة^(٧) ، وهناك أجبروا الوالي أن يعود أدراجه إلى المدينة

وفي هذا الصراع نلاحظ تباين ، التيار القبلي وهو الذي تمثل بحجروج الاشر ومن معه والذين قدروا بعشرة آلاف ، والتيار الاسلامي وهم الذين كانوا يهون الناس من ذلك إلا أنهم هجروا لأنه لا يسكن العوفانية الا لشرفه^(٨) لا طاقة لهم بهم

وبعد مع الوالي من دخول الكوفة كتبوا إلى عثمان يحبرونه بأنهم ولوا على أنفسهم عبد الله بن قيس (أبو موسى الاشعري) للصلاة عليه بن ايمان على الخراج

(١) البغلي، انساب الاشراف ٤/ ٤٢

(٢) ابن الاثير، معجم بن حريث ٦١/٢ يولاق

(٣) المصدر السابق، الكامل ٦١/٣

(٤) البغلي، انساب الاشراف ٤/ ٤٥

(٥) السعدي، مروج الذهب ٢/ ٣١٧

(٦) ابن الاثير، الكامل ٦١/٢

(٧) البغلي، انساب الاشراف ٤/ ٤٦، بن عبد البر، الاستيعاب ٢/ ١

وقالوا له احبس هن وليك وسعيذك ومن يدعوك اليه من أهل بيتك^(١)

رضي عثمان بذلك حتى لا يبقى للثور حجة عليه وهكذا حقق أهل الكوفة ما قدموا من أحده فأبعدوا الاستقرطية القرشية ، ولوا مصرهم رجل يماني منهم ثم هو من صحبة رسول الله ﷺ . ولكن هن ستقف ، كوفة عد هذا احد وهن ستميل إلى الهدوء والسكينة ، أم أنها ستعود بعد فترة قصيرة لسابق عهدهن ؟ ان استقرار الكوفة ما هو الاستقرار مؤقت لا يلبث أن يثور مرة أخرى وبأخف مما كان عليه

ومما تقدم نرى أن العصبية ضد قريش وحسد الأمويين كانت العامل المباشر في نقمة أهل الكوفة على ولادة عثمان ، فهم أقرباء الخليفة أولا ، وهم ليسوا من أهل السابقة ثانيا فاستمدوا هذين الأمرين وطردوا سعيداً وعبيد ، أما موسى الأشعري عليهم

وكما نعت العصبية القبلية دورها في لكوفه ، فقد أثرت أيضاً على الأوضاع في البصرة . فالتكوين السكاني فيها جعل للفصائل العدنانية كثرة هناك ، وكان والي المدينة في عهد عمر بن الخطاب أبو موسى الأشعري وهو يمني ، ورأبنا أن من سياسة عمر في العراق كانت المحاولة بين عصبية الولاة وعصبية الرعية ، فالكثرة في البصرة هي العدنية فالوالي من اليمنية وعكس الأمر كان في الكوفة

وتذكر الروايات أن البصرة كانت هدفة في زمن أبي موسى ، إلا أن العصبية القبلية كانت سبباً في حرله عنها ، وربما أن بني أمية قد نظروا حولهم فرأوا أن ولايات الدولة الإسلامية قد أصبحت بأيديهم فلم تبق إلا البصرة ، وهنا بدأت الأنظار تنجس إليها وما من شك أن البصرة قد تبعت إلى هذا الأمر أولاً وبني أمية ثانياً .

ويذكر الطبري أن البصرة جاءت إلى عثمان واشتكت من أبي موسى الأشعري وذلك عندما خرج للقتال وأخرج ألقاه على أربعين بغلاً ورفضه أن يحمل أهل البصرة عليها فقال أهل البصرة لعثمان : ما كل نعمت بحب أن نقوله ، فأبدلنا به فقال لهم : من يحبون فقد عيلان من حرشة الضبي . في كل أحد عوص من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا وأحيا أمر الجاهلية فيها^(٢) فعزل عثمان وعين بدلاً منه عبد الله بن عامر وهو أموي أيضاً

(١) انساب الاشراف ٤٦/٥٠ ، الاستيعاب ١٠/٢

(٢) الطبري ، تاريخ ٢٦٥/١ ، ابن عديم ، استيعاب ١٥٤/٢

ومما تقدم يرى أن عزل أبي موسى لم يكن مدعاة من صغر وحياله^(١) وإنما كان بدافع العصبية القبلية المضربة عبد اليمانية . والظاهر أن أبا موسى قد أحس بهذا العزل لذا قال لأهل البصرة عندما هم بمعزله . يأتيكم علام حراج ولاج، كرم الحداث والحالات والعمات، يجمع له الجندين^(٢).

وبعد مرور ثلاثة أعوام على ولاية عبد الله بن عامر حدثت بعض الحوادث الفردية في البصرة ومنها ما كان من رجل من عبد القيس يجتمع إلى القس حكيم بن جبلة فأمر عثمان بسجنه فلقد أبن عامر الأمر^(٣).

وأبعد ابن عامر أيضا عامر بن قيس عن البصرة لوشاية جاءت عليه بأنه لا يرى البروج، ولا يأكل اللحم، ولا يشهد الجمعة فأخذه ابن عامر بمعاوية فثبنت لمعاوية أنه مكلوب عليه فحيره في الرجوع إلى البصرة . لأنه رفض وقال لا أرجع إلى بلد استحل أهله مني ما استحلوا^(٤).

وهكذا يرى أن البصرة لم تكن جميعها راضية عن سياسة عثمان وواليه، ومصرى أن هذه المدينة ستتجه إلى مدينة تحت قيادة القس حكيم بن جبلة^(٥).

وفي الشام جمع عثمان لمعاوية جندي حمص ولنسطين وأصبحت ولايات الشام جميعها تحت إدارة معاوية منذ سنة ٢٥ هـ . وقد كانت الحالة هادئة هناك بسبب ما تمتع به معاوية من كفاءة إداريه، هذا بالإضافة إلى اختلاف التركيب السكاني في الشام عنه في العراق.

ومع هدوء أحوال فقد قام أبو ذر يندد بالأغنياء، طلب مواصلة الفقراء فاستعذب الفقراء هذه الدعوة واجتمعوا حوله . فشك الأعياء في فعده أبو ذر، فصاح معاوية به فرعا . وكتب إلى عثمان يعلمه بأمره فطلب عثمان تسيرته إلى المدينة [إلا أن أبو ذر فضل الإقامة في الري]^(٦).

(١) ابن سعد، الطبقات ٤/٤٥

(٢) ابن الأثير، الكامل ٤١/٢ يولاق

(٣) الطبري، تاريخ ٢٢٦/٤

(٤) المصدر السابق ٤/٣٢٢ - ٣٢٨

(٥) ابن الأثير، سكان ٤٧/٣

وفي جمع عثمان أحد الشام معاوية حرمان لأبناء المهاجرين والأنصار من تولي منصب إدارية في الدولة. وهذا مما زاد من حدة السخط عليه فالشعب «لأنهم نظروا حولهم فوجدوا لا مكانة لبيعتهم في الدولة وإنما ذلك مقصور على بني أمية وحدهم»^(١)

أما مصر فقد كان عليها عمرو بن العاص، إلا أن عثمان عزله سنة ٢٥هـ وعين عليها عبد الله بن سعد بن أبي السرح وقد اعتمد عثمان في عزله على حدوث مشادة بين عمرو وعبد الله

تذكر بعض الروايات أن عبد الله كان محمود السيرة في ولايته، وأنه كان يتمتع بمواهب عسكرية، وبذلك عروته في البصر والبحر^(٢)، إلا أن عدم سابقته في الاسلام، ثم هو من الذين أهدر الرسول دمهم يوم الفتح ولم يشفع له سوى عثمان لا بد وان يشير مشاعر الصحابة وأبناء الصحابة من المهاجرين والأنصار

هذا بالإضافة إلى أن معظم القبائل التي سكنت مصر هي قبائل يمنية وهي وإن رغبت بعمرو بن العاص إلا أنه من ولاية عمرو أولاً ولأنه يت بصلة لخزوله إلى إحدى القبائل الكبيرة التي سكنت مصر وهي بني، أما ابن السرح فهو ليس من أهل السابقة في الاسلام

ومن هنا احتجت مصر على سياسة ابن أبي السرح وكتبوا إلى الخليفة بسوء معاملته. إلا أن عثمان لم يحرك ساكناً، بل يحبر البلاد ي أن ابن أبي السرح عاقب الذين تقدموا بالشكوى وقتل واحداً منهم^(٣) وهذا مما أدى إلى غضب أهل مصر أكثر فأكثر

ومن هنا كانت تولية عثمان لهذا الرجل على مصر شؤماً على المسلمين، فمن مصر خرجت أول فتنة ثائرة ثم أرثها الكوفة والبصرة واتجهوا معاً إلى دار الخلافة^(٤)

(١) طه حسين، الفتنة الكبرى ١/ ١٢.

(٢) ابن حجر، الإصابة ٢/ ٣١٧ ونظر فتوحاته، ابن حبان، تاريخ ١/ ١٢٤ - ١٣٥، انكليزي، الولاية ٣١

(٣) طه حسين، الفتنة الكبرى ١/ ١٢٥

(٤) المصدر السابق، ١/ ٨٤ - ٨٥

أما الحالة في المدينة حيث مقر الخلافة هناك، فلم يظهر ما يشير إلى العتة إلا أنه من الواضح أن شباب الأنصار هادوا من الاستقراعية، نقرشية عامة والأموية خاصة لقد رأوا أنفسهم حدرج الإدارة فلا بد وأن يحرك ذلك نفوسهم على الخليفة الذي أثر قومه وأهله أو كرها، وإن إثارته للقريش كان له وقع على نفوس الأنصار مما كان له لأثر الخطير في الفتنة^(١).

وفي مكة عزل عثمان عنها خالد بن عاصم المخزومي وعين بدلا منه علي بن عدي من عبد شمس لم عمله، وعين بدلا منه خالد بن عاصم^(٢) ومع أب الحالة هادئة هناك إلا أن ظواهر الأمور تدل على أن أهل مكة لم يرضوا عن سياسة عثمان تجاه توبة بني أمية والدليل على ذلك أن مكة لم تهض للدفاع عن عثمان لما كان في انحصار

الفتنة: أسبابها ومجرياتها ونتائجها

أسبابها

بعد استعراض حالة الأنصار لابد وأن نرى ما هي المأخذ التي تسمح بها الثوار للثورة على عثمان. وقبل أن استعرض هذه الأسباب لابد من القول أن الثوار اليسوا حركتهم ثوبا ذهب حتى يصفو عنهم لوما شرعياً وهذه المأخذ هي^(٣):

تعطيه حدود الله، عزل صحابة رسول الله، اسرافه في بيت المال وأعطائه بني أمية، حمى بفتح المدينة، حبس ابن مسعود وأبي ذر، القمع لأصحابه انقطاعات كثيرة، معي بعض الرعية، ضرب لعمار بن ياسر، وانتهاكه حرمة كعب بن عبيدة، احراقه لمصعب عبد الله بن مسعود، إتمام الصلاة حتى.

وبدا يظن إلى هذه المأخذ نجد أن لأمر التنبيه بها قد مازله فيها بعض الصحابة ووافقوه عليها وأتمها إتمام الصلاة حتى، أما احراق مصعب ابن مسعود فقد قام عثمان

(١) العصر السابق.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ١/٥٦٩

(٣) المصنف في احوال أنس بن مالك ٢/٢٩٦ - ٢٠٣.

بجمع المصحف على ملا ومراى من الصحابة . ولو كان في عمله خرق لقدامه الاسلام لما سكنت عنه أحد، وأولهم علي بن أبي طالب وعلمية الجمع لم تأت فكرتها من عثمان إنما جاءت من صحابي جليل هو حذيفة بن اليمان الذي رأى ان الأمة أصبحت تقول حرف عبد الله بن مسعود وحرف أبي موسى الأشعري^(١)، وكتب الى عثمان ادرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب، اختلاف اليهود والنصارى^(٢) . هذا بالإضافة الى ظهور عصبية الأمصار في القراءات فأهل الكوفة يتعصبون لقراءة عبد الله بن مسعود، وأهل الشام لقراءتهم ولكن مصر قازى بما جعل للأمصار تتفاضل في قرائتها^(٣)

سارع عثمان الى جمع المصحف فأخذ ما كان عبد حمصة بنت عمر حيث أودعه أبو بكر أيام حروب الردة، وعهد الى زيد بن ثابت وابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن عمار بن هشام ليسبقوا القرآن وقال . اذا اختلفتم في حرف فاكتبوه بلفظ قريش أي لهجة قريش .

وبعد الانتهاء من كتابة المصحف أرسل الى كل مصر مصحفا وخرق ما سوى ذلك لشكر الناس هذا العمل إلا أصحاب عبد الله بن مسعود ومن رافقهم^(٤) وقد حدثت مشادة بين حذيفة بن اليمان وبين جماعة ابن مسعود فقال لهم حذيفة : استكنوا انما انتم اعراب وكنتم على خطأ^(٥) .

ولتصير الوحيد لهذه القضية إنما جاءت من العصبية للكوفة أولا ولا بن مسعود ثانياً ، فابن مسعود نفسه ما كان يتصور ان يكون زيد بن ثابت من كتبة القرآن ولا يشرك هو في الأمر ، هذا مع مقدور حفظه وما سمعه عن الرسول ﷺ فكان ذلك وسبقة للاعتراض والاحتجاج . وعثمان لم يجمع المصحف الا بعد أن استشار كبار انصاره جرين والانصار ، وعفي بن أبي طالب أكد ذلك وقال لقد جمع المصاحف على ملا منا ولو

(١) أبو علال العسكري، الاثر، ٧٤

(٢) لعاصم من القواعد ٦٨ .

(٣) ابن الأثير، الكامل ٦/٣٠٦

(٤) أبو بكر الأندلسي، التمهيد والبيان ٥٠

(٥) ابن الأثير، الكامل ٤٥/٣ برزاق.

توليت ما ولي عثمان نسكت سببه^(١) ويج أن كبار الصحابة قد وافقوا على هذا الإجراء لأن عمل عثمان كان صحيحاً.

وعثمان لم يفعل في المصحف شيئاً إلا أنه وحد الأحرف وجمعها بلهجة قريش لأن القرآن نزل بلغتهم وذلك نحو ما من الاختلاف في قراءات الحروف نظراً لاختلاف اللهجات العربية. وقد رأينا كيف أن عمر أحد على عبد الله ابن مسعود قراءته حتى حين حتى عرس فقد له: إلخ نزل القرآن بلغة قريش لا بلغة هذيل.

وإذا رخص لابن مسعود وهو من هذيل أن ينطق بحرف الحاء عينا وهو من أوائل الصحابة ومن سمع من الرسول الشيء بكثير فكيف سيكون حال لبغية القبائل العربية

لقد كان جمع القرآن وتوحيده خطوة دينية وسياسية كبيرة اقتضتها حفظ الأمن وتحقيق الوحدة. وما رافق هذا، انضمام من ضجيج ما هو الا مثال للصدام بين الانتماء القبلي والالتزام الاسلامي في سياسة التوحيد^(٢)

وإذا تدخلت العصبية الاقليمية والعصبية القبلية في أمور مصاحف فلا بد وأن تتدخل هذه الامور في الثورة على عثمان وأرهابها حواس أخرى لا داعي لذكرها أما العصبية القبلية فقد جددت على ثلاث محاور:

المحور الأول: تصادم العصبية بين بني أمية.

المحور الثاني: تصادم العصبية القرشية والعصبية الاموية.

المحور الثالث: تصادم العصبية العربية والعصبية القرشية.

ولنبداً بالمحور الأول وهو **تصادم العصبية بين بني أمية** لقد استبشرت سو أمية بتولي عثمان الخلافة، ورأينا أن أبا سفيان قد أوصاه أن يجعلهم أوتاد الأرض. وهذا ما تم فعلاً فما أن تسلم عثمان الأمر وبعد مرور سنة على خلافته حتى بدأ يعزل ولاية عمر ويعين بدلاً منهم ولاية من بني أمية. وهنا تطلعت نفس شاب أموي إلى منصب من هذه الناحية، لا ذرية التي ورعها الخليفة على بني أمية الا وهو محمد بن أبي حذيفة.

(١) أبو بكر الأشعثي، التمهيد والبيان، ٥١.

(٢) انديوي، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ٥٢ - ٥٤.

لقد رأى محمد أن عثمان قد ولى الوليد بن عقبة وفيه ما فيه، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح الذي أهدى الرسول دمه، وابن عامر بنى ابن ست وعشرين سنة وأبى على البصرة وهناك سعيد بن العاص على العراق، وهو لم يولّه منصبا بالرغم من طلبه ذلك، فأثار ذلك في نفسه بواعث الخقد، فهو حفيد لعتبة بن ربيعة سيد بني أمية ورائد جبهة المقاومة للرسول هو ابن أبي حذيفة صاحب الهجرة إلى الحبشة والمدينة ولما إذا لا يوبه الخليفة مصعبا أدريا ومن هنا خرج إلى مصر وهناك أظهر معارضة لعثمان، والطعن على عبد الله بن سعد بن أبي السرح وأرّره بحملته هذه محمد بن أبي بكر فتكنا من جمع كل نائم حولهم.

البعض الثاني: العصبة القرشية والعصبة الأموية،

لقد أثار تعيين عثمان لأقرانه، احتجاج قريش وأول من أظهر الاحتجاج عبد الرحمن بن عوف وحلف ألا يكلم عثمان لأنه ترك سنة عمر^(١) وأرجح أن خروج عثمان على سنة عمر هو من باب توبيته لأقرانه أكثر من الساحة الدينية فالصحاباء لم يخالفوا عثمان في أمر الصلاة بسبل والقوة على ذلك حشية القرية. فالخروج إذا على سنة عمر هو موقف الخليفة من بني أمية ومخالفته لوصية عمر بأن لا يحمل رقاب آل أبي معيط على رقاب الناس.

وحتج علي وطليحة والزيبر على تولية سعيد بن العاص وجاءوا إلى عثمان وقالوا: ألم يوصى عمر ألا تحمل آل معيط وبني أمية على رقاب الناس فلم يجيبهم بشيء^(٢).

وهكذا يرى أن رجاء الشورى ومعهم سعد بن أبي وقاص الذي عرل عن الكوفة لم يرضوا عن سياسة عثمان تجاه أقرانه، وهذا مما أدى إلى الانقسام بين بطون قريش فقد رأت هذه القبيلة أن بطلاً منها هو صاحب الولاية دون غيرهم وهذا مما أثار حماسة البطون الأخرى واحتجاجها عليه.

ويذكر القول أن انقسام قريش كان عاملاً مهماً في دفع المعارضة القبلية لسياسة عثمان إلى الأمام ولو وقعت قريش متحدة وأررت عثمان، لربما أن الأمر لم يتطور إلى ما وصل إليه.

(١) بخاري أصاب ٢٢ رقم ٥٧/٥، أبو بكر الأندلسي تهذيب وبيان ١٥٩

(٢) بخاري أصاب الأثر ٢٠/٥

لقد أدت سياسة عثمان إلى حدوث انشقاق بين بطون قريش وقد ظهر ذلك بين بني زهرة وبني أمية . فقد أمر سعيد بن العاص بعض أهل الكوفة أن يراقبوا شهر شوال ، فجاء هشام بن عتبة بن أبي وقاص ، وشهد بأنه قد رأى طهلاً رأته عينك العوراء فقال هشام أتعبري بعيني العوراء وقد فقت في سبيل الله يوم اليرموك وأططر هشام باليوم التالي ، ولم يعلن بنو الي بني شهاد شوال . فأخذ سعيد وضربه وأحرق دمه . ولما علم سعيد بن أبي وقاص بذلك جاء إلى عثمان ومعه وجوه المهاجرين وحث على ضرب بني أخيه فقال له عثمان . اصنع ما بدا لك يا سعيد فوالله أنك تعلم أنه مالي في ذلك من ذنب فوثب حمير بن سعيد وأشعل النار في دار سعيد بن العاص^(١)

وأحتجت محروم عند ضرب حليهم صمار بن ياسر ووقعه ممشياً عليه فأقبل هشام بن الوليد بن المغيرة في سر من بني محروم وقال والله نش مات لنقتل به شيعة عظيماء من بني أمية^(٢) . ولما أراد عثمان نفيه من المدينة تدخلوا لدى علي بن أبي طالب حتى يفتح عثمان بدمه عليه خوفاً من حدوث أمر بين بني أمية وبني محروم^(٣)

كما احتجت سوتيم على تولية عثمان لأقربائه وعلى رأس هؤلاء طلحة بن عبيد الله الذي قال لعثمان " لقد أهلكك بنو أمية ، وأطعمك بيتنا آل أبي معيط ، وعد غيب النصرور بعبد الورود أو يدم ، وأنا لك كما كنت لنا ، فإدا لم تكن كنا عليك^(٤) .

وظهر من تيم محمد بن أبي بكر الذي تآزر مع محمد بن أبي حنيفة ، فقد فكر هذا فرأى أنه من الصديق أول خليفة للمسلمين ، وأخته زوج الرسول الكريم ، ومع ذلك لم يعرف له عثمان حقد فهو يولي شباب بني أمية ولا يلتفت إلى غيرهم فكان الدولة أصبحت لهم دون الناس . كما أنه ينظر إلى من سبق عثمان فوجد أنهم لم يولدوا ، ذقابة ولم يحصوا دارهم . ومن هنا أخذ يتخذ سياسة عثمان وولائه في مصر .

كما ظهر الانقسام بين بني أمية وبني هاشم . فقد جاء علي بن عثمان وبين له العدول عن سياسة تولية بني أمية ، وإن يلتزم جانب الحزم مع الدولة وضرب له كيف

(١) المصدر السابق ١٦٩/٢ - ١٧٠

(٢) المصدر السابق، ١٥٤/٢ - ١٥٥

(٣) المصدر السابق، ١٥٤/٢ - ١٥٥

(٤) ابن الأثير، غرر الحقائق ١٨٧/٢

كان عمر يعلو على سماح ولاته إن بلغه منهم حرف جلبهم وأرفع بهم أقصى العقوبة لكن عثمان رد عليه وهم قريبواك فعدل علي. أجل أن رحمهم مني لقريبة، ولكن الفضل في غيرهم^(١)

ونتيجة لصح عني لعثمان اعتقد الخليفة أن علي يؤلب الناس عليه عسكا ذلك إلى العباس وفان له. أن علي قطع رحمي وألب اساس علي، والله نش كنتم يا بني عبد المطلب أفررت هذا الأمر في أيدي بني نيم وعدي، وبني عبد مناف أحق أن لا تنازعوهم فيه ولا تحسبهم عليه^(٢)

ولم يقتصر الأمر على تدمير عثمان من علي بل امتد ذلك إلى بني أمية فاعتقدوا أن عليا هو الذي يشر عليهم الناس وهو الذي كدر عليهم العيش وأفسد أمورهم وبلغ بهم الأمر إلى تهديد علي أن حدث حدثت لعثمان، لكن علي رد عليهم بشده ووصفهم بأنفسهم وأطلقه ويين أن لا مائة له ولا جنس في الأمر^(٣).

ولظاهر أن الصحابة قد أكثروا من لوم عثمان على سياسته تجاه بني أمية، إلا أنه أصبر على موقفه. ويذكر أنه قال: لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم^(٤).

كما حطب عثمان في لباس مهتدا وموعدا كل من يخرج على سلطان الخليفة وقال: أما والله لأنا أهرغر، وأقرب دسرا وأكثر عددا وأحرى أن قلت لهم أتني إلي. وكان عثمان قد شعر بانحدام فراجع بعد ذلك، وقال: لقد أخرجتم مني خلقا لم أكن أحسنه ومنطقا لم أنطقه، فكفوا عني ألسنتكم وعينكم وحنكنكم على ولانكم فإني كعفت عنكم^(٥).

كما تقدم يرى أن تولية بني أمية والتحيز إلى جانبهم هي التي أسدت الأمور بين رجاس الشوري وعثمان. ومع ذلك لم يصل الأمر بينهم إلى حمل السلاح ضد

(١) ابن الأثير، الكامل، ٦٤/٢ بولاق.

(٢) التاريخي أسناد الأثر ف، ١٣/٥

(٣) ابن عسقا، الفتوح، ٦١٤/٢

(٤) يورنكر الأسطسي، المصوبه والبيان، ١٦٤

(٥) ابن الأثير، الكامل، ٦٤/٢ بولاق.

الحلقة، إلا أن انقسام قريش كان له أثر بالغ في الحراة على الخلافة عند القبائل العربية الأخرى.

وهكذا كان تصادم العصبية القرشية والعصبية الاموية قطعة الارتكار للأمصار والقبائل كي تقبل على الخليفة في مدينة
المعن الثالث: تصادم العصبية العربية والعصبية القرشية،

إن حدث صبر الاسلام خضعت لعاملين اثنين الأول عامل العطاء والذي فرصه الرسول ﷺ ونظمه عمر بن الخطاب والثاني عامل المسق إلى الاسلام وصحبة الرسول ﷺ ويمكن القول أنه ما من حادثة أو فتنة على مدار النسي الأولى الا وكثرت أثارها مباشرة أو غير مباشر لهما^(١).

وقد لعبت الناحية المثالية وعامل المسق دوراً كبيراً في العتنة الأولى مما أدى في النهاية إلى قتل عثمان بن عفان.

لقد قامت السياسة المثالية لعمر بن الخطاب على عامل القرية من الرسول في الترتيب والمسق إلى الاسلام في الكمية وقد حاول أن يعطي على مقدر سامع الأصراب من القرآن إلا أنه وجد في ذلك إجحافاً لأهل البلاء منهم فعدل على ذلك وأمر بتمصيل أهل البلاء وعندما استلم عثمان منصب الخلافة أراد أن يقترب إلى الناس في العطاء فتراد الناس، وولفد أهل لأمصار فكان أول من فعل ذلك من الخلفاء^(٢) ولم تكن هذه الريادة الوحيدة بل راد ربيعة حمسالة درهم^(٣). وقد كان هذا التوسع في العطاء سبب لتفتح الأنظار على الخليفة بطلب الريادة في العطاء والتسمة بالسوية بينهم.

لقد قامت الثقة على أسس فروض العطاء وحاجة بعد أن توقع العتوجات، فقد رأيت القبائل التي هاجرت إلى الامصار الحديثة أن قريشاً ومعها الأنصار هم الذين استولوا على العائلم والأموال، بل أصبحوا تحت سيطرة الأرسقراطية القرشية^(٤).

لقد جاءت القبائل إلى الامصار والندفعت لتقاتل وتطحي ثم وجدوا أنفسهم لا

(١) شكري، فيصل، استجتمت الاستلمية ٥١.

(٢) الطبري تاريخ ٢٤٢/٤

(٣) ابن حبان، تاريخ ١٤٩/١

(٤) طه حسي، الامصار الكبرى ٢٨/١

جاء اعترابهم لانه حمل رقاب بني اميه على رقاب الناس ، ثم ان عثمان كان من اقبية قريش ومن أكثرهم سعاد فهو وان كان كريم في ماله الا انه لا يمكن ان يكون كريم في مال الدولة فثروته التي قدرت يوم وفاته بـ (١٥٠) الف دينار و (١٠٠) الف درهم وقيمة الضياع بوادي القرى وحثين وغيرها بـ (٢٠٠) الف دينار كانت تسمح له ان يهب وأن يعطي اقربائه . ورأينا ان عطاء عثمان امتد الى قريش والأَنْصار ورؤساء القبائل . اما الأعراب فلم يصدقوا ان ما يعطيه عثمان من ماله الخاص بل اعتقدوا انه من بيتهم . واحتجبت الأمصار على أبناء الصحابة الذين يأخذون العطاء ولا يعرفون باعتقاد القبائل ان العطاء هو من يعرف في سبيل الله وللشيوخ من اصحاب محمد^(١) وربما كان هذا الاحتجاج هو الدافع لمشاركة أبناء الصحابة في فتوحات أفريقيا والعراق^(٢) . لقد تصورت القبائل أن العداء مستفقا في توزيع العناتم والأموال فقريش يردد نراؤه يوم ما بعد يوم ، والقبائل يتناقص عطائها بتناقص الفتوحات وهي التي صحت وبذلت ، قريش لم تبدل ولم تصحي . وأبسط ما يصور ذلك تلك الحملة التي رفع نواهدا الاشترا السخمي على سعيد بن العاص لما قال إنما أسود بستان قريش بما أجمع من حدة الشكوى من نراه قريش ، وتلك الحملة التي ندى بها أبو ذر العفاري - ولقيت قبولا عند القبائل . فأبو ذر أخذ يظهر القرآن الكريم وهائل بعدم جمع الثروات واستطاع بحملته هذه ان يؤدب العقراء على لاصياء حتى شكوا منه الى معاوية . ومع الثروة المذمومة لقريش ونعيم الولاء جميعهم منهم أدركت القبائل انها أصبحت تحت سيطرة قريش من جميع الوجوه فقد رأيا كيف حاملوا الوليد بن عقبه ، وكيف هردوا سعيد بن العاص وشكوى أهل مصر من ابن أبي السرح . كل هذه الأمور ما هي الا محاولة للخروج من قبضة قريش . ومن يعطى عثمان الى مصدر وحقيقة هذه الشكوى وكل ما رآه ما هو الا نوع من البروت القبلية لا تثبت ان عمر بسلام كما انه لم يعطى الى حسابات التعصبات الاجتماعية هي تبدل الاحوال والامم التي لا يستطيع الإنسان اكتشافها الا بعد استحصال الامر^(٣) . كما ان الخليفة سمح لرجاء قريش بالخروج من الحجاز وهذا مما لم يسمح به عمر الا بأذن خاص منه . ما عثمان فقد احتل لهم العبد

فاساحوا في البلاد وجمعوا الثروات والتف حولهم كل طامع ويحق الطعري

(١) ابن قتيبة الامامة والسياسة ٣٦/١ .

(٢) ابن حبان ، تاريخ ١٢٤/١ ، ابن الاثير لكامل ٨٠/٢ برزاق

(٣) ابن خلدون مقدمة ٢٨٠ .

على ذلك بقوله: لما تسلم عثمان بخلافه سمح لقريش بالخروج من المدينة فانساقوا في البلاد وما رزوها ورأوا الدنيا وأرأهم الناس انقطع اليهم من لم يكن به طول ولا تجربه ولا مريه في الاسلام فكان معموما في الناس ، وصاروا أوزاعا اليهم وأملوهم وتقدموا في ذلك ففلقوا يمشكون فيكون قد عرفاهم وتقدموا في التقرب ولا يقطع اليهم، فكان ذلك أول وهن دخل على الاسلام وأول فتنة كانت في الدعوة ليس لا ذلك^(١).

وبدا يصعد الى خروج رجال قريش وانسيانهم مع ما كانوا يتمتعون به من معرفة بأصول التجارة عرفنا كيف استمد هؤلاء من أربابهم من الفتوحات في حين أن صامه القبائل قد انقرض ما اجتمع لديهم وس هنا حصل تدين اقتصادي بين قريش والقبائل الأخرى .

لقد نظرت القبائل العربية فوجدت ان عثمان ولي الناس التي عشر حجة فلم يعي وأيا من غير قريش ولي ذلك محال له سبقه فعمر كان لا يولي أكثر من رجل من قبيلة واحدة أما عثمان فجميع ولاته من قريش وبما يمكن القول ان العصبية ضد قريش كانت من العوامل الهامة التي دفعت القبائل للثورة على عثمان ومن يولد ذلك من المحدثين

١- **فوق كويته^(٢)** . أن الارستقراطية العربية وسكانها العرب كان مركزا لتجميع كل الاضطرابات والثورات .

٢- **مهور^(٣)** ان الصراع كان بين قريش ونبلاء المسلمين من ناحية وبين القبائل من ناحية أخرى ولم يستطع عثمان التوازن بينهما

٣- **سايكن^(٤)** صراع بني أمية وبني هاشم قام في نفس الوقت الذي قام به بدر الكوفة والبصرة ضد قريش

(١) الخطيب تاريخ ٣١٧/١.

(٢) استعادة الاسلمية ترجمة طه بدر ٤٢ مغربي، عراق في ظل الحكم الأموي ١٨

(٣) Murr, The Caliphate P.228 مغربي، العراق في ظل حكم الأموي ١٨

(٤) Sykes, History of persia VOL p. g. 32. المغربي، عراق في الحكم الأموي ١٨

- ٤- **خودا يفتش**^(١) إن البدو والعرب الذين اشتركوا في حروب القرم ثم استقروا في العرق لم يهتموا بأن تكون الخلافة في قریش كما أنهم أشاءوا أنه من الحائز للثورة على أي خليفة يعمل ضد رعاياه
- ٥- **الثوري**^(٢) إن الثورة على عثمان مثل في الدرجة الأولى الثورة على قریش وهي انتصار للتيار القبلي على التيار الإسلامي.
- ٦- **علاء حسين**^(٣) لقد أثر عثمان قریشاً من دون العرب ولم يستطع أن يوازن بينهم وبين القبائل الأخرى
- ٧- **يوسف القش**^(٤) إن ما دعا إلى الثورة هو حدث جديد في تاريخ المسلمين وهو أت من طبقة الأعراب التي احتجت على سيطرة قریش.

مجريات الثورة:

ما إن جاءت سنة ٣٤ هـ حتى رددت حركة التلمذ بين لامصار فدهى عثمان إلى اجتماع عام حضره ولاته الأربعة وهم سعيد بن العاص (الكوفة) معاوية بن أبي سفيان (الشام) عبد الله بن عامر (البصرة) عبد الله بن سعد بن أبي السرح (مصر) وفي هذا الاجتماع طلب عثمان من ولاته أن يشيروا عليه الرأي، كما بين أن الناس طالبوه أن يعزل عماله وبعد ذلك استمع إلى آراء هؤلاء الولاة فعدل عبد الله بن عامر. إن سبب النعمة هو المال، وتشرح أن يعطي عثمان المال لهم حتى يرغوا عنه ولا يشكوه

ابن أبي العاص إن لك على الناس حقاً في كتاب الله ولهم عليك مثل ذلك فدفع إليهم حقوقهم واستوف منهم حقتك وأشار أيضاً بأن يتبع سنة أبي بكر وعمر ولي يشكوه أحد بعدله.

Kudabukish, Contributions to the history of Islamic (١)

civilization Vol. ١٣٩. ج ١٣٩ في ظل الحكم الأموي ١٨

مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ٥٧ (٢)

الفتن الكبرى ٨٧/١ (٣)

مذكرات في التاريخ الإسلامي. القيد على كلية شريعة جامعة دمشق سنة ١٩٦٣ ١٦ (٤)

سعيد بن العاص بين أن النخعة هي بايعة من فراع العرب ، وأشار بأشغال الناس بالحروب حتى لا يكون لنخعتهم متسع من الوقت ليعيب الأمراء

معاوية أنك جمعنا وذكرنا أنه قد كثرت الشكايات ما وأنت قد ملكنا وقاب الناس وجمعنا أوثانا في الأرض فخذ كل واحد من بما يليه من عمله حتى نكفيك ما قبله ولا يكون هنا شكاة أحد .

وقد وافق الخليفة علي رأي معاوية بعد أن وجد أنه أفضل الآراء ورد الولاية إلى أمصارهم^(١) .

وفي هذا الاجتماع بعد أن خلى بين أن الخليفة قد بين أن الناس طلبوه بعونهم ولكنهم يترفع أحد إلى الموضوع ولم يخطر في بالهم ، وكأنهم قد رأوا في بقائهم بولاياتهم نصراً لعثمان ولسياسة عثمان ، وكان عدم الاهتمام إلى أصل ابتداء ابن عاص سعيد بن العاص لأمره ، إلى المدينة لرفض الكوفة إياه ومناذرتهم بأبي موسى الأشعري وأبنا عليهم . وعاد سعيد يبحث الجمعية من فقال أهل الكوفة إلا أن عثمان أقر العاقبة ووافق على مطلبهم

وما حدث في الكوفة كان يجب أن يبصر الخليفة في أن يشكوى في من عمان إلا أنه لم يحرك ساكناً أيضاً ، ومن هنا رادت حركة التلذذ وكان الأمصار الأخرى أرادت أن تحدد حدود كوفه حتى يعزل عنها هؤلاء «فرسيين» ، لا أن قوة الولاية في المناطق الأخرى حالت دون ذلك . وسارع عثمان بإرسال معتشين إلى الأمصار وعاد هؤلاء باستثناء عمار بن ياسر ليرفعو تقريراً للخليفة يفيد بأن الأمور تسير سيرا عاديا أم عمار فقد استعمله عبد الله بن سبأ ونجدة بن ملحج وكنانة بن بشر واحد بطعن معهم على الخليفة وولائه^(٢) .

وبعد ذلك دعا عثمان إلى اجتماع آخر لولائه سنة ٣٥ هـ حضره ابن عمر وابن أبي السرح ومعاوية وسعيد بن العاص وأدخل معهم عمرو بن العاص وأما والي الكوفة الجديد فلم يحضر الاجتماع ، ولا تعطي لروايات التبرجحية سبباً ذلك ، ولكن ربما أن الخليفة قد اقتنع بأن الكوفة قد أصبحت هادئة فلا حاجة لحضور واليها الاجتماع .

(١) ابن عاصم الفتح ٢/١٨٧

(٢) السري تاريخ ١/٢٤١

وكما حدث في الاجتماع الأول حدث في الثاني فلم يهتدوا الى سبب النكمة الا ان سعيد بن العاص ذكر ان ما يجري في الامصار هو من صنع ايدي تخطط في السر وطلب يقتل اصحاب هذا المخطط^(١).

اما عمرو بن العاص فقد أشار على اخليفة أن يشتد في موضع المشنة، وإن يلين في مواضع البس، أما معاوية فقد اصر على موقفه الأول بأن كل وال أعلم الناس بحقيقة ما يجري في ولايته وعاد هؤلاء الدولة الى امصارهم دون ان يتخلوا خطوة بعالمه في مواجهة الموقف.

وبان جاء ذي القعدة حتى كان أهل مصر على أبواب المدينة فاستقبلهم عثمان فظفيرا به أن يدعُ بلمصحف عده به وأمره أن يقرأ سورة يونس السابعة فقرأ حتى الآية ' قل الله ادن لكم أم على الله تفترون'^(٢) فقالوا له 'قف، أرايت ما حميت من احمى؟ والله ادن لك أم على الله تفتري'. فقال، مبغض نزلت في كذا وكذا فأما الحمى فلهن عمر حماء قبلي لأجل الصدقة ولم وليت رادت أبى الصدقة هزئت في الحمى لما زدد من أبى الصدقة ثم اخذوا باطرويه في الآيات الكريكة حتى تمكس من إقبهم فأخذوا ميثاقه وكتبوا عليه شرعا وأخذ عليهم ألا يشلقوا عصا، ولا يفرقوا جماعة ما أقدم لهم شرطهم ثم رجعوا راصين^(٣).

لقد شكوا أهل مصر من ابن أبي السرح بأنه يتحامل على المسلمين وأهل الدولة ويستأثر بالعالم^(٤) ومن هذا حركه وولى محمد بن أبي بكر عليهم وبناء على رغبته^(٥).

غير أن المصريين عادوا بعد مدة وهم يقولون أنهم وجدوا كتابا من الخليفة مرسلا الي والي مصر يأمر بأن يهذب أو يقتل أو يقطع أيدي وأرجل الخراجين^(٦) وقد نفى عثمان هذا الكتاب ومن ثم اتهم الثوار بأنه من تدبير مروان بن الحكم.

(١) المصدر السابق ٣٤٧/٤

(٢) يونس ٥٩

(٣) ابن خلدون، تاريخ ١٤٦/١

(٤) الطبري تاريخ، ٣٧٤/٤

(٥) الألفارقي، النسب، الإشراف ٦٧/٥

(٦) ابن خلدون، تاريخ ١٤٦/١

وإذا نظرنا في أمر هذا الكتاب وجدنا أن المواقع والحوادث تذكره، وذلك أن ابن أبي السرح قد خرج من مصر في رجب سنة ٣٥٠هـ يعلب الثور ومنها لم يعد إلى مصر حيث تمكن محمد بن أبي حنيفة أن يستولي عليها^(١). وما دام بن أبي السرح قد منع من دخول مصر عن هو إلّا أني لذي ميكنب إليه الخليفة حتى يقتض من القادمين

والناحية الثانية أن الثوار أنفسهم قد رفضوا أن يبرزوا الكتاب للصحابة في المدينة وما تقدم يرى أن الكتاب كان ملففاً وهو حسب ما يسميه ابن حنبل "مدلس"^(٢) وما كانت عودة الثوار إلا نتيجة أمرين:

الأول أن الثوار قد خرجوا وفي بينهم قتل الخليفة فمما سمعوا به وسمع منهم أنهم البعض أن الخليفة مكدوب عليه واستطاع من اقتنع أن يقتل الآخرين عن لم يقتنعوا ومن هنا فكروا في العودة، لكن المخططين قد أيقنوا بمشملهم استعدوا هذا الكتاب.

الثاني أن قدوم أهل البصرة والكوفة هو الذي شجع المخططين، فعكروا في أمر يقلب أفكار من اقتنع بمدالة الخليفة حتى يعودوا جميع إلى المدينة ومن هنا عاد «بصريون إلى المدينة».

وقبل عودة الثور لمحصار لا بد وأنهم قد اتخذوا خطوات موحدة ومطالب واحدة وهي أن يعزل الخليفة عماله ويعين بدلاً منهم أهل السابقة^(٣) وأن يقسم فيهم بينهم وأن رفض الخليفة ذلك فليعتزل وأن رفض فليقتل

وأقبل الثور إلى عثمان وحاصروه في بادئ الأمر حصراً أصحفاً ثم شددوا احصار عليه وطالبوه بعزل ولاته وأعطوه مهلة ثلاثة أيام إلا أن مطالب الثور لم تنحقق ومن هنا صمموا على قتله وخاصة بعد أن وقف مروان بن الحكم وقال: «جنتهم تريدون أن ترفعوا، منكم ما أريدنا، اخرجوا عنا والله لئن رمتونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم» ارجعوا إلى مشاركتكم فانا والله م نحن معلولين على ما في أيدنا^(٤)

(١) الكندي، الولاء ١٧

(٢) بن خنبل، مقدمه ٢١٦.

(٣) الطبري، تاريخ ٣٥٨/٤

(٤) الطبري، تاريخ ٣٦٢/٤، بن كثير الكامل ٦٨/٣ بولاق

ثم إنهم حاصروا من قديم الجذات من الأمصار التي طلبها عثمان من معاوية وعبد الله بن عامر وإعلامهم بحقيقة الأمر^(١).

كذلك الاتفاق أن يحصل بين الثور والخليفة على أن المحروم يعطي ويوفر للمع ويعدل في القسم ويستعمل ذوي الأمانة والقوة، إلا أن هذا الاتفاق لم يظهر له أثر وتقدم الثور بهاتوبه بالعرل فقال عثمان: والله لئن تصرب عتقي أحب الي من أن أطلع أمة محمد بعضها على بعض^(٢). ويذكر ابن جرير هو الذي بهاء عن ذلك حتى لا تصبح عادة كتب سحق قوم من أميرهم خلعوه أو قتلوه^(٣). وفي الحصار كتب عثمان إلى علي يطلب منه النصرة وقال له: إن لي حق لاسلام وحق الاخاء والقرابة والصهر ولو لم يكن من ذلك لي شيء وكنا في الجاهلية لكان حار عنى عبد مناف أن ينزع أخوه بني تيم (طلحة) أمرهم فبعث اليه علي سيأتي الخبر^(٤).

وهذا الكتاب من عثمان يدل على أن لطلحة صلحا في الأمر، فهل أهد طلحة محمد بن أبي بكر في نعمته علي عثمان، أم أنه كان من وحي منقططين الذين أرادوا الفرقة بين الأمة. إن الروايات التاريخية تشير إلى أن حادثة كان من أشد الناس على عثمان^(٥)، وأنه بعث ابنه علي كرهه له لسعدة عثمان^(٦) فإن كانت هذه الروايات صحيحة فما حرك طلحة إلا الغضب على الخليفة لأنه قرب إليه بني ميه، بل وهناك من يذكر أن طلحة قد اشترك في الحصار ومعه بنو تيم^(٧) وأنا استبعد ذلك فلا يعقل أن يشترك طلحة في حصار عثمان ويشترك ابنه في حمايته.

ومضى إشوار في حصارهم وعثمان يبحث الناس على حدم القتال وحاول عدة مرات أن يقيم الثور بالكف عن الحصار إلا أنهم رفضوا، كما ذكرهم في قدمه في الاسلام إلا أن ذلك لم يجد أثرا صافية ضد الثور.

(١) التلخيري انساب الاشراف ٥/٢١٦ = ٧٢.

(٢) ابن حبان، تاريخ ١/١٢٧.

(٣) المصدر السابق ٨٧/١١٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل ٧١٢ يوافق.

(٥) التلخيري انساب الاشراف ٥/٨١.

(٦) المصدر السابق ٥/٦٩.

(٧) ابن الأثير، الفتوح ٢/٢٣٧.

ولما أيقن الثوار أن الخليفة مات في رفض عزل عماله ، ورفض عزل نفسه صمموا على قتله . ويذكر ابن حياط أن عثمان قد قُتل لما قام عبد الله بن عمر ومعه رجال من بني عسي ليحبسوا عثمان وهناك دخل عليه الثور وقتلوه^(١)

أما موقف أهل المدينة من الحصار فقد اختلفت فيه المصادر التاريخية في النسبة لقرش رأيها أنها لم تكن رعية عن سياسة عثمان ، ثم أن بعض الطوائف قد عصبت على عثمان كسبي محزون وبني زهره . ومن هنا لم نجد من مساعد عثمان إلا أبناء الصحابة وهؤلاء طلب منهم عثمان ألا يقتلوا الناس . ولم يظهر موقف كبار الصحابة إلا بموافقة الثور ومن يرجح أن هؤلاء لم يعتقدوا أن الأمر سيستمر إلى قتل الخليفة وكل ما تصوره من مطالب الثور عادله وعلى «خليفة» تعيدها

أما بالنسبة للانتصار فقد قام منهم زيد بن ثابت يدعو لنصرة «خليفة» . ودعوته هذه جويته برفض من أنصار آخرين . وهذا كله بسبب سياسة عثمان التي أقام بركنها على بني أمية أولا وقرش ثانيا وقد ما أثر حميئة بعض الأنصار . ثم علينا أن لا ننسى أن الحصار قد كان في موسم الحج وهذا أدى إلى حلو مدينة من بعض رجالها

من هم القائلون بالثورة؟

قبل حديث عن الذين قاموا بتنفيذ الثورة لا بد من ذكر المحطتين لها فمطالب الثوار التي جاء بها هي مطالب عادية تطلب في كل وقت وكل حين ، وما كانت هذه المطالب تستدعي قتل خليفة . ثم رأينا أن الخليفة وفق أهل الكوفة على طسهم كما وافق أهل مصر أيضا ، وهذا يدل على أن خليفة لم يكن مماتعا من تحقيق رغبات الأمصار ، ومن هنا أرى أن هذه المطالب ما كانت لا واجهة تقدم بها الثوار للخليفة حتى يصلوا إلى مأربهم الحقيقية . والأهداف الحقيقية دعا إليها رجس يهودي فقع برءاء الاسلام وهو عبد الله بن سبأ أخذ ينتقل بين الأمصار ويحرض الناس على الثورة على عثمان وقد وجدت دعوته هذه أهدأ صاغية عند الأعراب فتمتعت عيوبهم على قرش وكيف أنها تستأثر بالحكم والثروة دون القبائل . وقد وجد هذا المحطط مرتعا له في الكوفة حيث التركيب السكاني كان يسمح بذلك :

فالكوفة سكانها خليط من المسلمين الأوائل ومن الأعراب ومن المسلمين من

(١) بن حياط تاريخ ١/١٥٦.

الموالي ومن انصارى واليهود، هذه الفئات لا بد وأنها كانت تعمل معها ذكياتها، القديس وأصحابها الصائرين وكيف أن الاسلام قد حقق انتصاراته على هذه الأجيال ومن هنا بدأ يشون دعائياتهم لهدمه بأن الخليفة لا يعدل بالسوية والعطاء يذهب للصحابه دون غيرهم من الناس، والخليفة لا يعين إلا من فريش فصادت هذه الأقوال هوى عدلهم، ومن هنا قاموا بالثورة على عثمان. وندرك مدى قوة غير المسلمين في الكوفة إذ علما أن أكثر من نصف اليهود المهاجرين من الجزيرة العربية والبالغ عددهم أربعون ألفاً قد سكنوا العراق^(١) فهؤلاء لهم أساليبهم ومخططاتهم وفتوبهم في التتظيحات السرية ومن هنا قامت حركة بن سبأ

ولكن المرء يقف حائراً أمام سكوت الدولة عن ابن سبأ الذي كان يثير الشعب في الامصار فأين ذهبت سطوة معاوية وحرم ابن أبي السرح عنه، وهذه الحيرة تزول أمام عدم ثبوت ما رويته وإنما كانت دأفة لا يحسن الأخذ بها^(٢) فالحدود تقام بالشهادة وهي تدرأ أيضاً بالشبهات فما دامت البينة لم تقم على ابن سبأ بأنه يحرض الناس على الخليفة فلا يجوز إدعاء العقوبة عليه. وبعد أن يجمع المخطط في ريع بدور الخفقد تولي عملية التعميد أصحاب الكوفة فقد اجتمع كعب بن عبيدة لنهذي من الكوفة والنسب بن محرمة العمري من البصرة وكثابه بن بشر وثلاثون من مصر في مكة سنة ٢٤ هـ وسيرة عثمان وقدرها بما نقلها اليهم المخططون السريون فالتفتوا بالأمر والتفتوا أن يوافر عثمان في العام المقبل في داره^(٣).

لقد كان المخططون بأمرين مخوفين من أن يقلب الأمر ضدهم أو عزو، لكل مصر أن يدعو لمرشح، فالكوفة دعت بالزبير والبصرة بطلحة ومصر بعلي^(٤) ولما أن التزوير صادقين في طلبهم لمرشح أهل الكوفة سعداً الهيثم الذي الذي عزل عثمان عنهم وما طالبوا بالزبير، صحيح أن الزبير وعدة مصالح اقتصادية في الكوفة والبصرة، لا أن أهل الكوفة قد جربوا ولاية سعد وهم أعرف بالناس به فلماذا لم يقع عليه الاختيار ليكون مرشحاً لأهل الكوفة؟ إن المخططين رأوا أن أبرز الصحابة هم الزبير وطلحة

(١) التلبية على ما روي من إخراج يهود من جزيرة العرب ١٥.

(٢) الطبري تاريخ ٢/٢٤٢.

(٣) أسد كثر ف ٥/٥٩٠.

(٤) الطبري تاريخ ٢/٤٤٩.

وعلي فأرادوا الأبدع بينهم حتى تقى الأمة في اختلاف

ويظهر أثر التخطيط في أمر الكتاب الذي أدمى أهل مصر أنهم وجدوه مع مبعوث عثمان بن مالك مصر، وقد تعجب علي كيف عدم أهل البصرة به - وبين أن أمر هذا الكتاب قد أدمى في المدينة ليس إلا - وهذا الثور صفوه على ما شتم لا حاجة لنا في هذا الركن، ليعترلنا - وهذا الطلب بين أن الثور جنود لأمر يتعدى المطالب التي تقدموا بها

وإذا كان التخطيط هم عناصر غير اسلامية فقد كان المتعلمون من الاعراب وهذه الساحة ذكرها عدد من المؤرخين القدامى فالبلانزي يذكر بأنهم حشاة الناس^(١) . وأنهم لم يأتوا غصاً ولا محبة عن يدين^(٢) وابن سعد يذكر أن سعد بن أبي وقاص قال ان أمراً هؤلاء رؤسائه لأمر سوء^(٣) وسعد من أعلم الناس برجال الكوفة لا سيما وأنه غير أهلها وعرف طبائعهم وصفاتهم .

والطبري يذكر بأنهم ذويان العرب، وهمهم الفتنة وأمور أهل الذمة^(٤) . أما بن خلدون فوصفهم بأنهم غوغاء الناس ونزاع القبائل^(٥) والذهبي يقول كانوا رؤوس أهل شر وجفاء^(٦)

ومن المحدثين سيد أمير علي الذي قال: إن القبائل العربية والتي من طيبتها الملل والخضوع للقبائل والنزوع إلى الحرية والتي خضعت إلى شخصية النبي وأسلمت القيد لحرم أبي بكر وصراة عمر بدأت الآن في أديم سيطرة قريش تعود سيرتها الأولى وتنقل معجده بدور التمرد في البلاد البعيدة التي هاجرت إليها، كتب بدأ ليزرع من جديد ذلك التناقص القبلي القديم الذي كان قد أضمده أواره في عهد رسول الله ﷺ وعاد الآن يجر في أدهال أسوأ امتزاج وأشدها هولاً على المسلمين^(٧)

(١) الطبري، تاريخ ٢٥١/٤ .

(٢) الثعلبي، انساب: ٩٨/٥ .

(٣) المصدر السابق ١٢/٥ .

(٤) ابن سعد، طبقات ١٧٢/٢ .

(٥) الطبري، تاريخ ٣٢٦/٤، ٢٨٦، ٣٥٢ .

(٦) ابن خلدون، المعبر جزء ١/٤ (بداية)

(٧) الذهبي، دول العباسيين ١٢ .

(٨) سيد أمير، تاريخ عرب ٤٢ .

في الدولة، وورد من تقدمهم أن هناك عناصر غير إسلامية كانت تدفعهم للمزيد من المطالب

لقد بقي الأعراب على عنجهيتهم بالرغم من مصي وقت على انتقالهم إلى المدن معندما دخل عبد الله بن عامر وعليه جبة بحر دكتاء صار أعراب البصرة يقولون على الأمير جلدوب^(١) وعندما مثل اعرابي كيف يصنع لو كان خبيثة فقال استكفى كل شريف قوم ناحيته^(٢).

وبى شجع الأعراب على الثورة أن رعماء القبائل في الكوفة والبصرة الذين هبهم ولأه عثمان لم تأت سنة ٣٤ هـ. لا وعلت المدينتان منهم^(٣). ووبى حاول الولاة أن يحمدا حدوة النقد بتعيين هؤلاء، لأنهم سورا أن النقد أت من المهاجرين الجدد، أن تعيين هؤلاء لم يرضي الدعوى وخاصة بعد أن ظهرت منهم طبقة جديدة تسلمت زعامة القبائل

لقد جاء هؤلاء الأعراب تدفعهم ظلمة البدعة والحمية الناشئة عن محض المعصية لجعلتهم يحدون عن رؤية الحق^(٤) ومن هنا قاموا بالثورة على عثمان.

واد قام تيار قبلي يدعوا التنازل لإسلامي فها هي القبائل التي اشتركت في هذه العنة

لا تعيب المصادر التاريخية تفصيلات عن القبائل التي اشتركت في الفتنة، البلاذري فقط يورد أن القبائل والحجازية التي شاركت في الحصار هي من أعراب حزامه وسعد بن بكر وهذيل وطوائف من جهينه ومزينة^(٥)، أما القبائل التي جاءت من الأمصار فلم تينها هذه المصادر، ولكن من خلال رؤية قود الثورة يمكن الحكم بأنهم من القبائل اليمنية وشاركهم في ذلك قبائل ربيعة ونعيم فالعصية ضد قريش هي التي جمعهم

(١) البلاذري، فتوح البلدان ٤٢٦

(٢) أبو حيان التميمي، الامتاع والمناصه ٢٥/٢.

(٣) الطبري، تاريخ ٤/ ٢٣- ٣٢، بن كثير، التكملة ٧٢/٢، يوافق.

(٤) التمار بكري، شعوب ٢/ ٤

(٥) البلاذري، انساب الاشراف ٩٩/٥

ففي مصر يرى أن قادة الثورة هم من خراطة وكان منهم عمرو بن الحنظل الذي كان قائدا لفرقة تتكون من مائة رجل^(١) . وعك ذلك منها عبد الرحمن العافقي الذي كان زعيما لنوار مصر ثم هو القائد العام للثورة وحاكم المدينة بعد مصرع الخليفة عثمان^(٢) . ومن تجيب كنه بن بشر الذي اعتلج في أمر الزعامة بينه وبين العافقي ، ويذكر ابن دقماق أن هذه القبيلة قد تعافدت في مسجدنا على قتل عثمان بن عفان^(٣) . ومن مصر أيضا قبيلة بني والذي ظهر منها عبد الرحمن بن عديس الشوي^(٤) .

وهذه القبائل اجتمعت مع واتحدت صورة من صور العصبية^(٥) ، الحامية ضد العصبية القريشية تحت قيادة رجلين من قريش أحدهما المعامع الشخصية وهما محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر فحرضوا أهل مصر واقتتلوا الأمور حتى حدث ما حدث .

ومن الكوفة نجد أن ثلاثة من الرؤساء هم من اليمن ومعهم رجل من ربيعة ودهيم هؤلاء الأشتر النخعي وهو يعني أيضا^(٦) . أما البصرة فمعظم أرفاق من ربيعة واليمن ومعهم حرقوص بن زهير السعدي من نجيم والقيادة العليا إلى حكيم بن جليله العدي . وبذلك يمكن ترتيب القبائل التي قامت بالثورة حسب عدد رؤسائها على النحو التالي . اليمن - ربيعة - نجيم وقد جمعت هؤلاء العصبية ضد قريش . وليس ذلك من أن القبائل القيسية في البصرة هي التي قامت فقط لتساعد الخليفة المحصور ، فعندما هبت عثمان إلى عبد الله بن عامر يطلب ثبته قدم مجذع بن مسعود السلمي ومعه رفر بن الحارث الكلبي^(٧) ومعهما ستائة رجل لمساعدة عثمان

عما تقدم يمكن القول أن الثورة على عثمان قد سارت في نهجها كما حصل في حروب الردة ، فقد قامت نجيم وربيعة واليمن بالثورة على سلطان أبي بكر وسقطان

- (١) الكندي، لولاء ١٧٤
- (٢) الطبري، تاريخ ٢/٤٨٩-٢/٤٩٠
- (٣) ابن دقماق، لاتصار ١٧/٤
- (٤) الكندي، لولاء ١٧٤-١٨٠
- (٥) سري، لقتال العربية في مصر ٢٢٧
- (٦) البلاذري، أنساب الأشراف ٤/٨٩
- (٧) البلاذري، أنساب الأشراف ٥/٧٢

قریش الا ان قوة أبي بكر أعادتهم الى حظيرة الدولة أما في عهد عثمان فقد تمكن هؤلاء من غزو المدينة وقتل الخليفة لا أنهم لم يحققوا ما قاموا من أجله وعدوا من جديد تحت سلطة قریش

وقد أشار أبو جعفر المنصور إلى دور القبائل اليمنية فقد . وقام عثمان فقدمكم (مفسر) وأثركم باستكراهه أهل اليمن؟ فرحلوا اليه وأطافوا بديره مما غضبتهم له ولا صرحوه حتى حكموا فيه ما أرادوا وبألوا منه ما قد علمتم^(١)

وبن حياط^(٢) أورد أن أول من دخل عليه رجل من سدوس يقال له الموت الأسود لم دخل كانه بن بشر التجيبي فصر به بشقص ، وشترك معه رومان ليحامي

ومن ثقتة ألبها عمرو بن الحنق الحراحي ، وسواد بن حمراء المرادي ومعهم حمير بن عبيد بن رجمي من ثيم^(٣) .

ويعتق محب الدين الخطيب محقق النحو صم من القواصم على ذلك بقوله . ان الذين شاركوا في جبة على الاسلام يوم الذر طوائف على مراتب فهم الذين علب عبيهم الغد في الدين فأكسروا الهبات وأرتكسوا في الكارم الموقسات ، وفيها الذين يترعون الى عصبية منه على شيخ الصعابة من قریش ولم تكن بهم في الاسلام سابقه فصدروا أهل السابقة على ما أصابوا من مغام شرعية^(٤) .

كما أن هناك اعترافاً من بعض الانصار بحد لانهم الخليفة ، وهو ما عبر به حسام بن ثابت بقوله^(٥) .

خدتك الأنصار ان حطرت الموت وكسالت ثقاته الأنصار

لبن الوسطاء لا صلب لسان فسمته الشفس والأحبار

(١) الأذني، تاريخ اليربوع، ٢٢٠.

(٢) ابن خوط، تاريخ ١٥٢/١-١٥٣.

(٣) الفلندري، انساب الاشراف ٨٣/٥

(٤) حاشية القواصم من القواصم، ٨٥.

(٥) ابن اعمش، مخطوط ٢٣٩/٢

ومن الذين اشتركوا من الانتصار هي الثورة رفاعة بن رافع الأنصاري، والحجاج بن عمرو بن عزيه الأنصاري^(١).

وعندما أراد أبو جهم أن يصلي على عثمان سمعه بعض الأنصار وقالوا كلا والله لا ندعكم تصلون عليه حتى يسامح الناس رجلاً يرتضيه . وعندما رجع أبو جهم لقيه حسان بن ثابت وقال له قد متعنا أن نصلي عليه فقد حسن من قريب ترى هب هذا يا أبا جهم، فأنصرف إلى منزله ولا تعرض بمسك هؤلاء العامة فإنه من يقدر على عثمان فيقتله يهون عليه غيره من الناس^(٢).

نتائج الثورة:

إن امر ما لحقت به الثورة أن سحق القبائل التي انتقل من السخط على الفولا إلى السخط على الخليفة، فقد كانت النظرة الشائعة أن والي الاقليم نائب الخليفة وإذا لم يرض به المحكومون طردوا إلى الخليفة عزله، أما الآن فقد تطور الأمر حتى شمل مركز الخليفة نفسه^(٣).

وبنفس الخليفة أصبح للأمصار دور كبير في تقرير شكل الخلافة، وأصبحت قوة الدولة في الأمصار وليس في الحجاز، فأهل الأمصار يقولون ' خلافتنا وأمرنا ' بينما كان ذلك لقريش . وبعد أن كان اصحاب الأمر هم أهل المدينة أصبح الأمر بيد الأمصار، بل إن هذه الأمصار بدأت تهدد الخلفاء إذا خرجوا عن خط معتقداتهم والمكابرهم فهذا سودان بن حمران يقول لعلي . ان قد بهمنك حتى إن عملت فينا كما فعل عثمان قتلتك^(٤) . وفي هذا دلالة كافية على أن الأمصار تريد أن يكون لها شأن في أمر الخلافة والدولة.

ومن النتائج التي لحقتها الثورة أن الحجاز فقد مكانه كمركز رئيسي للدولة وما إن خرج علي إلى العراق حتى خرجت الخلافة من الحجاز، وقد حاول أهل الحجاز عدة

(١) المصدر السابق ٢/٢٣٢-٢٣٤

(٢) ابن اثم ٢/٢٣٩-١.

(٣) محمد ضياء الدين الرشي نظريات السياسية ٢٦

(٤) ابن اظم، الفتوح ٢/٢٤٦

مرات إعادة مركز الدولة إليه إلا أنه فشل في تحقيق ذلك.

كما أبررت الثورة الانقسامات بين بطون قریش وعمقشها، فبنوا أمية اتهموا عليا بتأليب الناس على عثمان ولم يقدم إليه المساعدة وهو في الحصار، كما أن عليا اتهم طلحة بأنه لب اساس علي عثمان^(١). وطمحه يتهم علي بذلك وقد تطورت هذه الاتهامات الى انراخ لتسحق في معركتي الجمل وصفين ومع الانقسامات بين بطون قریش ظهرت العصبية الاقليمية فالشام حمل أهل ادمية وأهل العراق مسؤولية قتل عثمان، وسوف نرى أن الصراع بين هذه الامصار يشكل حلقة متواصلة طيلة حكم بني أمية.

ومع أن الثورة قد قامت على قریش بالترتبة الأولى إلا أن قریشا قد خرجت من هذه الملحمة بعرض سيطرتها من جديد على القبائل الأخرى، كما حدث في حروب الردة.

والواقع أن قریشا قد أثبتت وجودها مد الملحظات. لأولى للعتة، فقد أراد الثوار ان يمتوا دني عثمان في مدائن المسلمين ورأوا دفة بدير سلع مقبرة اليهود إلا أن حكيم بن حرم ولفي ذلك بشدة وقال والله لا يكون هذا أبدا وأحد من ولد قصي^(٢) حي وما تقدم أرى أن تصادم العصبية المصرية والكبرى كانت من أهم الأسباب التي أدت الى قيام العتة الأولى في الاسلام، ومقتل الخليفة عثمان

(١) الأسطهاني، ١٢/١٤١، (النهاية لمصرية).

(٢) الطبري، تاريخ ١١٢/١

الفصل الخامس

العصبية القبلية والفتنة الأولى

التيارات المؤثرة في انتخاب علي بن ابي طالب

علي والولاة

معركة الجمل

دور القبائل في النزاع بين علي ومعاوية

AIMAD VR

التيارات المؤثرة في انتخاب علي

لقد ترك مقتل الخليفة عثمان ثرياً كما سياسياً سواء بين الثوار أنفسهم أو بين المهاجرين والأنصار من سكان المدينة. فالثوار كانوا متفقين على قتل الخليفة إلا أنهم كانوا مختلفين فيما سيؤوله هذا الأمر. وازداد ذلك بفتيت المدينة عدة أيام بدون خليفة. لقد كان المصريون يأتون إلى علي ليا بعدهم ويأتي أهل الكوفة الزبير فلا يجدونه، أما المصريون فقد كان هواهم في طلحة إلا أنه لم يقبل منهم^(١).

ولما وجد الثوار رفض هؤلاء لمنصب الخلافة اتجهوا إلى سعد بن أبي وقاص لأنه من رجال الشورى، فرفض طلبهم ثم ذهبوا إلى عبد الله بن عمر فرفض أيضاً وهنا أصبح الثوار حيارى لا يدرّون ما يصنعون والأمر لأمرهم^(٢).

وبعد أن فشلت جهودهم في انتخاب خليفة توجهوا الأمر إلى أهل المدينة لاعتبارهم أهل الحل والعقد وأمرهم عابر على الأمة^(٣). والظاهر أن جمهور المدينة لم يستطع أن يتوصل إلى أمر. وهذا عاد الأمر إلى الثوار وأعطوا أهل المدينة مهلة يومين وهددوا بقتل علي وطلحة والزبير وهنا غشي الناس علياً وطلبوه لتبعية فأمرهم بادي الأمر ثم قبل بعد ذلك بالخلافة^(٤).

وبعد قبول علي جاء أهل المصرية بطلحة وجاء أهل الكوفة بالزبير فاجتمعوا لعلي^(٥).

وفي بيعة علي هذه لعبت عدة تيارات منها تيار قوة الأنصار، فالقوة كما رأيت أصبحت في يد الثوار. كما أصبحوا أهل الحل والعقد في تعيين الخليفة ولم يعد الأمر كما كان في السابق بيد أهل المدينة. وقد عبر الثوار عن ذلك صراحة عندما قال النخعي "إني وإن لم تكن من المهاجرين، فإني من التابعين بأحسن وإن القوم وإن كانوا أولى بما سبقونا إليه فليسوا بأولى مما شركناهم فيه". وهذه بيعة عامة الخارج منها طائفتان

(١) الطبري تاريخ ١/١٣٦.

(٢) المصدر السابق ١/٤٢٧.

(٣) المصدر السابق ١/٤٣٤.

(٤) المصدر السابق ١/٤٣٤.

(٥) المصدر السابق ١/٤٤٥.

مستعجب بعض هؤلاء الذين يريدون التحلف عليك باللسان بأن أبو عاذبهم بالخيس . فقال علي يل أدعهم ورأيهم الذي هم عليه^(١) .

وفي هذا القول نجد أن التابعين يرون لأنفسهم حق المشاركة في تقرير أمر الخلافة ولهم ما لبايعين من الصحابة . وفي هذا اختيار مظهر قبلي من جهة واستمرار لحركة الثورة من جهة أخرى .

وأذا كان اختيار علي ساعد في انتخاب علي فقد كان لاختيار الاسلامي المكاتب الأولى فعلي هو من السابقين ، وهو من عم الرسول "ص" وزوج ابنته ، وبما أن القبائل قد اعتادت أن ترى خليفة من قرشي ، ولا يوجد فيها من يتمتع بمصانفه وحسن بلائه في الاسلام ، فلا بد وأن توجه إليه الأبصار لبيعتة خليفة للمسلمين .

وقد جعلت نكبة الامويين في العنة الأولى ، لكلمة في المدينة للانصار والهاشميين ولرجل القبائل اللين ما زلوا في المدينة وهؤلاء هم الذين أبدوا عليا في خلافته قبل الناس^(٢) .

ومع أن هناك نقرا من الانصار لم يبايع لعلي كحسان بن ثابت ومسلم بن معاذ وغيرهم إلا أن الغالبية منهم قد رحبت بهذا لاختيار مخطيب لانصار ثابت بن قيس قبل . والله يا أمير المؤمنين لن تقدموك في الولاية مع تقدموك في النبي^(٣) . وحريجة ابن ثابت قال : ما أحب لأمرنا هذا غيرك ولا كان انقلب إلا إليك^(٤) .

أما قرشي فانظاهر أن معظمها لم يكن راغبا لهذه البيعة وسرى كيف أنها انقلبت الى حرب علي^(٥) سواء في العراق أو في الشام .

ولما كان القائمون بالثورة على عثمان هم هاشميون ، فقد سارعت القبائل اليمانية ثمن بيعتها لعلي ومن هذه القبائل همدان ، جهينة ، السجع ، الأزد ، كندة ، المعتك ومراد ، وقد كان من ضمن رؤساء الوفود الذين قدموا لهذه البيعة عبد الرحمن بن ملجم اعرابي الذي قال لعلي : يا أمير المؤمنين أرم بنا حيث شئت^(٦) .

(١) الأخبار الطوال ١٤٥ ، ابن أعلام اللؤلؤ ٢٥٦/٢

(٢) لغوي ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ٥٨ .

(٣) تهذيب . تاريخ ١٦٨/٢ .

(٤) ابن قتيبة - الامم والمجاهدة ٥١/١

(٥) ابن أعلام اللؤلؤ ٢٥٥/٢ - ٢٥٦

كما قدمت عليه ربيعة وتكلم عنده صمصمة بن صوحان وقال: "والله يا أمير المؤمنين قد رينت الخلافة وما رايتك، ورفعتها وما رفعتك، ولهي اليك أحوج منك اليها"^(١).

وهكذا يرى أن قبائل اليمن وربيعة كانت أسبق الناس إلى بيعة علي.

وبعد أن تسم علي الخلافة انتعت إلى أولئك النعم الذين دم بإيعونه فأشير عليه أن يأخذهم، إلا أنه لم ير ذلك الرأي سواء من كان منهم من الأنصار أو من المهاجرين، أما أبو أمية فقد بعث إلى رجالهم مروان بن الحكم وسعيد بن أنعاص والوليد بن عفة يسألهم عن سبب تحلفهم عن البيعة، فقام الوليد - إنك قد وترتنا بأجمعنا أما ما فقتلت أبي صيرا يوم مكة، وحذلت أخي عثمان فلم تنصروه وأما سعيد فقتلت أباة يوم بدر وكان سيد بني أمية - ويذكر ابن أعثم أنهم بإيعوا مهاجرين^(٢) ولكن الأرجح أنهم خرجوا إلى مكة ولم يأيحوا لعلي

علي والولاء

حاول علي منذ البداية أن يجتث الداء الذي كان يشتكي منه أهل الأمصار وهم الولاء، فمزل جميع ولادة عثمان، وعزى بدلا منهم ولادة جند - والخطأ الذي وقع فيه أن معظمهم من الأنصار وكأنه أراد إرضاءهم فقيس بن سعد من بني نصر، وعثمان بن حنيف على البصرة، وسهل بن حبيب على الشام، وأرسل إلى الكوفة حمزة بن شهاب وإلى اليمن عبيد الله بن العباس، وإلى مكة رجلا من بني محروم هو خالد بن أنعاص بن هشام - إلا أنه أهل مكة رفضوا بيعة علي، ويقال أن فتى من فتيانهم أخذ صحيفة علي فمضنها ثم رمى بها فسقطت في سقاية رمزم^(٣)

وقد حوّل الولاء حاول المعيرة بن شعبه أن يفتح علي يعلم عزلهم، وإذا كان لا بد من العزل فليبق علي معاوية^(٤)، لكن حيا وهو الخليفة الراشدي بكل ما فيه هذه الكلمة

(١) البغدادي، تاريخ ١٦٨/٢.

(٢) ابن أظم، الملقح ٧٥٩/٢.

(٣) طه حسين، الفتنة الكبرى ٢٢/٢.

(٤) المصدر السابق ٤٣٨/٤.

من معنى رخص ذلك رخصاً قاطعاً، وقال والله لا أذاع في ديني ولا أعطي الشبهة في أمري^(١)

وهذا يظرب إلى أمر علي هذا لجمه تصرف في هذا المجال تصرف من رجل الحكيم الذي كاد يدرك أسباب الثورة، فبالولاء هم مدار الشكوى، فهل يقيهم الخليفة في ولائهم حتى تهب الفتنة من جديد أم يقضي على دابر الشكوى؟ لقد فكر بقطع دابر الشكوى قبل أية مصلحة أخرى

لقد رأى الخليفة أن تهدأ عواصف الثورة لا تقف إلا بعزل الولاء، كما أن الأوضاع السياسية تتطلب ما عمله علي، وتقاليد الخلافة تزيد ذلك^(٢). ولواقع لو كان عمر في مكان علي، ورأى أن هؤلاء لولاء هم الذين أساءوا إلى سمعة عثمان وأن الشكاية كانت بسببهم لما رخص بالإبقاء عليهم والراشدي لا يذاع في دينه وينظر إلى الحق والعدل قبل كل أمر

إلا أن ولاء علي استقبلوا في الأمصار استقبالاً سيئاً فسهل من حيف لم يمكنه أهل الشام من الدخول، وقالوا إن بعثك عثمان فجهيلاً بك، وإن بعثك غيره فارجع وحمرة بن شهاب وكانت له صحة، لم يمكنه طليحة الأسدي من دخولها، أم عثمان بن حيف فقد دخل البصرة إلا أنه وجد أهلها ثلاث فرق، فرقة بايعت لعلي وثانية لم يعجبها ما حدث، والثالثة تنتظر ما يصنع أهل المدينة. أما في مصر فقد دخلها قيس بن سعد ووجد أهلها ثلاثة أقسام، فرقة بايعت مع الجماعة، وثانية أصبحت عثمانية أما الثالثة فليقتلهم (عمرشاً) تنتظر ملوكهم أما ابن عباس فقد دخل اليمن دون مشاعب^(٣) وفي ظل هذه الأمور اضطر علي أن يفتي علي أبي موسى الأشعري في الكوفة بتوصية من الأكثر النخعي عليها^(٤)

ولما رأى علي ذلك جمع كبار الصحابة وقال لهم إن الذي كنت أحذركم قد وقع^(٥) وقد حدث علي أن يسوي الأمر مع الشام فبعث إلى معاوية يطلب بيعته إلا

(١) الطبري، تاريخ ٤١/١

(٢) النويري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ٥٨.

(٣) النويري، الأخبار لطوال ١١٧، الطبري، تاريخ ١١٢/٤

(٤) النويري، تاريخ ٦٨/٢

(٥) الطبري، تاريخ ٤٤٢/٤-٤٤٤.

أن معاوية لم يرد على جوابه إلا بعد ثلاثة أشهر حيث بعث مع رجل من بني عيس كتاباً لا يحوي شيئاً، وهذا مثل علي العيصي ما الأمر أجابه إن أهل الشام لا يرضون إلا بالقود منه . وهذا حادون الثوار قتله ولم تنقله إلا العصبية القبلية حيث استبعد بمصر صمعتة منهم^(١)

معركة الجمل

لم يقتصر الأمر في انقسام لريش على خروج بني أمية على علي فقد خرج معهم طلحة والزبير إلى مكة ، ومن هناك توجهوا إلى البصرة ، وهذا ما جعل علي يعير من خطئه فبدلاً من أن يذهب إلى الشام قرر الالتقاء إلى العراق حيث الرجال والمثل^(٢)

ويذكر الطبري أن عائشة قمت ودافعت عن أعمال عثمان و ستجذب لها عامر مكة عبد الله بن عامر الحنظلي ، ثم رفعت بنو أمية رؤوسها وقام سعيد بن العاص ، والوليد بن عتبة ، ومائل بنو أمية ومعهم عبد الله بن عامر الذي قدم من البصرة ويعلي بن مية الذي قدم من اليمن ومعهم طلحة والزبير وصمموا على الهجوم على الكوفة^(٣) .

ولكن السؤال الآن هو ما هي أسباب تغير موقف طلحة والزبير على علي ؟ لا تعطيل المصادر التاريخية توضيحاً لذلك ولا من ناحية واحدة أن طلحة والزبير قد طلبوا بالقائمة الحدود على الفتنة ، فقال لهم علي إن القوم يملكونا ولا نملكنهم ها هم قد ثارت معهم عبادتكم ، وثبت اليهم أمرا بكم وهم خلافكم يسومونكم ما شئوا ، فهل ترون موضعاً للفرقة على شيء مما تريدون ؟ قالوا لا ، قل والله لا أرى إلا رأياً تزويه إن شاء الله إن هذا الأمر أمر جاهلية ، وإن لهؤلاء القوم مائة ، ثم وعد الصحابة بأن يقتصر من الثوار عندما تهدأ الأمور^(٤) .

وتأخير العقوبة على الفتنة عائد لأمرين . الأول أن علي لم يستطع في هذا الحمو

(١) المصدر السابق ٤٤٣/١-٤٤٤

(٢) ابن قتيبة الامعة و سياسة ٥٦/٢ .

(٣) الطبري، تاريخ ١/١٥٠ .

(٤) الطبري، تاريخ ١/ ٤٤

الصاعب أن يوقع العقوبة العاجلة على الفتلة بل هو أراد أن يترك ذلك للزمن ، ولا أبالغ إذا قلت أنه لو لجأ إلى العقاب الفوري لكان جزاءه كبيراً عثمان .

ويؤيد ذلك أن علي لم يستطع أن يخرج لأحراب من المدينة ، وعند رفض هؤلاء جاء في حلقة والزبير وقال بهما دونكم ثأركم فاقنوه^(١)

والثاني لو أن علي طبق العقوبة العورية على الفتلة لأعصب قبائلهم واهمازوه على جانب معاوية الذي كان يترصد الفرص في الشام .

وما تقدم يظهر عذر علي في عدم إيقاع العقوبة ويرد طلحة والزبير حروجهما لكونهم بأبى مكرهين ، مما توقع أن اكترجهما كان للإصلاح وليس لشفقة ، هذا مع ما علم أن علياً نفسه قد أجبر على الخلافة وأنه كان ينادي بأن أمر الخلافة هو لأهل بدر^(٢) من دون الناس ، فكيف أجبروا على البيعة فقد أجبر هو نفسه على الخلافة

لقد جاء خروج طلحة والزبير على علي للإصلاح حسب رأيهما وقد ظهر ذلك منذ بداية خروجهما إلى البصرة فقد رأى عمر من بني أمية أن يكون أمر الخلافة لوليد عثمان بن عفان لأن الناس خرجوا للطلب بدم عثمان فقال لهم طلحة والزبير بدع شيوع المهاجرين ولجعلها لأيتام . فقال سعيد بن العاص : أفتراي أسعى إلا لأخوتي جهمي من بني عبد مناف فخرج مع عبد الله بن خالد أسيد كما عاد معهم المغيرة بن شعبه النخعي في قسم من ثقيف^(٣)

لقد كان خروج طلحة والزبير مشجعاً لعائشة وبني أمية حتى يرفعوا رؤوسهم للمطالبة بدم عثمان ونحوه ، وقد احتسب الخازن في بادئ الأمر على الجهة التي سيواجهون بها ، فقد اقترح زبير الذهاب إلى الشام حيث الرجال والأموال ومعاوية وهو خصم لعلي إلا أن الوليد بن عتبة وكأنه اشفق على ملك معاوية أقنع الزبير أن يطلب مصراً غير الشام^(٤) ، وانفقوا في النهاية على التوجه إلى

(١) الطبري تاريخ ٤/٤٣٨ .

(٢) أصب لشرح ٥ / ٧

(٣) ابن الأثير الكامل ٣/١٠٧ .

(٤) ابن عسك القنوج ٢/٢٧٦

(٥) ابن عسك القنوج ٢/٢٧٩ - ٢٨٠

البصرة حيث صنائع ابن عامر، ثم إن عائشة أهلها من المضرة، فأملوا من هؤلاء المساعدة. وهكذا خرج طلحة والزبير وعائشة بنو أمية يطلبون بدم عثمان من بطانة علي ورؤساء أصحابه^(١) وقيل خروجهم أرادوا أن يكسبوا إلى جانبهم بعض الصحابة فبعثوا إلى عبد الله بن عمر ويؤيوا له أنهم لا يريدون إلا علاج الأمة^(٢)، غير أن ابن عمر قال: "أني امرؤ من أهل المدينة فإن يجتمعوا على ليهوض أنفوس، وإن يجتمعوا على النحرود أقعد"^(٣) فكتبت عائشة إلى أم سلمة تزين لها الخروج فكتبت أم سلمة لها يا بنت أبي بكر أسمع عثمان؟ وعثمان رجول من بني عبد مناف وأنت امرأة من نيم بن مرة، ويعتك يا عائشة أهلي علي وابن عم رسول الله تحرضين وقد بهمه المهاجرون والانصار^(٤)

وبعثت عائشة إلى حمص، فأرادت الخروج إلا أن عبد الله بن عمر حال بينها وبين الخروج^(٥).

ورغم عدم استجابة ابن عمر وبعض أرواح النبي بطلحة والزبير وعائشة إلا أنهم صمموا على الخروج لحرار الإسلام وقاتل المحلين والطلب بآثار عثمان^(٦) وما كان خروجهم هذا إلا المسمار الأخير الذي دق في نعش الخلافة الراشدة، وفي التأخي والثأف بين المسلمين. ولا عربة في أد يطلق على يوم خروجهم أسم يوم "النجيب"^(٧) وإن يتبع مهات المؤمنين، عائشة إلى ذات عرق حتى أنه لم يروم كان أكثر باكية على الإسلام أو باكية له من ذلك اليوم^(٨).

وكان عليهم استمالة قبائل البصرة، فكتبت عائشة إلى زعماء القبيلة في البصرة وهم الأحقف بن قيس زعيم مضرة، وعسرة بن شيمان الأزدي زعيم اليمانية والمذنب بن ربيعة زعيم قبائل ربيعة^(٩).

(١) البيهقي: الأخبار الطول ١٤٤

(٢) ابن تيم، المخرج ٢/٢٧٨.

(٣) العمري تاريخ ١/٤٦٠.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق ١/٤٧١.

(٦) الطبري تاريخ ٤/٤٥١، ابن حنبل، المصنف جزء ٢/١٥٥، الأعمى، تاريخ الإسلام ١٣٩/٢.

(٧) العمري تاريخ ١/٤٥١.

(٨) البيهقي: الأخبار الطوال ١٤٦، الطبري، تاريخ، ١/٤٦١.

كعما كتبوا إلى كعب بن سور الأودي وطلبوا منه أن يؤازرهم فهو قاصي. صمر
وشبيح أهل البصرة وسيد أهل البصرة، وإلى الأحنف بأنه واقد عمر وسيد مضر وحليم
أهل العراق، وإلى المسور بن ربيعة بأن أباه رئيساً في الجاهلية وسيداً في الإسلام وقد
فكسب لعثمان من هو خير منه^(١).

ولما كانت البصرة ثلاث فئات، فئة بني أمية لعلي، وفئة عثمانية، وفئة محايدة فلم
يكن من السهل استمالة أهلها جميعاً.

وقامت عائشة بالكتابة إلى أهل البصرة فقام البعض وقال: ومما ولهذا الحي من
قريش؟ يريدون أن يحرروا من الإسلام بعد أن دخلنا فيه؟ ويدخلون في الشرك بعدما
خرجنا منه؟ قتلوا عثمان ويبيعوا علياً لهم مالهم وعليهم وما عليهم^(٢).

ولما دخلوا البصرة قام رجل من عبد القيس وبي أن قريشاً كانت تعين الخلفاء دون
استشارة القبائل، ثم تسأل عن أسياب النخلة على علي هل لا ستأثاره بالقيء أو أنه
حمل بغير خلق، أو عمل شيئاً أنكره الناس حتى يكون معهم؟ وكان ما ذكره هذا لم
يعجب بعض أهل البصرة فهموا به لولا تدخل عبد القيس مساعدته^(٣). ولم يقف الأمر
عند معارضة الفردية، بل ما إن سمع أهل البصرة بقدومهم حتى خرجت، يهود تسألهم
عن سبب هذا الخروج فذكروا أن الفو هائية وزاد القبائل قتلوا عثمان وهم يريدون
الأخذ بثأره حتى لا يذهب دمه هنأ^(٤).

وكان هذه الحجة لم تقنع بعض أهل البصرة فقام جمعة منهم ورومو، الناس
بالهجرة ولم يسمعوا خطبة عائشة^(٥).

لقد أدى مجيء طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة إلى انقسام أهلها، فربيعة وقعت
إلى جانب عثمان بن حنيف، بينما وقف الأزد إلى جانب طلحة ومعهم قسم من تميم

(١) ابن قتيبة، الأدب والنسب ٥٨/٢

(٢) المصدر السابق ٥٨/٢

(٣) نظريه تاريخ ٢/ ١٧

(٤) صدر السابق ٤٦١/٤

(٥) معاصم من القواصم ١٥٤-١٥٦

ويذكر الطبري^(١) أن حكيم بن جليل هو الذي أشب القتال بين عثمان بن حنيف وبين القادمين كانت نتيجة هذا القتال أن طلب عثمان الصنيع ليعتروا رسولاً إلى المدينة لتحقق منبيعة طلحة والزبير هل كانت عن رضا أم عن إكراه، فذهب كعب بن سور ولم يستطع أن يأخذ جواباً بهذه القضية إلا من أسامة بن زيد الذي قال: «اللهم إنيهما لم يديما إلا وهما كارهان» فقام عليه بعض الأنصار، ولم ينقل أسامة إلا بعض الصحابة.

وبما بلغ علي، فحضر كتب إلى عثمان بن حنيف يعجبه ويقول: «والله ما أكرها إلا كرها على فرقة ونقد أكرها على جماعة وفصل»، هذا كان بين يدي الخلع فلا حذر لهما، وإن كانا بين يدي غير ذلك نظرنا ونظر^(٢).

ولما وصف كتاب علي لابن حنيف غير من موقفه السابق وأحد يستعد لمواجهة فجمع طلحة والزبير وجندهم وساروا في ليلة مظلمة باردة وقصدوا المسجد فقدموا عبد الرحمن بن عتابة فشهز الزناد والسيوف السلاح فقتلوا أربعين منهم ثم ساروا إلى عثمان فأخذوه وما أبقوا في وجهه شعرة^(٣).

وقد حموا يقتل عثمان لولا أن قال لهم: «إن أخي سهيلاً واليا على المدينة، ولو قتلتموني لا تنصروني فزيتكم فاحلوا سبله^(٤)» وبعد هذه الجولة تحركت قبائل ربيعة ومعها بعض قبائل تميم حتى تنازل لعثمان بن حنيف وترجم هذه الدعوة حكيم بن جليل والدافع لذلك هو:

أب لعثمان بن حنيف الولاية والجنود^(٥)، والفتائل لا تبيح أن يحترف هذا القتل ومن هنا دعا حكيم إلى نصرته ثم رغبة ربيعة بالاستيلاء على دار الرزق^(٦).

وربما أن السب الحقيقي لذلك أن حكيم وهو من المحرضين على عثمان رأى أن قوة طلحة والزبير أخذت تزداد فحشي على نفسه منهم فأراد أن يعاجلهم قبل أن يعاجلوه ومن هنا جميع حوله سبحانه من عبد القيس ويكر بن وائل ومعه بعض من

(١) الطبري، تاريخ ٤٦٨/١-٤٦٩.

(٢) المصدر السابق، تاريخ ١٧٠/١.

(٣) المصدر السابق، تاريخ ٤٦٨/٤-٤٦٩.

(٤) أبو هلال العسكري، الأوافق طبعة دار ابن طلحة، ١٦٥، ٢٢٢.

(٥) ابن قتيبة، الامانة والسياسة ٩٥/١.

(٦) الطبري، تاريخ ٤٧٥/٤.

خرج على عثمان كحرقوص بن زهير السعدي، وخرج لقتال طلحة والزبير فكانت الدائرة على حكيم.

لقد كنت نتيجة هذه الجولة عظيمة على أهل البصرة حتى أن القبائل أخذت تسلم من وقع إلى جانب عثمان إلى طلحة والزبير حتى يقتل^(١) وهذا يدل على قوة طلحة والزبير.

ومع انتصار طلحة والزبير إلا أن هذه الجولة قد عادت سيئاً بينهما بتأجيل عكسية فريعة عصمت لحكيم بن جلة واستنحار إلى علي عند قدميه إلى البصرة، وهو سعد وهم عثمانية اتفلبوا على طلحة والزبير عصبية كحرقوص عندما أراد طلحة والزبير أنخله^(٢)

وي زهد في حشد هذه القبائل أن طلحة والزبير فضلاً أهل السمع والطاعة بالأعطيات والأزرق^(٣)، وما أن أكثر من قاتل معهم هم من قبائل قيس وليث فلا بد لريجة أن تنجبه إلى الخصم ولا بد نصر أن تتعد موقفاً سائباً لها

أما علي فبعد أن سمع بخروج طلحة والزبير قرر أن يذهب إلى العراق حيث الرجاء والمال^(٤)، والحقيقة أنه لم يكن أمامه من بلد يخرج إليها غير الكوفة، فالتشام تحت سلطة معاوية والبصرة خرج إليها طلحة والزبير، ومكة لأخذها عند أهدنها، فان بقي في المدينة فربما يأتي إليه معاوية من الشام وطلحة والزبير من العراق، ومن هنا خرج إلى الكوفة. وقيل خروجه حاول استمالة بعض المعتزلين أمثال سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وأمامه بن زيد، فلم يجد عندهم استجابة، فسعد قال أعطني سيده يعرف اسمهم من الكافر حتى أقاتل به معك، وابن عمر قال: أشكك الله أن تحملني على ما لا أهرف، ومحمد بن مسلمة قال: أمرني الله أن أقاتل بسيفي ما قوتل به المشركون فإذا قوتل أهل الصلاة ضربت صخر أحد حتى يكسر، وقد كسرت به بالأسن. واسمهم من زيد قال: بني عاهدت الله أن لا أقاتل من يشهد أن لا إله إلا الله^(٥)

(١) المصدر السابق ٤٧٢/٤

(٢) ابن الأثير، الكامل ٩٣/٣ بولاق

(٣) الطبري، تاريخ ٤٧٢/٤

(٤) ابن طهية الإمامة ر نسخة ١/٢

(٥) الشيبوري، الأصمير أسواق ١٤٤/١٤٤

وأظهر أهل المدينة لشاقلًا عن الخروج حتى أن الأشتر النخعي السمر يجس الخلفين^(١). ورياد بن حنظلة النخعي قال: من ثاقل منك فانا نخف معك وبقاتل دونك^(٢). أما الانتصار فقد قام بعضهم يطلب من على عدم الخروج ومن أمثال هؤلاء عقبة بن عامر، وعبد الله بن سلام، إلا أن عبدًا قال إن الأموال والرجال بالعراق، ولأهل الشام وثبه أحب أن أكون قريبًا منها^(٣).

وكان خروج علي من المدينة تخبية منه عن عاصمة الدولة، حيث أن هذا الانحياز بقصي «لقداء في المدينة معقل التيار الإسلامي والتمسك بتقائدها» لكن عليا معذور في ذلك فقرة المدينة مصعصة ونفوذ التيار القبلي امتد إليها مؤقتا بوجود رجال الأمصار ليها^(٤).

وبعد خروج علي كانت قبيلة طيء، وبمساعدة عدي بن حاتم أو القبايل التي انصبت إليه، وما رأت أسد ما فعلت طيء قام زعر بن ريد بن حديفة الأسدي وقال: أشدكم ثلث لا يقوى الدس فداً هبرت طيء، وحللت بو أسد ون الحار يأس بالجار، ولا أن أسداً لم تستجب جميعها لهذه الدعوة^(٥)، وربما يكون ذلك لأن رعيماً من زعمائها كان عثمانياً وهو حبيبة الأسدي.

وانتبه علي إلى الكوفة حيث فيها رجال العرب وبيوتاتهم^(٦)، وكتب إليهم إني قد احترنكم عن الأمصار وإني بالآثرة^(٧) وكان علياً لم يجد استجابة من أهل الكوفة فأرسل إليها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلا أنه لم يملح في استمالتها، لا سيما وأن أبا موسى كان يشيط الناس ويقول: إن لم يكن يد من قتال لا تقاتل حتي يفرغ من قتلته عثمان حيث كانوا^(٨) وأرسل بعده عمار بن ياسر، وابنه الحسن وكادت أن تقع قشة

(١) ابن اعظم: الفتوح ٢٥٦/٢

(٢) الطبري: تاريخ ٤٤٨/٤

(٣) الطبري: التاريخ ١٤٤

(٤) النوري: حكمة في تاريخ صدر الإسلام ٤٨

(٥) ابن قتيلة الإمسة ونباسة ٥٦/٢

(٦) الطبري: تاريخ ٤٥٩/٤

(٧) المصدر السابق: تاريخ ١٧٧/٤

(٨) المصدر السابق: تاريخ ٤٨٢/٤

بين ربيعة ونعيم، فربيعة وفتت إلى جانب دعوة علي بينما عارضت نعيم فكرة الخروج إلى القتال، إلا أن أبا موسى استطاع أن يهدأ الموقف^(١)

وكاد الموقف أن يتعجر في الكوفة عندما بحث عائشة كتاباً إلى زيد بن صوحان تطلب منه أن يقوم بإخلاء بنات عثمان فدان زيد. أمرت مأمراً وأمرها بأمر، أمرت أن تقر في بيته، وأمرها أن تقاتل حتى لا تكون فتنة، فأمرتنا ي، أمرتنا ي، أمرت به، وركبت ما أمرنا به. فقدم إليه شئت من ربي التميمي فقال، يا عماني، سرقت بجلولاء فقطعتك الله، وعصيت أم المؤمنين ففقتك الله، ما أمرت إلا بما أمر الله - عز وجل - به الإصلاح بين الناس. فقام أبو موسى الأشعري وأخذ يهدأ من روع الناس ويحللهم الفتنة^(٢)

لقد استطاع علي أن يكسب أهل الكوفة إلى جانبه بعد إرساله خوفاً وإليها، إلا أن القبائل التي كانت متحمسة للخروج معه هي البادية والريعية وقلة من انقباض القيسية، أما نعيم فلم يكن لها وجود في رأيته جيشه^(٣).

ولي دي قدر نظم عن جيشه حسب أسباع الكوفة فكان على رأيته حمير وحمذان سعيد بن قيس الهذلي وعلي مدحج والأشعرين زياد بن النضر الحذلي، وعلي طيء عتي بن حاتم، وعلي قيس وعيس وديان سعد بن مسعود الثقفي، وعلي كنده وحضر موت وقضاعه ومهره حجر بن عدي الكنسي، وعلي الأزدي وبهيلة وخثعم وخراجه مخنف بن سليم الأزدي، وعلي ربيعة محدوح الدهني، وعلي سائر قریش والأبصار وأهل الحجاز عبد الله بن عباس^(٤) وجعل علي على كل قبيلة من القبائل المنضمة معه مبدلاً من صاداتها يرجعون إليه في أمورهم^(٥)، وبهذه التصرف جعل القبائل تخضع خصوصاً مباشراً لسيدها وليس للخليفة.

أما قبائل البصرة الغاضبة من طليحة والزيبر وهي من نعيم وبكر وعبد القيس فقد خرجت إليه قبل أن يدخل البصرة، ولما انتفت قبائل البصرة والكوفة أخذت كل قبيلة تسأل أختها عن سبب الخروج فعبد القيس البصرة تسأل عبد القيس الكوفة، وبكر

(١) المصدر السابق، تاريخ ١/٤٨٢-٤٨٣.

(٢) تطري، تاريخ ١/٤٨٣-٤٨٤.

(٣) نظر الأخبار الطوال ١٤٧-١٤٨.

(٤) المصدر سبق، القتيبي، ١٤٧-١٤٨.

(٥) ابن اضم، الفلوح ٢٠٨/٢.

البصرة تستنصر من يكر الكوفة^(١).

وقبل أن يدخل على البصرة أرسل القعقاع بن عمرو ليدعو طلحة والزبير إلى الألفة والحمادة فجاء إليهما القعقاع وبين لهما أن ما عملاه بالبصرة قد أفسد الناس ولم يصلحهما، فإن قتلوا من البصرة ستمائة رجل فقد غصب لهم ستة آلاف، وقبل أنتم أحميتم مضر وربيعة من هذه البلاد فاجتمعوا على حربكم بصرة لئلا^(٢).

قبل طلحة والزبير ما عرضه القعقاع وعاد إلى علي وأجبره بما تم فقال علي: ألا وأني رجل عدو، فارتعدوا، ألا ولا يرتحل عدو أحداً أحد علي عثمان شيء في شيء من أمور الناس، وليس السفهاء عبيهم^(٣) وهكذا بدت نباشير الصلح بين الطرفين.

أما موقف قبائل البصرة من الانضمام إلى أحد الفريقين فقد كانت متباعدة فربيعة التجهت إلى علي ليس رغبة فيه، وإنما أرادت أن تثار لفشلاها وعلي رأسهم حكيم بن جبلة أم تميم فقد جاء لأحفف إلي علي وقال له اختر مني واحدة من اثنتين إما أن أكون معك على ما كنتي رجل من قومي، وإما أن أورد عنك أربعة آلاف سيف فقال علي: لا بل ردهم عني فقال الأحنف أفعل^(٤)

وعدم اشتراك تميم ببصرة إلى جانب علي رجع إلى أمرين: الأول أن بني سعد قد منعوا حرق قصير بن زهير، وزهير بن الحرصين عن عثمان فخشوا أن ينهر علي أن يقتل خمسة عثمان كما فعل طلحة والزبير.

والثاني وهو الأهم. أن الأحنف أراد أن يترك قريباً يقتل بعضها البعض، ثم هو بعد ذلك يعلن انضمامه إلى الفرقة المنتصرة وهذا ما حدث بالفعل. ومما يؤكد ذلك أن الأحنف وقف يقول اعترفوا هذا الأمر، وولوا هذين الفريقين كيسه وعجره، ألا أن هذه الدعوة لم تلقها جميع بطون تميم فوقعتم ريد مناة وحظفلة إلى جانب طلحة والزبير، واعتزل لأحنف مع قومه من بني سعد، ألقائ^(٥)

(١) العسيري تاريخ / ١٩٣

(٢) المصدر السابق، تاريخ ١/ ١٨٩.

(٣) المصدر السابق، تاريخ ١/ ١٩٣

(٤) بن كثير، البداية والنهاية، ٢٣٨/٧-٢٣٩.

(٥) العسيري، تاريخ ١/ ٥٠٤، أبو حنبل عسكري، الأموال ١١٤

أما الأرد فقد ظهرت فيها بعض الأصوات التي يادت بالتريث وعدم الانضمام إلى أحد الطرفين، وقال بهند الرازي كتب بن سور الأزدني هادعاً من وراء ذلك أن ترك ربيعة ومضر يتسارعان حتى يكون رأي بعد ذلك للأزد، إلا أن صبرة من شيمان الأزدني ومعه غالبية اليمن انشقوا على الحضور إلى جانب طلحة والزيبر^(١).

وهكذا كانت لأرومات في البصرة منقسمة إلى ثلاثة أقسام ربيعة وقعت إلى جانب علي حتى تأخذ بثأرها، والأرد إلى جانب طلحة والزيبر لأنها رأت أن الردية قد وقعت إلى جانب علي، أما تميم فقد انقسمت إلى قسمين، قسم اعتزل القتال، والثاني وقف إلى جانب طلحة والزيبر ومعهما بعض القيسية.

وقد اقترع علي من البصرة وأسفرت محادثات القعقاع عن أمور إيجابية بين الطرفين وأحد أفراد القبائل يتدخلون بين المعسكرين، فالزبيعي من البصرة يأتي إلى ريمي الكوفة، ويمسي بالبصرة يأتي هانية الكوفة، ويأتي المضري قومه المضريين، والحديث بينهم هو في أسر الصباح ويشار العاصمية، إلا أنه حدث ما أثار الحرب بين الطرفين

وفي سبب إثارة العريفيين أمرين:

الأول ما ذكره الطبري من أن رؤسده الثوار على عثمان قد اجتمعوا ورأوا أن الصلح لا يكون إلا على دسائهم. ومن هنا أخذوا يفكرون في طريقة يخرجون بها من المارق فابعض أشار بقتل طلحة والزيبر، وابعض أشار إلى اعتزال هذا الأمر وترك طلحة والزيبر وعني بتصارعهم، إلا أن هذه الأراء لم تعجب عبيد الله بن سبأ، واستقر الرأي على إشعال القتال بين العريفيين^(٢).

الثاني خوف الثوار على أنفسهم لا سيما بعد أن سمعوا من طلحة والزيبر طلبهم من القبائل تسليمهم الذين ساعدوا على مقتل عثمان، فخشوا أن يكون مصيرهم مثل ذلك مع علي، فاشتبوا بالقتال

لقد دهرت رحى معركة الجمل وقاتل المضري المضري والريمي الريمي والبيعاتي البيعاتي، وأحد كل من العريفيين يحمل الآخر مسؤولية بدء القتال، ولم تستجيب القبائل

(١) ابن الأثير، الكامل ١٢٢/٢

(٢) الطبري، تاريخ ١٦٤/١، ابن كثير، البداية والنهاية ٣٣٦/٧.

التي أشهرت بسبب لدهاء علي للكف عن القتال^(١) وذلك في ١٥ جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ.

وفي معركة الجمل ظهرت الحمصية القبلية في أساليب القتال وفي الشعارات في أوضح صورها.

فمن حيث أساليب القتال، انقسمت القبائل إلى ثلاث كتل قبلية صحمة هي مصر وربيعة واليمس، ولما كانت القبائل تألف قتال عبر الكفء لها، كانت المصرية تتألف المصرية والربيعة تقاتل الربيعة واليمانية تقاتل اليمانية بل إن عبيد البصرة وقموا أمام عبيد الكوفة^(٢).

أما من حيث الشعارات فقد عادت القبائل تدي شعارات الجاهلية فهذا رجل من بني ضبة يقول لقومه: وعظوا أنفسكم على الصبر فإنما يلفاكم جماهير أهل الحجاز وأدعي أهل الكوفة، وعظروا أن تصضحوا قبائل مصر فقال له الزبير بنس ما قلت يا أخا بني ضبة^(٣).

والواقع أن وقعة الجمل كانت حرباً بين القبائل أكثر منها حرباً بين الحريين والمتصهرين وتلمس ذلك من سير المعركة، فأبوا الهيثم بن النجاشي الأنصاري، اعتبر وقعة الجمل موازية لوقعت بدر ويقول:

محن الذين رأيت السيف يشمسهم لنا يوم السلقوب فلهـد هبل الكفـصار^(٤)

وزيد بن صوحان حاول أن يقدم المساعدة لغير الكوفة التي تراجعت أمام مضر البصرة إلا أن رجلاً من قومه قال له: تنح إلى قومك، مالك ولهذا الموقف، ألسنت تعلم أن مضر حيالك، وأن الجمل بين يديك، وأن الموت دونه^(٥).

ومع أن وقعة الجمل قد حققت انتصار علي من الناحية العسكرية إلا أنها عادت نتائج سلبية على تاريخ الدولة الإسلامية، ومنها: إن معركة الجمل فتحت باباً جديداً

(١) ابن الأثير: الكامل ١/٢٠٤ بولاق

(٢) ابن أضم، المفتح ٢/٥٠٥

(٣) ابن أضم، المفتح ٢/٢٩٦ وافر أيضاً في الطبري، ٤/١٤٤ - ١٤٨

(٤) ابن أضم، المفتح ٢/٣٠٦

(٥) الطبري: تاريخ ٤/١٤٤

من أبواب العصبية القلبية وهي المصبيات المركبة أو الجماعة كما أن معالم الرابطة المعدنية والعضطانية قد تعددت في هذه الحركة واصبحتنا نسمع بالتجمعات القلبية الكبيرة

إن معركة الجحمن لم تقض على السبب الذي خرجت من أجله القبائل على عثمان، وهو الخلاص من سيطرة قريش، بل على العكس وجدت القبائل بعضها مشردة بالانضمام إلى أحد الأطراف المتنازعة من قريش، صحيح ظهرت بعض الأصوات الحادية بالحيد إلا أن هذه الأصوات كانت ضعيفة بل وشعرت القليل بأنها قد أصبحت رهينة الأهماع القرشية من جديد فخرج من مضر ينادي يا آل مضر علام يقتل بعضكم بعضاً^(١).

وهذا حمير بن الأهلب رضي يقول:

لقد أوتيتنا حصص الموت أصنا	فلم نلصقك إلا ونحن نواء
لقد كن عن نصر بين هذه أمة	ولسيفعتبها مندوحة وشواء
أطعنا بني سهم بن مرة شقيقة	وهل لهم إلا أنصبه وأماء

وقال آخر

أطعنا من يملكه من حلفه
ونصبتنا أهل الحجة هناك^(٢)

وهي تجعل أهدأ لمس المارق بين التيار الإسلامي والتيار القبلي، فعلى يقول لعمر بن جرير قاتل الربيع سمعت رسول الله (ص) يقول بشر قاتل ابن صغية بالنار، هو بن جرير قاتل^(٣)، والله ما ندري أنقاتل معكم أم عليكم^(٤).

وقال قاتل محمد بن طلحة.

يكنسني حم والبرج شمسهم
فهل لنا حم قبل القلهم

(١) المصدر السابق، تاريخ ٢٨/١ هـ

(٢) المصدر السابق ٢١/١ هـ، مسعودي، مروج الذهب، ٢/٢٧٢، ابن عبد ربه، العقد الجديد ٥/٧٠-٦٩

(٣) ابن أحم، الطلوع ٢٦٢/٢-٢٦٤.

وكان محمد بن طلحة لا يحمل على أحد ألا وقال حم لا يهرون^(١)

وكما غضبت بعض قبائل البصرة على طلحة والزبير بسبب من قتل منهم، فقد عادت القبائل تتغضب على علي لكثرة من سقط منها في وقعة الجمل

لقد تركت هذه الواقعة أثراً صميماً في النفوس، فقد قيل لأحد من أهل البصرة ألعب علياً قال: كيف أحب رجلاً قتل من قومي حين كانت الشمس من ههنا إلى ههنا ههنا^(٢) واستقبلت النساء علياً بقولهن: يا قاتل الأختة^(٣)

وسقطت على علي القبائل التي كانت معه، عندما رفض أن يقسح لها المجال في السلب والنهب أو لاجهاز على جرحاه، وعندما سأله بعض اصحابه كي يقسم أموال أصحاب طلحة والزبير عليهم ورفض علي ذلك قالوا: كيف نحن لنا ذمالهم ولا يحمل لنا أموالهم فأجابهم ألكم بحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه فسكت القوم^(٤)

ومن الأمور الهامة التي جاءت بها وقعة الجمل أن الأمر سم بعد بيد الخليفة بن أصبح بيد رؤساء القبائل الذين أخذوا يتدخلون في أدق الأمور، فعندما عين علي عبدالله بن العباس على البصرة جاءه الأشر النحعي وقال: وليت بني هكك، فلم تلتنا الشيخ (عصمان) يوماً فتساء حين أمر أهل بيته بالولاية^(٥)

كما أن هذه الواقعة أثارت العصبية الإقليمية بين سكان البصرة وسكان الكوفة، فكانت أول وقعة تقابلها بالسيف.

لقد انتهت وقعة الجمل بمأساة عظيمة لم يرض عني عنها، فبعد انتصاره أخذ يطوف على القتلى، وما مر بعلبة لم يتمالك نفسه عن البكاء وقال: يعز علي والله يا أبا محمد أن تكون قريش تحت مجوم السموم وفي بطون الأودية^(٦) لقد جرح علي على قريش جزءاً شديداً حتى أن الأشر قال له ما أشد جرحك عليهم وقد أرادوا بك ما مرل

(١) الطبري، تاريخ ٤/٥٢٦.

(٢) ابن حبان، تاريخ ١/١٦٧.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ٢/٣٧٨.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية ٧/٢١٥.

(٥) ابن حبيب، أسماء الثقات، ٣٩.

(٦) الفلاكي، وقعة الجمل، ٤٧.

وهي معركة الجمل كانت الروابط القبلية أقوى من الأهواء الحزبية والسياسية فعندما قلّدت حبة منات القتلى أمام جمل عائشة تقدم بحير بن وبرة معسكر الجمل لإنقاذ قومه من العناء ، وكان بحير هنا في صفوف عائشة^(١)

وإذا أبررت الجمل انتصار علي ، ألا أنه لم يحد بإمكانه معاقبة قتلة عثمان ، والسبب في ذلك أنه خاف أن يعصد عليه جمده ، فيعاقروه ويتجهوا إلى معاوية^(٢) وقد رأى ذلك بألم عظيم ما حدث بطلحة والزبير عندما طالبا بقتل قتلة عثمان بالبصرة

لقد كان من الطبيعي أن يبدأ تمرد القبائل على علي ، وليس أدل على ذلك عندما قام انصاره بقتل طلحة والزبير فلم يجد أمامه إلا المسكوت^(٣)

لقد اختلف مجتمع البصرة عن مجتمع المسلمين الأوائل ، وهذا ما أدركه علي رضي الله عنه فعندما سأله رجل ما بال المسلمين احتلفوا عليك ولم يحتلفوا على أبي بكر وعمر ، أجابه لأن أبا بكر وعمر كانا ولبين على مثلي ، وأنا اليوم والي على مثلك يشير بذلك إلى موارع الدين^(٤)

لقد خللت بعض قبائل البصرة طلحة والزبير حصية لم تقتل منها ، وهذا هو تعود لأن ولي حضيرة علي خير أهل لا نسي من قتل من أفردها في وقعة الجمل ، وسرى أن البصرة ستكون أول لأمصار التي تحدث عليها هي صراعه مع معاوية

لقد كان علي في موضع حرج ، فإسلامه كان يمل عليه أن يعق الحق وأن يسير بالعدل وهذا ما لا ترضاه القبائل التي لا تسير إلا حسب ما يوافق مصالحها الذاتية ومطامعها الشخصية ، عندما عزل الأشعث بن قيس الكندي وكان من ولادة عثمان ، جمع الأشعث أصحابه وقال لهم أتعرفون أن سررت إليه يطالبني بالأموال وإن سررت إلى معاوية لم يطالبني شيء ، والحقا عذري معاوية أصليح ، فهاتوا ما عندكم من الرأي ،

(١) السعدي مروج الذهب ٢/٢٨١

(٢) الطبري تاريخ ٤/٥٢٧-٥٢١هـ

(٣) العهد والبيان ١٨٢

(٤) الأصفهاني الأتقي، ١٨/٣٢٢، الهيئة المصرية

(٥) ابن خلدون، المقدمة ٢١١

فقال له قومه وحشيرته اقوت حير لك من ذلك اتركك قومك ومصرك وعشيرتك وتكون ذباً لأهل الشام^(١).

دور القبائل في النزاع بين علي ومعاوية

١- هي هذين:

قدم معاوية بطعن دم عثمان استجابة لدعي التقاليد القبلية التي كانت تعرض على القبيلة أن تأخذ بثأر قتلاها وإلا تعرضت القبيلة لسب القبائل الأخرى.

لقد التحد معاوية من الرسالة التي بعثتها روجة عثمان (ثالثة الكلبية) سنداً وحجة للمطالبة بثأر عثمان. وقد كان لهذه الرسالة أثر في تحريك مشاعر أهل الشام الذين حلفوا إلا يد العلاء أن لا يمسا مسلماً حتى يقتلوا علياً أو تثنى أرواحهم، ومن هنا بايعوا معاوية على الطلب بدم عثمان^(٢).

وقد شجع معاوية على ذلك أن أهل الشام قوم فيهم خفلة وقلة لطة، إما أعرابي جاف وما مدني معقل، وازداد جرأ لما علم بخروج عائشة وطلحة والزبير^(٣) أما لرسالة فأرى أن الشك يحوم حولها للأمر التالية^(٤).

جاء في الرسالة 'ومصركم على العدو' فمن هو العدو المقصود بالرسالة هو علي؟ فإن كان كذلك فإن لا نجد مصرأ لني أمية إلا بعد اغتيال علي

ثم هي تستشهد بالآية الكريمة ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بعت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبيع حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾^(٥) فأين هما الطائفتان؟ فنحن لا نرى إلا ثواراً وهم قسنة عثمان، وهي تستشهد بالصالح ومقاتلة الفتنة الباغية،

(١) نصر بن مزاحم، وقعة صفين، ٢٦.

(٢) المصدر السابق، وقعة صفين، ٣٢.

(٣) مطهر بن مطهر نقسي، البدء والتاريخ ٥/ ٢٩ طبعة باريس ١٩٦٦.

(٤) انظر نص الرسالة، العهد الجديد ٤٨/٤-٤٩.

(٥) سورة المجادلة، الآية ٩.

فأين الصبح؟ وأين الفتنة الباغية؟ هذا مع العلم أن معاوية لم يتحرك للطلب بدم عثمان عندما كتب إليه طلحة والزبير بعد انتصارهم على حاكم بن جبلة ليقيم بقتل قتلة عثمان^(١).

وهي الرسالة نتجه نائلة إلى معاوية حتى يهض بأخذ ثار عثمان ، فلماذا لم تتوجه إلى الخليفة امتحج حتى يقتص من الفتنة ، ولماذا أختارت معاوية بالذات ودم تحتار طلحة والزبير وعائشة وهم قد خرجوا من المدينة لكي يطلبوا بثأره ، ثم كيف يسمح معاوية نفسه حتى يعاقب الفتلة والخليفة موجود ، والخليفة لم يعلن بأنه لا يريد الاقتصاص من الفتلة ، بل ترك ذلك للزمن وبعد أن يتمكن من إحكام سيطرته على الثوار . وهذا بن الزبير يقول إنه لا يصلح للطلاب بدم أن يحكم ، وتهمة انطالغ للذسي لا توجب عليه أن يخرج يطلب الحق عنه^(٢).

تذكر الرسالة أن علياً ومحمد بن أبي بكر وعمر بن ياسر وطلحة والزبير أمروا الثوار بقتل عثمان وفي نص آخر تقول : إن ابن الزبير أخذ على القوم ميثاقاً في صحيفة وبعث بها إلى عثمان وفيها أن لا يقربوه بسوء حتى يكلموه ويخرجوا . وفي هذا القوم تتأطر فكيف يأمر ابن الزبير بالقتل ؟ وكيف يأتي ليمسح الثوار من الاعتداء على حياة عثمان

أما تقرير نائلة بتصوير عملية القتل ، وبأن عثمان قد ضرب ثلاث ضربات على رأسه وطعنوه في صدره ثلاث طعنات ، وضربوه على مقدم الحيين فوق الأنف صرقة أمرعت في العظم وهذا الوصف هو تقرير الطب الشرعي^(٣) ، فهل وقعت نائلة تشاهد هذه الأمور كلها ؟

وتذكر الرسالة أيضاً أن الثوار قد حاولوا قطع رأس عثمان إلا أن نائلة واهبة شبيهة بين ربيعة حائلة دون ذلك ، فكيف استطاعت مع الثوار خاصة وأن نائلة قد أصبحت وقطعت بعض أصابع يدها ؟ ثم أن عادة قطع الرؤوس لم تكن مأثوفة عند العرب بعد وما يريد الشك في الرسالة أن معاوية لم يكن مخلصاً في الطلب ثأر عثمان بعد

(١) الطبري تاريخ ١٧٢/٤.

(٢) القواصم من القواصم ١٦٤.

(٣) بنير حميد ، من أمب الحركات الإسلامية ٢٢

أن صار الأمر إليه ، فهو لم يقتل من قتل عثمان أحداً إلا بحكم من قتل في حرب أو دس عليه بأمر وقد بقي من قتل عثمان إلى زمن الحجاج وهم يقتلون بالتهمة لا بالحقيقة^(١)

نما تقدم أرى أن معاوية قد اتخذ من هذه الرسالة ذريعة للمطالبة بدم عثمان ، وبعد أن قام معاوية بهذا الطلب أراد أن يكسب إلى جانبه كبار رجالات قريش ، فعندما خرج طلحة والزبير إلى البصرة بحث إليهما معاوية بأنه حتى استعداد لبيعة الزبير أولاً ثم من بعده طلحة وحتهما على الذهاب إلى العراق^(٢)

وبعث إلى عبيد الله بن عمر قائلًا : لست أريد الإمارة عليك ولكن أريدها لك^(٣) ، وأن أبيات لشورى بن المسيبي^(٤) وكتب إلى سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك^(٥) ولم يستطع معاوية أن يكسب إلى جانبه من كبار رجالات قريش ولا عمرو بن العاص الذي ابتعد عن علي لأنه يذلي بسيفته وهو لا يشركه في شيء من أموره^(٦) .

وكتب معاوية إلى أهل الحجاز يذكرهم بأمر عثمان وقال : أما بعد فإنه مهما عاب عتا من الأمور فمن يشب ع أن عيباً قتل عثمان ، والتدليل على ذلك مكان قتلته فيه ، وإنما يطلب بدمه حتى يذهبوا إليه قتلته فنقتلهم بكتاب الله ، فإن دفنهم علي إليا كفنا فيه ، وأما الخلافة فليست بطلب ، فأهينوا علي أمرنا هذا وأنهضوا من ناحيتكم ، فإن أهدينا وأبدبكم إذا اجتمعت على أمر واحد هاب علي ما هو عليه^(٧) .

وقد حاول معاوية ، أن يكسب حركته ثوباً شرعياً وأن يأخذ اعترافاً من علي بأن عثمان قتل مظلوماً ، إلا أن علياً قال : لا أقول قتل مظلوماً ولا أنه قتل ظالماً^(٨)

أما حجة علي على معاوية ، أنه من السابقين ، وقد يابعه أهل بدر ومعاوية لا سابقة له ، وهو حليف ابن طلحة ، لم يدخل في الذين إلا رهبة فلا ينبغي أن ليست له مثل

(١) الفهرست من الفهرست ، ١٦٥

(٢) مقدسي ، بدء التاريخ ٣٢١/٥

(٣) نصر بن مزاحم ، وقعة صفين ، ٧٢-٧١

(٤) ابن أبي شيبة ، التاريخ ١٨/٢

(٥) نصر السابق ١٨/٢

(٦) الطبري ، تاريخ ٥٦

(٧) نصر بن مزاحم ، وقعة صفين ٦٢-٦١

(٨) الطبري ، تاريخ ٨/٥

صوابتهم في الدين ولا لخصائلهم في الاسلام أن يارعهام الأمر الذي هم أهله وأولوه^(١)

لقد بدأ موقف علي بالتحسن بعد الجمل ، وما أن عاد علي إلى الكوفة حتى جاءه الأحف بن قيس وقال ' إنك سعداً لم تنصرك يوم الجمل فإنها تنصرك اليوم ' وذلك أنهم شكوا في طلحة والزبير ولم يشكوا في معاوية ، واستأذنه أن يكتب إلى عويمر البصرة^(٢) وقدم حارثة بن بدر التميمي وقال ' إن لنا في قوماً عدداً لا ينقض بهم عدواً أهدى من معاوية ولا يسد بهم ثغراً أشد من الشام^(٣) ' ولم يكن انضمام عويمر إلى علي مابعاً من شعور حقيقي بحقه ، إذ كان سببه التنازع القبلي ، فقد رأت عويمر أن ربيعة وقعت إلى جانب علي فأرادت أن يكون لها شأن في النزاع بين علي ومعاوية . وللمع ذلك من الرسالة التي بعثها الأحف إلى قبائل عويمر البصرة وفيها ' إنه لم يبق أحد من عويمر بالكوفة إلا وقد أحد برأي سيدهم غيركم ' وبين أيضاً أن عويمر الكوفة قد مسقوا عويمر البصرة بانضمامهم إلى علي وعليهم أن يهبوا لنصرة أمير المؤمنين الذي يحترم السير إلى الشام^(٤) . وهذا ورود كتاب الأحف سارعت عويمر البصرة بالتوجه إلى الكوفة لثلاث حقائق بجيش علي^(٥) .

وبعد معركة الجمل بدأت المفاوضات بين علي ومعاوية فأرسل علي جرير بن عبد الله الحنظلي إلى الشام ، وقد وقع عليه الاختيار لأن أكثر قبائل الشام هم من قومه وعشيرته وأهل بلاده^(٦) إلا أن جريراً اتهم من بعض العراقيين بأنه قد سأل إلى أهل الشام بماهتروا الأمر ولحق به ناس من قومه ولم يشهد صميم منهم غير تسعة عشر رجلاً^(٧) .

لما معاوية فبعد أن جاءه جرير لم يعطه جواباً وأبطأ عليه عدة أيام ، وكأنه أراد أن

(١) نصر بن مزاحم، وقعة صفين ١٥١

(٢) ابن اعثم، الفتوح ٢٧٢/٢

(٣) نصر بن مزاحم، وقعة صفين ٢٥ .

(٤) ابن اعثم، الفتوح ٢٧٢/٢

(٥) ابن اعثم، الفتوح ٢٧٢/٢

(٦) ابن اعثم، الفتوح ١٢٢/٢

(٧) نصر بن مزاحم، وقعة صفين ٦٠ .

يحسب أهل الشام من سيقفون إلى جانبهم أم لا، ومن هنا قال جرير وما أبطأني عيثك إلا انتظاري لرجل من أهل الشام، لأنه سيد من ساداتهم وهو لا يريد أن يقطع الأمر دونه وهذا السيد هو شرحبيل بن السمط الكندي^(١).

وقد ذكر معاوية اسم شرحبيل أمم جرير لأنه سيد من سادات قومه، وهو عدو جرير، وحتى يمضي معاوية في ثبوت حجة بأن علياً قتل عثمان طلب من مجلسه الاستشارة، فذا قدم شرحبيل أن يشهدوا أممه بذلك

وعندما قدم شرحبيل إلى دمشق قال له: لستأ نشئ في علي إنه خير فصل لولا أنه قتل عثمان، وقد حبست نفسي عليك لأنت رجل من سادات كندة، وأنا واحد مكم أرضي بما ترضون وأكره أن تكرهون فهات ما عندك، فطلب شرحبيل اثنين من المشهود حتى يشهدوا بأن علياً قتل عثمان وحسب الحلقة المرسومة شهد اليهود، واقنع شرحبيل بالأمر وجاء إلى معاوية فقل له: والله لئن يأمته سحر جنتك من الشام فاردد الرجل إلى صيدحه^(٢).

ولم يكن تكريم معاوية لشرحبيل هو من باب الشافس الرئاسي مع جرير فحسب، بل من وراء ذلك استمالة أهل حمص حيث غالبيتهم من القبائل اليمنية من كندة وعليه وحمير وهمدان بالإضافة إلى كلب. وقد تم لمعاوية ما أراد فقد قام شرحبيل يداي في مدنى الشام بأن علياً قتل عثمان، وعلى اسمين العلب يدهم^(٣) ولهم المفري الشاعر السجشي فقال

لشرحبيل ما للدين فارتقت أصمتا ولكن ليهبط الفلجى جرير^(٤)

ولم يتفكر معاوية في محاولاته على استمالة رؤساء الشام، بل امتدت أنظاره إلى رؤساء العراق، فعندما اعتزل جرير بن عبد الله صفوف علي، بعث إليه معاوية يستميله إلى جانبه إلا أن جريراً لم يقبل ذلك^(٥)

(١) ابن هشام، الفتح ٢/٣٩٤-٣٩٥.

(٢) ابن هشام، الفتح ١/٢.

(٣) نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ٥٠.

(٤) ابن حجر العسقلاني، الإصابة ٢/١٤٤.

(٥) لجرير، تاريخ ٤/٦٦٢.

وحاول معاوية أن يستعمل ربيعة فبعث إلى زياد بن خصصة قائلاً:

يا أبا ربيعة أن عينا قطع أرحاماً ، وأرى قتلة صاحبت ، وإني أصألك النصر عليه بأسرتك وعشيرتك . ووعده أن يرليه أحد المصريين (١) ظهر^(١) ، ولما رفضت ربيعة طلبه حلف بأن يسيبهم ويبيع ذرائعهم^(٢) .

نقد أخذ علي ومعاوية يتسابقان في استعمال القبائل ، وأن وجدار رفضا منها يهدداتها بمعاوية تدمر من قبيلة خزاعة وقد لوقدت نساء حراة أن تقالني لفعلت^(٣)

وعلي قال لباهله . أشهد الله أنكم تبغضوني وأبغضكم ، فاحملوا عطاءكم وخرجوا إلى الديلم بعد أن كرهوا الخروج إلى صعيد^(٤) . وعندما أثرت تعلب معاوية علي حلف علي كتب حلف معاوية في ربيعة^(٥) . ووافق التنازل القسلي عصبية للأمبر فعدما انحاز مصقلة بن هبيرة إلى جانب معاوية كتبت إليه بكر بن وائل : لعمري ما استبدلت الشام بالعراق ، ولا السكاكث بربيعة ، ولا معاوية بعلي ، ولا أصبت دنيا ثمتها بها ، ولا حقاً لحسد عليه ، وإن أقرب ما تكون مع الله أبعد ما تكون مع معاوية ، فارجع إلى مصر^(٦) .

وكتب سعيد بن ليس الهمداني إلى شرحبيل بن السمط يقول له : أن أهدك من أرض اليس ، غير أنك هاجرت إلى الكوفة ، وانتقلت إلى الشام ، فكنت بها ما شاء الله حتى إذا قتل عثمان وبيع الناس علياً عبياً لك معاوية رجلاً لا يعرفون الخلاص ولا يكرون لخرام فاعتدعوك وشهدوه فك أن علياً قتل عثمان .

فرد عليه شرحبيل : إني هاجرت إلى الكوفة وانتقلت إلى الشام ولعمري ما انعراق لي بذار ولا الشام لي بعار ، وإنما أنا رجل من اليمن^(٧) . ويهذا يرى أن عصبية

(١) ابن الأثير الكامل ١١٨/٣ .

(٢) ابن حجر العسقلاني الإصابة ٤٦٠ / ١ .

(٣) ابن عبد البر ، الإصابة ٢١٩/٢ بهامش الإصابة .

(٤) نصر بن مزاحم ، وفاة صفى ١١٦ .

(٥) مصدر السابق ١٥ .

(٦) ابن أحم ، الفتح ١١ / ٢ .

(٧) النجدي ، الأشعر لطول ١٦ مبع الملائكة ١٣٧/١ .

شرحبيّن لبيمن كانت أقوى من عصبية للشام وعصبية للشام جعلته يقتل أهل العراق وهذا يدل على احتلال العصبية .

ويعد أن أمن معاوية جبهة الشام استعد لاتخاذ خطوة فعّالة في مهاجمة علي إلا أنه خشي أمرين

الأول تهديد الروم : استطاع معاوية أن يردع الروم ويحث لفيفهم بالهدايا^(١) الثاني مصر : لقد استطاع قيس بن سعد أن يشت أقمعه في مصر وخدمته ،لعصبية القبطية في ذلك ، فعندما استعد مسلمة بن محمد الأنصاري لمحاكمة قيس بعث إليه قيس ويحك أعلي كتب ، فوافقه ما أحب أن في منك الشام إلى مصر وإنني لتنتك . فبعث إليه مسلمة إنني كاف عنك ما دمت أنت والي مصر^(٢) .

ويعد أن أمن قيس جانب مسلمة عين على شرطته رجلاً من بني كندة هو السائب بن هشام لأن رئيس الفئة المحاربة في مصر كان من بني كندة وهو يزيد بن الحارث ، ومن هنا بعث يزيد إلى قيس . أنا لا فائلك فبعت عمالك فالأرض أرضك ولكن أقرن علي حاننا حتى سفر إلى ما يصير أمرنا . فبعث إليهم قيس أعطيتهم وأحسن إليهم^(٣) .

وهذا الهدوء في مصر أذن بال معاوية فأخذ يبحث عن السبل التي يتمكن بها من إزالة القلاقل هناك ، خوفاً من أن يقبل قيس في أهل مصر ، وعلي في أهل العراق محاول معاوية أولاً استمالة قيس سعيًا ومرعياً له بالوعود والأغراءات ، ومنها وعده بسلطان العراق ولن أحب من أهل بيته سلطان ، الحجار^(٤) إلا أن قيساً لم يجب معاوية بشيء ، فأنار ذلك شكوك معاوية ، فلجأ إلى المكيدة ، أشع أن قيساً أصبح من شيعه معاوية . فبعث حين علي إليه بذلك .

وذا وصلت الأنباء إلى علي كتب إلى قيس بأمره بقتال أهل حرينا وكان بها عشرة آلاف فارس ، حير أن قيساً لم يفسح لأن وجوه مصر وأشرالهم وأهل الحطاط قد رفضوا منه وقال لعلي قد عذمت أن هو أهم مع معاوية ففست مكائدهم بأمر أهود من الذي

(١) الديوري الأخبار طوال ١٦٠ ، موج جلد ١ / ١٣٧

(٢) الطبري- تاريخ ٥ / ٥٥

(٣) الكندي ، بلاء ٢٠

(٤) الطبري ، تاريخ ٥ / ٥٧٠

أفعل بهم وهم سود العرب منهم سر بن أبي أرطاة، ومسلمه بن مخلد، ومعاوية بن حديج، فأبى عليه علي، إلا قتالهم، فمات قيس إليه إن كنت تنهني لما عزلي وأبعث غيري^(١).

ولما رأى رؤساء العراق ذلك أخذوا يقولون "بذل قيس وغيره" وعبثاً حاول علي إقناعهم فأجبروه على عزله وكتب إليه "إني قد احتجت إلى قريب فاستحلف علي عمك واقدم. علما قرأ قيس الكتاب قد: هذا مكر معاوية، وبولا الكذب لكذبت بمعاوية مكرأ يدحس عليه بيته"^(٢)

لقد طس أهل العراق أن قيساً لم يحارب أهل حربة عصبية لمسلمة بن مخلد، فكان عزله سبباً لاصباح مصر فيما بعد.

وعندما عزل قيس نفس معاوية الصمداء، وتم تعيين محمد بن أبي بكر وكان شاباً حدث السن لا يتجاوز السادسة والعشرين من عمره، لم تحكه الأهم فأخذ بالمصريين يستحقون به، ثم هو من ملتهم بقتل عثمان. كما أنه لم ينقذ برأي قيس له. إن أردت أن تبقى مصر فاعمل فيها عملي. فقدم علي انصار بمقدرة أهل مصر فاجتمع عليه اثنا عشر ألفاً^(٣).

ولما أس معاوية بجانب مصر عزم على التوجه إلى العراق لمواجهة علي هناك، وبعث إلى علي "إن أهل الشام أبو ولا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإن دفعتم كانت شوري بين المسلمين"^(٤) ولم يقف معاوية عند هذا الحد، بل تجاوز مبدأ قرره المهاجرون وأهل السبقة وهو أن اختيار الخليفة مقصور على السابقين في الإسلام، وقال "لقد كان أهل الحجاز هم الحكماء على الناس حين صار لحق فيهم فلما تركوه صار أهل الشام هم الحكماء على أهل الحجاز وغيرهم من الناس. ولعمري ما حجتك علي كحجتك علي طلحة والزبير، ولا حجتك على أهل الشام كحجتك علي أهل البصرة ولأن طلحة والزبير قد كان يابعك ولم أيعاك، وباعتك أهل البصرة، ولم يابعك أهل الشام. وأما فضلك في الإسلام وقرابتك من الرسول وموصلك من بني هاشم فليست أدفعه

(١) الكشي، الروايات ٢٦.

(٢) المصدر السابق ٢٢.

(٣) ابن مغازي العسكري، لأوائل ٢٢٢.

(٤) ابن تقييعة الامانة والسياسة ٩١/٦.

ورد عليه علي . أما ما رجعت أن أهل الشام هم الحكام على أهل الحجاز ، فهات رجلين من قريش الشام يقبل في الشورى أو تحمل لهما الخلافه فإن رجعت كذبك لهما جرون والأبصار وإلا فأنا أتيت بهم من قريش ، الحجاز^(١) .

لقد تحرك معدوية بعد أن جميع كافة قبائل الشام إلى جانبها ، فهو رجل من الشام يحارب إذا حاربوا ويصادق إذا صادقوا ، معتمداً على جهة اعلمت أنها ستقاتل بين يديه وثموت تحت ركابه^(٢) .

واستعمل معدوية حصية الشام كما استغل القبائل فعندما استعد للقتال حط في أهل الشام وقال : لقد حرج علي بجيشه فاصداً بلادكم وفاركم لإبادتكم يا أهل الشام ، الله الله في عثمان ، فأنا ولي عثمان وأحق بدمه^(٣) .

هذا القول حرك مشاعر أهل الشام فقام شرحبيل بن أمية الكندي حطياً وقال : اعلموا ، أن علياً قتل عثمان وغرق الجماعة وأوقع بأهل البصرة وقعة لها ما بعدها ، وقد هزم علي أن يحوض إليكم غمر غوت حتى يأتبكم فيرون بكم ما أنزل بعيركم^(٤) .

ورقب مالك بن عبيرة الكندي وقال : لقد علمت العرب أنها حي فمال ، ولست بحي مقال ، وإنما تأتي بعظيم فعالنا على قنيل مقالنا فابعد يديك أبابك عن ما أحببنا وكرهنا^(٥) .

وقال حوشب ذو ظليم الأمر لك ولن شئت بعدك^(٦) . وعندما غضب من معاوية قال : والله ما إياك تنصر ولا لك تعصب ، ولا هناك نحامي ، ما تنصر إلا الله ولا تغضب إلا للحقيقة ، ولا نحامي ولا عن الشام^(٧) .

(١) ابن عثم ، الفتوح ٤/١٣٧ .

(٢) نصر بن مزاحم ، وقعة صفين ٤٧ بين أئمة الفتوح ٤/١٧٠ .

(٣) نصر بن مزاحم ، وقعة صفين ، ١٢٧ .

(٤) ابن أئمة ، الفتوح ٢/١٠٧ .

(٥) نصر بن مزاحم ، وقعة صفين ، ٩٠ .

(٦) ابن عثم ، الفتوح ٢/١٣٧ .

(٧) ابن قتية ، الإمامة وسياسة ٩٢ .

وهكذا أحدثت القبائل تصابيح في إعلان ولائها معاوية وزاد من هذا ثلواء أن معاوية صور حربه مع علي هي حرب الشام ضد العراق ومن هنا أخذ يبحث رجالا للشام على قتال العراق وقال يا أهل الشام، إنكم قد صرتم لتتمنعوا الشام وتأخذوا العراق، ولعمري ما لشام رجال العراق وأموالها، ولا لأهل العراق بصر أهل الشام ولا بصائرهم، مع أن القوم بينهم غيرهم مثلهم، وليس بعدكم غيركم، فإنا علموهم فلم تعلموا ولا من قد أناكم، وإن ظنواكم عاقبوا من بعدكم، والقوم لا قوكم بصائر أهل الشام، ورفق أهل اليمن، وتسوة أهل مصر، وكيد أهل العراق، وإنما يبصر بلد من أبصر اليوم، فاستمعوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين^(١).

وبهذه الرسائل استنصع معاوية أن يجمع جيشاً مؤثلاً يأتمر بأمره، أما علي فقد كان مركزه حرجاً في العراق، فالتقاليد القبلية كانت في عصبه، إضافة إلى ما صاحبها من انجذبات وحزبات قوية، فالكوفة قبلية في كل شيء فكرة الدولة والتقاليد الحضرية^(٢). وهناك أهل عبسرة، لموتورون من معركة «جمل»، أما فريش فهي على خلافه وجيهور الخلق مع بني أمية^(٣).

لقد أقدمت بعض قبائل العراق على انشقاق وهي كدرة فبالأشعث بن قيس التكندي يقول: «والله إني كنت لكأراها قتال أهل الصلاة ولكن معي من هو أقدم مني في الاسلام وأعلم بكتاب الله والسنة»^(٤).

ولما كانت القبائل لا تأتمر إلا بأمر سادتها، قرر علي أن يجمع هؤلاء الرؤساء والتباحث معهم بأمر معاوية، فأشاروا عليه أن يبحث إليه رجلاً يدعو للبيعة^(٥). فأرسل جريراً كما رأيته، ولما فشل جرير في مسعاه تقسمت قبائل العراقيين مرحب وكاره، وكانت القبائل المتحجسة هي غنيم وكأنها أرادت أن تعرض عما فاتها في معركة «جمل» فقدم الأحبب وقال: «والله لحرجن معك على العسر واليسر والسراء والذكر»^(٦).

(١) المصدر السابق: ٩٢.

(٢) نفوذ عقيدة في تاريخ صدر الإسلام ٥٩.

(٣) نهج البلاغة: ١/٨٨٩.

(٤) نهج البلاغة: ١/٤٢٥.

(٥) المستوفى مروج الذهب ٣/٢٨٧.

(٦) نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ١٦٦.

ومن ربيعة قام خالد بن الحمر السلسوسي وقال ، سمعنا وأطع فمتى استغفرتا نغفر
ومتى دهرتا أجبنا ، وقال عمرو بن مرحوم العنزي من عبد القيس متى أردتنا صحت
خبلنا ورجلنا^(١)

أما الأصوات الكاره فعنها ما قتله رجل من فراره يسمى أريد : أتريد أن تسير بنا
إلى نحونا من أهل الشام فقتلهم كما سرت بنا إلى نحونا من أهل البصرة فقتلناهم
كلأها الله هذا لا يفعل^(٢) وكان مصير أريد القتل تحت أرجل القبايل اليمنية

وأصبح الاعتقاد أن كل خدرج على جيش العراق سيكون مصيره مصير أريد فهذا
شاهر من الجيم يقول :

أصيد بهي أن تكون ههنا كسما مات في صوق البرادين أريد

تصاره همدان خصف لصلاتهم [أ] يا سبعت منه يد ولـ سبعت يد^(٣)

وقام رجل من عيس أبشاً يصبح عبداً بعدم قتال أهل الشام لأنه لا يدري لمن
ستكون الغلبة عند اللقاء^(٤).

وانقسمت قبيلة طيء بين مؤيد ومعارض فعدي بن حاتم حث قومه على الخروج
أما زيد بن حصين الطائي فقال : لا يصلح لنا النية في قتالهم حتي تستدعيهم
ونستأبهم . فرد عليه رجل من طيء يا زيد ألكلام سيدنا عدي تهجن^(٥)

وكما استعن معاوية بمعصية ، الأقليمية فقد استعملها عبي أيضاً فعندما حيا الناس
قال لهم إن معاوية بأيمه أهل الشام وليس له غيرهم ولي ولا نصير ، وإنيكم أهل
الحجاز وأهل العراق ، وأهل اليمن ، وأهل مصر وقد رعم معاوية أن أهل الشام
أهل صبر ونصر ونعمري لأنتم أولى بذلك منهم ، لأنكم المهاجرون والأنصار والتابعون
بإحسان وإثما الصبر اليوم والنصر هذا^(٦).

(١) المصدر السابق، ١٦٨ ، ١٦٨

(٢) نصر بن مزاحم، وقعة صفج، ٩٤

(٣) التنبير، الأخبار السوء، ١٦٦

(٤) نصر بن مزاحم، وقعة صفج، ٩٥-٩٦

(٥) المصدر السابق، ص ٩٨-١٠٠

(٦) ابن كثير، الإمامة والسياسة ٩٢

وقال في موضع آخر يحرّض أهل العراق: أن غلبوكم فلاحجور ولا عراق^(١).

وبعد الاستعدادات خرج علي في مائة ألف وقيل في تسعين ألف ومعاوية في سبعين ألف والتفوا في صيفي في صفر سنة ٦٣٧هـ^(٢) ٦٥٧م.

لقد اعتمد علي في تشكيلته الحزبية على أحماص البصرة، وأسباع الكوفة فصمت أحماص البصرة قبائل بكر وعبدالقيس والأزد وحميم ومعها ضبة والرباب وأهل العالية وهم من قبائل الحجاز التي سكنت البصرة.

أما أسباع الكوفة فقد ضمت قيس وعبد النقيس، ولخيش وكثنة وحميم وضبة والرباب والأزد وحميم وحشعم والأنصار وخراعة وكندة، وحضر موت وقضاة ومهرة، وملحج ويعيلة والأشعرين، وعمدات وحمير وعلي^(٣).

أما معاوية فقد نظم جيشه حسب الأجناد وجعل على أهل كل مدينة رجلاً فكانت مليعة مكونة من أهل حمص وقسرين (مدينتي قيسية) والميسرة أهل الأردن وفلسطين (خليج من القيسية واليمانية).

وكانت أهم القبائل معه قيس دمشق وقضاة مصر وكندة دمشق وحمص وقضاة الأردن وكثنة فلسطين وملحج الأردن وخدام فلسطين ولحماها وعمدات الأردن وخثعمها وخسان الأردن^(٤).

وبعد أن وصل معاوية إلى صعبين استولى جيشه على شريعة أمه وهنا ظهرت الحمية القبطية، فتدافست كتلة والصح أيهما سيحلي أهل الشام عن الشريعة، فقام الأشعث وقال: لصاحبه ريشه. وإلك ما النفع بحير من كندة ولا الاشتر بحير سي وكان هذا التنافس سبباً في بصرة أهل العراق حتى أن علياً قال هذا يوم نصرنا فيه بالحمية^(٥).

ومع أن القبائل العراقية اندفعت لتقاتل بحماس، إلا أن الانقسامات ظهرت حتى

(١) ابن خلدون، المجلد ٢/٤٢٢.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ١٧٥-١٧٦.

(٣) مصر بن مزاحم، وقعة صفين ١١٧-١١٨.

(٤) ابن خلدون، تاريخ ١٧٦-١٧٧.

(٥) ابن خلدون، المجلد ٢/٩-٨.

بين القبيصة لواحدة، وسبب ذلك التنافس بين العلويين على الرئاسة والزعامات

فشفيق بن مجرة من ثور تنازع مع حاتم بن المعمر على رئاسة سدوس فاضطر
علي أن يصيرها إلى الحسين بن المنذر فرضي كل واحد منهما بذلك خوفاً أن يصيرها
علي إلى حصصه فسكنت بكر بن وائل^(١).

وتنافس حاتم بن قيس الطائي وعدي بن حاتم على زعامات بني ه. فقال علي:
عدي أحقكم بالرئاسة. فضجعت بنو الحمر رهط حاتم فقال علي: إني أود رؤسكم قبل
اليوم، ولا أرى قومه كلهم إلا مسلمين له غيركم فاتبع في ذلك الكثير^(٢).

ولا أن أشد الانقسامات بسبب الرئاسة يروى عندما عزل علي الأشعث بن قيس
الكندي عن رئاسة كنده وبيعة وصيرها إلى حسان بن محدوح فقام ناس من اليمن منهم
الأشتر بن يحيى وعدي بن حاتم وهاني بن عروة وقالوا: لعلي، إن رئاسة الأشعث لا
تصلح إلا لثنته، وما حسان بن محدوح مثل الأشعث. فعضيت ربيعة فقام حربث بن
جابر وقال: يا هؤلاء رجل برجل وليس بصاحباً هجر في شرفه وبجده ويأمنه ولست
بدفع فضل صاحبكم وشرفه^(٣). وجاءت البيهقي بعد ذلك إلى سعيد بن قيس النهمدي
ليتوسط لدى علي لإعادة الأشعث، إلا أن سعيداً لم يحبهم إلى ذلك وقال: ما رأيت
قوماً أبعد رأياً منكم، أرأيتم إن عصيتكم علي هل نكم إلى عدو، وسيلته؟ وهل في معاوية
عوض منه؟ أو هل لكم بالشهم من بدله بالعراق؟ أو نجد ربيعة ناصراً من مضرب؟ ألقول ما
قال وبأري ما صبح.

ورد عليهم حربث أيضاً وقال: يا هؤلاء لا تجرعوا قومه إن كان الأشعث ملكاً في
الجاهلية وسيداً في الإسلام، فمن صاحبنا أهل هذه الرئاسة، وما هو أفضل منها

ولما رأى حسان ذلك أحذرت ربيعة وكندة وقدمها للأشعث، فقال الأشعث معاذ
لله لا يكون هذا أبداً ما كان لك فهو لي وما كان لي فهو لك^(٤).

ولما سمع معاوية بذلك دعا المشاعر كعب بن جميل وطلب منه أن يبعث شعراً إلى

(١) الجاهلية البيان والفتن ١٠٨/٢

(٢) الطبري تاريخ ٩/٥

(٣) نصر بن مزاحم وثيقة صلح ١٣٧، ابن عظم، الفتوح ١٠٥/٢.

(٤) نصر بن مزاحم، وثيقة صلح ١٣٨-١٣٩

الأشعث يهجه علي علي لعله يمازقه ويقدم عليه ، وشارك كعب في حبك التعميلة
لرسالة مالك بن هيرة الكندي ومنها^(١).

من يصبح إليهم مملوجاً بأمره	فكأنه يهجم إلي غيهر مملوج
أن ترضى كعدة حسنان يصاحبها	واستجمع الكمر حسنان بن مملوج
يا لفرجال تعذر ليس بالعساة	مساء الفرات وكرب شجر مملوج
أن ترضى كعدة حسنان يصاحبها	ترضى المنايا وطعنان بالهوج

وقد كان لهذا الشعر وقع كبير على مشاعر الجاهلية فقدم شرح بن هانئ
المذحجي وقال: يا معشر اليمن إن معاوية يريد أن يفرق بينكم وبين أحوالكم من ربيعة
وهم لم يرضوا حلماؤكم في اجاهلية واخوانكم في الاسلام فلا تلتفتوا إلى تحريض
معاوية^(٢).

ولا سمح حسنان بن مملوج هذا الشعر جاء برأيه مرة ثانية ، وركزه سار
الأشعث ، إلا أن الأشعث قد . أن هذه الرأية عظمت على علي ، وهو والله أحف عني
من ربه ، نعم ومعاذ الله ان يغيرني ذلك لكم . وقد أيضاً: أن يكن أولها شرف فإياه
ليس آخرها يماز . ولم يرض الأشعث إلا بعد أن عينه علي عليه ميخته^(٣)

وهكذا نجد أن جيش العراق وإن كان يظهر موحداً إلا أن الانقسامات كانت تفرقه
بعكس جيش الشام الذي نظم حسب أوامر فائدة معاوية

وقبل نشوب القتال رتب الفريقان جيوشهما إحدى عشر صفاً كل صف بظاهر
الصف الذي أمامه^(٤) . ثم قام علي وعياً قائله على النحر التالي . أزد العراق لأزد
الشام ونعمم العراق لحثعم الشام وربيعه لخمير حيث لا ربيعة في الشام وكعدة العراق -
للسكون ونسكككك ، ومذحج لكك ، وهمدان - لأزد وبيجة وجم لهوران وعطفان
وصليم وبيجة للخم^(٥).

(١) صدر بن مزاحم. وقعة صفين ١٢٩، ابن أبي عمير، الفتح ١٠٦/٣

(٢) ابن أبي عمير، الفتح ١٠٦/٣.

(٣) نصر بن مزاحم، وقعة صفين ١٢٩ - ١١٠.

(٤) المصدر السابق ٢١٤.

(٥) المصدر السابق ٢٢٩.

وهكذا كان التخطيط الحربي أن تقاتل كل قبيلة إختها من أهل الشام، إلا أن تكون قبيلة ليس معها بالشام أحد فتصرف إلى قبيلة أخرى تكون بالشام وليس معها بالعرف كريمة التي صرفت حمير^(١).

وهذا التنظيم يقضي بأن تلم القبيلة قبايل أختها فمضر لا يقاتلها إلا مضر، والأرد لا يقاتل إلا الأزدي، وهي ظهيرة تدعو للوحدة وتبذل للوحدة الأولى وكانها مناقصة للعصبية القبلية، على أنها في واقع الأمر من التدابير التي لجأ إليها القوم ليحلولة دون تأثر المقاتلين بنوازع العصبية والرحم، فبالقبيلة ذكره أن ترى أختها يقتلون بأيد عربية فكانت تؤثر أن تتولى هي قتالهم^(٢).

ومما يزيد ذلك أن قبيلة حمير لما وفقت بإزائه ربيعة أظهر ذو الكلاع استيائه لأنه لم ير ربيعة كفواً مقومه^(٣).

وبالرغم من قتال إحقوة الدم، إلا أن معركة صفين، أثبتت أن الروابط القبلية كانت أقوى من الأمواء السياسية والنوازع الحزبية. فزياد بن العيص لم يرحل يارأغا لأنه من عقيل علما تعارفا انصرف كل واحد منهما عن صاحبه وترجم الناس^(٤).

ولما قتل عويم بن هسيب السجلي وكان على راية بجيلة جاء ابن عمه عويم بن الحارث إلى معاوية وطلب أن يثبته. فرفض معاوية في بادئ الأمر لقال أنسجي لتأذي في دمه أولاً حقن بهم ولأدهك فوافق معاوية بعد ذلك^(٥).

كما ظهر تدمير القبائل من القتل وقد جاء ذلك على لسان عدة رؤساء بهذا المعنى من سليم الأزد يقول عندما دبت الأزد للأرد: إن من الخطأ الجدول والبلاء العظيم، أنا صرنا إلى قومنا وصرهوا إلينا، وإنه ما هي إلا أيبنا بقطعها بأيديها وما هي إلا أجبحتنا بحددها بأسيافتنا^(٦).

(١) الطبري، تاريخ ١٤/٥.

(٢) الحسن ابن، العصبية القبلية ١٩٢.

(٣) نصر بن مزاحم، وقعة صفين ٢٥٥.

(٤) الطبري، تاريخ ١٢/٥.

(٥) نصر بن مزاحم، وقعة صفين ٢٩٥، الطبري، تاريخ ٢٦/٥.

(٦) نصر بن مزاحم، وقعة صفين ٢٦٢.

وعندما خرج عبدالله بن الحبيب الأودي مع عمار بن ياسر في القراء كان مخففة. نحن أخرج إليك من عمار^(١)

وكتب عبدالله بن حش الحشمي رأس حشم إلى حشم العراق أن لو شئتم لتوافقنا فدم يقتل فإن ظهر صاحبكم كما معكم، وأن ظهر صاحبنا كنتم معنا ولم يقتل بعضنا بعضاً لكن حشم العراق رفضت هذا العرض. ولما التفتوا في القتال قال رأس الشام لقومه قد عرضنا على قومنا من أهل العراق المراجعة صلة لأرحامهم وحفظاً لحقهم فأبوا إلا قتالاً، فمد يداؤنا بالقطيعة، فكفروا أيديكم عنهم حفظاً لحقهم أبداً ما كفوا، عنكم فإذا قاتلوكم فقاتلوهم^(٢).

وبدأ شب القتال كان رأس العراق يقول لأتباعه جلدوا^(٣)، ورأس الشام يقول الكل قوماً عديداً، وعندما قتل رأس حشم، لعراق قدم قاتله يكي ويقول، ورحمت الله يا أبا كعب لقد قتلتك في طاعة قوم أنت أمسي بي رحماً معهم، وأحب إلي نفسك معهم، ولكن وأتله ما أدري ما أقول ولا أرى الشيطان إلا قد قتلنا ولا أرى قريشاً إلا قد لعبت بنا^(٤).

وأوصى القريش لم تظهر في حشم وحدها، بل اعتدت إلى قريش وعندما سأل هاشم بن عبد شمس بن أبي وقاص عن جند معاوية قبل له من أهل المدينة وقريش فقال قومي لا حاجة لي في قتالهم^(٥)

ولشدة هول المعركة وكثرة القتلى ظهرت الأصوات تبادي يشرى قريش تصفي حسابها مع نفسها، فالصباح بن ابرهة الحميري قال. ويحكم يا معاشر أهل اليمن، وأتله ونبي لا أظن أن الله عز وجل قد هم بقتالكم، ويحكم حنواً من هذين ابن جليل، فأبهما قتل صاحبنا معنا معه جميعاً وكان الصباح مع معاوية^(٦) وقال رجل من ربيعة

(١) المصدر السابق ٢٦٧.

(٢) المصدر السابق، ٢٥٧.

(٣) جذور، ضربوا موضع القمة وفي الطائفة.

(٤) نصر بن مرقط، وقعة صفين ٢٥٧ ونشر ٢٦٨، ٢٧٠ لأخبار الطول ١٨٢ مروج الذهب ٢/ ٢٩٥.

(٥) نصر بن مرقط، وقعة صفين ٢٧٢.

(٦) مجهول، تاريخ الخلفاء، ٨٢.

خالد بن المعمر السدوسي . صاع وثله أمر ربيعة حين جعلت إليك أمورها ، تأمرنا إلا
مروا ولا تحول حتى نقتل أنفسنا ونسفك دماءنا ألا ترى أناس فقد انصرف جثثهم^(١)

ولم تظهر القبائل العربية التذمر حسبت ، بل امتد ذلك إلى قريش فبعد أن رحمن
بن خالد بن الوليد يقول . ما لنا ولعثم بن عبد لا يزال دمه يبغي حتى لا يبقى منا
أحد^(٢) . غير أن موجة التذمر هذه ما كانت لتوقف معاوية عن محاولاته لكسب
الخصوم وتخريق جيش علي ، فقد بعث إلى الحسن كي يحلج أباه ويتولى الأمر بعده^(٣) .
وذا أجهزته هذه أخيله بعث إلى عبد الله بن عباس يقول له . «يقوا على قريش واتقوا الله
وبكم فلما بقي من قريش ستة رجال أثنان بالشام أنا وصمرو بن العاص وأثنان بالمعراق
علي وابن عباس وأثنان بالحجاز محمد بن أبي وقص وعبد الله بن عمر ، ومن هؤلاء
الستة رجلان ماصبان لك ولأبن عمك ، ورجلان واقفان عليكم سعد وابن عمر ، وأنت
رأس هذا اجمع بعد ابن عمك ولو بايع الناس لك بعد عثمان لكنا إلى طاعتك أسرع من
إلى علي^(٤) .

وحاول معاوية أن يستميل قبيلة ربيعة إلى جانبه فبعث إليهم عمرو بن العاص^(٥)

وبعث أيضاً إلى أبي الأيوب الأنصاري ، إلا أن معاوية فشل في مسعاه^(٦)

لقد أعددت معركة صفين شعارات الجاهلية من جديد . لما أشعث بعث قوم
ويادي يا محشر كتلة انظروا أن لا تفضحوني اليوم ولا تحزوني غزاي أفتابع بكم أم
الشام^(٧)

كما برز القتال على الأحساب في معركة صفين كما كان في العصر الجاهلي ،
فأفضل أيام القتال عند الوليد بن عتبة حين قاتلت الرجال على الأحساب^(٨)

(١) الطبري، تاريخ ٣٨/٥ .

(٢) ابن أثير، الفتوح ١٦٤/٣ .

(٣) المصدر السابق ٥٧-٥٦/٢ .

(٤) المصدر السابق، ٢٥٥/٢ .

(٥) المصدر السابق، ٢٢ / ٢ .

(٦) نصر بن مزاحم، وقعة صفين، ٢٦٦ .

(٧) ابن أثير، الفتوح ١٦/٢ .

(٨) نصر بن مزاحم، وقعة صفين ٢٧٨ .

ولما شارعت غميم على الهزيمة ناداه مالك الهشلي أنفراً وأهتداراً، ثم نادى بالأحساب فجعل يكررها حتى خالت له غميم أننادي ببدء الحنابلة، وأن ذا لا يحول، فأجابهم أنفراً ويلكم أتبع إن لم تقانون، عسى الدين واليقين فقاتلوا، على الأحساب^(١).

ونادى حمزة بن مالك الهمداني عني طيء يا معشر طيء فدى لكم طارفي وتالدي؟ فقاتلوا على الأحساب^(٢).

ورأى القتال على الأحساب تشجيع وتخريف الرؤساء خوفاً من عار القبائل الأخرى فخالده أسدوسي بقول لربيعة: "يياكم أن يتشاهم بكم العرب والمسلمون اليوم"^(٣).

مقتن صاحب الشأن يستدعي الأخذ بشاره فعندما قتل عبيدالله بن عمر جاءه ت قبائل الشام أمام معاوية بثمانين علماً وكل علم في يد رئيس حتى يأخذوا بشار عبيد الله^(٤).

هذا إلى أن القبائل كانت تقاتل متساندة، فلفظيلة رابتها، وأها قائله وهي تقاتل متفردة فكتفة في يوم وهمدان في آخر^(٥). وهذا التساند كان يعمق جذور العصبية لا سيما إذا رأينا أن الأمر في الحرب كان بيد رؤساء القبائل حتى أنهم كانوا يقولون لساداتهم أن رهبتهم شيئاً ورهباء، وإن كرهتم شيئاً كرهناه^(٦).

وقد كادت العصبية القبلية أن تفرق الجيشين ولا أنها في الشام كانت أخف منها في العراق

ظهر احتجاج مائة الشام عني معاوية بأنه يحصر قريشاً وحدها بالرايات، فقام رجل منهم بين يدي معاوية وقال:

(١) المصدر السابق، ٢٦٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الطبري، تاريخ ٢٥/٥.

(٤) ابن ابي الفتح ٢١٤/٣، ٢١٧.

(٥) شعر بن مراحم، وقعة صفين ١٩٥-١٩٦.

(٦) ابن سعد، الطبقات ٢٨/١.

معشوي أحييت فسيحة الأحن وبها أحييت في الشمام ما لم يكن
 عقلت نعيمه بالسياسة وبها الناس حيلوك إلا التيسر
 قسلا تملطن بنا غيونا كبها شبيب بالنام مبعث الدين

ولما سمع معاوية ذلك قال لأهل اليمن ، ما غلظت بكم إلا ثقاني ، وإنني لكم
 فهو لي . ثم نظر إلى وجوه اليمن وقال لهم : أعز رغباتكم هذا ما قال : فغدوا لا مرحبا
 بما قال ، الأمر إليك فاصنع بما شئت^(١) .

وإن حاول الرؤساء أن يحموه تذرهم من الحرب ، إلا أن كثرة القتل بين صفوفهم
 دعتهم إلى معاوية ويبنوا له أن السبب في ذلك لأنه يولي عليهم رجلاً من
 قرش ، وهؤلاء لا يقاتلون ولا ساعة ثم يرجعون^(٢) وهنا أيقن معاوية أن سكوته عن
 هذا الأمر سيحرق جيشه ، فذاع كثر قرشي في معسكره في جوف الليل وقال لهم :
 العجب منكم يا معشر قرش ، إنه ليس لأحد منكم في هذه الحرب مقال يقول له لسانه
 غداً على الناس فيقول فعلت يوم صغرى كذا وكذا . ففان الوليد بن عقبه ولا أنا يا
 معاوية ، ففان . ولا أنت وفله يا وليد ولا غيرك من قرش الشام ، وما رأيت أحداً منكم
 خرج إلى حرب القوم إلا رجع مفضوحاً مشوهاً لي ، وبذلكم أبهذا يؤخذ الأمر من مثل
 علي وأصحابه ، والله لقد قرأ علياً بأنفسهم ووقاهم علي بنفسه^(٣) .

وبعد ذلك أمر معاوية بتعبئة رجالات قرش لقتال أهل العراق ، وقصد معاوية من
 ذلك أن يظهر للقبائل اليمنية أن قرشاً لا تقن صهم شجاعة ، ولكن ما عقد معاوية
 عليهم كان مخيباً للأمال فقد فشلوا جميعاً أمام جيش العراق ، وهذا ما أدى إلى شناعة
 اليمنية بهم غير أن معاوية وقف يبرر موقف قومه وقال : يا معشر قرش والله فقد
 قربكم لقاء القوم من الفتح ولكن لا مرد لأمر الله وم تسحبون ، إنما تلقيتكم كماش أهل
 العراق ، وقتلتهم وقتل منكم ومالكهم علي من حجة ، فقد عبات نفسي لسيدهم سعيد بن
 قيس الهمداني^(٤) ، وكما انتحرت اليمنية بحسن بلائها على قرش ، فقد انتحروا على

(١) مصر بن مراحم، وقعة صفين، ٤٧٤-٤٧٥، ابن أبي عمير، الفتوح، ١٤٤/٣-١٤٧

(٢) ابن أبي عمير، الفتوح ٢١٩/٣

(٣) المصدر السابق ١٧٥/٣-١٧٦

(٤) مصر بن مراحم، وقعة صفين ٤٣٦-٤٣٧

القبائل المضرة جميعها ووصفوا أنفسهم بأنهم القوم الذي لا يتطرق اليهم الضعف ولا الخور^(١).

ومع أن طاعة أهل الشام كانت أفضل من أهل العراق، إلا أن بعض القبائل أرادت من «نقاد في صعيد» أن تحقق مكاسب شخصية فعتك والاشعريون طلبوا الصياع والتقى من معاوية فاضطر معاوية أن يقطعهم في حوران ولبشة^(٢)

ومع هذه الاقطاعات اتبع معاوية سياسة التهديد والترغيب، الفشد يوماً راية فصاعة فطلب سيده وهدده بأخذ الراية منه فغضب سيد فصاعة، وعندما تقدم للقتال قال لقومه: «إننا سنقاتل عن العوطة وعسا وزيتون يد قد حرمتنا الجنة ونعيمها وحور هيتها»^(٣)

واستدعى معاوية النعمان بن بشير الأنصاري ومسلمة بن مخلد وأبدي أسعده لوقوف الأنصار مع علي، تواعد الأنصار فقال النعمان: «لا تلومنا الأنصار على إمرائهم إلى الحروب فإنهم كانوا كذلك في الجاهلية» ذكر مواقفهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم وقاتلهم بقرش، فاضطر معاوية بعد ذلك أن يرعيهما^(٤)

وبما سمع ليس بن سعد ذلك حاول استدراجهما إلى جانب فكتب إلى النعمان «نظر من مع معاوية إلا طينياً أو يمانياً أو مستدرجاً بغيرور؟ انظر أين «لهاجرون» والأنصار والتابعون بإحسان؟ ثم انظر من مع معاوية غيرك وصويحك ولستما بهديين ولا عقبيين ولا أحديين ولا لكما سابقة في الإسلام ولا آية في القرآن ولعمري لن شفت هلياً لقد شفت هلياً أبوك من قبل»^(٥)

أما جيش «عراق فقد كانت المعصية القبية فيه أقوى من جيش الشام، ماهيك من أن هلياً قد أصبح أسيراً إلى معه من القبائل، ولم يعد بإمكانه أن يتخذ بحق أي فرد من جيشه حقبة معينة، لقد علم أن حائل بن أمية السدوسي بكتابة معاوية، فلم يجد

(١) انظر وقعة صفين ٢٢، ٧٣، ٧٤، ٢٩٩، ١٧، ١٣٢، و«مروج الذهب» ٢/ ٢٩٢

(٢) نصر بن مزاحم، وقعة صفين ٢ ٢، لأخبار الشوال ١٨٩، بن أمية، الفتوح ٢/ ٢٢١

(٣) ابن أمية، الفتوح ٢/ ١٠٧-١١، مروج الذهب ٢/ ٢٩٤-٢٩٥

(٤) نصر بن مزاحم، وقعة صفين ١١٦-١١٧، بن أمية، الفتوح ٣/ ١٨٠-١٨١

(٥) نصر بن مزاحم، وقعة صفين ١١٩.

أمره وجوهاً من إثارة ربيعة عليه، إلا أن يجمع قبيلته ويبين لهم ما سمعه عن خالد وخير سيدهم أن كان ما بلغه حقاً فليذهب إلى أي مصر شاء باستثناء الشام^(١) لقد ظهرت سيطرة القبائل على علي منذ بداية القتال، فالقبائل أجبرته على الانسحاب من موقعه بعد أن جاءه سهم يحذر أهل العراق من تعجير الغرات عليهم، وما أن رحل على من المعسكر حتى مره معاوية فتتحقق علي من الخدعة فكان دلاشتر والأشعث لقد غلبتماني على رأيي^(٢).

أما القردة فقد أصبحت بيد ربيعة القبائل، وهم الذين يعينون مساعديهم فهذا عباس بن شريك يوصي بالقيادة لثلاثة من أتباعه بالتالي وعياض هذا غطفاني ونفس هذه الطريقة حدث الأمر في قبيلة نهد^(٣).

وإذا تارت العصبة بين القبائل اليمنية وقريش في صعوف معاوية، فقد احتجبت القبائل للضرية في العراق على تقديم همدان وربيعه عبيد، وراد من حصصهم أن ربيعة كانت تمسخر بما فعلته الأمير المؤمنين في البصرة وصفين، وتتحدى القبائل للضرية أن تعمل مثلها

ومن هنا تقدم وجوه ليم وأسد وهوازن وكتانة وقالوا. إن هذا الخي من ربيعة قد طرد، أنهم أولى بك منا، وإليك لهم دون فاعهم من القتال أباماً، واجعل لكل مرئ منا يوماً تقاتل فيه، فإنا إذا اجتمعنا في الحرب أشبه عليك بلاؤن في القتال فاضطر علي أن يوافقهم على ذلك^(٤).

ورافق ظهور العصبية القديمة النظريات الاستعمالية عند بعض القبائل. فعندما قتل عبد الرحمن الكتندي رجلاً من الشام، وتبين له بأنه عبد يذم على خروجه إليه^(٥) ومعاوية بن أبي سفيان لا يقتل عمار بن ياسر إلا بنائلي مولد عشمة^(٦)، وعبيدالله بن

(١) المصدر السابق ٢٨٧-٢٨٨.

(٢) المصدر السابق، ١٩٠-١٩٢.

(٣) المصدر السابق ٣٦٠-٣٦١.

(٤) صدر بن مزاحم، وقعة صفين ٣٠٩-٣١٢، ابن خضو، الفتوح ١٦٤/٣٢-١٨٦.

(٥) ابن هشام، الفتوح ١/٢.

(٦) صدر بن مزاحم، وقعة صفين ١٩٨-١٩٩.

عمر قال لعبي ، الحمد لله الذي جعلك تطلقني بدم اللهم مران ، واطلبك بدم عثمان^(١)

وظهر في صعيد بصرى الصرع بين التيار الاسلامي والتيار القبلي . ولمنع ذلك من قوب عبدالرحمن بن غصم ، لا شمري فقيه حمص لأبي هريرة وأبي الدرداء
إنما صرتمنا رسولين لرجلين من العقلاء الذين لا يحل لهم الخيانة ولا
الشورى^(٢) .

وقال عمار بن ياسر . أيها الناس إن هذه الرايات التي ترونها مع معاوية قد قاتلها
ثلاث مرات وهذه الرابعة والله ما هي بأبرهن ولا أفتقر^(٣) .

وفي صعيد تدخلت العصبية القبلية والعصبية الاقليمية مراد من شدة النقاش في
صعيد أن العرب لم يخرجوا عن عروبتهم فهم عرب يعربون بعضهم بعضاً في
الجاهلية ، أنهم محدثي عهد به ، فالتقوا في الاسلام وفيهم بقايا نذات الحمية ، وعند
بعضهم بصيرة لدين الاسلام فتضاربوا واستحبوا من الفرار حتى كادت الحرب أن
تبيد لهم وكانوا ، وإنما جازوا داخل هؤلاء عسكري هؤلاء فيستخرجون فتسلاهم
ويدفنوهم^(٤) .

وقد اعترف رؤساء القبائل بأن النقاش كان بحمية الجاهلية^(٥) ، وبأن بعضها كانت
أحسن وضعاً من القبائل التي انتقلت من الجاهلية إلى الاسلام^(٦) . لقد اتفق الطرفان ومنهم الأعراب
والأحزاب فزمت لهم الخلافة وزرع في قلوبهم حب الفتنة^(٧) .

٢- القبائل والتحكيم

لقد حقق أقتال في صعيد حقق القبائل على بعضها البعض ، كما راد من حقق

(١) المصدر السابق : ١٨٦

(٢) ابن أثير ، الفتوح ١٩٨/٢

(٣) المصدر السابق ١٩٨/٢

(٤) نصر بن مزاحم ، رسالة صعيد ٢٢٢ ٢٢٣

(٥) ابن أثير ، الفتوح ٢٨٦/٢

(٦) ابن أثير ، الفتوح ٢٩٤/٢

(٧) نصر بن مزاحم ، رسالة صعيد ٢٢١

العراق على الشام ، والشام على العراق . وقد ظهر ذلك عند طلب أهل الشام أن يخرج علي من صموه قنلة عثمان ، فخرج من أهل العراق زهاء عشرين ألف وصاحوا صيحة واحدة نحي قنلة عثمان^(١)

وعندما لاحظت نباشير النصر بجناب علي رفع أهل الشام المصاحف ، وما أن رفعت حتى انقسم جيش علي إلى ثلاثة أقسام

الأولى يتدي بإجابة القوم إلى كتاب الله وعلى رأس هؤلاء الأشعث بن قيس الكندي . ويذكر أن الأشعث هو الذي أوحى بهذه العكرة إلى معاوية عندما قال . قد رأيتم ما كان في اليوم الماضي من الحرب البيرة وإن الله إذا التقينا عدأً إنه بيور بالعرب وضيعة الحمرات . فعلم معاوية بالأمر وقال صدق الأشعث ، نزل التقينا هذه ليعين الروم على دراري أهل الشام ، وليعين دهاقين فارس على دراري أهل العراق ، وما يبصر هذا الأمر إلا ذوو الأحلام أربطوا المصاحف على أطراف القنا^(٢) .

وأيد الأشعث في دعوته إليه فئة القراء وعلى رأسهم مسعد بن مذكح التميمي ، وريث بن حصين الطائي وقالوا . يا علي أجب النقوم إلى كتاب الله عز وجل إذا دعيت إليه ، وإلا ندفعك برمتك إلى القوم ، أو تفعل كما فعلنا بابن عفاك ، إنه عرض علينا أن نعمل بما في كتاب الله عز وجل فقبلنا ، والله لتفعلن أو تفعلن بك^(٣)

أما الفريق الثاني فقد أشار بمواصلة القتال وعلى رأسهم علي بن أبي طالب الذي قال ' يا أهل العراق امضوا على حقتكم وصدقكم قتال عدوكم فإن معاوية وهمر بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة والنضحك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أما أهرق بهم منكم قد صحبتهم أعتالاً ، وصحبتهم رجلاً ، فكانوا شر أعتال وشر رجال^(٤) ' وأيد علي في ذلك الأشتر الحمصي ، وأصر على مواصلة القتال إلا أن عنياً حشي الفتنة فأرسل إليه أن يكف عن القتال ، وأصرت قبيلة ربيعة أيضاً على مواصلة القتال وقام كردوس بن هاني

(١) السدي: الأخبار المأثورة ١٧٢-١٧٣

(٢) الطبري: الأشرار المأثورة ، ١٩١ ، مرجع المصنف ، ٤٧٠/٢ .

(٣) السدي تاريخ ٤٩/٥

(٤) الطبري ، تاريخ ٤٨٩/٥ ، ٤٩٠

البكري وقال يا أهل العراق لا يهدوكم ما ترون من رعب المصاحف عبيد مكيدة^(١).

والفرق الثالث: كان متردداً بين مواصلة القتال أو وقعه مثل قبيلة همدان وبيعة

وبرقع المصاحف تحقق حلم معاوية بالتقسيم للقبائل على علي وقد ظهر ذلك في الملحقات لأولي لرغمها فالجمع وخراعة رأت مواصلة القتال، وبيعة بين راعب ومتردد، والقبائل البيمانية مصرة على وقف القتال فالناس أحبوا البقاء وكرهوا القتال^(٢).

ويمكن الرجوع لتغير مواقف القبائل البيمانية إلى سببين:

الأول - أن القبائل البيمانية في العراق قاتلت إخوتها ببيعة الشام، أمابيعة العراق فلم تقاتل أخوتها لأنه لابيعة مع معاوية إضافة إلى أنها تقاتل قبائل حميرية وهي بمانية أيضاً، ناهيك عما أوقعته قبائلبيعة البيمانية بالبصرة

الثاني - أن الأشعث لا زال يحقد علي علي منذ عرته عن أدريججان، راد الأمر عندما عزله عن ربيعة وبيعة وكندة، فأراد أن يتقم من علي ولا يستبعد أن يكون معاوية قد انفصل به.

هذه العوامل هي التي دفعت الأشعث أن يهدد علياً إذا لم يوقف القتال بعدم محاربة بيمانية معه وقال: أجب القوم إلى كتاب الله، والأ والله ثم يرم معدن يائي بسهم^(٣). وازداد الأشعث تصلباً عندما قابل معاوية وسأله عن العاية من رعب المصاحف فقال له الانطاني

وأحسن علي بخرج مولفه فقال لعدي بن حاتم أن عامة من معي يعصبي وأن معاوية فيمن يطيعه ولا يعصيه^(٤) وقال أيضاً: إلا إني كنت أؤمن أمير المؤمنين وأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً فأصبحت اليوم سهياً، وقد أحبيت البقاء وليس لي أن أسلمكم علي ما تكرهون^(٥).

(١) نيسابري، الأخبار، ١٧٢

(٢) نصر بن مزاحم، وقعة صفين، ٤٨٢.

(٣) ابن عثم، المفتح ٢٠٨/٢، مروج الذهب، ١٠١/٢.

(٤) نصر بن مزاحم، وقعة صفين، ٣٧٤

(٥) نصر بن مزاحم، وقعة صفين، ٣٨١.

لم يقتصر تدخل القبائل على وقف القتال ، بل تدخلت أيضاً في اختيار مثل علي في التحكيم وانقسمت القبائل إلى قسمين المصرية واليمانية وكل منها طرحت مرشحاً عنها ، فالتبائل اليمانية وبعد أن علمت بأن مرشح معاوية هو عمرو بن العاص اجتمع رؤسائها وقالوا : رضيانا نحن بأبي موسى الأشعري^(١) .

وحجبتهم في ذلك أنه كان يحذر الناس العتنة ، كما أرادوا أن يكون الحكم محايداً ، لا ينتمي إلى عتة معينة . وقالوا لعلي عندما رشح ابن عباس : كأنك تريد أن تكون الحاكم^(٢)

وزيد أن القبائل اليمانية اختارت أبا موسى على اختياره كونه قاضياً حارفاً بـالمقصومات ، وهو ممن مارس الحكم فترة طويلة غير أن هذه الأسباب تحفل وراءها أموراً أخرى ، هذه كانت اليمانية العراقية قد اشترطت هذه الأسباب في مرشحها فلماذا لم يشترطوه في مرشح معاوية ، ومن هنا لا أجد غير تفسير واحد لهذا ، الاختيار وهو العصية القليلة

لقد شعرت القبائل اليمانية بأنها تسي أروحها من أجل رجسين من قرش ، فهل سبتركون أمر التحكيم لقرش ، أم أنهم يرغبون في أن يكون لهم نصيب في الأمر ؟ إن الرغبة في أن يكون لهم نصيب في ذلك كانت الدافع الأول ، وقد عبرت اليمانية عن ذلك بصراحة فقال الأشعث : لا والله لا يحكم فيا مصريان حتى تقوم الساعة^(٣) .

وعندما قال علي لأهل اليمن إني أخاف أن يهدع عيتيكم ، فلو أن عمرو ليس من الله في شيء إذا كان له في أمر هوى أخابه الأشعث . والله لن يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من اليمن أحب إليا من أن يكون بعض ما نحب في حكمهما وهما مصريان^(٤) .

أما القبائل المصرية فقد وافقت على ترشيح عبدالله بن العباس وحجة علي في ذلك أن القرشي لا يصلح له ولا قرشياً مثله ، وعمرو لا يعقد عقدة ولا حلها ابن عباس

(١) السعدي: مروج الذهب ١٠١/٢

(٢) البيهقي الأخبار الطوال ١٩٥ .

(٣) نصر بن مزاحم، وقعة صفين ٥٠ ، مروج الذهب ٤٢/٢

(٤) نصر بن مزاحم، وقعة صفين ٥٠٠ البيهقي تاريخ ١٧٨/٢ ، نهج الخلافة ٢٢٨/١

ولا يحل عقدة إلا عقدها ولا يرم أمراً إلا نقضه، ولا ينقض أمراً إلا أمره^(١)

وعندما أصرت القبائل اليمنية على موقفها جاء الأحب إلى علي وحلوه من اللواظقة على أبي موسى وقال له إنه رجل يمني، وقومه مع معاوية، إنه رجل قد حبت أشطره فوجدته قريب القعر قليل المديّة^(٢) وطلب من علي أن يمشه معه إذا أصرت اليمنية على رساله وقال: هو انه لا يحل لك عقدة، إلا عقدت لك أشد منها، فمن قلت إني لست من أصحاب رسول الله فابعث ابن عباس وأبعثني معه^(٣)

واستجابه لرغبة اليمنية فقدم علي مرشحاً يمينياً هو الأشتر النخعي، غير أن الأشعث لم يقبله وقال: وهل سمر الأرض غير الأشتر، وهل نص إلا في حكم الأشتر^(٤)

وأما هذا الرعيح اضطر علي بقول أبي موسى الأشعري حكماً له.

وإذا نظرنا إلى رفض علي لأبي موسى وجدده محققاً في ذلك فأبو موسى لم يقبل بحلابة علي، لا بعد تردد، ولم ينضم إليه إلا بعد لأي، أضف إلى ذلك عدم دخوله القتال بس جانبا علي، ثم أنه كان يشهد الناس عنه، فلا يمكن والحال هذه أن يمثل صاحبه في الحكومة، لأن الحكم يجب أن يمثل الحكم عنه وأن يكون فاهماً بحجته عارفاً بها^(٥).

وكادت الفتنة أن تقع بين يمينة العراق ومصريتها عند كتابة كتاب التحكيم فعمرو بن العاص رفض أن يكتب أمير المؤمنين بإيعاز من معاوية الذي قال بس الرجل أن إذا أقروا بأنه أمير المؤمنين لم أقاتله^(٦).

لذا حشجت مصر على ذلك وقالت لعلي لا تجمع اسم "إمارة المؤمنين" فإما تتخوف إن صحت أنها لا ترجع إليك أبداً لا قمها وأن قتل الناس بعضهم بعضاً، غير أن القبائل

(١) نصر بن مزاحم، وثقة صلي، ٥، مروج الذهب، ٢/٤٠٢.

(٢) نصر بن مزاحم، وثقة صلي، ١٠١، ٥.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١١٤/١.

(٤) نصر بن مزاحم، وثقة صلي، ١٩٩، الطبري، تاريخ ٥/٤١٠.

(٥) يوسف العلي، مذكرات ٣٩-٤٠.

(٦) الطبري، أخبار الأئمة ١٩٦.

اليمنية طابست بحورها وقال الأشعث هذا الاسم يرحه الله^(١). وخضع علي لليمنية مرة ثانية وحلب الاسم، وكان الذكريات قد عادت به إلى صلح الحديبية فوافق علي بمجي اسم الإمارة أسوة بما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنه قد تناسى فارقاً مهما بين النبوة والخلافة، ثم إن قريشاً لم تكن تطالب بحق من رسول الله وإنما كانت تحاربه من أجل مبدأ، فقرش تريد المحافظة على أولئها أما الرسول فقد اعتبره خطوة نحو القضاء على مقدومة قريش

أما معاوية فهو يحارب من أجل ثار. وعلي يعرف أنه خليفة منتخب، أجمعت عليه الأقطار الإسلامية باستثناء أهل الشام، فكيف يحو هذا القلب عن نفسه، ولا أبلغ إذا قلت أن علياً قد خلق نفسه من الخلافة عن غير قصد، فقد رضي لنفسه أن يكون مساوياً لمعاوية.

غير أن علياً يعذر من هذه الناحية فهو لا يريد الفتنة، ثم أنه وهو الخليفة الراشدي اعتبر أن خلافته أمرٌ معروفٌ منها فسواء كتب «لقب أم لم يكتب، فهو خليفة اعترفت به غالبية الأمة، لكن احتيطة غير ذلك محصنة لم يعترف بخلافته ومن هنا كان هدله أن ينفي الخلافة عن علي وأن يأخذ تقريراً بأن عثمان قد قتل مظلوماً.

ولم تقف الفتنة عند هذا الحد، بل كادت أن تقع بين مبسر واليمانية عندما أخذ الأشعث يحول بانكشاف على القبائل فأقن عروة بن أدية وقال «بئس قتلنا يا أشعث وحمل عليه ليضره لكنه أخطأه فرجع لأشعث واجتمعت إليه القبائل اليمنية، إلا أن رجالات تميم استطاعوا أن يصلحوه، ما أفسده عروة^(٢)

واختلف أهل الشام والعراق أيضاً على من سيبدأ باسمه، فأهل الشام أرادوا أن يكون اسم معاوية قبل علي، لكن أهل العراق وهي المرة الوحيدة التي اتفقوا عليها قد أصروا على أن يبدأ باسم علي قبل معاوية.

وما تقدم رى أن اليمنية قد أجبرت علياً في ثلاثة أمور: الأول وقف القتال في صيف، والثاني عرض أبي موسى عليه، والثالث محو اسم الإمارة عن نفسه أما عن التحكيم فقد اتفق الفريقان على الاجتماع بأذرح وقبل أن يعاد أبو موسى

(١) نصر بن مزاحم، واقعة صفين، ٥٠٨، الطبري، تاريخ ٥/٥٢

(٢) نصر بن مزاحم، واقعة صفين، ١٢، الطبري، تاريخ ٥/٥٥

العراق جاءه وجانها وحلوه من ضياع العراق وقالوا:

شريح بن هاني- أنت قد نصبت لأمر عظيم، لا يجبر صدعه، ولا تستفال فثنته ومهما نقل من شيء لك أو عليك يثبت حقه ويرى بطله، أنه لا بقاء لأهل العراق إن ملكها معدوية ولا بأس بأهل الشام إن منكها علي فانظر في ذلك من يعرف هذا الأمر حقاً^(١)

، لاحق بن قيس- إن صبحت العراق فلا عراق لك، وإن لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلي لغيره أن يختار أهل العراق من قریش أهل الشام ما شاءوا وبهم إن يولوا الخيار يختاروا من يريدون، دون أبي فليختر أهل الشام من قریش أهل العراق من شاءوا فإن الأمر حينئذ^(٢)

ويهد نرى أن هدف أهل العراق الأول أن يحافظوا على عراقهم ولا يهملهم اسم الخليفة بقدر ما يهملهم إن بقي العراق مركز الصدارة.

أما أهل الشام فقد قال معاوية إن أمن العراق قد أكرهوا حباً على أبي موسى وإن أهل الشام راضون به، وأرجو في دفع هذه الحرب حصلاً؛ قوة لأهل الشام وفرقة لأهل العراق، وإمناً لأهل اليمن وأصناف، إن خوفك بالعراق فخوفة بالشام، وإن خوفك بمصر فخوفة باليمن

وقال شرحبيل بن السمط الكندي رث رجل من قریش، وإن معاوية لم يبعثك إلا لثقتك بك وأعلم أنك لا تؤتي من حجر وقد علمت إن وطأة هذا الأمر لصاحبت فكى عند ظنت بك^(٣).

وبذلك جمع أهل الشام بين العصبية مصرهم وعصبية معاوية بمكس أهل العراق الذين اعتمدوا بالعراق وحده.

واجتمع الحكيمان في أخرج سنة ٣٨هـ / ٦٥٨م دون أن يتفقا على شيء على حد قول بعض الروايات وعاد الناس كل إلى مصره^(٤).

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١١٥/١.

(٢) المصدر السابق، ١١٦/١.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١١٦/١.

(٤) ابن خياط، تاريخ ١٧٤/١.

وقد كان لقبول علي للتحكيم ضربة قاضية لموقفه في العراق وقد قال بنفسه عن ذلك: «إني كنت تقدمت إليكم في هذه الحكومة وبهتكم عنها، فأيتيم إلا عصياً فكيف رأيتم عاقبة أمركم إذ أيتيم علي؟ والله إني لأعرف من حملكم علي خلافي والتوك لأمري ولو أشاء أحله لفعلت، ولكن الله من وراءه (يريد بذلك الأشعث) ومثل: يقول دريد بن الصمة

أصبتهم أميري بمنهج الخوي فلم يستعملوا الرشيد إلا حصى الفلد^(١)

ونظائر أن الأشعث قد أدرك خطأ موقفه وعرف أن القول موجه إليه فلم يتكلم بشيء. وإن صح أن أبا موسى قد حلع علي من اختلافه ليكون الأمر شورى بين المسلمين لمحجة علي لرخص التحكيم صحيحة لأنه هو صاحب الحق في الخلافة، بإيعه المسلمون ولا يوجد نص في القرآن والسنة ما يلغي خلافته، بل والخكماء أنفسهم لم يتحروا لأي نص بين عدم أهلية علي للخلافة. ومن هنا قال علي: «إن هذين الرجلين الخاطئين الذين اخترقوهما حكمين قد تركي حكم الله، وحكما بهوى أنفسهما بغير حجة ولا حق معروف فأمانا ما أحيا القرآن وأحيا ما أماته»^(٢)

وكتب إلى الخوارج أيضاً أن هذين الرجلين لم يعملوا بالسنة ولم ينفذا للقرآن حكماً فبرئ الله ورسوله منهما والمؤمنون^(٣).

وهذه النصوص لا توضح لك كيف حالف الحكماء كتاب الله إلا بعزل علي الذي اعتبر نفسه خليفة شرعياً وأن الحكمين اتفق علي أن عثمان قتل مظلوماً وليس لهذه علاقة بتسمية علي عن الخلافة لأنه لم يقتله ولم يشترك في القتل، والأولى أن يردوا إليه الأمر ليفصل فيه حسب ما يقتضيه الشرع لا أن يعزل

ثم لنعل علي قد استند إلى شيء آخر وهو أن الحكمين أرادوا أن يحدث الشورى فيشق المسمون على رجل يتعصبه، لكن المسلمين لم يقبلوا بذلك، فالذين كانوا مع الحكمين من أصحاب علي وأصحاب معاوية لم ينتهوا في ذلك إلى شيء، ولم يثبت رأي الحكمين في كتاب الله ولم تؤخذ عليه الشهادة فكانه لم يكن، وبقي الأمر معلقاً

(١) المصنوعي، مروج الذهب، ٤١٢/٢-٤١٣

(٢) المصدر السابق، ٤١٣/٢.

(٣) لطيفي، تاريخ، ٧٧/٥

وكان الطرفين في حل مما رآه الحكيمان^(١).

الغاية بعد التحكيم:

بعد رجوع الحكيم أخذ كل فريق يستعد للقيام بعملية جديدة ضد الآخر إلا أن عدداً منهم بظهور حركة الخوارج. وهذه الحركة تمثل العصبية القبلية بأجلى مظاهرها، لقد بنت جذور هذه الحركة منذ خلافة عثمان، عندما أخذت القبائل تتجمع على مسلح قريش عليها ثم تبلورت في معركة الجمل ونضجت في معركة صفين.

لقد كنت خروج هذه القبائل ثورة علي سلطان قريش، فقريش استأثرت بالخلافة ثم هي الآن تقوم بحرب إغناء للقبائل الأخرى لا من أجل شيء سوى الوصول إلى الخلافة.

وانطلق على عصر الخوارج الذين خرجوا على علي بعد أنهم من قتائل هزيمة شتى يروح بيهم هدف واحد وهو مفضة قريش في بداية الأمر. ومعظم هؤلاء من فئة الأعراب الذين جاءوا مع العترة واستقروا في الأمصار الجديدة.

وخروج الخوارج لم يكن من أجل التحكيم، وإذا كان من أجله فكيف استطاعوا أن يقرروا، أن نتيجة تحكيم ستكون غير صالحة، وإن اعتقدوا، بداية الأمر في ذلك فما ادعوا لعودتهم مرة ثانية إلى صفوف علي لم الخروج عنه بعد فشل التحكيم. إن أسباب خروجهم وعودتهم وخروجهم ما هي إلا مظهر خارجية انحسار وراها بوابهاهم الحقيقية لخروج وهي كما قلت الثورة على سلطان قريش.

إن الخوارج الأوائل لم يكونوا من القراء كما يظن البعض، بل إن هؤلاء القراء ربما قد انضموا فيما بعد، فالعديري يذكر بأنهم. أعدب بكر وعجم^(٢) والمستورد بن علفه يقول عنهم ما رأيت قوماً كانوا أظهر ضلالة ولا أئين شوماً من هؤلاء الذين ترون (الخوارج)^(٣) وذكر أبو محنف ونصر بن مزاحم على أنهم كانوا من قبائل بكر وعجم وهمدان ومن عسرة ورامس ويظهر أن بعضهم قد اشترك في الثورة على عثمان، أو أن

(١) يوسف العث، مذكرات، ٤٦

(٢) الطبري، تاريخ ٦٦/٥

(٣) المصدر السابق ١٩٢/٥

بعضهم هدد هلياً حين تلكأ في قبول التحكيم وقالوا له: "أجب الغوم إلى كتاب الله إذا دعيت وإلا قتلناك كما قتلنا عثمان"^(١)

ولذا فإنه لا يستبعد أن يكون خروج بعضهم فراراً من العقوبة أو حشية الصلح بين هلي ومعاوية وعندها مستور الفاترة عليهم.

نقد جاءت دعوة الخوارج في بدئ الأمر ندعو إلى الشورى بعد الفتح وطبيعة لله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه الحجة لم يبين الخوارج أنفسهم ما المقصود منها، وهي في ذاتها عامضة، ولا يستنتج منها إلا أنهم أرادوا أن يكملوا الدور الذي خرجوا من أجله منذ الثورة على عثمان وهو محاربة سلطان قريش^(٢)

ويظهر منطق الخوارج الضعيف من الحوار الذي دار بين ابن عباس وبين الخوارج لقد قال لهم ابن عباس: "هاتوا ما بقمتم على صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهاتكم والآنصار وعليهم نزل القرآن وليس فيهم أحد منكم"^(٣). ولما رد ابن عباس هلي اعتراضاتهم قال بعضهم لبعض: "لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم، فإن هذا من القوم الذين قال الله عز وجل فيهم: بل هم قوم خصمون"^(٤)

وأمام هذا المنطق الضعيف حاول علي عيشاً أن يطمعهم بأنهم كانوا السبب في حكومته ولما أصرو على موقفهم كان لا بد من قتلهم فحاول وجهة استعده من الشام إليهم وقبل اغتيال بعث إليهم قيس بن سعد، وأبا أيوب، لأنصاري إلا أن الخوارج لم يرضوا عن لقتل بديلاً وكانت وقعة النهروان سنة ٣٨ هـ حيث قُتل معظمهم وأسر الباقيون ودفعوا إلى عشارهم^(٥).

وعلى الرغم من انتصار علي على الخوارج إلا أن موقفه بالعراق أخذ يسوء أكثر فأكثر فغفوة بن نوفل الأشجعي ذهب إلى حنوان وصار يجني غنائمها، وانتفض عليه أهل الأهواز وطبع أهل الخراج في كسره، وأخرج سهل بن حنيف من فارس وامتنع

(١) صدر بن مزاحم وقعة صفين ٥٦ هـ نهج البلاغة ١/٥٨٦، الثوري، مقنعة في تاريخ صدر الإسلام ٥٩

(٢) بيليايف، العرب والإسلام والحلف العربية ٢٠١

(٣) ابن الجوزي، تبيين بليس، نهضة النصرانية ١٩٢٨ ٩١-٩٣

(٤) البرد، الكامل في اللغة صيغة رأيت ٨٢ هـ، الثوري، مقنعة في تاريخ صدر الإسلام ٦

(٥) الذهبي، الأعيان طوال ٢١٣، المعري، تاريخ ٨٨/٥

عرب البحرين عن دفع خراج وارثه بعضهم إلى الثعثرانية^(١).

على أن لفسرية القاصصة بعالي جاءت عندما خرجت مصر من بين يديه فقد رأينا أن علياً قد أجبر على عزل قيس بن سعد عن مصر، وأن قيساً عين محمد بن أبي بكر نائباً عنه وتوجه إلى المدينة.

ويعد أن تسلم محمد الأمر لم يسمع نصيحة قيس بالإبقاء على حياض من تجمع في خرتا، بل طلب بيعتهم بم جعل اثني عشر ألفاً يتظاهرون عليه، ولما أراد موقف محمد بن أبي بكر في مصر سوء فكر علي في بعث رجل يسطر له أحوال مصر، فوقع اختياره على الأشتر النخعي لسببين:

الأول: أن قاتل مصر هي قبائل يمانية، ولأشتر يمني مثلهم، فربما ستكون حصيتهم له سبباً للاثتفاف حوله كما فعل قيس بن سعد من قبل^(٢)

الثاني: إن قوة لأشتر أحدثت تردد بين صفوف جيش علي، فأراد علي أن يتحصن منه وقد جاء ذلك على لسان عبدالله بن جعفر حيث قال: «بعث الأشتر فإن ظفرت فهو الذي يحب ولا استرحمت منه»^(٣) ومن هنا أُرسله علي إلى مصر غير أن جنود معاوية وهم هذه المرة من الحسل قد صادته عند بحر القلزم فحات مسموماً ولم يدخل مصر على حد قوله بعض الروايات^(٤)

لقد انتفضت القبائل يمانية على محمد بن أبي بكر وحاصرة أن رعماء العثمانية كانوا منهم فكانت مشجعة لمعاوية ليتقدم للسيطرة على مصر ثم أن محمداً أخذ يذم اليمانية وهدم دور بعضهم وسجن البعض الآخر، فاتفقوا على قتاله.

وبهذا الاجراء أثبت محمد بن أبي بكر فشلاً ذريعاً فهو لم يستطع أن يحافظ على الثوارن اليمني الذي حققه قيس بن سعد.

ولما ساءت حالة مصر تقدم عمرو بن العاص إليها واستطاع هزيمة محمد في

(١) الطبري، تاريخ ١٢٦٥/٥

(٢) ابن حبيب، أسماء الخلفاء من الأشراف ٣٩

(٣) الكندي، الولاء ٢٢.

(٤) الكندي، الولاء ٢٤

السناء، ووصفها عمرو بن العاص بأنها كانت من أشد أيامه حرباً^(١)، وبعدها دخل عمرو السطاط، ولم يجد محمد إلا قبيلة شائق لينتجى إليها. وقد حاول عمرو بن العاص أن يتجنب سفك دمه إلا أن اليمانية وعلى رأسهم معاوية بن حديج أصروا على قتله ثاراً لن قتل من قبيلته^(٢).

وبسقوط مصر فقد علي قاعدة من أكبر القواعد التي كانت تابعة إليه، وقد خسرها بسبب قبائل الكوفة التي أجبرته على عرن فليس بن سعد.

وعندما وصلتته أنباء الوضع في مصر حاول أن يستنهض أهل العراق وقال: إن مصر أعظم من الشام، وأكثر حراً وأكثر أهلاً، فلا تغلبوا على مصر، فإن بناء مصر في أيديكم هزلكم وكبت لعدوكم^(٣). إلا أن أهل العراق لم يستجيبوا لذلك، وعندما سقطت قل

أقوم فيكم بالرأي المصيب فامتصروحكم عتداً، وأناذيتكم نداء المستغيث معرباً فلا تسمعون بي قولاً، ولا تعيرون لي أمراً حتى نصير لأموال عواقب شقاء فأنتم القوم لا يدرك بكم الثأر^(٤).

وزاد موقف علي حرجاً خاصة عندما رأى تشاقق أهل العراق في خروجهم لحرب أهل الشام، فالبصرة عثمانية نائمة، ومصر خسرها، والكوفة مترددة في ولائها، ومع ذلك أصر على غزو الشام، فأرسل إلى عبدالله بن عباس وأبيه علي البصرة حتى يجمع له أهل البصرة ويخرج بهم إلى أهل الشام وكانت المصدمة عندما لم يهض معه إلا الأحف بن عيسى في ألف وخمسمائة رج ومانلة البصرة يوم ذاك متون اب هذا العبيد والموالي^(٥).

أما الكوفة فقد قالت اليمانية فيها. إن بعلها قد نفذت، وأن سيوف قد كفت وأن رماحنا قد نصلت فارجع بنا إلى مصرنا لستعد بأحسن عدتنا فرجع علي بالناس حتى برز التحيلة فعكسرها فأقاموا أياماً إلا أن غالبية أهل الكوفة قد بدأوا يتسللون إلى

(١) المصدر السابق ٢٧.

(٢) الطبري، تاريخ ١٠١/٥.

(٣) المصدر السابق ٦٧/٥.

(٤) المصدر السابق ٨/٥.

(٥) الطبري، تاريخ ٧٩-٧٨/٥.

مدينتهم، حتى أنه لم يبق معه إلا رهاء ألف رجل من الوجوه، فلما رأى ذلك عاد أفرجه إلى الكوفة^(١).

وجاء خروج ابن عباس من البصرة وأخذ منها ليزيد من متاعه علي، لقد أخذ ابن عباس ما لا كثير من بيت مال المسلمين، فقد له أبو الأسود الندلي، مو بعث به إلى علي لاستعمل به على أمور المسلمين فأعطي ابن عباس له، فكتب أبو الأسود إلى علي بذلك فأمر علي ابن عباس بحمل الأموال مع مولا، إلا أن ابن عباس شتم مولاه علي، واستقر رأيه بعد ذلك على الخروج من البصرة، فأخذ ابن وخرج معه مائتي رجل من قيس^(٢) ولولاهم لفنكت به يميم والأرد.

ولما علم علي بذلك كتب إليه: إني أشركتك في أمتي، ولم يكن أحد من أهل بيتي أولئك عدي ولا أرحى خواصاتي منك، فلما رأيت الزمان على ابن عصف قد كتب والعدو قد حرب، والأمة فتنت قبيت ظهر البغي وحللتني فلا إمامت أسيت، ولا للأمانة أديت، كأنك لم ترد بحملك الله، وكأنك كنت تكيد، لأمة عن دينها، فلما أمكنت الفرصة عاجلتهم الشدة، فاختلطت ما قدرت عليه عبر متحرج عن أغلها، وذكر له أن الذل الذي استوفى عليه يشعري به مولدات من الطائف هو مان الأتنام والأرامس والمساكين وبين أيضاً لو إن الحسين والحسن فعلا ما فعل فلا أحدثه بهما شفعة ولا هوانه. وكان جبراب بن عباس أن حقه أكثر مما أخذ^(٣).

وعروج ابن عباس شجع والي البحرين عبدالله بن سوار بن همام العبدي أن يفعل فعلة ويهرب^(٤).

وهكذا، انتفضت البلاد على علي من جميع الجهات، إلا أنه لم يأس.

أما معاوية فقد أحدث قوته تنعاطم، فعد أن عرف ما معه ابن عباس في البصرة حتى حاول أن يمد أصابعه إليها، فأرسل في سنة ٣٨هـ عبدالله بن الحضرمي وأوصاه أن يتزل في مصر وأن يعبر ربيعة ويتودد إلى الأزدي. ولما جاء ابن الحضرمي إلى البصرة أرسل يهدد بن أبيه - وكان ابن عباس قد استخلفه عليها - إلى الحضرمي من الشر ومالك

(١) المصدر السابق ٨٩/٤.

(٢) أبو غلال الصنعبي، الأثر ٢٢٠-٢٢١.

(٣) المصدر السابق، الأثر ٢٢١.

(٤) المصدر السابق، الأثر ٢٣١.

من مسمع يطلب إيجارته خير أن مالك بن مسمع - وكان هوام في بني أمية لم يعد جواباً قاطعاً. ولما رأى زياد تناقل ربيعة عن نصرته وإيجارته توجه نحو الأزد.

ولما قدمت الأزدي إيجارته نقل بيت المال إلى دار صبرة بن شيمان الأزدي، وحوّل المنير إلى مسجد الحندان (من الأزدي)^(١).

وبعد هذه الاستجابة حاول زياد أن يكشف التوابع الحقيقية للأزد، هل سيقاثلون معه إذا جاءهم فليم أم يستسلمون فقدانهم - يا معشر، لأزد أن جميعاً ترعهم أنهم هم الناس، وأنهم أصبح منكم عند اللقاء، وقد يلحقهم أنهم يريدون أن يسيروا إليكم وقد أجروا نومي وبيت مال المسلمين - فقال صبرة بن شيمان وكان مفجعاً أن جاء أحنف بجيت، وإن جاشحات جيت، وإن جاشحات فليها شيد^(٢) ولما ألقن زياد من صبرة، لأزد له كتب إلى علي بخبره بوقع الحال فأرسل علي إليه أعيان بن ضبيعة المجاشعي في جمع من قومه إلا أن مصيره كان القتل.

ولما رأى زياد ذلك أراد قتل فليم، إلا أن فليماً جاءته إلى الأزدي وقالوا: ونالهم معرض لحاركم ولا لأحد من أصحابه فما تريدون إلى جازي وحريرا، فكرهت الأزدي القتل وقالوا: إن عرضوا لجازي متعاه وإن هموا فما كففتنا عن حارهم^(٣)

وبعد ذلك أرسل علي قائداً فليماً وهو جارية بن قدامة فجاء إلى قومه وحذرهم فالتعد فأجابته أكثر فليم، ومن هناك سار إلى ابن الحضرمي فأحرق عليه دار بن سميل ومن معه وكانوا ما بين ٤٠-٥٠ رجلاً^(٤).

وهكذا تحلت فليم عن حارها أمام مصيبتها، فقد رأت أنه ليس من الحكمة أن تقتل فليم الكوفة فليم المصرة من أجل ابن الحضرمي ومن أجل معاوية فسلمت جازها لقمة سائغة إلى أحد أبنائها

أما تحول فليم عن علي فرمى يرجع إلى أن معاوية استطاع الاتصال مع الأحنف بن قيس، ويؤيد ذلك أنه لم يظهر له أثر في فتنة ابن الحضرمي^(٥)

(١) عباسي: اعلام العرب الواقعة في صدر الإسلام ٥٩/٢.

(٢) المصدر السابق ٥٩/٢

(٣) المصدر السابق، ٦٥/٢

(٤) الطبري، تاريخ ١١٢/٥، عباسي، اعلام العرب ١٦/٢.

(٥) ابن حنابلة، فليان، لأعيان، ١٨٧/٢

ظهر أن فشل معاوية في البصرة لم يقعه عن إرسال الفارقات على أطراف العراق والجزيرة حتى وصل بعضها إلى عين النمر وهيت والأنبار والمذائن وتيماء كما وصلت قواته إلى الحجاز واليمن

وفي إحدى الثعرات لعبت العصبية القبلية دورها في نجاح جيش معاوية فعندما وجه عبدالله بن مسعدة الفزاري في الف سبعة مائة رجل إلى تيماء أرسل إليه عفي حملة بقيادة فزاري هو المسيب بن نجدة الفزاري، فسار المسيب حتى لحق ابن مسعدة في تيماء، فحجم المسيب على ابن مسعدة فغزوه ثلاث غزوات كل ذلك وهو لا يريد قتله، ويقول له انتجده، انتجده.

ويعد أن تمكن المسيب من حصارهم في داخل حصن كذب على جنده وقال قد جاتني عيون فاحبروني أن جنداً قد اكبل من الشام فطلب من جنده أن يجتمعوا في مكان معين مما يسهل الأمر أمام خروج بن مسعدة من الحصار، ولما اكتشف أصحابه حقيقة الأمر حلبوا منه أن يسيروا في طلبهم إلا أنه رفض ذلك^(١).

وأمام تطور الأحداث أراد عفي أن يضيع حداً بهذه المعارك فجمع جيشاً قوامه أربعون ألفاً ليواجه به إلى الشام إلا أن اغتياله على يد رجل يائي هو عبدالرحمن بن ميمم المرادي قد أفسد كل شيء. وذلك في ٢٣ رمضان سنة ٤٠ هـ. وبعد موت عفي بومع لاشه الحسن، هرب أن الحسن يأمن من أهل العراق فبعث إلى معدوية بطلب الصالح.

وقد كان الحسن مصيباً في تنازله عن الخلافة للأحابي القاتلة،

- لأنه كره قتال المسلمين ويهدأ يقول . لست بجلد المؤمنين ولكن كرهت أن أقتلكم على الملك^(٢).
- تعرف أهل العراق عنه لاسيما وأنه أصبح محاصراً في المذائن من قبل عبدالله بن عامر بن كريز^(٣).
- كتب رؤساء العراق إلى معاوية بالطاعة سرأً ووعده بتسليم الحسن، وما أن علم الحسن بذلك حتى أسرع بطلب الصالح إلى معاوية^(٤).

(١) القسري تاريخ ١٢٩/٥

(٢) النديمي، الأخبار الطوال ٢٢٢

(٣) الذهبي، مولد السلام ١٠٩

(٤) القسري، الأخبار الطوال ٢١٩

ويؤيد ذلك أن معاوية بحث عليه . وقد جاءني كتب أشرفهم وقادتهم يلتصمون
الأممك لأعضهم وعشائرهم^(١) وقوله أيضاً له : احذر أن تكون ميتك هي
أهذي رفاع من الناس^(٢)

- على أن السبب المباشر هو أن الحسن لم يختر عاصم جيشه بنفسه فقد كانوا
أخلاقاً من الناس من شيعته وشيعة أبيه وبعضهم من المحكمة الذين يودون قتال
معاوية ، وبعضهم كان يطمع في العائم والبعض الآخر من أصحاب العصبية^(٣)
أما جيش معاوية فقد ظهر من آثار العصبية القبلية

عما تقدم يرى أن قبائل العراق غلبت علياً وقبائل الشام نصرت معاوية ، فقد كان
لمعركة الجمل والنهر والوعجبة القبائل العراقية أثرها في إضعاف مركز علي ، وكان
لتماسك قبائل الشام أثره في تقوية مركز معاوية .

وبمقتل علي انتهى الصراع الطويل بين الأمويين والهاشميين ولكن إلى حين ، لقد
اشتبى الصراع بينصير الأمويين وبانتصار السياسة الشامية وخذلان العراق والسياسة
العراقية

لقد قدم نزع طويل ، غير أن هذا النزاع لم يكن نزاعاً بين الأسس الدينية والاسم
الدينية وإنما هو نزاع بين القوى القبلية وبين التيار الاسلامي الذي أمس به علي بن أبي
طالب وهو في أبسط صورة يقوم على احترام الأسس الدينية التي تقوم عليها
الجماعة^(٤)

كان علي راشدياً بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وراشديته هذه لم تكن من
التوفيق بين البيئة القبلية التي أخذت تزاد وغسوحاً بين أهل العراق وبين الاتجاهات
الاسلامية الصحيحة .

لقد أراد علي أن يسير وسط التيارات القبلية حسب قواعد النهج الراشدي غير أن
القبائل ذات النزعة الاعرابية لم يعجبها ذلك فمدد معركة الجمل أظهرت استيائها لأن
علياً منها الفئام .

(١) ابن الصباغ : تلخيص نهضة العرب في الدولة العربية الإسلامية ١٦٠

(٢) الأصبهاني ، مقتل المختارين ٦٠

(٣) ابن صباغ ، تلخيص نهضة العرب في الدولة العربية الإسلامية ١١٢ العرب في العهد الأموي ٧٢

(٤) جب : دراسات في حضارة الاسلام ١

أما معاوية فقد قام دعوته على أساس قبلي ، يطلب الثأر لعثمان وصور لقبائل الشامية علناً قد مالا على قتل عثمان . فقام طلباً يدمه دعياً للثأر^(١)

وعند جده نجس أو ضح عبداً له بن العباس الطريقة التي تصلح مع أهل العراق فبعث إليه . اشتر من بنين دينه ما لا يشم ذلك ، وول أهل البيوتات تستصحب بهم عشائهم^(٢) . لكن هذه السياسة لم يكن علي يسمح لنفسه أن يسير عليها وقد رأيت مصاد كتب لابن عباس عدم أحد بيت مال البصرة معه ، فعلي لا تؤخذ في الحق بومة لائم حتى ولو كان المخطئ الحسن أو الحسين .

نقد اتبع معاوية سياسة السج والمج في الأموال حتى أن لرحل كان يقول لابنه هلم إلى الشام والأموال الكثيرة مع معاوية^(٣) .

وكان لا يحل ود رأى أن المصلحة تتطلب ذلك فعندما أصبحت قبيلة عث من القتل حتى يفرض لها وال في الحال . وقد عادت هذه على معاوية بأمرين : إن هذه القبائل أظهرت بلاء حساً حتى لا تشمت بها مضر ، ثم أنها زعزعت نفوس أهل العراق حتى أنه لم يزل يخلق من أهل العراق من كان في قلبه مرض أوشك ألا وطمع في معاوية وشخص بصره نحوه أو هم أن يصير إليه^(٤)

أما سياسة علي المالية فقد قامت على عدم التفاضل بين الأشراف والموالي ، وقد صبح الناس لإعدائه الموالي كالفصلية . قال قرأت في بين القلتين فلم أجده لولد اسماعيل علي ولد اسحاق فليل^(٥) .

وعندما قيل له فضل الأشراف من العرب وفريش علي الموالي قال : أنا مروني أن أطلب النصر بأجور يمين وليت عبه من الإسلام^(٦) .

ومن الطبيعي أن ذلك لا يعجب رؤساء العرب فكان من يقعد عن نصرته أكثر من

(١) الطبري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ٦٠ .

(٢) ابن عبد ربه العقد الفريد، ١٩/١ .

(٣) ابن عسك، الفتوح ١٣٦/٣ .

(٤) المصدر السابق ٢٢٢/٣ .

(٥) الطبري، تاريخ ١٧٣/٣ .

(٦) ابن القتيبة، الإمامة والسياسة ١٣٢/١ .

يتصرفه، بل وبعضهم هرب إلى معاوية كحصفلة بن هبيرة وبعضهم فكر في ذلك كالأسعث بن قيس^(١).

لقد سمعت راشدة علي أن جندري رؤساء العراق، بعد انتصاره في معركة الجمل هدر إلى عزل البروساء عن الولايات التي كانوا عليها في زمن عثمان كجندري بن عبد الله الجعفي والأسعث بن قيس، وهذا مما كان له أثر فيما بعد في موقف هذين الزعيمين.

لم يكن حنفيك علي لمصعب في رأي أو معرفة، إنما مرجع ذلك إلى أنه آمن بالسياسة الراشدية، وطبقها أفضل تطبيق في عصر مضطرب وقد أدرك علي ذلك فعدهما سألة رجل فإذا اختلف عليك لمسلمون، ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر قال له: لأبهم كانوا وأمين علي مثلي وأن اليوم والي علي مثلك يشير يدهك إلى وزير الدين^(٢) لقد كان الصراع بين علي ومعاوية ليس معروفاً حق وعدد، بل صراع عصرين، العصر الإسلامي، والعصر القبلي.

وقد رافق ذلك تغيرات في الأحوال الاقتصادية والاجتماعية فالراشدون زهاد ومتقشعون أما عصر علي فقد كان عصر ثورة عمت الناس وغيرت ظروف حياتهم^(٣)

ورب أن هناك من يسأل أين تفرد راشدة علي من قتله عثمان؟ والجواب على ذلك أن علياً قد بين للمصحابة الصحوبات التي كانت تعترض تطبيق العقوبة الموروثة، ويرى أنه سيفتص منهم بعد أن تثبت ونهياً للحل، لكنه بعد معركة الجمل أدرك أن الزمن قد فاتته إضافة إلى أن معك دم كثير من قتله عثمان قد أثار اسعرات القلبية عند قبائل القتلة فكان لا بد من إيقاظ فتنة عظيمة إذ عدلت العقوبة في اليقين من القتلة وبهذا يقول العزالي^(٤) علي أن تسليم قتلة عثمان على كثرة عشارهم واحتلالهم يؤدي إلى اضطراب أمر الإمامة في بدايتها فرأى لتأخير أصحابه^(٥)

لقد أصبح معاوية بعد مقتل علي رجل ذلك العصر ومن هنا نجح من حيث أحقق غيره، لقد استغل معاوية العدل واستغل العصبية القبلية حتى توصل إلى غايته.

(١) الطبري تاريخ ٥/١٢٩.

(٢) ابن خلوي، مقنة ٣١١.

(٣) يوسف، لغتي، مذكر ٤٦.

(٤) العزالي، أحب علوم اثنين، ١٠٢/٦.

لقد أدرك علي في النهاية أثر العصبيّة القبيلة فقال: عشيرة الرجل خير للرجل من الرجل للعشيرة إن كلف ضيقهم هذا واحداً كموا عنه أيدي كثيرة مع مودتهم وسعاً ظهيم وبصرتهم واصناف أد الله ما بعث نبياً بعد لوط إلا في سعة من قومه وسعة من عشيرته فشيبي كان صعباً ولم تنعمه إلا عشيرته ورعطه^(١).

لقد اتعت علي حوله في النهاية فرأى أن من عمه قد خذله، وقريش قد باعدته والبصرة مشدومة منه والكوفة عبر صدقة في ولائها ومن هنا تذكر أمر العشيرة وفوالدها

وهكذا فقد أسعرت الفترة التدرجية من ١٣٥هـ - ١٤٠هـ من أحداث جديد وهو تنصار الأمويين ووصولهم إلى دقة الحكم

{١} ابن عبد ربه، العقد الجديد ١٨٣/٢.

الفصل السادس

العصبية والتيارات القبلية في العهد السفلي

معاوية والعصبية القبلية

معاوية والأسرة الأموية

معاوية وقبيلة قريش

معاوية ورؤساء القبائل العربية

معاوية والأعصار

معاوية وولاية العهد

يزيد بن معاوية والتيارات الحزبية والقبلية

الأحداث في عهد يزيد

وقعة كربلاء

وقعة الحره (الصراع بين الشام والحجاز)

الفتن القبلية بعد وفاة يزيد في

الحراق

خراسان

مصر

الشام

AIMAD VR

معاوية والعصبيات القبلية:

إد من أهم النتائج التي تمخضت عنها الفتنة الأولى في الإسلام هي وقف حركة الفتوحات الإسلامية في شرق الدولة الإسلامية وغربها، وانقسام الأمة إلى شيع وأحزاب متناحرة متطاحنة وانتصار التيار القبلي على التيار الإسلامي ومباينة معاوية بن أبي سفيان الذي نهض مطالب بشأ عثمان بالخلافة وذلك في شهر ربيع الآخر أو في جمادى الأولى سنة ٤١هـ^(١) ٦٦١م. وسمي العام الذي يوقع بهام به بالخلافة بهام الجماعة.

وهناك من اعتبر ذلك العام عام عرق وقهر وجبرية وظلم، وفيه تحولت الإمامة ملكاً كسروياً والخلافة عضداً قيصياً^(٢).

ومع التسليم بهذا القول، وأن معاوية انتزى على الأمة وأحد الخلافة بالسيف دون مشورة^(٣)، إلا أنه لم يهد باستطاعة السابقين في الإسلام، ولذلين نتجه إليهم الأنظار أن يهضموا في غضم هذه الفتنة، فسمد بن أبي وقاص اعتزل الفتنة، وابن عمر زاهد في الخلافة إلا إذا جاءت إليه، وسعيد بن زيد لم يرشحه عمر أصلاً للخلافة. وأمر الخلافة لم يهد بيد أهل المدينة، بل أصبح في مركز الأمصار وبما أن الشام قد أصبح أقوى هذه المراكز فلا عجب من أن يكون معاوية الخليفة.

لقد أصبح معاوية مدعوماً بأكبر قوة عسكرية مطيعة له، حاول أن يجسبها إلى حد ما من آثار العصبيات القبلية، هذه القوة كانت أكبر عون له لتحقيق مآربه، وأهمها طلب الخلافة إضافة إلى أن الروم قد اعتصموا بمعدنية كمسؤول في الدولة الإسلامية وتفاوضوا معه في شأن وقف الاغارات على حدود الدولة الإسلامية مع دفع الأتوة لهم.

ومع القوة العسكرية واعتراف الروم به أصبح معاوية زعيم بني أمية وزعيم قريش دون منازع، ويظهر ذلك من أن ثلاثة عشر راية من راياتها كانت تقائل إلى جنبه، وبما أنه قد أصبح زعيم قريش فلا بد والحالة هذه أن يكون خليفة للمسلمين.

(١) ابن خلدون، تاريخ، ١٨٧/١.

(٢) الجاهلي، رسالة في معاوية، ١٤.

(٣) ابن تقي، برقي، النجوم الزاهرة ١٤١/١.

ويعد صلح معاوية مع الحرس وجد معاوية أمامه ثلاث مسائل ، فكان عليه أن يتهيئ منها بالحل وهذه المسائل هي موقف قيس بن سعد ، والخوارج ، وزياد بن أبيه .

أما بالنسبة لموقف قيس ، فقد استطاع معاوية أن يكسبه إلى جانبه وتأمين أصحابه ، وبالنسبة للخوارج اتبع معاوية سياسة "المنع والدمع" مع أهل الكوفة ، وقال لهم لا أمان لكم والله عدي حتى تكفوا بوالقكم ، فمهرج أهل الكوفة إلى الخوارج بشائدهم ، وعصم قال الخوارج ويحكم أليس علموا وعدوكم أجابوهم أنه يهددنا بجمع العطاء وظهر أثر القبيلة في أمر الخوارج ، بأن القبيلة أصبحت تأتي إلى أفرادها وتأخذهم من صبيغ الخوارج كما فعلت قبيلة أشجع التي أخذت فروة بن نوفل وأدخلته الكوفة قهر^(١) .

والمسألة الثالثة ، استطاع معاوية أن يكسب زياد بن أبيه إلى جانبه بعد أن تدخل في عملية إقناعه المغيرة بن شعبه ، الثقف ، وكان الخراج معاوية على أخذ بيعته بسرعة خوفاً من أن يقوم زياد ويذهب لرجل من آل البيت .

انتهى معاوية من المسائل التي وجهته عند بداية خلافته ، فكان عليه أن يعيد تنظيم الدولة الإسلامية التي مزقتها الحروب والعن ، فظهر أن أمامه تيارات تصارع وتبائل تنافر ، وبطون تتنافس ، فرب لم يحسن السياسة معها مستقلب عليه وخاصة ما كان من أمر العراق حيث هناك لأحزاب المتعددة والاتجاهات المتباينة .

والخارج الذي ينظر إلى معاوية نظرة من تعدى طوره ، وتسلم قيادة الأمة وهناك من هو أحق منه بهذا الأمر . وحتى في الشام ذات القبائل المتعددة - وإن كانت أمراض انصصية القبيلة لم تنتشر بها ، كتنشأها في مناطق الأخرى كان عليه أن يحسن معاملة هذه القبائل فقد أدرك معاوية واستوعب هذه التيارات والاتجاهات فكان دوماً سيد المواقف جميعها دون منازع .

إن وضع معاوية وصعائنه النفسية وعقليته كانت في المستوى الذي يؤهل أن يقوم بأعباء الدولة الإسلامية لا سيما وأنه أمضى وقتاً طويلاً في انشغول الإداري فانكسب صدت ومؤملات لم تتوفر لمغيرة

كان أهم ما يميز معاوية أنه حليماً ذا هيئة ، يقهر حلمه غضبه ويثلب جوده منعه

(١) ابن الأثير ، الكامل ٤٠٩/٢ (در حاشي) بيروت

يتفادى عن كل شيء إلا أمر الخلافة^(١).

اتخذ معاوية سياسة تجميع وتنسيق بين مصالح القبائل ومصالح الخاصة تاستألف سياسة الحرب وتوزيع العناكم ومسانع رؤوس العرب وقروم مضرب بالأعضاء والاحتشال، والعبر على الأذى والمكره^(٢).

كان معاوية بعيد العوز هاذي لأعصاب، مثال السياسي الطويل النفس لا يضع سيفه حيث يكتفه سوطه ولا يضع سوطه حيث يكتفه لسانه، ولو أن بينه وبين الناس شرعة ما انقطعت إذا شذوها أرغها، وإن أرغها شذها^(٣).

كن ذنب مرصوع ما خلا الفذح بالثك، وعندما أغلظ له رجل قال: إني لا أحول بين الناس وأستهم ما لم يحولوا بيني وبين سلطان^(٤).

لذا لا عجب أن يقال عنه أنه سائس الناس ومدبر أمورهم لأن السياسة تحتاج إلى سعة الصدر واستشعار عصر واحتمل سوء أدب العامة ودهام الجماهير^(٥).

كان معاوية عارفاً بنفسيات شعبه وأحوالهم، يتلون لهم حسب اللون الذي يرتدونه، فأقبل الناس عليه محتارين فكان أن أطلق عليه رجلين الثاني ورجل الصبر

نظم معاوية علاقته بأسرته أولاً وبقرش ثانياً وبزعماء القبائل ثالثاً، ثم أحسن اختيار ولاته رابعاً ومع هذه الأطراف تعامل معاوية بمنتهى الدقة والحذر. وبمعهده وحسن سياسته أثبت أنه رجل عصره.

كان معاوية يتصرف مع هؤلاء كسيد عربي مع مؤدود وعظمة وهيئة وفصاحة في اللسان، لا يدع إنساناً يسبقه في بلاغته إلا متغاضباً عنه أو متساهلاً أو متواضعاً. لقد كانت سياسته سياسة عملية يعرف من أين تؤخذ العنينة، وكل شيء عنده يلبس لباس السياسة على أنه لباس زاه جميل^(٦).

(١) يوسف العشي، مذكرات ٥٠.

(٢) ابن خلون، تعريب، ٤/٣، بولاق.

(٣) انظر ليلاندي، سواب الأشراف، ج١، قسم ١٧/١، عين الأخبار ٩/١.

(٤) انظر ليلاندي، انساب الأشراف، ج١، قسم ٢٩/١ ٧٥، تنويري: نهاية لأرب ١٣/٦.

(٥) ابن قتيبة عين الأخبار ٢٨/١.

(٦) يوسف العشي، مذكرات ٥٠٠.

معاوية وأسرته،

نظر معاوية إلى الأسباب التي أدت إلى الثورة على عثمان فرأى أن توبة عثمان لأفاريه كانت في مقدمة هذه الأسباب، حيث رأت القبائل أنها قد أصبحت تحت قبضة رجال من بني أمية، كما عزم أيضاً أن احتجاج القبائل على التعصب للأفرياء قد وجه إلى علي أيضاً، فلا بد والحالة هذه أن يتعامل مع القبائل ومع أقربائه بحساسية تامة، فهو لا يرغب في إثارة العداء القبلي عليه، ثم هو لا يريد أن يكون أسيراً للقبيلته ولأسرته.

احتز معاوية بني أمية كثيراً فسمي عبد بن العاص عنه سبب قرش دون منزع، ومروان بن الحكم رجلاً، وعبدالله بن عامر بن كريب ضاعاً ملاً وتوسعاً^(١) غير أن هذا الاعتزاز لم يتبعه توبة بني أمية ولايات يحشى معاوية خطرهما، لقد اقتصر دور بني أمية في شؤون الدولة الإسلامية على أمرين^(٢) الخلع فلم يول عليه طيلة حكمه غير أموي^(٣) وولاية الخضر، فقد تعاقب على هذه الولاية رجالات بني أمية أمثال عتبة بن أبي سعيد وحالد بن العاص، وعبدالله بن حاتم بن أسيد، ومروان بن الحكم، وعمرو بن سعيد، والوليد بن عتبة بن أبي سفيان^(٤) ونظرة على حكم هؤلاء، لولاة نرى أن معاوية كان يعاقب بين رجالات بني أمية في ولاية الجند وأهمهم سعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، وعمرو بن يوسف، وفيه شدة وظلمة وسعيد سة أخرى وفيه لين وهدنة وحلم وصنيع^(٥).

ومع ترك ولاية الجند بني أمية، ولا أنه لم يترك لهم مجالاً لملاجتمع عليه. لقد كان يفرى بين رجالات بني أمية فمرة يطلب من مروان أن يتبسط أموال سعيد بن العاص، ومرة أخرى يطلب من سعيد أن يهدم دار مروان. كل ذلك حتى يبقى معاوية فوق آل أبي العاص.

لقد حشي معاوية بني العاص كثيراً فكان لا يولي أحجاز أحداً منهم إلا إذا لم يجد من هو كفوهم بني حرب، وكان معاوية يعين رجالات بني حرب على الطوائف لئلا

(١) البلاء، أنساب الأشراف، ج٢، قسم ٢٢/٦.

(٢) البقاء، تاريخ ٢٢٧/٢.

(٣) نظر زامبوري، معجم الأنساب ٢٧، ٢٨.

(٤) ابن عبد ربه، العقد القوي: ٣٦/٧، بن حجر، الإصابة ٤٩/٢.

أثبت كفاءة ولاء مكة فإن أحسن الولاية جمع به المدينة^(١)

ظهر تطلع آل أبي العاص إلى الخلافة عندما عرف معاوية مروان بن الحكم سنة ٤٩هـ، فجهه إلى معاوية وقال له: "والله ما أنصفتنا ولا جرتنا جزاءنا، فقد كانت المسابقة من بني عبد شمس لأن أبي العاص، والنسهر برسول الله لهم، وخلافة منهم، فوصلوكم يا بني حرب وشرفوكم، وولوكم فما حرلوكم، ولا أنروا عليكم حتى إذا وليتم وأفضى الأمر إليكم أنيتم إلا أثرة وسوء صنعة وقبح قطيعة، فريدأ وريدأ قد بلغ بنو الحكم وبو بيه نيفاً وعشرين إلها هي أيام قلائل حتى يكملوا الأربعين ويعلم مروان أين يكون منهم حيثئذ ثم هم للجزاء بخسنى وثك بالمرصاد^(٢)".

ولم ينف مروان عند هذا الحد، بل كان يحرض أمية عثمان بن عفان على معاوية ويذكرهم بأن بني حرب لم يأخذوا الخلافة إلا باسم أبيهم، لا سببهم وأن بني العاص أكثر رجال من بني حرب^(٣)

وإزدادت نفقة آل أبي العاص عندما أهل معاوية ترشيح ابنه لولاية العهد فجهه سعيد بن عثمان بن عفان إلى معاوية وبين عدم رغبته عن هذه البيعة، فرد عليه معاوية: "لقد فمت بشاركم، وقتلت قتلة أبيكم وجعلت الأمر لبيكم، وأعطيت فقيركم ورفعت الرضيع منكم"^(٤) وأزاده تطلعات آل أبي العاص نحو الخلافة كان معاوية يعمل جاهداً على لإيقاع بينهم حتى لا تتحد كلمتهم هذه.

لم يكن معاوية يسمح لبني أمية التدخل في شؤون دولته، فعندما ألقى رقاد بن أمية بسبب أبي سعيد دخلت عليه بنو أمية فقال عبدالرحمن بن الحكم: يا معاوية لو لم نجد إلا الرخ لاستكثرت بهم، أعيب قللة وذلة، ففقد معاوية مروان، أخرج عن هذا الخليع^(٥)

كما منع معاوية شاعر بني أمية: عبدالرحمن بن الحكم من التشبيب بالنساء أو

(١) الطبري، تاريخ ٢٩٦/٥

(٢) الأصفهاني، الأنبي، ٢٦١/١٢ (إنار الكتاب).

(٣) مصعب الزبيري، سب قريش ١٠٩-١١٠.

(٤) الأصفهاني، لأمني ٥٥/١٧ (مسامي).

(٥) البغدادي، نسب الأشراف، ج٢، قسم ١٨٩-١٩٠

هجاء الكرماء واستشارة اللؤماء وحثه على ذكر مفاخر قومه والتحدث عن الأمثال السائرة التي تزين النفس ، وتدل على صحة العقل^(١).

ويهدد السياسة استطاع معاوية أن يحفف من حقد القبائل على بني أمية ، كما أنه استطاع أن يحضعهم جميعاً لسياسته فلم يصبح يوماً أسيراً لهم.

معاوية وقريش

كما نظم معاوية علاقته بأسرته ، فقد أحسن سياسته مع قريش . وهي سياسته هذه كان ينادي ويصانع ويحج ويحج حتى استكانت له قريش جميعها

بدأ معاوية ببني هاشم ، فأخذ يتقرب إليهم بشئ الأساليب ، فعادون أن يصهر إليهم^(٢) ، ولد أحجز الأمر أصدق حلهم الأموان ، وتورد إليهم كثيراً

كتب إلى عقيل بن أبي طالب يا بني عبد المطلب أنتم والله فروع نبي ، ولنا ب عهد مناة ، وحملوه بني هاشم^(٣) . والحسن أكرم قرشاً أما وأباً وجداً وجدة وعماً وعمة وغلاً^(٤).

ومن ناحية أخرى ، فقد أكثر معاوية من الأعطيات لهم ، ففي يوم واحد أطلق للحسن والحسين مائتي ألف درهم ، ووصل الحسن بعد الصلح بأربعين ألفاً وثقل أربعمائة ألف ، وزاد الحسن والحسين من خمسة آلاف إلى مليون درهم ، ومثلها إلى ابن عباس وابن جعفر^(٥).

ويحسن السياسة وإفدائ الأموال استطاع معاوية أن يجد الهاشميين من الأضواء والحركات السياسية وخاصة ما كان منها في العراق

غير أن ما كان يروج معاوية من بني هاشم هو تطلّعهم إلى الخلافة ، وإن ما

(١) الطبري تاريخ ٢٣٦/٥.

(٢) البغدادي أنساب الأشراف ، ج٢ ، قسم ١٣١/١.

(٣) الأثيري ، المستطرف ١٨٩/١.

(٤) البغدادي أنساب الأشراف ، ج٢ ، قسم ٢٢/١.

(٥) سطر ابن خلدون العقد طريد ١٠٤/٥ ، السفي من التسلط ٢١.

يعطيهم إياه هو يعرفهم حقاً من حقوقهم، ونرى ذلك في المناظرة التي حدثت بين ابن عباس ومعاوية: قال معاوية: يا بني هاشم إن خير لي لكم لمنوح وإن باي لمنوح، فلا يقطع خبري عسكم ولا يرد باي دونكم. إنكم ترون أنكم أحق بما في يدي مني، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم فنتم أعطائنا دون حقنا وقصر ي من قدرنا، فصرت كالسلوب، والسلوب لأحمدته، هـ مع إنصاف فإللكم، وإنصاف ناللكم، وإعطائي سائللكم.

فأجابه ابن عباس: والله ما سمعت شيئاً حتى سألتك، ولا فتحت لنا باباً حتى قرعنا، ولئن قطعت عما حيرك فحير الله وأسع منك، ولئن أغلقت دوننا باباً لكفى ألغيت علك، وأب هذا مال ليس لك منه ولا ما نرجال من المسلمين، ولو لا حقنا في هذا مال لم يأتك زائر^(١١)

وبالنسبة لباني قريش، فقد اعتمد عليهم معاوية في صراعه مع علي، فكان أغلب قواده منهم، ونصّب مجلسه الاستشاري مكون من حمرو بن الأعاص، وحبيب بن مسلمة النهري، ويسر بن أرطاة، والضحك بن قيس النهري وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد^(١٢).

وبعد أن تسلم معاوية الخلافة، فعن إلى أمر هام وهو أن قريشاً التي أهدته في صراعه مع علي رأت أن مطالبة معاوية بدم عثمان لم تكن لدائنها، وإنها تطورت في النهاية حتى تسلم الخلافة

وقل «تحدثت مع ميسمته مع قريش لا بد من القول أن معاوية كان كثير الاعتزاز بقريشته، فامرأة من قريش حيرت من امرأة من كلب^(١٣) وهائب الأخنف بن قيس، قال له أرحيت أن تلبع قريش بالبصرة دبع، لحوان^(١٤).

واغشحر معاوية بأن الله حبا قريش ثلاث^(١٥) فقال بسبه: «قواتر عشرينك

(١) الأبيشي، المستطرف ٥٨/١

(٢) الطبري، تاريخ ٩٧/٥-٩٨ (بين كثير، بداية والنهاية ١٧/٨)

(٣) ابن أظم، اللقح ٢٥٣/٣

(٤) أنساب الأشراف، جزء ١، قسم ١٦/١

(٥) الأبيشي، المستطرف ٥٨/١

الاقريش^(١) وقريش عشرينه، وقال تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾^(٢) وقريش قومه، وقال تعالى: ﴿إيلاف قريش لإيلافهم﴾^(٣) ولغة قريش عند معاوية أنصع اللغات العربية، لأنها حلت من عيوب اللهجات العربية الأخرى^(٤).

غير أن العرب ما كانت تفوت هذا الصحر لمعاوية فعندما ذكر ما حبا لله من قريشاً من القرآن وقف به رجل من الأنصار وقال له^(٥): عني وسلكت يا معاوية فوالله تعالى يقول: وكذب به قومك وهو الحق^(٦) وأنتم قومه، وقال تعالى: ﴿ولما صرّب ابن مريم مثلاً إذ قومك منه بصدون﴾^(٧) وأنتم قومه وقال تعالى: ﴿قال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾^(٨) وأنتم قومه.

كان يدرك معاوية تطلعات أباء كبار الصحابة القرشيين للخلافة، وهناك أكثر من ثمرات تشرب نفوسهم إليها، وإزاء ذلك تعامل معهم معاملة تحقق مصالح الخلافة أولاً، ومصالح بني أمية ثانياً.

فبأسية للدولة لم يعتمد معاوية على رجالات قريش وخاصة في ولاية الكوفة، فهي البنية سلمها لرجل من ثقيف هو أنفيرة بن شعبة، وسلم البصرة لعبدالله بن عامر وبعد عزله سلمها لثقيفي آخر هو زياد بن أبيه ثم جمعت له العراق كلها.

أبعد معاوية رجالات قريش لأمرين: حتى لا يتطلعوا إلى الخلافة. وقد قال بهذا الشان لعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب: لقد هممت أن أولئك الكوفة حير مرة، فما معني من ذلك إلا أنني قلت أوبىه فيقول أنا ابن زيد بن الخطاب أحد أبناء المهجرين البصريين وعمي الفاروق وأنا أحق بالأمر من معاوية^(٩).

- (١) سورة الشعراء: الآية ٢١١
- (٢) سورة الفرقان: الآية ٤٤
- (٣) سورة قريش: الآية ٢٠
- (٤) الجاهلي: البيان والتبيين ٢/٢٠٥
- (٥) الألباني، المستطرف ١/٤٨
- (٦) سورة الانعام: الآية ٦٦
- (٧) سورة الفرقان: الآية ٤٧
- (٨) سورة الفرقان: الآية ٣٠
- (٩) البغدادي، شذرات الذهب، ج ١، قسم ٢٧/٦.

وعدا فكر في تولية عبدالله بن عمرو بن العاص على الكوفة عدل عن مشروعه
عندما قال له، «بغيره استعنته على الكوفة، واستعملت عمراً على مصر فتكون أنت بين
لحيي الأسد»^(١١)

والأمر الثاني كان معاوية إذا أحس بحظر من قرشي تخلص منه بشئ الأساليب،
فعندما استشر الناس من يستحلف بعده، رشح البعض عبدالرحمن بن خالد - وكان
عظيم القدر عند أهل الشام^(١٢) - عزله معاوية عن حمص فوراً وبعد مجيء عبدالرحمن
إليه وقوله له: «أتمزلي بعد أن وليتني بغير حدث أحدثه والله لو إنا بمكة على السواء
لا تنصعت منك»، فرد عليه معاوية: «ولو كنا بمكة لكنت معاوية بن أبي سفيان منزلي
بالأطح ينشق عنه الوادي»، وأنت عبدالرحمن بن خالد مثلك بأحياد مكة^(١٣)، وتخلص
منه بالنسبة على حد زعم بعض الروايات^(١٤). كما يذكر المسعودي أنه تخلص من الحسن
بهذه الوسيلة عن طريق جمعه بنت الأشعث مقابل مائة ألف درهم ورواجها من ابنه
يزيد^(١٥).

ومع أن الأمر مستبعد هذا مستبعد من معاوية، إلا أنه يشير إلى مدى حساسية
الحكم من تطلع البعض إلى منصب الخلافة ومع هذه السياسة مع قريش، فقد كان لا يرد
لهم طلياً، فقد جاء إليه عبدالله بن صفوان الحمصي وطلب أن يفرس لقريش ولخلفائها
فوافق معاوية على ذلك دون تردد^(١٦).

وتابع مع بعضهم أيضاً سياسة المح، فلما حزن عقبه بن دافع المهري عن أفريقيا
وولاه لأبي المهاجر مولى مسمه بن مولى، لأنصاري قال له معاوية: «ما وليته إلا لكان
مسمه بن مولى من عثمان فأعطاه بعض المال ووعده برده إلى عمله بعد حين»^(١٧)

كان معاوية دائم التفتيح لأخبار قريش الحجاز، يسأل عن أحوالهم، ويكرم
رؤسهم، يهيم دوماً أن تكون قريش مشغولة عنه.

(١١) الطبري تاريخ ١٦٦/٥

(١٢) ابن حجر، الإصابة ٦٨٧/٢.

(١٣) ابن سعد، الطبقات ١١٥/٤

(١٤) عبد القدير، ١١٥/٤ لأباني ١٢٧/١٥، الإصابة ٦٨٧/٢

(١٥) مسعودي مروج الذهب ٥/٢

(١٦) مصعب بن عمير، نسب قريش ٢٨٩

(١٧) ابن عساق، البيان لأباني ٢٢/١

ألمنّا تأديبكم كما ألما رعائتكم، وبما لم نأذن له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه
دوت^(١)

ولما قدم عليه الأحنف بن قيس وجاريه بن قدامة واجون بن قتادة والحنات بن يزيد
أعطى كلا منهما حسب قدره فاحتج الحنات على ذلك فاضطر معاوية أن يزيد
جائزته^(٢)

وأغلق معاوية على رؤساء القبائل من المال كثيراً، ويستدل على ذلك من كتابه
إلى عمرو بن العاص: إن سواد أهل الحجاز وزوار أهل العراق قد كثروا على، وليس
عندي فضل من أعطيات الحنات فأعصى بخراج مصر هذه السنة^(٣)

عرف معاوية عطر قبائل العراق، فكان لا يترك ماسة إلا وحاول التهرب إليهم
كان يتحمل منهم كل شيء ويقابل صيحاتهم بهزجيات تأمر قلوبهم وبنداراهم
لإسكات أرواحهم، عرف أن غضب رئيس القبيلة سيثير غضب مئات من أبنائهم لا
يدرون على ماذا غضب سيدهم^(٤) كان رؤساء العراق يرون أنهم ينبغي له طاعة
وليسوا كرهين وهو لم يحضهم بقتال، من هنا كانوا يهددون معاوية دوماً فجاريه
بن قدامة قال له: «بئسك لم تمنحنا قسراً ولم تملكنا عزة؛ ولكنا أعطيتنا عهداً وميثاقاً
وأعطيوك سمعاً وطاعة، فإن وفيت لنا وفينا لك، وإن فرغت إلى غير ذلك فلما تركنا
رجداً شذاً والسنة حداداً»^(٥)

وهذه بريجة وقال له إن من ورثي بريجة ركباً شديداً لم تصدأ أذرعهم
منجدوها ولا كنت سيوفهم من شحذوها^(٦) وهذه أيضاً «بن صعبه العبدى بمزوه
ومعه مائة ألف من قومه»^(٧)

(١) الطبري، الأخبار الطوال ٩٠/١

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب ٣٩٧/١، ماضي الأندلس ابن الأثير الكامل ٢٤٢/٣

(٣) الطبري، أخبار الطوال ٢٢٤

(٤) ابن عبد ربه، العقد الجديد ٩٨/٤ جبر بن جندب ١٧ - مطبوع

(٥) ابن عبد ربه، العقد الجديد ٩٨/٤

(٦) البلاذري، أنساب الأندلس جزء ٨٩/١

(٧) أحمد بن حنبل ٢١ - لاب وانظر أيضاً أخبار الزناديق مطبوع بمسور جامعة الدول العربية تحت
رقم ٣٨٦.

هير أن معاوية كان يقابل طعس وقد هولا الرصاء بالحلم والمال وبهما استطاع أن يكسب ود جميع القبائل ولو ظاهرياً.

غضب معاوية الطرف عن كل شيء باستثناء ما يس الخليفة وشرعها ففي مصر أعطى مسلمة بن مخلد أهل الديوان أعطيائهم وأوراقهم ويحث بالانكسار إلى الشام، فاعترضه الغافنة بريح بن حسكر، عود القافة وقال لئس ' هل أخذتم عطاءكم وأرزاقكم وأعطيائكم وبواثكم قالوا نعم قال . لا يارك الله فيهم^(١).

وبمس المشهد تكرر في المدينة عندما رفض عاصم بن هاشم بن عتبة أن يسلم عطاء القبائل إلى العرفاء . وطلب أن يأتيه أهل النعده حتى يدفع لهم ما يخصهم ، لأن العرفاء كان لا يبيعون غالباً ولا يشتون شيئاً ، فكره الناس ذلك لما يبيعون من حظ الموتى والغيب ، وامتنعوا عن إتيانه فأقام على ذلك أياماً ثم دحس مسجد فسر بحلقة فيها الحسين وابن الزبير وعمر بن عثمان فوقف عليهم ، فقال له بعض أهل الحلقة ' ما يمنعك أن تدفع هذا حال إلى أهله . فذكر لهم لأسباب الدافعة لذلك ، وأن هذه أوامر الخليفة معاوية . فقالوا له فكيف تصعب بالنساء أنعطيهن في أيديهن - يريدون بذلك الحجة عليه - قال والنساء أيضاً . فعضب الناس من كتمته فحضره وقام كبار أبناء الصحابة وقسموا الأموال على الناس فبلغت معاوية الحدثة إلا أنه أمر عن عنها .

وفي البصرة قامت تميم والأزد وربيعة وجاءت إلى مالك بن مسعود سيد البصرة وقالوا له . يحمل ابنك وليتق بلا عطاء . فركب مالك في ربيعة واجتمع الناس إليه فلحق بذلك ورده . و صرب فسطاحاً بالمريد وفرق المال في الناس حتى وقاهم ، وأعطاهم ، ثم قال إن شئتم لأن أن نحمداً ما حمداً ما رجعه زياد بن أبيه بحرف^(٢).

وكما كان معاوية يضرب قرعش بعضها ببعض فقد كان يضرب القبائل بعضها . فبعد أن تسلم الخلافة فرض أهل اليمن وترك قيساً طيف لسياسة السج والنع ، إلا أنه رأى أن هذه السياسة متعوز عليه بنق قليلة هو في غنى عنها فراجع عن ذلك .

وسب تراجع معاوية أنه سمع رجلاً من اليمن يقول ' هممت أن لا أدع بالشام أحداً من مصر ، بل هممت أن لا أحل جبوتي حتى أخرج كل زواري بالشام فسارح

(١) ابن عبد الحكم: فترج مصر ١٠٢

(٢) الأصفهاني: الأتاني ٣٨/٢ (١٠٥٥هـ)

معاوية إلى فرض لأربعة آلاف من قيس سوى خندف^(١)

وهدف معاوية من وراء ذلك تحقيق سياسة التوازن بين القبائل ويرى اليمانية أنه بإمكان أن يكسر شوكتهم إذا ما حدثتهم أنفسهم بالخروج عليه .

واتبع معاوية سياسة المنح والقدح بين القبائل . فقال عن قيس ' لو أن الهجوم تساقطت لسقط حجرها في حجر بني يربوع^(٢) ، وعن الأزد طويلة غريص كثير عددها لا تمنع من دخلها ولا تنافي من حرج منها^(٣) . وإذا ما أحس بنفسه رؤساء هذه القبائل فإنه كان يتراجع عن ذلك ، بن ويمت إليهم ويرضهم^(٤)

كان معاوية يسأل عن كل قبيلة ويحاول التعرف على خصائصها ومزاياها حتى يعرف أفضل وسائل التعامل معها^(٥)

كتب إلى زياد وأبيه على العراق . أن ينظر أهل اليمن فيكرمهم في العلانية ويهيبهم في السر ، ربيعة فيكرم أشراهم وليهين سفلتهم ، فإذن سمعة تبع للأشراف ، أم مفسر فعيبهم مصابة وغلظة وطلب منه أن يحمل بعضهم على رقاب بعض ولا يرضى بأنظر دون اليقين ، وبالقول دون الفحص وأن يترك للأمور بينه وبين الناس على أشدها^(٦) . ويمت إلى مسنمة بن مخند وأبيه على مصر أن لا يولي عمله إلا أزدياً أو حضرمياً فإنهم أهل أمانة^(٧) .

غير أن سياسة معاوية هذه لم تخدم العصبية القبلية ، ففي عهده بدأت عصبية الأمصار خاصة وأن معاوية كان يشجع عليها فيقول من أهل الشام أنتم ابنة والرداء وأنتم العدة والجداء^(٨) . وظهرت العصبية القبلية بين القيسية واليمانية في انقسام ، فقد احتجت القبائل اليمانية لأن معاوية يعزو بها في البحر ، والقبائل القيسية تخاف في

(١) المصدر السابق ١٦٦/١٨ (بيروت).

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، قسم ٣٣/١.

(٣) الأصبهاني، لأثافي ٢٧٩/١٤ (بيروت).

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، قسم ١٢/١-١٤، عقد الفريد ٣/٤.

(٥) مسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٥-٤١.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، قسم ١٨٦/١.

(٧) ابن عبد الحكم، فتوح مصر ١٢٢، طبعة لبنان.

(٨) ابن قتيبة، عيون الأخبار ١٠٠/١.

البر، وحاول معاوية أن يبرر عمله للفتن بهم، وأن في قيس نكداً وأخلاقاً لا يحتملها الثغر، إلا أن ذلك لم يجد، ولم تتوقف الهماية حتى أشرك معهم القبائل القيسية^(١).

معاوية والأمصار

لقد شدد معاوية قبضته على الأمصار بواسطة ولاية يشهد لهم بالكفاءة الإدارية. وقد درس هؤلاء وضع القبائل في أمصارهم أفصل دراسة، عرفوا كيف يسلكوا مع هذه القبائل إضافة إلى ذلك أن معاوية قد عرض لهم الأمر، ومنحهم لفته الثامنة فهو يقول للمغيرة أردت يضافك بأشيء كثيرة، فلما تاركها اهتماماً على بصرك مما يرضيني وسعد سلطاني ويصلح به رعيتي^(٢). ولم يكن معاوية يولي أحداً إلا إذ وثق به وأطمأن إليه، أما من يحشاهم ويحذرهم فدم يولهم شيئاً وسياسة معاوية في لرحية يجب أن لا تسانس سياسة واحدة، فإذا اشتد الوالي لأن الخليفة، وإن اشتد الخليفة لأن الوالي، وبعض آخر يكون أحدهما للمعاطلة والآخر للبر والفرق^(٣).

غير أن مقدرة ولائه وحسن إدارته لم تحمد جلوة العصبية القيسية، فكان أن قامت في الكوفة تحت شعار الأحراب السياسية

كان المغيرة بن شعبه والياً على الكوفة، والمغيرة يعتبر من دهاة العرب، وهناك استطاع أن يعرف كيف يسوس أهل الكوفة فالكوفة تسكنها جماعات متعددة المذاهب واعتقدت، فيها من عرف الحكم المركزي منذ زمن بعيد، وفيها الأحراب الذين اعتادوا على حياة الفوضى والتنقل

و.فعية سلسلة القيادة إن عرف الوالي قيادتها على الرغم من التشيع الثابر بها، وهذا التشيع كان في غالب الأحيان ذ غايات معية ولم يكن إيماناً بمعتقدات

والكوفة أيضاً لا تقبل بالوالي، بل وتثور عليه إن هست فيه ضعفاً، وإن هست فيه قوة مالا، أهلهما وهابوه، ونهم يجمعون بين التشيع الشديد والخنوع للحاكم القوي^(٤)

(١) الأصمعي، الألفاظ ١٦٢/١٨-١٦٦ بيروت

(٢) الطبري، تاريخ ٢٥٢/٥.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١ قسم ٦٨٦-٦٩.

(٤) يوسف امين، مذكرات ٥٤.

والغيرة عرف ذلك من أهل الكوفة، فأقام سياسته على هذا الأمر فأطلق عاطفة التشيع عند أهلها، وأثبت ذلك بالفعل لا بالقول فعندما صعد منبر الكوفة أول مرة حصبته الشيعة وعلى رأسها حجر بن عدي، فقتل من المنبر مسرعاً ودخل دار الإمارة وبعث لحجر خمسة آلاف درهم مكافئة على فعله معتبراً عمله هذا أنه قتل معارضة الشيعة^(١).

وعلى أية حال استطاع بالمعيرة أن يسكت الشيعة، ومع ذلك لم يمس حظرهم، وجاءت الفرصة عندما خرج عليه المستوردة بن علفه التميمي، وحيان بن قبياب السلمي ومعاذ بن جون الطائي، فأراد ضرب الأحزاب السياسية بعضها البعض

اعتمد المعيرة في قتله الخوارج في بادئ الأمر على رؤساء القبائل وقال لهم ليكني كل رجل منكم قومه، والا فوالله لأحولن عما تعرفون إلى ما تنكرون وعما تحبون إلى ما تكرهون^(٢)

وهما قام رؤساء القبائل واستعدوا لأخذ أرواحهم من بين صفوف الخوارج^(٣)، إلا ما كان من صعبعة بن صوحان العبدي، فقد كره في بادئ الأمر أن تؤخذ عشيرته أو أن يساء إليهم بعد أن حسم بعض الخوارج قد لحقوا إلى سليم بن معدنود العبدي، لكن صعبعة غير موقفه عندما رأى تسابق الرؤساء لسجدة الوالي، فجهاد إلى قومه وقال ' إنه ليس ينبغي لي من أحياء العرب أن يكون أعدى لهذه العارقة منكم، وقد والله ذكر لي أن بعضهم في جانب من هذا الحي وأنا باحث في ذلك ومفتي، فإن كان ما حكى لي ذلك حقاً تفرقت إلى الله تعالى بدمائهم . يا معشر عبدالمعسر إن ولأنا هؤلاء هم أعرف شيء بكم وبرأيكم فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلاً . وحسن حفظ عبدالمعسر أن الخوارج خرجوا من عند سليم بن معدنود خوفاً منهم من قبائلهم^(٤).

وبعد أن حلت بالمعيرة الرؤساء اعتمد على طريقة جديدة وهي ضرب الأحرار السياسية بعضها بعضاً كما قلت، لقد كان أصحابه معقل بن قيس الرباعي من رؤوس

(١) القمي، الأحبار المذاهب ٢٢٤

(٢) ابن الأثير، الكامل ٤٣٦/٣ (بيروت)

(٣) الطبري تاريخ ١٨٤/٥

(٤) انصهر السليق، ١٨٤/٥

الشيعية، فترك له المغيرة حرية اختيار جمده لقتال الخوارج^(١) ولا حرم عبدالله بن عامر والي البصرة بذلك أمر شريك بن الأحور الحارثي، وكان يرى رأي الشيعة وانتخب معه ثلاثة آلاف رجل معظمهم من ربيعة لقتال الخوارج^(٢)

وفي القتال مع الخوارج ظهرت العصية الاقليمية فبعد هزيمة الخوارج في المثلث سنة ٤٣ هـ رأت البصرة أن مهمتها قد انتهت، فهم خرجوا كي يحرقوا أرضهم ويمنعوا الخوارج من دخولها وأما بعد هزيمتهم فهم عبر مكثين بالدفاع عن أهل الكوفة^(٣) ولا يستبعد أيضاً أن يكون رجوع أهل البصرة كان استجابة لدعي العصية القبلية، فلتحمس بالرجوع منهم كان خالد بن معدن «طائي» وعالية الخوارج كانوا من هيرة وربيعة، وضافة إلى أن معظم جيش البصرة كان من ربيعة فعدم رغبة الربيعيين والعتابين في مقاتلة إخوانهم كانت سبباً لرجوعهم.

واستمر المغيرة في ولاية الكوفة حتى وفاته ما بين سنة ٥٠-٥١ هـ ويذكر أن معاوية قد هم بعزله قبل وفاته إلا أنه عشي المغيرة، وخاصة عندما استأذن معاوية أن يذهب إلى قرقيساء^(٤)، أو إلى الحجاز^(٥) فغضب معاوية أن يذهب أساس عليه فأبده في ولايته.

والموالي الثاني الذي اعتمد عليه معاوية هو زياد بن أبيه بدأ زياد حياته الإدارية منذ عهد عمر بن الخطاب، ولما جاء معاوية عيه على البصرة بعد أن هزوا عنها عبدالله بن هاشم.

كان الموضع في البصرة يختلف عنه في الكوفة، إن معظم القبائل التي نزلت إليها، أو سكنت في أطرافها كانت من القبائل البدوية العريقة وكانت على شطرين قسم منها كان لا يهمهم التقدم ولا الحرية ويعيش ببداوة على طرود الجاهلية من تأر وهيب وهزرو، وقسم آخر اشتد في اسلامه وتعصب ببعض المبادئ الإسلامية يفهمها من الظاهر دون معرفتها على حقيقة أمرها وروحها، وهذا القسم يتألف من الخوارج الذين كفروا غيرهم، ولا إذا عترف الغير بأنه كافر وثاب عن كفره، وهذا ما جعل الأمر في

(١) المصدر السابق، ١٨٨/٥.

(٢) المصدر السابق، ١٩١/٥.

(٣) المصدر السابق، ٦٠/٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ٤٢٧/٢.

(٥) البلاذري، انساب الاشراف، جزء ١، ٣٤/١.

لبصرة في اضطراب وشعب مستمر والحالة كانت تندر بأسوأ مما هي عليه^(١)

ناهيك عن عدد الموالي الذين كثروا هناك وتحالفوا مع بعض القبائل العربية وقد تنبه معاوية بنى حضر هؤلاء، واستشار رجال البصرة في شأنهم وعلى رأس هؤلاء الأحنف بن قيس، وسمرة بن جندب حيث قال لهما معاوية . . . وكأني أنظر إلي ولبة منهم على العرب وللسطان فرأيت أن أقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة السوق وعمدة نهريق فما ترون؟ فقال الأحنف أرى أن نفسي لا تطيب أخي لامي وعالي وموالي وقد شاركناهم وشاركونا في السب أما سمره فقد أشار بقتلهم وقدم بنفسه لتنفيذ العملية

وبعد ذلك خطر لمعاوية أمر جديد وهو ترحيلهم من البصرة، فنقل قسم منهم إلى عبيك وحمص وإطاكبة ورتب حمصة من الصنح والشحار في سواد حل الأردن يركب^(٢)

عما تقدم ترى أن المعصية العربية ضد الموالي قد أخذت تظهر لوجود، لا سيما إذا رأينا أن عصاة من الموالي يترجمها شخص يدعى "أبو علي" وهو مولى لسي الخمارت بن كعب قد خرجت على عهد أفييرة بن شعبه ويعد إليهم المعيرة رجل من محبيه فناداهم يا معشر الأعاجم هذه العرب تقاتلنا على الذين فما بالكُم؟ فرد عليه أحدهم فإن سمعنا قرأنا عجباً يهدي إلى الرشد فأما به وإن شرك برينا أحماً^(٣) وإن الله بعث نبياً للناس كافة ولم يروه عن أحد^(٤).

إن معاوية الأحنف لقتلهم كانت نابعة من الحلف الذي ربط ليمم بالموالي الذين كانوا يعرطون في البصرة باسم "الأساورة والوط والسبابجة" فرأى في قتلهم خسارة ليمم، التي تلقف أمام حلف وبيعة واليمين.

وأمام هذا التركيب السكاني لأهل البصرة كان لا بد لها من واد حارم يجري النظام ويحيف القبائل، وقد أراد معاوية أن يعهد بولايته إلى أشبه عتبة بن أبي سفيان

(١) يوسف العثري، مذكرات ٥٦

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ١٢٩ - ١٤

(٣) سورة البقر، الآية ٢٠١

(٤) الخطيب، تاريخ ٢١٠/٢

منذ البداية غير أن عبد الله بن عامر ذكر أن له به أموالاً وودائع وعشي إن لم يذهب إلى البصرة سيقعدها غولاً عليها^(١).

وعلى الرغم من الكفاءة التي تمتع بها ابن عامر، إلا أن حلمه وكرمه جعل السنفهاء يتعادون في ارتكاب جرائم حتى فسدت البصرة، فتذمر أهلها ورسوا وقدماً إلى معاوية وأخبروه بأن عاملهم ضعيف وقد غلب السنفهاء على المدينة.

وبدلاً من أن يتجه ابن عامر إلى الصرب على أيدي العائين لجأ إلى إثارة النزعات بين أهل البصرة. كان عبدالله بن أبي أوى يشكري^(٢) من ضمن الوفد الذي ذهب إلى معاوية، فبحث ابن عامر عن خصمه وهو طفيل بن عوف اليشكري^(٣) وولاء على حراسان، فعرف عبدالله قصد ابن عامر فقال: إن من دجاجه (ابن عامر) لقبيل اعلم في، أضح أن ولاية طفيل حراسان تسلي، لو ددت أنه يبق في الأرض يشكري، لا عاداني وأنه ولاهم^(٤). وبما اردتت الموضوع في لبصرة وسدت حالتها عزل معاوية عبدالله، وعين عليها اخارث بن عبدالله الأزدي، فأقام أربعة أشهر والظاهر أنه لم يستطع أن يستأصل جذوة الشر فيها فعهد إلى زياد بن أبيه والياً عليها

والواقع أن زياداً كان من صابرة العرب، ودهائهم، عمل فترة محاسباً للخراج لعمر بن الخطاب على البصرة وهو لا يزال في الرابعة عشر من عمره، واستمر كذلك في عهد عثمان، ولما حدثت الفتنة الأولى التحق بصوف على، وبعد موته اعتصم باصطخر حتى تدخل الخليفة بن شعبة وأقنعه بالسيرة لمعاوية جاء زياد إلى البصرة والموضوع صارية أظانها فيها، وتلمس دلت من حيلة زياد، فاقنل وامر عام فيها، يقتل الإنسان يذهب دمه هدرًا إلا إذا كانت له عصبية قبلية شديدة تأخذ بآره^(٥) وأما ضعفاء الناس فلا يجدون من يسأل عنهم. كما انتشرت السرقة والفجور، وكثر التثقيب على المارل وهذا يدل على أن الوالي كان غائباً عن الوضع في المدينة.

جاء زياد إلى البصرة واتخذ تدابير استثنائية، الهدف منها إعادة الأمن إلى المدينة وهذه التدبير هي^(٦).

(١) يوسف العث، مذكرات ٥٦

(٢) لطيفي، تاريخ ٢١٣-٢١٤، من الجمعية في العقد القوي ١٧٧/٤-١٧٢، يوسف العث، مذكرات ٥٦

(٣) يوسف العث، مذكرات ٥٦

(٤) انظر من لخطبة في العقد القوي ١٧٢/٤-١٧٢، يوسف العث، مذكرات ٥٦

- أنه يتحدد مبدأ القسوة الشديدة التي تخرج عن الحدود، فعقوبة شديدة حسب رأيه
- فتفي من عقوبات بسيطة متكررة
- لا يُسأل المسؤول عن الحرم وحده، بل يسأل من له علاقة به ليأخذ الدولي بالمولى،
ودلتهم بالظاعن، والإنسان ليس مسؤولاً عن نفسه فحسب، بل مسؤول أيضاً
عن يلود به
- العقوبة القروية لن يخالف هذه التدابير، أو يظهر بمظهر للمخالف
- توجيه الناس نحو المتوحات مع عدم تهمير، لحيوش
- حذر الناس من «لعنبة القليلة» وقال: إن أهل البصرة قد قروا القرابة وباعدوا
الدين، فلعنهم من دنج النيل ومن دعوى الجاهلية وقال: إني لا أجد أحداً دها
بها إلا قطعت لسانه

لقد نفذ رهاد خطئه هذه تنفيذاً تاماً ولم يتوان في ذلك لحظة، وبدأ بتحسين حال
الشرطة وجعلها تأتمر بأمره غير أنه أوجد مسؤولاً جديداً، يتابع أمر الناس وهو ما يشبه
اليوم «سب» «شرطة الآداب» واستعان أيضاً بعدد من صحابة رسول الله منهم عمران
بن الحصين الخزاعي وجمعه على قبضه البصرة، والحكم بين عمر الصمري وولاه
خراسان، وقرب إليه أيضاً سمرة بن جندب، وأُس بن ماث، وعبد الرحمن بن
سمرة^(١) وما مضى زمن غير طويل حتى استكنت البصرة وعاد الأمن فيها إلى
نصابه، بل فأعاد «الخوارج» رؤوسهم أمامه عندما رأوا العنف الذي أظهره زهاد إزاء كل
خارج عليه.

لقد «اختفت» الحرائم من البصرة، وصار الشيء يسقط من الرجل فلا يمر من له
أحد حتى يأتي صاحبه فيأخذه، وتبيت المرأة لا يعلق عليها ما بها، فلا يمر من لها
أحد^(٢).

وما مات المعيرة ولا وكانت البصرة في أحسن حال بفضل رهاد، فعكس محاولة
بالأمر مرأى أن من الخبير أن يصم إليه «نكوة» فأصبح رهاد بذلك وإياً على «منطقة
الشرقية بكاملها»

(١) لطيفي، تاريخ ٢٢٢/٥-٢٢٤

(٢) «البلادي، انساب الأشراف» ج٤، قسم ١٨٧-١٨٨، وانظر ١٢٨.

يبدو من محالل أحمدهل زياد أنه صاحب فكر منظم وخطه محكمة فليس هو
بمرجل الذي يمدح الأمور ليومه ، بل كان ينظر إلى الأفق البعيد يحاول أن يضع حلولاً
للمشاكل قبل أن تقع .

لقد كان أمام زياد في العراق أربعة قضايا هي .

الأولى قضية الشيعة ، هؤلاء ما زالوا على حبههم لأهل البيت ، وما زالوا مستعدين
للقيام ضد الدولة الأموية في كل لحظة وحين .

الثانية - مشكلة العصبية القبلية .

الثالثة - مشكلة الأفراد المشاهير المحبين للقتل وسفك الدماء ، والذين هم من أرداء
الناس والكثير منهم من الأعراب .

الرابعة - قضية الخوارج .

لبدأ بالشيعة - لقد أطلق للمغيرة للشيعة دعاء في الكوفة وجعلهم يعبرون عن
عاطفتهم بالقول ، دون التعرض لسلامة الدولة . فقد احتجوا على ذم أمير المؤمنين
علي ، ودأبوا بتوزيع الأورق والعطايا التي حبست عنهم ، وقد حاول عدائهم من أمي
عقيل الثقفي أن يقع المغيرة بالضرب على أيدي هؤلاء الشيعة - إلا أن المغيرة أحب
العافية وقال : " إنه قد اقترب أجلي وصحف عملي ، ولا أحب أن تشد أهل هذا المصر
بقتل حيارهم . وسفك دماكلهم فيسعدوا بذلك وأشقى ويعرغي الدنيا معوية ، ويؤذي يوم
القيامة للمغيرة ، ولكنني قاتل من محسنهم ، وعاف من مسيئهم ، وحامد حليمهم ،
وواعد سعيهم . حتى يفرق بيني وبينهم الموت وسيلكروني لو قد جرى العمل
بعدي " . هذه السياسة جمعت أكثر من ثلثي سكان الكوفة^(١) يتجهون نحو التشيع إما
إيماناً وما مصلحة ومعادة لسي أمة

ولما تسلم زهاد الكوفة ، أحس بحظر الشيعة هناك ، فأرسل إلى حجر بن عدي
وحذره بما كان يعمل أيام المغيرة وقال : إنني لأحب لتشكيل قبيل التقدمه ، ولا أعوذ بغير
حججه ، فرد عليه حجر بن زير الأمير مي إلا ما يحب ، وقد نصبح وأنا قاتل بصيحتك^(٢)

(١) طبري . تاريخ ٢٥٥/٥

(٢) الأصمعي . الأعاصي ١٢٤/١٧ ، الهيئة المصرية

غير أن حجر لم يلزم بوعده، وأخذت قوة الشيعة تزداد يوماً بعد يوم، وأصبح ثلث المسجد أو نصفه لجماعته، وهناك أظهروا لعن معاوية والبراءة منه، وجمادوا في ذلك وحصلوا عمرو بن العريث اللخرومي نائب زياد على الكوفة^(١)، وها وجد زياد الفرصة سانحة للقضاء على الفتنة في مهنها، فتحرك من البصرة مسرعاً، ومن على منبر الكوفة حذر الناس من شر الفتنة، وبعده أرسل أمير شرطته إلى حجير حتى يأتي به، غير أن أصحاب حجير رفضوا الإدعاء لصاحب شرطة الأمير، وها أصبح زياد في خطر.

ولم يجد زياد أمامه سوى رؤساء الكوفة فجتمعهم وقال لهم: يا أشراف أهل الكوفة أنتم حينئذ تأسون بأخرى، أبدأنكم معي وقلوبكم مع الههجهاجه المدبوب، أنتم معي وروائحكم وأبواقكم وعشيرتكم مع حجير. فأجابه رؤساء الكوفة - معاذ الله أن تكون إلا على طاعتك وخلاف حجير^(٢)

وبعد أن اطمأن زياد من موقف الرؤساء قال لهم: ليقيم كل امرئ منكم إلى هذه الجماعة التي حول حجير، فليندع الرجل أحاده أو أهله ود قرابته ومن يطيعه من عشيرته حتى يقيموا عنه كل من استطعتم. واستطاع بذلك زياد أن يفرق معظم الناس عن حجير^(٣). وهكذا أمان أهل الكوفة بمثل الدولة رغم هدم حبسهم نه على إخوانهم في الملأ^(٤).

ومع استجابة الرؤساء إلا أن العصية القبلية قد ظهرت ضد قبيلة كنده، فكانت هي القبيلة الوحيدة التي لم تستجب إلى نداء زياد^(٥)، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل قام قيس بن لهند الكندي وطاق على مجالس كنده، يدعوهم إلى نصرة حجير، إلا أنه لم يهضم منهم إلا عدد قليل. ولما رأيت القبائل اليمانية ذلك تحركت عددهم أو أصرARCH، وأخذ الرؤساء يتداولون الأمر فيما بينهم، هل يحاربون حجير وكنده، وهم

(١) الديلمري: لأخبار طولاه ٢٢٥، بطري: تاريخ ٢٥٦/٥ الأفاقي، ١٢٥/١٧، الهيئة المصرية.

(٢) الديلمري: المسبب للأمر، ج٢، قسم ٢١٥-٢١٦/١، بطري: تاريخ ٢٥٨، ٢٥٧/٥ الأفاقي، ١٢٦/١٧، الهيئة المصرية.

(٣) الأصفهاني: لأفاقي ١٣٦/١٧ (الهيئة المصرية)

(٤) القويز: الدولة العوية وسقوطها ١١٩

(٥) الديلمري: المسبب للأمر، ج٢، قسم ٣١٧/١.

إحوتهم في الدم، أم هل سيلقون إلى جانب الوالي، ثم ما هي أفضل تسبيل التي يرونها مأساة في هذا الأمر؟

الواقع أن رهبة الوالي وقوة بطشه دفعت القبائل اليمانية أن تتخلى عن نصرة حجر، وكل ما فعلوه وبإشارة من عبدالرحمن بن محضف الأردني، أن يتمهقوا في الأمر، ولا يقاتلوا إحوتهم، وأن يتولّى همدان ومذحج الأمر وعتله سيخرجون من اللامعة^(١)

وأحسن ريداء بموقف اليمانية، لا سيما بعد أن علم أن نمرأ منهم كانوا يأتون دور كنده ويعتزلون عن عدم ثقتهم من مجدهم، فغير من خطته إراده مقاومة حجر

في بداية التخطيط أمر زباد همدان ولجيم وهوازن وأبناء أعصر ومذحج وأسد وخططان أن يتوجهوا إلى جبابه كنده، إلا أنه عدل عن هذه الخطة لحوله من أن يقع الشعب بين مصر وبين، وهناك يقبب اليمانية صدر زباد، فأمر القبائل المصرية وهي هوازن ولجيم وأبناء أعصر وأسد وخططان أن تذهب إلى حجر، وأن تضي مذحج وحمدان إلى جبابه كنده، أما باقي القبائل اليمانية فأمرهم زباد أن تذهب إلى جبابه انصائدين ويأتوا بأصحاب حجر، فخرجت الأرد وبجيلة وخشم والأنصار وغزاة وقضاة. ولم يخرج أهل حضرموت عسبة لكنده، فهم ثمانية أولاً ودعوتهم في الدبوان مشتركة ثانياً، فكم هو الخروج لطلب حجر

وقد أثمرت خطة زباد هذه، فجاءت مذحج وحمدان بكن من وجده هلك من كنده، فامتدحهم زباد. وذم باقي القبائل اليمانية. ولما علم حجر بذلك بعث لأصحابه أن ينصرفوا لعدم قدرتهم على قتال أهل الكوفة الذين انحزوا إلى زباد^(٢)

أم كنده فقد حارب بعضها إلى جانب حجر، كما أنها استقبلت ابنها في دار سليمان بن يزيد الكندي، إلا أن حجر انتقل إلى دار عبدالله بن الحارث المعمر أخو الأشتر. ثم إلى إحدى دور الأزد، وحشي زباد من تنقله بين بيوت اليمانية، فطلب رئيس كنده، وهو محمد بن الأشعث بن قيس، وطلب منه أن يأتي بحجر ولا يهدم دونه وقطع بجله. وإن استمر في «رفض» فسوف يقتله^(٣)

(١) نظري، تاريخ ٢٦١/٥، الأفاقي، ١٣٩/١٧ (البيئة المصرية).

(٢) نظري، تاريخ ٢٦١-٢٦٠/٥، الأفاقي، الإعلام بانعزوب ٦٨ مخطوط

(٣) ديوزوي، الأبحاث العامة ٢٢٥، البلازني، النسب للأشراف، ح١، قسم ٢١٨/١

وهذا قد حدث رؤساء اليعس ، فغلبوا من ريباد أن يحلّي سبيله حتى يتمكن من طلب حجر ولائدين به ، غير أن حجراً لم يعم بسجن رئيس قبيلته بحث بقول أنه قد يلتقي ما استقبلت به هذا الخبير العبد فلا يهونك شيء من أمره ، فإني خارج إليك . فجميع نمرأ من قومك واحد على عليه وأسأله أن يؤمنني حتى يبعثني إلى معاوية فجاه محمد بن الأشعث ، وجرير بن عبدالله البجلي وعبدالله بن إسماعيل النخعي وأخذوا الأمان له من ريباد^(١) .

وأنبع زياد مع باقي أصحاب حجر نفس الأسلوب ، فقد حبس عدي بن حاتم النعالي بعد ذلك بن خليفة النعالي ، وقد تدخلت القيسية واليمانية لدى ريباد للانفراج عنه إلا أنه رفض في بادئ الأمر ، وبعد جهد وفاق زياد وأدم بصرار عدي على عدم تسليم عبدالله ثم الاتفاق على أن يعنى عبدالله من الكوفة ويخرج عدي من لسج^(٢)

وبعد أن قبض زياد على أصحاب حجر جمع رؤوس أرباع الكوفة وهم عمرو بن وهيثم الحارومي الذي كان على ريع أهل المدينة ، وحالد بن عرفة وكان على ريع تميم وهمدان ، وقيس بن الوليد بن عبد شمس الذي كان على ريع ربيعة وكندة ، وأبو بردة بن أبي موسى الذي كان على ملحج وأسد شهدوا أن حجراً قد جمع الجميع وأظهر شتم خليفة ودعا إلى حربة ، وزعم أن الأمر لا يصلح إلا في آل علي بن أبي طالب^(٣) . وفي أمر الشهادة هذه غلبت ربيعة على رئيس ربيعة لأن كندة من حلفائها^(٤)

وبعد ذلك أرسلهم ريباد إلى معاوية وطلب منه أن يتشدد في أمرهم ، لأنهم إن تركوا سيقتفون عليه فتناً لا يرتع^(٥) وأشار أنه في حالة عدم قتلهم ، أن لا يردهم إلى الكوفة . ولما وصنوا معاوية ، تردد كثيراً في شأنهم ، واستشار بعض المقربين عليه فأشار عليه رجل يمانّي وهو يزيد بن أسد البجلي أن يغرقهم في بواحي الشام^(٦) ، ولا أن معاوية ، وقد عاده ما حدث في عهد عثمان ، وما ترتب على العي من نتائج ، فقرر

(١) البكري: أنساب الأشراف ج ١ ، قسم ٢١٨/٩ .

(٢) البيهقي: الأعلام بالعرب ٧٠ ب مطبوعة .

(٣) البكري: أنساب الأشراف ج ١ ، قسم ٢٢٩/٩ . بطبري: تاريخ ٢٦٨/٥ .

(٤) الطبري: تاريخ ٢٧٠/٥ .

(٥) ابن عبد البر: الاستيعاب ٢٤٧/٩ بهامش ٧ ص ١٤٦ .

(٦) الطبري: تاريخ ٢٧٩/٥ .

الخلاص منهم . وهنا أحدثت العصبيات تشدخس ، فاستوهب يزيد بن أسد السجلي ورجلين من بجيلة فلأجابه معاوية . واستوهب أبو الأعمور السلمي رجلاً من هوازن ، وواش بن حجر الكتدي استوهب رجلاً من كتبه ، وحمرة بن مالك الهمداني رجلاً من قبيلته ، وحبيب بن مسلمة النهري استوهب رجلاً من نجيم^(١) . وما رأى مالك بن هيرة السكوني ذلك جاء إلى معاوية وطلب أن يستوهب حجراً ، عبر أن معاوية قتل هذا رأس القوم وهو الذي أشعل المصير وأفسده ، لأن وحيته لك اليوم مستفائلة عدلاً ، فلم يسمع مالك بهذا الكلام وقلد والله يا معاوية ما أنصفني ، قاتلت معك ابن عمك حتى ظفرت ثم سألتك ابن عمي فسعرت على من القول ما لا أنتفع به . وانصرف إلى بيته وهناك أخذ يجمع الجموع لأتخذ حجراً ، فاجتمع إليه قومه من السكون وكتبه وعائلة من أهل اليمن وقلد والله لسحر أوصى من معاوية من معاوية عت ، وإن لحدي قومه منه بدلاً ، ولا يجد ما في الناس غلما ، سيروا إلى هذا الرجل فاحده من أيديهم ، فأنهم مالك ومعه بعض البيهانية إلى حجر وأصحابه إلا أن يجدتهم جاءت متأخرة ، فقتل حجر وجماعته ، ولما علم مالك الأمر أرسل الخبر في طلب من بعد بالحكم فلم يجد أحداً منهم^(٢) .

وما صمم معاوية بالأمر قال إنما هي حرارة يهدها في نفسه وكأنه طعفت . ولما ظهر أن حركة مالك لم تكن ذا شأن ، ومع هذا فقد بعث إليه معاوية يقول . أن أمير المؤمنين لم يسمع أن يشعرك في ابن عمك ألا شعقة عليك وعلى أصحابك أن يهيموا لكم حرباً أخرى ، وإن حجر بن عدي هو بقي غشيت أن يكلفك وأصحابك الأشخاص إليه . وأن يكون ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر وبعث إليه مع هذا الكتاب مائة ألف فأخذها وطأها نفسه^(٣) .

وبقتل حجر وأصحابه ساد جو من الإرهاب في الكوفة ، وتوقفت الشيعة عن السباب إلا أن موجة الاستنكار ظهرت في مختلف المناطق .

وفي الكوفة استعظم أهلها ما جرى استفغافاً شديداً^(٤) . أما أهل عجمان فقد

(١) ابن الأثير ، الكامل ١٨١/٢ - ١٨٤ (بيروت) .

(٢) ابن الأثير ، انساب الأشراف ، ج ٤ ، قسم ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ١٨٦/٣ - ١٨٧ (بيروت) .

(٤) النهدي ، الأخبار ، بطول ٢٧٦ .

بعثت عائشة إلى معاوية تقول: أين هاب عنك حمى أبي سفيان؟^(١) وهي رواية ثابته إنها قالت أما والله لو علم أن عند أهل الكوفة سعة ما جترأ على أن يأخذ حجراً وأصحابه من مدبنتهم حتى يقتلهم في الشام^(٢).

وفي نحر أسان قال الربيع بن زياد الحارثي وهو من ربيعة لا تزال العرب تقتل صبراً بعده، ولو صبرت الكوفة عبد قتلته لم يقتل رجل منهم صبراً، ولكنها أقرت فطلت^(٣).

إن هذه الأقوال والاحتجاجات تظهر أن حجر وجماعته ما كانوا يستحقون ذلك من معاوية، وإواقع أن قتلهم قد عاد بالصر على الأمويين أكثر من النفع لاسيما وأننا لم نر أن حجر قد قطع طاعة معاوية، وهذا جاء بكتاب زياد بن معاوية الذي وجهه إلى معاوية ولا أباغ إذا قلت أن الانجاء الشيعي قد زاد في الكوفة عما كان عليه من قبل ولكن بشكل مري.

والمشكلة الثانية التي وجهت زياد في العراق هي العنصرية انقبضية وهي داء كان مستعصياً حتى ذلك الحين لا سيما في العراق نفسه

نقد نضر زياد إلى هذا بداء استشري فحاول إصلاحه، وإصلاحه هذا لم يكن بإخراج البراءة من قبضته، أو أن يغير من دوائ القبائل، وإنما لجأ إلى إعادة تنظيم البصرة والكوفة، ومحاولة من يدهو بدعوى الجاهلية.

ففي البصرة جعل القبائل أحماساً وعين على كل حمس رئيساً ووضع العرفاء وجعل حروح القبائل على البراءات وفي هذه التنظيم لا نجد فارقاً عما كان عليه في السابق، إلا أنه أراد أن يحدث تعديلاً يجعل عند القبائل متوازية في كل حمس وكان توجيهه على النحو التالي^(٤):

الحمس الأول: ويضم القبائل المضربة ومعها حلفاءها من الأساورة والسيابجة والراطة

الحمس الثاني: قبائل عبد القيس

(١) العمري تاريخ ٢٧٩/٥

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب ٣٥٨ بهامش الإجابة.

(٣) العمري تاريخ ٢٩١/٥

(٤) صبح أحمد أممي التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ٤٤

الخمس الثالث . قبائل بكر بن وائل

الخمس الرابع قبائل الأزد

الخمس الخامس قبائل أهل العمالية وهم قريش وكنانة وقيس وعيلان والأنصار وطوائف من قبائل أخرى ، وهذه القبائل تجمعهم رابطة ملكة الجفراني وهو ملجأ

أما الكوفة فقد جعلها زياد أربعاً بعد أن كانت اسباعاً وهذه الأربعة هي^(١)

ربع أهل المدينة ويسمى ' قريشاً وكنانة والأرد وبنجيلة وحنم وقيس عيلان ومروم

ربع كنده

ربع . حمير وحمير

ربع : ملجج وأسد .

وفي هذا التنظيم احتضت بعض القبائل التي كانت تسكن الكوفة مثل حمير وطى والأشعرى وغيرهما ، وهذا يبيح أن يبدأ ألحق القبائل القليلة العدد بالكوفة بالقبائل الكبيرة التي تنص بها هي السب ، كما رد طائفة أخرى من القبائل إلى أصولها ، موحدة دعوتها ، فألحق مثلاً قبائل قصاعة ومهرة وحضر موت بكنده ، وألحق حمير بهمدان والأشعر وطى بملجج^(٢) .

ور من هذا التنظيم أن احتياز رؤساء الأحماس والأرباع أصبح بأمر الوالي ، وفي هذا التعمين إيداعاً للشعور القبلي ، بحيث أصبح المسؤول عن قليلة من خارج أسباطها ، كما أن هذا التنظيم قد امتد إلى أعيش ، فبدلاً من أن يخرج الجيش عن شكل قبائل بكل قبيلة سراياها ورئيسها ، أصبح يخرج عن شكل مجموعات حسب الأرباع والأحماس

غير أن هذا التقسيم وإن خفف من حدة العصبية في عهد زياد ، إلا أنه حقق الشعور القبلي من جهة أخرى ، وشجع على قيام تكوينات قليلة ، بحيث أصبحت القبائل الصغيرة العدد تنفوي تحت رايات القبائل الكبرى والتي يجمعها نسب واحد

(١) لطيفي، تاريخ ٣٦٨/٥

(٢) حسان حمير، عصبية القليلة ٢٢٤

وتبع زياد مشعره، الذين توجهوا إلى الهجاء، وخاصة، لمرزوق، فعندما هجى بني مهش من جهم، جدهوا إلى زياد واشتكوا إليه، فأرسل زياد إلى عامله بالكوفة أن يأخذه، إلا أن الفرقة هرب والتجأ إلى سعيد بن العاص حيث استجار به وبقي هناك حتى وفاة زياد^(١).

وحارب زياد الصغرات والماهرات، ولبخ في غير معنى، كما عاقب من يقتلون بأهل الجاهلية ويبهجون الناس أموالهم بقصد التماحر والمباهاة، لقد عصب على الفرزدق لأنه نشر ما لا في المرند^(٢)، كما سجن مرة بن محسن السعدي لأنه أنهب شاس أماله تجدياً لجماعة من قومه يتفلسفه في الشرف^(٣). وقمع أيضاً حوادث الثار العردي وأخذ على يد مرتكبيها^(٤).

غير أن هذه الأعمال لم تخدم ناز العصبية القبلية، فالتيار القبلي كان أقوى من تنظيمات زياد بن أبيه، خاصة إذا كان نفسه لا زال يؤمن بالعصبية القبلية. لقد أنف زياد أن يقتل عربي بسطي مسلم، وأمر العربي أن يعطي أولياء المقتول عدية فلم يقبلوها، وقولوا: كبحر أن يمدد لمسلمين تنكها وأن لا نفس عربي على غيره^(٥).

كرد زياد أيضاً العصبية القبلية المصروحة بالصيغة الحزبية، حيث بنى لشعبة بني أمية من يهض على مسجداً خاصاً بهم. كما أنه شجع القبائل على بناء مساجد خاصة به. ومن المساجد التي أقيمت في عهد مسجد لبني مجاشع، ومسجد للحدث وهم من الأزد، ومسجد للأساورة^(٦). لقد كان اعتزاز المرء بقبيلته لا حده وبرى ذلك أن عبد الله بن حليفة الطائي لم يتقدم إلى موالي حتى يحميه إلى الكوفة، بل يستند بقبيلته على^(٧).

(١) الطبري، تاريخ ٢١٩/٥

(٢) لجره التكملة ٢٩١/١، الطبري، تاريخ ٢١٢/٥، القلائص ٧/١ و٦ و٧ من لعصبية القبلية ٢٤٠

(٣) لأصطخاني، الأندلس ٩/٢٠ (نسائي) إحصان النعم، لعصبية قبلية ٢٤٠

(٤) القلائص ٧٨/١، إحصان النعم، لعصبية ٢٤٠.

(٥) الهلالي، النسب، لأذواقه، جزء ١، قسم ٢٢٠/١.

(٦) المصدر السابق، جزء ١، قسم ٢٢٠/١.

(٧) الطبري، تاريخ ٢٨١/٥ - ٢٨٤

وظهرت العصية أيضاً عند أنس بن أناس الكعبي^(١) ضد حنيفة عندما عزله زياد عن خراسان وولاهها إلى حنيد بن عبد الله الحنفي^(٢)

والمشكلة الثالثة هي مشكلة المشايخ من الأفراد والجماعات هؤلاء كان لا بد من عمل حزم معهم، ولا يذكر المؤرخون ما قدم به زياد، غير أنني أستشف من خلال أعماله فكرة واضحة وهي إبعادهم عن مركز الشعب واتع في ذلك وسيلتين:
الأولى: إرسالهم إلى الجهاد.

الثانية: نقلهم من مكان إلى آخر، وظهر ذلك في نقل بعض الخوارج إلى مصر وبعض الموالي إلى ساحل بلاد الشام، كتب أرسل مع الربيع بن زياد الحارثي سنة ٥١ هـ خمسة وعشرين ألفاً من كل مصر من أمصار العراق معظمهم من ربيعة ولخم إلى خراسان وهناك قسم هؤلاء أرباعاً حسب تنظيمات الكوفة^(٣).

وبهذه التدابير أبعد زياد عن العراق عناصر انشعب، واستتب له الأمر فيه، لكنه بعمله هذا خلق بذلك مشكلة جديدة لم تظهر آثارها سريعاً بل بعد ستين أو سبعين سنة، فقد كان هؤلاء المشايخ هم سبب من أسباب سقوط الدولة الأموية فكان زياد أهل الشر من مكان إلى مكان.

والقضية الرابعة هي مشكلة الخوارج، وفي محاربتهم أتبع زياد نفس خطة المعيرة من قبل وهي إرغام القبائل مسؤولية تصرفاتها وقال بهذا الشأن إبي أعطي الله عهداً لا يحرر علي غيلرج بعدها، فأدع من حبيه وقبيلته أحداً. فاكهومي^(٤) بوالقكم

وحتى يذو زياد القبائل، كان يأتي بالخارجي فيقتله ويلقيه في قبيلته فلا تحرك ساكناً^(٥) وبالإضافة إلى إرغام القبائل بعدم خروج أفرادها، كان يهدد هذه القبائل أيضاً

(١) في جمهرة بن حزم، أنس بن أناس ١٨٤

(٢) الطبري، تاريخ ٢٨٥/٥-٢٨٦.

(٣) البغدادي، فتوح البلدان ٥٠٦

(٤) البغدادي، تاريخ ٢٤٠/٢

(٥) الطبري، تاريخ ٢٢٨/٥.

يوقع المعاهدة^(١) ويعرض هذه السياسة، كانت القبائل هذا أحسن بحارجي أوثقوه وأتوا به زياداً، فقتلهم من بحسبه ومثهم^(٢) من يقتله.

وتسب زياد إلى عدة جدلية أحبها الخوارج وهي خروج النساء إلى ساحات القتال. فجاء بأمرأة منهم فقتلها وعراها، فلم تخرج النساء إلا بعد زياد، وكن إذا أرغض على الخروج كن لولا التصرية لسارحن^(٣).

ومع عتب زياد إلا أن أهل العراق لم يحسموا إعجابهم بإدبرته، فالمندائي يقول صه أي سائس كان زياد لولا أسراعه على نفسه في العقوبات وسفك الدماء، كان إذا جاء شعبان أخرج أعطية المقاتلة فملأوا بيوتهم من كل حلو وحامض، ويستقبلون رمضاً بذلك، وإذا كان ذو الحجة أخرج أعطية الذرية^(٤).

وبعد موت زياد سنة ٥٣ هـ فصل معاوية بين المصريين ولم يجمعهما إلا في عهد خلفه يزيد لعبيد الله من زياد.

ونتيجة هذه الحال في العراق تفرغ والي لشرق للمنتوحات في مملكته^(٥).

أما في مصر فقد اعتمد معاوية على عمرو بن العاص الذي كان الأمر فيها أمراً^(٦)، وبقي فيها حتى وفاته سنة ٤٣ هـ. ويذكر أن معاوية قد هم بعزله إلا أن حشيه وأبقاه في مصر وبعد عمرو بن العاص تعاقب على مصر عدد من الولاة وكانت الحالة هادئة بالرغم من أن أهلها لم يقبلوا عبدالرحمن بن أم الحكم والياً عليهم^(٧).

كما اعتمد معاوية هناك على رجال القبائل، وأهمهم معاوية بن حذيف، وكان هذا إذا قدم على معاوية زينت له المنطق بقباب الريحان تعظيماً لشأنه^(٨). كما يستدل

(١) الصوري، تاريخ ٢٢٨/٥

(٢) ابن جبر، العقد الفريد ١٥١/١.

(٣) المصدر السابق، ١٥١/١.

(٤) الألباني، أنساب الأشراف، ج١، قسم ١٩٤/١.

(٥) انظر البغدادي ٢٢٢/٧، ٢٢٥، ٢٢٧.

(٦) الألباني، أنساب الأشراف، ج١، قسم ١٨/١.

(٧) بن تفرج، بردي، التلويح الزاهرة، ١٤٣/١.

(٨) مصدر، السابق، ١٥٢/١.

عمى عظم شأنه من حوار الذي در بينه وبين أم الحكم أخت معاوية حيث قال له .
أردت أن يني ابك الماسق علينا فيسير فيد كما سار في وغواتنا من أهل الكوفة ، ما كان
الله ليس به دئب ، ولو فعل ذلك لفسدناه فسرأ يطأطأ منه ، وإن كره ذلك الجالس
(معاوية)^(١).

وكما كانت الظاهر القبلية تتعمق في العراق ، فقد كانت كذلك في مصر ،
فالقبائل عمى عهد عمرو بن العاص كانت تخرج إلى المرتفع ، وكل قبيلة تتحد مكاناً
خاصاً بها ، كما أننا نلاحظ أن مسلمة بن محمد يأمر كل قبيلة أن تبني منارة مسجدتها ثم
تراه يوحد وقت الأذان^(٢) . كما كان لكل قبيلة عريف يطوف كل يوم عليها حتى يسجل
الولادات الجديدة أو للهجرات القائمة في سجل الديون^(٣).

وفي الشام فقد تمكن معاوية من إقامة نوع من التحالف السياسي بين القبائل^(٤)
كما تقرب إلى القبائل القضاية عندما أصر إلى قبيلة كلب . ومع وجود التحالف هذا
إلا أن للعصية قد امتدت إلى الشام وسيكون لها أثر على الدولة أكثر مما كان في العراق .

وفي الحجاز ، كانت الحالة هادئة ، حيث رعبو بالهزيمة كما رعبها لعرق غير أن
هدوهم مؤقتاً ، وسيبعض كل منهم لاستعادة ما فقدوه .

لقد استطاع معاوية بسياسته أن يخمّد نار العصية القبلية ، وأن يتجهم إلى
الفرجات ، فكان هناك ثلاث جهات .

الفراتية : وكان القائد فيها عصبه بن نافع الذي استطاع أن يخضع عدداً من القبائل
البربرية ، وخير ما قام به تأسيس مدينة الفير وان لتكون قاعدة للجيوش الفاتحة

الشرقية : وكان أبطن فيها يهلب بن أبي صمرة الذي حقق انتصارات عديدة على
الترك

جهة الروم : اهتم معاوية بها كثيراً فأحدث نظام الصوامي والشواتي ، كما جهز حمزة
لفتح القسطنطينية سنة ٤٨هـ إلا أن هذه الحملة قد فشلت بسبب نثار الأثرافية

(١) الطبري، تاريخ ٢١٢/٥

(٢) الكندي، الوفا ٣٧-٣٩.

(٣) ابن عساقم، فترج مصر ١٠٢.

(٤) المؤيد، الدولة العربية وسقوطها ١٢٧

غير أن هذه الحان سوف لا تدوم طويلاً، وستعود العنق إلى جسم الدولة الإسلامية لا سيما وأن هدوء الامصر زمن معاوية لم يكن هدوء المؤمنين الصادق، بل كان وراء الخلفاء الراغب، فتمسيم ويكر ويأهه بقيت على ولائها لعلي^(١) ولعراق لا زال يهتد، وطبق ذلك بالفعل عندما طرد عبدالرحمن بن أم الحكم^(٢) وأحجاز يشريص الفرص.

معاوية وولاية العهد

اعتقد معاوية أن في طلب ولاية للمهد لأبيه سيحذف من ويالات العنق التي أصبحت تظهر عند وفاة كل خليفة، غير أن اعتقاده لم يكن في محله فعاد عمه هذا بتأكيح سلبية على الدولة الإسلامية.

لقد تعددت الروايات في أمر المشير على معاوية، بالبيعة لاه، فرأي يقول: المعيرة بن شعبة^(٣)، وشمي أن عمرو بن سعيد بن العاص قال لمعاوية لقد أصبحت عيبك عائرة ولونك كاسماً وأنتك ذليلاً فعهد أيها الرجل ولا تتخذ^(٤)، وثالث أن يزيد نفسه قد طلب الخلافة من أبيه^(٥)، وخلاصة الآراء أن معاوية نفسه^(٦) كان يرى أن يبيع لابنه حتى يحافظ على الخلافة في بني أمية وفي ذلك يقول معاوية لأخبركم عني يا بني أمية من يبيع هذا لأمر فيكم ما عظمتم ملوككم فإذا لمهاها أمرؤ منكم لنفسه وثب بو عبدالطلب في أقطارها^(٧).

لقد دعت عاطفة معاوية نحو ابنه لأحد البيعة له، وذلك تقليد اسمه معاوية لمنع الخلاف وحقق الدماء - حسب رأيه - إلا أنه تقليد يمنع الأصلح ويقرب غير المناسب لأمر الخلافة

(١) ابن عسكالي، عراق في العهد الأموي ٧٨

(٢) طبري، تاريخ ٣١٤/٥.

(٣) ابن الأثير، التكملة ٤/٣، بيروت

(٤) البلاتي، أنساب الأشراف، ج١، قسم ١/١٣١.

(٥) عبد الشريد في أخبار يزيد ٢، مخطوط.

(٦) أنبار حسب التريش ١٢٧.

(٧) أبو هلال العسكري، الأول ١٩١

لقد قام معاوية بطلب البيعة لابنه بعد وفاة الحسن ، فأرسل إلى زياد يستشير في هذا الشأن ، فكان جواب زياد أن يثبث معاوية بالأمر ، ودعا مات زياد عاد إلى فكرته وأرسل إلى أهل المدينة يستشير كبار أهلها في شأن البيعة بولاية العهد ، فستحسنوا هذه الفكرة في بادئ الأمر ، ثم لما علموا أن مرشح هو يزيد بن معاوية أظهروا معارضة في ذلك^(١)

ولاحس معاوية بمعارضة أهل الحجاز ، المجهت أنظاره إلى أمصار الدولة الأخرى ، فطلب وفداً من «عراق ومصر وبالطبع حضر الاجتماع وفد من أهل الشام وقد رحب أهل الشام ومصر بفكرة معاوية ، ولا أن أهل العراق لم يعطوا جواباً قاطعاً ، بل تركوا الأمر لتعديده كي يقرر بنفسه إذا كان يريد يصلح للمصلحة أم لا»^(٢)

وفي هذا الاجتماع لم يثن الحجاز به ، ولا تعطلت الروايات التاريخية سبب ذلك ولا أنه يمكن الاستنتاج بأن معاوية قد علم برأي الحجازيين في ابنه فأراد أن يجتمع بهم على امراد ، كما أن عدائيه بن الزبير ما إن علم بأن البيعة ليزيد حتى أشار على معاوية بأن يفكر ملياً قبل أن يقدم على هذه الأمر^(٣).

وبعد أن أس معاوية العراق والشام ومصر ، اتجه نحو الجند ، ولما وصل المدينة خرج منها عبد الله بن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر والجهنم إلى مكة ، فلتقتهم معاوية وهناك استدعى كلاهما على «مراد

فكان أول من دخل عليه ابن عمر ، فحذره معاوية من شق عصا الطاعة ، وانصاعا بنو المسلمين ، وطلب أن يبايع ليزيد فقبل ابن عمر . لقد كانت قبلك خلفاء لهم أبناء وليس ابنك بحير من أبنائهم فلم يروا في أبائهم ما رأيت في ابنك ، ولكم احتشروا للمسلمين حيث علموا الخيار ، وانك تحذري أن أشق عصا المسلمين ، وأن أسع في فساد ذات بينهم ، ولم أكن لأفعل . إنما أنا رجل من المسلمين فإذا اجتمعوا على أمر مؤيد أنا رجل منهم ، فقال معاوية يرحمك الله .

أما عبد الرحمن فقال . إنك والله لو ددت إنما وكلتك في أمر بك إلى الله وإن

(١) المصدر سابق الأوتل ١٨٩

(٢) ابن عبد ربه ، البلد النريد ١١١/٥-١١٢.

(٣) المصدر السابق ١١١/٥

والله لا تتعل، والله لتردن هذا الأمر شورى في المسلمين، أو ليعيدنها عليك جده
فقال معاوية: . على رسلك أيها الرجل لا تشرعن بأهل الشام مني أخاف أن
يسبقوني بنفسك حتى أجبر العشي أنك قد باهت ثم كن بعد على ما بدالك من أمرك

وقال معاوية لابن الزبير عندما دخل عليه: إنما أنت ثعلب مراويع كلمه خرج من
جحر دخل آخر: إنك عمدت إلى هذين الرجلين ففجعت في مناخرهما وحملتكما على
غير رأيكما. فقال ابن الزبير: إن كنت قد ملئت الإمارة فاعترلها وعلم ابنك قلبا بعه،
أرايت إذا بهنا بك معك لأيكما سمع لأيكما نطيع؟ لا تجمع البيعة بكما والله أبداً.
وبعد هذه المكالمة صعد معاوية المنبر وقال: إنا وجدنا حديث شاس دوست هوار،
رعمو، أن ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر لم يبيعاهوا يزيد، قد سمعوا وأطاعوا
وباعوه، له

فأراد أهل الشام أن يبيعوا على رؤوس الناس وإلا هزيت أعناقهم فقال
معاوية: سبحانه الله ما أسرع الناس إلى قرئش بالسوء لا أسمع هذه المقالة من أحد
بعد اليوم. ثم مر فقال الناس يبيعوا يزيد وهم يقولون لا والله ما يبيعناه^(١)

وفي هذه الرواية نرى أن الحسوس لم يكن مع هؤلاء، ولا يذكر ابن خبياط ابن
كاس، وفي رواية ثانية ذكرها أن الأربعة قد قابوا معاوية فرحب بهم أجمل ترحيب
وذلك في مكة، فعرف هؤلاء ما يريد معاوية منهم ففوضوا الأمر إلى ابن الزبير حتى
يتكلم باسمهم، فوافق ابن الزبير على ذلك بعد أن أخذ لعهود والمواثيق ألا يتلقوه،
فلما تكلم معاوية وطلب البيعة يزيد وقف ابن الزبير وقال: . مخيرك من ثلاث
خصال أيها ما أحدث فهدئت رغبة إن شئت صنعت ما صبح رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبض فلم يعهده عهداً ولم يستحلف أحداً فترضى مسلمون أباً بكر. وإن
شئت صنعت ما صبح أبو بكر فهو غير هذه الأمة بعد رسول الله، عمد إلى رجل من
قاصية قرئش ليس من بني أبيه ولا من رعله الأدين واستخلفه، من شئت أن تنظر أي
رجل من قرئش شئت ليس من بني عبد شمس عرضي به

وإن شئت صنعت ما صبح عمر فهو خير هذه الأمة بعد أبي بكر، جعل هذا الأمر
شورى في ستة نفر من قرئش ليس فيهم أحد من ولده، ولا من بني أبيه ولا من رعله،

(١) ابن خبيط، تاريخ ٢/٢٠٠.

فقال معاوية: " أنه قد أعلن من أنكر وأنه قد كان يقوم منكم القائم إلي فيكلبي على رؤوس الناس، فاحتمل ذلك وأصبح عنه، وبني قائم بمقالة أن صدقت فعني صدقي وإن كذبت فعلى كلبي، وبني أقسم لكم بالله لنن رد على منكم إنسان كلمة في مقالي هذا لا ترجع إليه كلمته حتى يسبق بي رأسه، فلا يرفع رجل إلا على نفسه ثم دفع صاحب حرسه فقال أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين من حرسك، وأوصاه بقتل كل من يعارض فصعد معاوية المبر وأعلن أن هؤلاء انفر قد بايعوا، ليريد قتل لهم الناس رحمتهم وزعمتهم فلما أرعبتهم وحببهم فعلتهم، فقالوا، يا وائله ما فعلنا^(١).

والحق أن هؤلاء لم يبايعوا يريد ويظهر ذلك في وصية معاوية لابنه حين وفاته إذ جاء فيها: " ولني لا أتخوف أن يثارحك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش: الحسبي بن علي، عبدالله بن عمر، عبدالله بن الزبير، عبدالرحمن بن أبي بكر^(٢). وهكذا نرى أن معاوية لم يكن موثقاً بصيانة وحدة المسلمين، فقد أخذت الانقسامات تظهر بين قريش، وحتى في البيت الأموي نفسه، فما أن هزم مروان بأن معاوية يذهب البيعة لابنه حتى جاء إليه وقال أقم الأمور يا معاوية واحمل من تأمير الصياد^(٣).

وقبل وفاة معاوية أوصى يزيد بقوله: "نظر أهل الحجاز فإنهم أصبحت، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من عاب وانظر أهل العراق، فإن سألك أن تعزب عنهم كل يوم عيلاً فافعل، فإن عوز حامل أحب إلي من تشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام، فيكونوا بطانتك وحيثك، فإن مايت شيء من عدوك فانتصر بهم، فإذا أصبحتهم فردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم يا أقاموا، بغير بلادهم أعدوا بغير أعلامهم^(٤).

مات معاوية سنة ٦٠ هـ ويريد حرج دمشق، فقام الضحاك بن قيس الفهري فنعى موته إلى الناس وعلب أن لا يحمل بعشه إلا قرشياً، فحملته قريش ساعة، ثم احتج أهل الشام على ذلك فسمح لهم الضحاك بحمله^(٥).

(١) ابن خلدون، تاريخ ٢٠٢/١، ٢٠٣.

(٢) الطبري، تاريخ ٢٢٢/٥.

(٣) بن قتيبة، الإمامة والسياسة ١٥٢/١، المسعودي، مروج الذهب ٣/٢٨٦.

(٤) الطبري، تاريخ ٢٢٢/٥، وانظر قيد الفهرس ٢٣.

(٥) بن قتيبة، الإمامة والسياسة ١٧٤/١.

رجل معاوية بعد أن اعتقد أن الأمور ستسير حسب ما اعتقده، إلا أن ذلك لم يتحقق، فما إن مات حتى انقسمت قريش على نفسها، وانقسم معها العرب فهي المدينة قام الحسين ضد يزيد ثم تبعه ابن الزبير ولم تنضم وحدة المسلمين إلا بعد سنوات عدة

يزيد بن معاوية والقبائل العربية والقبلية:

لقد شجع معاوية على الاهتمام بحسم الأنساب، وفي عهده أخذ النظم بالأنساب والوضع فيها يأخذ أبعاداً كثيرة، حتى أن بعض الأنساب قد أخذت تحضن للأهواء السياسية، وبالإضافة إلى الاهتمام بالأنساب فقد أحدث بعض المظاهر لقبلية تعود إلى ما كانت عليه في العصر الجاهلي. وتظهر ذلك في أمريين، الأحلاف، والمهازرات الشعرية.

أما بالنسبة للأحلاف فقد ظهرت في العراق وفي الشام وحتى في مصر، ففي العراق جدد حلف ربيعة وكندة، والظاهر أن سبب ذلك أن مضر كانت أكثر عدداً من ربيعة في البصرة، وراى من كثرتها أنها حاولت الأساورة والزط والسيابجة فلما هاجرت الأردن جاءت تقيم إلى الأحف وطلبت أن يهذب حلف الأزد قبل أن تسبقهم إليه ربيعة، خير أن لا حلف اعتبر ذلك إدلالاً لتهميم، وقال: إن أتوكم فاقبلوهم ولا تأتوهم فأتوكم إن أتتموهم صرتم لهم أتباعاً واستغل مالك بن مسعم هذه الفرصة وطلب من رئيس الأزد مسعود بن عمر مجند حلف ربيعة وكندة الذي كان في الجاهلية فولقت الأزد على أن تكون الرئاسة فيهم.

ولما سمع الأحف بذلك قبل مالك بن مسعم أحلف في الإسلام؟ فأجابه مالك: حاولت على الزط والسيابجة فقال معاذ الله، فقال مالك: يا أبا بحر كانت ربيعة سبقت إليها فقال الأحف: والله ما أردتها ولنحلبها دماً عبيطاً، لقد حاولت قوماً إن تبعتمهم استدلوكم وأن تسمعتمهم عروك وقهروك^(١). وقيل في هذا، لحلف غير ذلك، وحسب ما يذكر العبري أن عبيد الله من زياد قد بذل أموالاً طائلة في مسير إقامة هذا

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ص ١٠٦/٢.

الحلف وذلك بعد وفاة يزيد بن معاوية^(١) وكان الهدف منه حماية ابن زياد من المضربة وردة إلى دار الأمازة^(٢)

وقد امتد هذا الحلف إلى الكوفة وخراسان^(٣)، فأصبحت القبائل اليمنية والربيعية في جهة، والقبائل المضربة في جهة أخرى^(٤)،

ومن الأحلاف التي ظهرت أبغ حلف الأساورة والأرد في البصرة، غير أن هذا الحلف لم يدم طويلاً، لأن الأساورة انتقموا إلى نجيم لأنهم أقرب الأحياء إلى الرمس "صلى الله عليه وسلم"^(٥). وحتقد أن هذا ليس سبباً كافياً للانتقال، بل إن الأساورة توجهوا إلى الأقوى، ولما كانت المضربة هم أكثر سانس هناك أقاموا حلفهم معهم. أما في مصر فقد تحالفت قبيلة مديج مع حمير وإقامت بخريثا^(٦).

وفي الشام يذكر ابن عبد البر أن قبضة لم تزل في نسبتها في معد في جهازية وأون الإسلام إلى أن أحدث حلف بينها وبين أهل اليمن أيام ابن الزبير وسي مروان أثناء غارات حمير بن أبي الحباب السلمي على كلب، وغارات حميد بن حريث الكلبي على فزاره. وقد جاء التأكيد على حلف من عمرو بن مرة الجهمي الذي قال: إن فصاحة بن مالك بن حمير وب لأهم عن هذه النسبة عند بن يزيد بن معاوية وقد أحيوني وحالفوا اليمن وانتسبوا إليها فانكم تدلون بذلك بني مروان، ومن انحط في أهوالهم من قيس وغيرهم فأحياه بعضهم وعصاه الآخرون- وكان بعضهم يقول حالفنا اليمن والبعض الآخر يقول بل نحن منهم^(٧).

وفي الحجاز هدد الحسين بأحياء حلف الفضول، وذلك عندما تنازع مع أمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان على حق له. فتم حائل الوليد عن الحسين فقال له الحسين: أتحلف بأبائه لشخصي من حفي، ولا تأخذن سبي، ثم لأقوم في مسجد

(١) طبري، تاريخ ٥/١٦٦-١٧٠

(٢) ابن الأثير، الكامل ٢/٣٢٥

(٣) مذهب الفضل بين الحق والباطل ١٨٦/٨

(٤) البلاذري، فتوح البلدان ٣٦٦

(٥) مذهب الفضل بين الحق والباطل ١٨٦/١

(٦) ابن عبد الحكم، فتوح مصر ١٤٢

(٧) ابن عبد البر، إنباء على قبائل الرواة ٦١

رسول الله ثم لأدهون بحلف انفسول فقال عبد الله بن الربيع ، وأنا أحلف بأقوله لن
دعاه لأخذ سبيي ثم لأقومن معه ، حتى ينصف من حقه أو يموت جميعا . ويبلغ
المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري وعبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي مقالة
أخسفن لقالا مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه^(١)

وتظهر العودة إلى الاحلاف أيضا من كتاب معاوية لى مروان بن الحكم عندما
صرح عبد الرحمن بن سفيان " لو كن حليفا لمحكم ما ضرته " وكان عبد الرحمن
هذا حليفا لأبي سفيان^(٢) .

وبأسس للمهاترات الشعرية فقد عادت إلى ما كانت عليه أيام الجاهلية ، وهذا
النوع الشعري لم يأت من الشعراء محسوب ، بل إن الخلفاء والولاة قد شجعوا عليه
فهذا يريه بن معاوية يبعث إلى الفرزدق حتى يهجو له الأنصار ، فبعث إليه الفرزدق
أرادى أنت لى الشرك بعد الاسلام ، لا أهجو قوما بصروا رسول الله ، ولكن أدنك
على غلام بصري كأن لسانه لسان ثور - يمي بدك لأحطل فخطبه يردد وطلب منه
هجاء الأنصار ، فلم يحجب لأحطل طه وقال :

لعبت قسريش بالكارم كلبه والظلم هت هـ سالم الأنصار

فلما علمت الأنصار طابعت قطع لسان الأخطى ، فوافق معاوية على ذلك إلا أن
يرد نسخ في الأمر واعتذر إلى النعمان بن بشير الأنصاري فأسقط الأنصار حقهم^(٣) .

ولم يقتصر تشجيع الشعراء على الخلفاء والولاة محسوب ، بل أخذت القبائل
تسابق في إعلان حمايتها للشعراء ، فعندما هج ابن مغرغ بني رباد بن أبيه وعم مسجته ،
تساقبت اليمامية وقريش من أجل إخراجهم من السجن . اليمامية لأنها اعتنقته فيها ،
وقريش لأنه كان حليفا لسي أميه . كما أن يزيد نفسه لم يوافق على قتله وبعث إلى عبيد
الله بن رباد ، إن له عشيرة هي جدته ويطأته ولا ترضى بقتله مي ، ولا تقع إلا بالقدود
منك فاحذر ذلك^(٤) . وما زاد من حدة هذه المهاترات أن الشعراء قد دخلوا ضمن

(١) بن هشام - السيرة ١/١٥٥ (بحاشية الروض لألف طبعة ١٩٧١)

(٢) ابن حبيب - الملق في أخبار قريش ٢٠٥

(٣) الجاحظ - البيان والتميز ١/١٩٧-١٩٨

(٤) الأصمطاني الاثاني ١٨/١٦٦، ١٦٧، ٢٧٠ (نسخة لمصرية)

الأحزاب السياسية، فالأحطل يدفع عن تغلب وسي أمية، وجرير يعتز بجسر ويدافع عنها، وسوف تردّد حدة هذه المناقصات في عهد عبد الملك وخاصة أيام غارات قيس وكنب وقيس وتغلب

الاحداث في عهد يزيد:

أراد معاوية من نعام ولاية العهد حقن دماء المسلمين ومنع الاختلاف، غير أن هذه البدعة لم تقل دون نرف للدماء، فأدت الى تقسيم قريش من جديد، ونشوء صراع عنيف بين رجالاتها.

ويخبرنا المصنف أن أهل الشام قد تناهوا عبد المجيد البينة يزيد حتى قام روح من ربيع الحذامي وقال: إما لا بدعوكم الى ظلم وفساد وكناب بدعوكم الى قريش ومن جعل الله له هذا الأمر واحتضنه به وهو يزيد بن معاوية، ونحن أبناء انطس والطاعون وفصالات الموت وهذا من أحببتم وأطعتم من المعوية والعائلة ما شئتم فبايع الناس^(١).

وم أن تسلّم يزيد الخلافة حتى وجد أمامه عدة اتجاهات مختلفة.

الأولى - أهل العراق وفيها زعتان مختلفتان الأولى عرقية السياسة.

والثانية - اتجاه عاطفي شعبي وقد مثل هذه سياسة الحسين بن علي

أما الحجاز فقد أصبح يمثل سياسة الإسلامية ذات الاتجاه الراشدي، ومشبه عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر و بن عباس؛ وهؤلاء جميعاً تتجه الأنظار إليهم في شأن الخلافة، غير أنهم يمثلون تروحة مخالفة لزعمة معاوية في السياسة الحموية وكان على يزيد أن يستعد لمواجهة هذين التيارين.

بعد أن أخذ يزيد ببيعة أهل الشام، أرسل الى واليه على المدينة الوليد بن عتبة أن يأخذ البيعة له من الحسين وابن الزبير وابن عمر ويقول في كتابه - حللهم أغدا شديدا ليست فيه رحمة حتى يبايعوا^(٢).

(١) المصنف بيان والتبيين ٢/١

(٢) الطبري، تاريخ ٢٣٨/٥.

ولما وصلت الرسالة إلى الوليد أحضر الثلاثة وطلب يبعثهم إلا أن الحسين وابن الزبير، استمضيا الوليد فأمنه لهما بالرغم من نصيحة مروان بعدم الإمضاء، فخرج كل منهما من المدينة واتجها إلى مكة. وهناك أحدثت كتب العراقي تنواري عليه^(١)، فحدث العزم على الخروج إليهم.

والواقع أن العاطفة الشيعية قد أزدادت عند أهل العراق بعد مقتل حجر بن عدي، فجاءهم بمرتهم إلى الحسين في المدينة، فكتب مروان إلى معاوية بذلك فكتب إليه أن لا يعرض للحسين في شيء لأنه قد بايع وليس ساقض بيعته، ولا محقر ذمته. وبعث إلى الحسين يقول له: لقد انتهت إلي أمور عنك ليست بها حرياً، لأن من أعطى صمقة يبيع جدير بالوفاء، فاعلم رحمك الله أنني متى أنكرك تستنكرني ومتى تكذبني أكذبك فلا يستغفرت السعفاء الذين يحبون العتنة. فرد عليه الحسين ما أريد حريك ولا الخلالة عليك^(٢).

وبعد موت معاوية أصبح الحسين في حل من وعده السابق، ثم هو لم يبايع للخليفة الجديد، فخرج إلى العراق وتظهر أسباب خروجه من خطابه الذي ألقاه في كربلاء حيث جاء فيه: "أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم" قال من رأى سبطاً جائراً، مستعلاً لحرم الله، ناكثاً لمهد الله مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالآثم والعدوان فلم يغير عليه بعمل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ألا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا العناد، وعطوا الحدود، واستأثروا بالقى، وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله وأنا أحق من غيري^(٣).

وأرد الحسين أن يعرف حقيقة الأمر في العراق فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة، ليرى هل ما كتبوه حقاً، وهل هم جادون في الأمر؟ فإذا كان ذلك صحيحاً خرج إليهم بنفسه. ولما قدم مسلم الكوفة اجتمع إليه عدد كبير وبلغ من بايعه ما يرى

(١) مصعب ابن عمير، حسب تقيش ٢٢٦، الفيديوي، لأحمد العلوان ٢٢٦ من الآثار الكامل ٣٨/٢

ببغداد

(٢) الفيديوي، الأخبار الطوال ٢٢٦

(٣) مطوي، تاريخ ٤ ٢/٥

١٢-٣٠ ألفاً^(١) ومن هناك كتب مسلم إلى الحسين يحبره بالأمر لعقد الحرم على الخروج.

وقد نصح الحسين بعدم الخروج عند كبير من أهل المدينة ومكة، لعبد الله بن مطيع حذره من الخروج وقال له: إن الكوفة بلد مشلول^(٢) وأبو بكر بن الحارث بن هشام قال: يا ابن عم أن الرحم يقاتني حيث ولا أدري كيف أنا في النصيحة لك وكان أبوك أقدم سابقة وأحسن في الإسلام أثراً وأشد بأساً والناس له أرجى^(٣) لكنهم خالفوه^(٤) وحذره عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن العباس ومحمد بن الحنفية، حتى بن الزبير جاء إليه وقال: أخرج إلى قوم قتلوا أمك وأخرجوا أخاك^(٥) وأعرض عنه أن يبقى في الحجاز وسوف يساعدوه ويؤازروه ويأمنونه بالخلافة^(٦)

وقال أبو سعيد الخدري: لقد طلب الحسين على الخروج، وقد قمت له اتق الله والزم بيتك ولا تخرج على إمامك^(٧).

كما أن عمرو بن سميد بن العاص بعث إليه مع عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد يقول له: إنك قد توجهت إلى لعراق، وأني أحييتك بالله من الشقاق، فأني أخاف عليك فيه الهلاك. . فأقبل إلي فون لك عدي الأمان والصدة والبر وحسن الحوار^(٨)

وبعد خروجه لقيه الفرزدق مصور له وضع أهل العراق أحسن تصوير صداما قال له: إن قلوب الناس معك وسيروهم مع بني أمية^(٩).

أب يريد عما أن عسماً ي تم في الكوفة حتى سارع إلى عزل النعمان بن بشير، لأنصاره صها، وعسماً إلى عبيد الله بن زيد، وفي الحد توجه عبيد الله إلى الكوفة

(١) التنبؤي، الاختيار اطوال ٢٢٤، الطبري، تاريخ ٢٥٨/٥.

(٢) التنبؤي، الاختيار اطوال ٢٢٠.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ٦٦/٣.

(٤) مصعب بن زياد، نسب قبيل ٢٣٩.

(٥) لشري، تاريخ ٣٨٤/٥ واسنن الروايات التي تظهر رغبة ابن الزبير في خروج معصم ابن خوات. تاريخ ٢٢٢/١-٢٢٤ التعري تاريخ ٢٨٤/٥ تاريخ لعتاء مؤلف مجهول ١٦٢

(٦) التنبؤي، تاريخ الإسلام ٢٤٧/٤

(٧) الطبري، تاريخ ٢٨٨/٥

(٨) التنبؤي، الاختيار اطوال ٢٤٥، الطبري، تاريخ ٣٨٦/٥.

بعد أن استسلم على البصرة عثم بن زياد، مهدداً إياهم بقوله: «لئن بلغني عن رجل منكم خائف أو أرجف لأقتله وولتيه وعرضه ولا أحد الأيسر بالأقصى حتى تستمعوا إلي ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق» ووضع عيون له على الطرق، واتجه إلى الكوفة، معه بعض أشرف البصرة أمثال شريك بن الأعور السلمي، والشرس الحارودي، وعلم بن عمرو البجلي^(١). والظاهر أن بعض هؤلاء كانت ميول شيعية أمثال شريك فحشي ابن زياد من مناقبهم في البصرة.

دخل ابن زياد الكوفة مثممة فكان لا يمر بجماعة ولا ظنوه أحسن حتى وصل إلى قصر الإمارة، وهناك اتخذ عدة تدبير وقائية ضد النفس. استدعى ابن زياد العرفاء وطلب منهم أن يكتبوا أسماء الغرباء ومن يطلبه الحقيقة، وسماه أهل الرب والحروية وعدد يعرف الذي يقدم بيانات كذبة أو يحكي أموراً عن بني بالقتل، ومع المطامع والنفي عن العراق^(٢). وهذا علم مسلم بن ميمون زياد التوجع إلى دير هانيء بن عمرو المدحجي، فاجتمعت الشيعة إليه، وهناك وضع مخططاً للإيقاع بابن زياد، لا أن هذا المخطط فشل لضعف إرادة مسلم بن عقيل^(٣). وبعد أن حدد ابن زياد العرفاء، اتجه إلى كربلاء، فأعظم رشوتهم حتى استطاع أن يؤلفهم على مسلم^(٤). كما طلب منهم أن يخلدوا الناس عن مسلم بن عقيل^(٥).

وبعد ذلك استطاع بالحيلة أن يتوصل إلى موضع مسلم فأرسل إلى هانيء بن عمرو وطلب إليه تسليم مسلم، عمر أن هانئاً قال: لا أدفع جاري وضيفي وأناحي صحيح اسمع وأرى. فلهذه ابن زياد بالقتل وقال له: إذ تكثر البارقة حول درك، فقال هانيء: أيا البارقة تخفوني، وهو يظن أن عشيرته شيعية^(٦).

وأمام رفض هانيء تسليم مسلم بن عقيل انهزم عليه ابن زياد بالضررب فمكر أنه فاشيع أن هانئاً قد قتل، فهاجمت مدحج وحاصرت القصر، فاستجد ابن زياد بشريح

(١) المصدر السابق، ٢٢٤، بطبري، تاريخ ٢٥٨/٥

(٢) الطبري، تاريخ ٢٥٩/٥

(٣) الفهرستي، الاختيار الطويل ٢٣٦-٢٣٥

(٤) ابن الأثير، الكامل ٤٩/١ (بيروت).

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية ١٥٤-١٥٥

(٦) الطبري، تاريخ ٣٦٦/٥-٣٦٧

ثالثهم وأمره أن يخرج إلى الناس ويخبرهم أن هانئا لا زال على قيد الحياة. وها رأى مسلم ما حدث لهانيء خرج إلى قتال ابن زياد، وهنا ظهر حدلان الكوفة إليه فلم يخرج معه سوى أربعة آلاف، غير أنهم استطاعوا محاصرة القصر، فاستنجد ابن زياد برؤوس القبائل وقد لبس ليشرق كل رجل منكم في ناحية من السور وخذلوا القوم^(١)

لقد قام رؤساء الكوفة يهددون العراق بأهل الشام، وبأن الخليفة سيقطع العطاء ويعرق بقلته في مغزى الشام^(٢). وهكذا يرى أن المصالح الشخصية لهؤلاء الرؤساء قد غلبت على كل شيء.

سمع الناس ذلك فشقوا من مسلم، حتى أن المرأة كانت تأتي ابنها وأحباها لتقول: اتصرف الناس. ويحيى الرجل من ابنه وأبيه يقول: هذا يأتيك أهل الشام عما تصعب به حرب وأشتر^(٣). فما زالوا يتعرقون عنه حتى لم يبق معه سوى ثلاثين رجلا. فالتجهم بهم نحو كنده فلم ير أحدا بجانبه، بل إن بعض أهل الكوفة أخذوا يرمونه بأحجاره، فدخل دار امرأة من كنده، وما أن علم محمد بن الأشعث وجوده عند قبيلته حتى أخبر زيادا بذلك، متناسيا حرمة الإجدرة فبعث إليه ابن زياد مائة رجل من قريش فجاءوا به، وقد كره أن يبعث إليه من غيرهم حتى لا تقع العصبية^(٤)

ولم مثل مسلم أمام ابن زياد قتله، أما هانيء فقد أخرجه إلى سوق بيع العثم وهو مكتوف الأيدي حيث قتله هناك ولم يتعمه قول "وآمد حجاج" وهكذا خذلت قبائل الكوفة مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة، فقد كان يتبع هانيء أربعة آلاف درهم وثمانية آلاف راجل، وإذا أجابته أحلامها من كنده وغيرها تصبح في ثلاثين ألف درهم^(٥) غير أن للذهب زين تحرم بجانبه أصوات المعتز صير، فسكت الرؤساء فلم يتصرفوا لا هانئا ولا مسلما بل على العكس برز محمد بن الأشعث الكندي قتل هانيء بقوله قد رهيبا دائما أمير مؤدب^(٦).

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ٢٢٩.

(٢) لأصفهاني، مناقب لثانيين ٧٣

(٣) ابن سعد، ساقط

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٤١.

(٥) مؤلف مجهول، تاريخ الخلفاء، ١٧٣

(٦) طبري، تاريخ ٣٦٧/٥

أما الحسين فقد خرج قبل أن يعلم ما حدث مسلم وعندما أخسر في الطريق ما حدث له هم بالرجوع، غير أن أخوة مسلم صمموا على الأخذ بالثأر أو يقتلوه، وهم أخيلته العاطفة وقال: لا خير في الحياة بعدكم^(١)

أما ابن زياد فقد بعث رأس مسلم إلى يزيد، فوافق يزيد على ما فعل غير أنه كتب إليه: "بلغني أن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق فضع المناظر والمناصب"^(٢)، واحترس على العين وحذره من التهمة، غير ألا تقتل إلا من قاتلك، واكتب الي في كل ما يحدث، من الخبر والسلام عليك ورحمة الله^(٣).

وهذا القول واضح في أن لا يقاتل بن زياد حسين وأصحابه إلا إذا قاتلوه، وكان يزيد قد التزم بوصية والده التي تقول: . . . وأما الحسين بن علي فإنه رجل خفيف، وأرجو أن يكفيك ثلث من قتل أباه، ويحلل أخاه، وأن له رحمة ماسة، وحقا عظيما، وقربة من محمد صلى الله عليه وسلم* ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فإن قدرت عليه فاصفعه^(٤)

بعد أن زياد طلب يزيد وأرسل جيشا قوامه أربعة آلاف مقاتل تحت قيادة همر بن سعد بن أبي وقاص، وإذا نظرنا إلى القبائل التي اشتركت في هذا الجيش نجد معظمها من القبائل المضرية، من هوزن، وقيم، وثقيف، وأسد^(٥) وكان ابن زياد قد خشي القبائل اليمانية من أن تظهر تحيرا إلى جانب الحسين.

ولما التقى الحسين بعمر بن سعد في كربلاء على بعد عدة أميال من جنوب بغداد، عرض الحسين عليه بعد مفاوضات مطولة أن يحتار واحدة من ثلاثة الانصراف بالرجوع، أو الذهاب إلى يزيد، أو الانتحار بالثعور فرحب ابن سعد بذلك، وبعث بهذه الشروط إلى ابن زياد، وكاد هيبد لئله أن يقبل بها لولا أن شمر بن ذي الجوشن ألبصر في قتال لش رجل من بنيك ولم يقع في يدك ليكون أولى بالقوة والعرة، ولتكون أولى بالضعف والنعير، فأست وفي العقوبة، وإن غمرت كان ذلك* حركت

(١) النجاشي، الأخبار الطوال ٢٤٦ الطبري، تاريخ ٢٨٩/٥.

(٢) المناظر والمناصب وضع تحت مراقبة الطرق

(٣) الطبري، تاريخ ٢٨١/٥

(٤) المصدر السابق ٣٣٣/٥.

(٥) النجاشي، الأخبار الطوال ٢٥٦

هذه الكلمات عبيد الله لوافق على كلام عمر ورده من محاورته عندما علم أن حسينا وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيحدثنا عامة دليل^(١)

فأرسل عمر ومعه كتاب إلى عمر مضمونه إذا لم يستسلم الحسين وعأت إلى عبيد الله فبقتي ، وإذا لم يرد عمر أن يقاتله فليسلم مرة الجيش إلى عمر : ويتنحى عن الأمد وأوصى عمر أن يقتل عمر إذا رفض ذلك^(٢)

وقد قدم عمر على عمر بن سعد وأخبره مضمون رسالة ابن زياد خالف على نفسه ، ورفض أن يتنحى عن القيادة ، فطلب من الحسين تسليم نفسه ، غير أن الحسين رفض ذلك ، فشب القتال ، ويجب أن لاحظ أن الحسين لم يبدأ بالقتل بل أن موقفه كان عدم الاستسلام فقط - فوقع القتل وانتهت بمأساة كان لها أثرها الكبير على مجرى الدولة الأموية ، ولا أباغ إذ قلت بأنها كانت المسمار الأول ، الذي دق في بعش البيت السفهاني أولا ، والدولة الأموية ثانيا .

وفي كربلاء ظهرت النزاع الانسانية والفيلية ، فليذكر ابن قتبية كان مع عمر بن سعد ثلاثون رجلا من قريش التحروا إلى جانب الحسين ، كما ظهرت هذه النزاع عند عمر نفسه ، عندما قالت زيب الخت الحسين يا عمر بن سعد أقتل عبيد الله وأنت تنظر إليه^(٣) فلم يتمالك نفسه عن البكاء . ولما رجع إلى الكوفة قال : ما رجع خائب إلى مزنة بشر مما رجعت به قطعت القرابة لقرية ورتكبت الأمر العظيم^(٤)

وقد أرسى الرأس إلى يريد دمعت عيناه وقال . قد كنت أرفض من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله من سميه ، أما والله لو أتي صاحبه (يقصد الحسين) لعفوت عنه فرحم الله الحسين^(٥)

وما تقدم يبدو من الوقائع التي مرت أن يزيدا لم يعرف بقتل الحسين ، وأنه أسف لقتله كثيرا ، وبكى عليه ، واسترحم على الحسين ولعن ابن زياد وانهجه ، واحسن وفادة أهل الحسين ، غير أن مرة وقف عند هذا الحد فلم يعمل شيئا لشجاعة عبيد الله الذي

(١) الطبري تاريخ ١٤/٥

(٢) المصدر السابق

(٣) بن النضر الكامل، ٢٩٥/٣ (بيروت).

(٤) الطبري، أخبار نطوال ٢٥٧.

(٥) الطبري تاريخ ٥/ ٤٦

مخرج على أمره، ولم يؤسه برسالة، بل استبقاء على الكوفة فدل بذلك على أنه وإن كان قد استاء لمقتل الحسين فقد وجد الرحمة في ذلك حيث تحلص من عدو شديد لخلافته وهذا يدل على حفته وعدم تعمقه في دراسة المسائل^(١).

لقد نتج عن كربلاء بأن راد البغض لبني أمية ويريد، واعترف بهذه الحقيقة، لخليفة نفسه فهو يقول: لعن الله ابن مرجانة، لقد بعصني بقتله (الحسين) إلى المسلمين وروخ في قلوبهم العداوة، فبعصني البر والمعاري بما استعظم الناس من قتلي حسيناً^(٢).

كما أن الناس قد حقدوا على بن زياد، فالعصاة بن بشير الأنصاري يقول لو كان بينه (الحسين) وبين ابن مرجانة نسب م قومه^(٣)، كما زادت هذه الواقعة من حركة التشيع، فم أن سمع عبد الله بن عفيف الأزدي ابن زياد يقول عن الحسين الكذاب ابن الكذاب، حتى رد عليه. أبت الكذاب وأبوك الذي ولاك يابن مرجانة، أنقتلون أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين، فقدم ابن زياد وقتله بالرغم من قيام سبعمائة من الأزد ليعصروه^(٤).

أما أهل الحجاز فقد أعظموا قتل الحسين وهابوا أهل الكوفة لحد لانه، ووضعهم ابن الزبير بأنهم أهل فخر وفجر الأقل وأل أهل الكوفة شرار أهل العراق^(٥).

وما وقعة الحرة وعصيان أهل المدينة إلا إحدى النتائج التي خلقتها مأساة كربلاء فكان للآلام التي ألارتها هذه المذبحة أثر عي شوب الثورة في الحجاز.

واقعة الحرة (الصراع بين الشام والحجاز)

أصبح عبد الله بن الزبير بعد مقتل الحسين، رجل الحجاز الأول، فأقبل الناس عليه يطلبون إظهار بيئته، فبايعه أهل الحجاز باستثناء ابن عباس ومحمد بن

(١) ينصف العلي، مذكرات، ٦٨.

(٢) الطبري، تاريخ، ٥٠٦/٥.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفرید، ١٢٤/٥.

(٤) الطبري، تاريخ، ٦٤٥/٥، ابن الأثير، نكاح، ٨٢/١ (بيروت).

(٥) الطبري، تاريخ، ١٧١/٥، ابن الأثير، الكامل، ٩٨/٤ (بيروت).

الخفية^(١). غير أن الزبير لم يدع نفسه بالخلافة الا هي وجب تسع سنوات من سنة ٦٤ هـ وبعد موت يزيد^(٢)

ولما أحد الناس يباهون ابن الزبير لاد بالكعبة، هبلغ خبره يريد فاقسم أن يأتيه موقف بجامة - سلسلة - ثم عدل عن ذلك، وأرسل سلسلة من فضة يسميها ابن الزبير تحت ثيابه ببر يسميها، إلا أن الزبير رفض ذلك.

كان والي مكة عمرو بن سعيد، وكان هذا يشتد ويداري ابن الزبير، غير أن موقفه لم ينجح يريد لعنه وعين يذلا منه الوليد بن عتبة، وربما جاء هذه العون من أن يريد أن قد حشي بعضهم عمرو الي جنب ابن الزبير، غير أن الواقع كن يخالف ذلك فأهل مكة والمدنية قد ماتوا الي ابن الزبير وأعطوه الرضا، ودها بعضهم بعضا سرا، وعلاية لبيعة ابن الزبير، ويدلث لم يزل مع عمرو جننا حتى يقتل بهم ابن الزبير^(٣).

ولما تشدد الوليد بن عتبة مع ابن الزبير، وجد ابن الزبير مجالا لتتخلص منه بأن كتب الي يزيد يرسل رجلا اثنين من هذا للاتفاق، فعزله يزيد وولى مكانه عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وكان هذا حدث الس لم تجر به الأمور، فاردد أمر ابن الزبير اشغالاً وأراد عثمان أن يثبت كفاءته عند يزيد فأرسل وهذا من أهل المدينة الي الشام، وكان في الوفد عبد الله بن حنظلة الأنصاري والمندل بن الزبير، فاستقبلهم يزيد بخير استقبال، وقيل أنه أعطى المندل مائة ألف درهم، غير أن هذا الوفد قد ليثور إب قدما من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر ويعزف بانطناير، ويطلب هذه القيان، ويلعب بالكلاب. ولما شهدكم أنا قد خلعتنا^(٤).

وبلغ يزيد الخبر حاصة ما جاء على لسان المنذر فقال اللهم إني أرتقه وأكرمه، فعمل ما قد رأيت، فادكره بالكذب والقطيعة^(٥)

ولم يتسرع يزيد في الرد على المدينة، بل أرسل النعمان بن بشير الأنصاري إليهم

(١) النجدي، الاخبار الطوال ٣٦٠

(٢) ابن خياط، تاريخ ٢٥٦/١.

(٣) النجدي، تاريخ ٤٧٩/٥

(٤) النجدي، تاريخ ٤٨ / ٥

(٥) المصدر السابق ٤٨١/٥.

حتى يأتي قومه ويحذروهم من الخروج ، فجاء العمدان اليهم وعيشا حاول ، اناسهم ، فانتش الى تهديدهم بأهل الشام كما حاول ان يشير لنعرة بين الأنصار وبنهاجرين حيث قال لعبد الله بن مطيع . كأتي بك على بعثتك تصرب جسها ثم تلتحق بمكة وتترك هؤلاء المشاكين من الأنصار يقتلون في سبيلهم ومساكنهم^(١)

وارسل يزيد أيضا العمدان بن بشير وهشام بن قبيصة العمري الى ابن قريش يدعواهم للبيعة على أن يجعل له ولاية الحجاز ما شاء وما أحب لأهل بيته من الولاية . فرفض ابن الزبير وقال أنا مؤمنوني بيعة رجل يشرب الخمر ويدع الصلاة ويتبع الصيد^(٢) .

أما والي المدينة ، فقد أد رأى سوء الخلق هناك أمر بحبس بعض رجالات قريش أمثال عبد الله بن مطيع العدوي ومصعب بن عوف الزهري ، إلا أن بني عدي اجتمعوا الى عبد الله بن عمر ، فجاء عبد الله الى عثمان وذكره بأنه قد سجن ابن مطيع على الظن والتهمة ، وقال لا ترض أن تدع صاحبنا مظلوما عليم . والظاهر ان الوالي لم يستجب للأفراج عنه ، مما دفع بني عدي إلى قتل عثمان السجين وإخراج صاحبهم^(٣) . أما مصعب فقد كان على شرفة عمرو بن سعيد ، وبعد خروج الحسين وابن الزبير الى مكة أمره عمرو ان يهدم دورو بني هشام وبني أسد ومن كان في حيزهم ، غير أن مصعبا قال ست فاعلا لأنه لا ديب لهؤلاء ، فقام عمرو - انتفع مسرك يا ابن أم حنيفة (سبه من بهراء) إلى سبيها فرمى مصعب^(٤) . وكان ذلك سبب هجرته عن بني أمية وانضمامه الى صفوف ابن مطيع ، والظاهر أنه لم يدم في السجن طويلا .

وبعد ذلك تطورت الأحداث في المدينة ، فقام الناس ويجمعوا عبد الله بن حنظلة على خلع يزيد وحاصروا عامل المدينة وبني أمية ومن عرف بالميل اليهم من قريش ، وكانوا زهاء ألف في دار مروان بن الحكم وحاصروهم حصرا ضيقا^(٥) . فكتب ابو أمية الى يزيد أما بعد فقد حصرنا في دار مروان بن الحكم ، ومنعت العذب ورمينا بالحبوب فيافوتاه يافوتاه^(٦)

(١) البلاذري، أنساب الأشراف ج٢ قسم ٣٤/١

(٢) ابن خلدون، تاريخ ٢٤٧/١ .

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف ج٢ قسم ١٤/١ ، التلحق ٣٩٠

(٤) مصعب الزبيرى، نسب قريش ٦٢

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف ج٢ قسم ٣٧/٢

(٦) الطبري، تاريخ ٤٨٧/٥

وما أن قرأ يزيد الكتاب حتى ثارت ثائرتة وأخذته الحمية، ولما صد التريحية لا تذكر ما فكر به إلا أنه لا بد وأن تذكر ما حدث لعثمان بن عفان وكيف حصر في داره ثم قتل ولا بد أيضاً أنه يعتقد أن أهل المدينة يستهينون بقوته وخيالاته فقال: "لا خير في العيش بعدهم" وهكذا أنسته العاطفة والعصبية لبني أمية منصبه كخليفة لجميع المسلمين ففكر في إرسال جيش حتى يتقدمي قومه^(١).

تقدم دعا يزيد، عمرو بن سعيد وطب إليه أن يقود الحملة إلى الحجاز، «لا أن عمرو» اعتبر على ذلك وقال: قد كنت ضبعت لك البلاد واحتللت الأمور، فأما الآن إذا صارت وما هي دماء قریش تهراق بالصعيد فلا أحب أن أكون أول من أتولى ذلك، يتولاهم من هو أبعد منهم مني^(٢).

وبعد رفض عمرو توجه يزيد إلى مسيحه بن عقبة نفي، فجهده إليه بالقيادة، واستطاع بذلك أن يجمع جيش قومه اثني عشر ألفاً^(٣) أكثره من القبائل اليمنية وقد تدخلت رجالات قریش والأندلس حتى يشو يزيد على عزمه لقتال المدينة إلا أنه قال: «أقتل وأشفي نفسي»^(٤).

ويذكر الذهبي أن يزيداً أوصى مسلم بن عقبة أن يستحلف بعده الحصين بن محرز أن حدث له حادث وقال له أيضاً: امض إلى المجد ابن الزبير، وإن صدوك عن المدينة فدعهم ثلاثة أيام، فإن لم يجيبوا فاستمس بالله، وقتلتهم فاستجدهم أول شهر مرضي وآخره صبر، وسيوفهم أبطلهم، فإذا أظهرت عليهم، فإن كانوا أمية قد قتل منهم أحد فجرد السيف واقتل بنفسك وتدمير واجهز على الخريج وانهبها ثلاثاً واستوصي بعلي بن الحسين^(٥).

وهكذا يرى أن يري هذا هدف من الحملة أن يشفي نفسه، وأن يشار لبني أمية وهذه وصية تأبها السياسية الحكيمة.

(١) يوسف افش، مذكرات ٦٩.

(٢) ابن عسكري، نسب الاشراف حة قسم ٢٣/٢ الطبري تاريخ ١٨٢/٥

(٣) ابن عسكري، نسب الاشراف حة قسم ٢٣/٢. الطبري تاريخ ١٨٢/٥

(٤) ابن عسكري، نسب الاشراف ١١٢/٥، ابن قتيلة، الامعة والسياسة ١٧٧/١

(٥) الذهبي، تاريخ الاسلام ٣٥٥/٢

توجه مسلم إلى المدينة ، والتقى في طريقه بني أمية لم يقتل منهم أحداً ، ولم يصابوا بأذى وحس عريقتهم تمكن من معرفة الأوصاح في المدينة

أما أهل المدينة فقد حشروا حولهم خندقاً ، وقد ظهرت الأقسامات بينهم منذ البداية حتى في حفر الخندق ، فقد كان لكل فئة قسم معين ، كما أن القناسة لم تكن موحدة فبعد الله بن حنظلة كان علي ، الأنصار ، وعبد الله بن مطيع كان عني قريش وكان علي بن عوف بن هرمز^(١) ولما وصل مسلم المدينة بعث إلى أهلها يقول ان يريدوا يقول إنكم الأصم وهو يكره الرأفة دمايتكم ، وذكرهم بأنه لا يريد حريتهم إن يريد أن يمضي إلى من الربر ، وقد أجلهم لذلك ثلاثة أيام . إلا أن المدينة لم تستجب لهذا النداء^(٢) .

وبعد انتهاء المهمة الضرورية تقدم مسلم لقتال أهل المدينة وكان قتالا مريراً دافع فيه أهل المدينة بشجاعة فائقة إلا أن خيانة بني فزارة قلبت نصر المدينة إلى هزيمة . فدلت الانتصار وقريش (٣٠٦) قتيلاً^(٣)

ولما صحت حيانة بني فزارة ، حالت كانت هذه عصبية مسلم بن عقبه المرى قائد الحملة نظراً للحلف الذي كان يربط مرة بمرارة . وبعد انتصار مسلم امتنع المدينة ثلاثة أيام ، وطلب من أهلها ان يسلموا على أنهم يحول يبريد ليحكم في أهلهم ودمايتهم وأموالهم ما شاء^(٤)

ورغم هذا حدة القتال في اخره لا أن الناس لم يسوا ربيعة القريش ، فعندما حصر بنو أمية بم بعد مروان بن الحكم الأعليا بن الحسين فطلب منه أن يأخذ أهله ويخرج بهم إلى ينبع^(٥) .

ولما مر مروان بن الحكم بعد الرحمن بن عوف الزهري لم يشارك من هو ففعله حتى قال له هلم إلي يا أبا عبد الملك فلا يصل إليك مكروه ما على رجل من بني دهرية ،

(١) البلقري: انساب الاشراف ح ٢-٢٤٠ .

(٢) الطبري: تاريخ ٤٨٦/٥-٤٨٧

(٣) حتى حد بعض الروايات .

(٤) القسبي: تاريخ الاسلام ٢٠٨/٢

(٥) الطبري: تاريخ ٤٨٥/٥

لكن مروان رفض وقتل إبن الاخوة ولعشيرة في الشام^(١) وقال إبن همر أيضا والله لو وجدت سيلا أتي بهر هؤلاء لفعلت^(٢).

وبعد استباحة المدينة قال مروان بن الحكم لمسلم: سبحان الله اقتل رجلي من قريش أتيا بأمان، وكان مسلم قد قتل يزيد بن عبد الله بن زمعة الأسود الذي رفض أن يسابع على أنه عبد ليزيد^(٣)، ومحمد بن أبي إهمم بن حديقه^(٤) وإذا ظهرت العصبية عند قريش فقد ظهرت عنه المهاجرين، فقبيلة كلب معت أهل الشام من نهب دار أسامة بن زيد، وحمبر معت نهب دار امرأة منهم، وخصين بن ثعلبة أجاز عني بن عبد الله بن العباس لأنه أمه كدية وسأده أهل حمص جميعهم^(٥).

وفي وقعة الحرة تصور أهل الشام أنهم كانوا يقاتلون على حق حيث جاء على لسان مسلمة اللهم إني لم أحسن عملا قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أحب إلي من قتلى أهل المدينة، ولا أرحى عندي في الآخرة^(٦). وقال أيضا: يا أهل الشام إنكم لستم بالفض والعرب في أحسبهم ولا أنسبها ولا أكثرهم عددا ولا أوسطها بلدا. ولم يحصكم الله بالذي حصكم به من النصر على عدوكم، وحسن الميزة عند أئمتكم، إلا بعدا عنكم واستفدتكم، وإن هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غيروا لعير الله بهم، فتموا، على أحسن ما كنتم عليه من الطاعة يتم الله لكم أحسن ما ينيلكم من النصر والفلاح^(٧).

أما أهل الحجاز فقد تصوروا حرب الشام عند الحجاز فأبو حرة مولى عمر اعقب قول^(٨)

يا رب ان جنودك لستهم قد كسروا وهكذا حجاب التيهت أسسها

- (١) الأصفهاني الثاني ٢٢/١ ٢٤٠ (بيروت).
- (٢) المصدر السابق ٢٦/١ ٢٦٠ (الهيئة المصرية).
- (٣) مصعب الزبيري: مسند قريش ٤٧١.
- (٤) ابن الأثير: الكامل ٢١٤/٢.
- (٥) الجلائري: أنساب الأشراف ج١ ص ٣٧/٤٠٠.
- (٦) الطبري: تاريخ ١٧٧/٥.
- (٧) المصدر السابق ٤٨٩/٥.
- (٨) الجلائري: أنساب الأشراف ج١ ص ٣٧/٤٠٠.

يا رب إني ضعيف الذكاء مضطهد - فاجتهد إني جندنا منك انصرا

وبعد الحرة توجه مسلم الى مكة وفي الطريق عاجله موت ، بعد أن أوصى خويته بقوله . وإن هذا أخي من قريش قوم لم يمكنهم قتل رجل من أذنيه إلا غلبوه على رأيه ، فسر بهذا الجيش فادا بقيت القوم فلا يكون إلا لوقوف ثم الثقال ثم الانصراف^(١)

وبعد ذلك توجه الحصين الى مكة ، فضرب عليها الحصار ، وربما بالشجيق والتكبي لأمر بحرق الكعبة . وبقي الحصار حتى وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ

وبدأ مسيح جيش الشام بذلك قام قائد الحملة واتصل بدين لزيير ، وعرض عليه ان يخرج الى الشام ليدأبه الناس هناك لأنه لا يحب أن تكون الخلافة في الحجاز^(٢) غير أن ابن الزبير لم يرش بالحجاز بدلا^(٣)

ودعوة الحصين لابن الزبير ربما يكون الدافع اليها هو حرج الموقف الذي أصبح به الجيش لشامي في الحجاز ، فاضري يذكر أن أهل الحجاز قد اجترأوا على أهل الشام حتى دلوا ، وكان لا يبعد منهم رجل الا أخذ بالجمام ذاته لم يكس بها ، فكأنوه يمشعون في معسكرهم فلا يفترون^(٤) .

ولما رأى أهل الشام ذلك أخذوا يتوددون الى الحجازيين ، فالحصين ير غير يكون . بما معشر قريش أنتم ولأه الأمر ، ولما قاتلكم في طاعة رجل منكم قد هلك فأدبرنا في الطواف^(٥)

ولوقت نفسه حدث في المدينة ولمس ذلك من حطبة روح بن زباع خليفة مسلم بن عقبة عليها حيث يقول يا أهل المدينة ما هذا الاعتماد الذي توعدوننا ، أنا والله ما دعوناكم الى كذب ببيعة رجل منهم ، ولا نرى رجل من بلقين ، ولا نرى رجل من لحم وجذام ولا عبرهم من لعرب وامويين ، ولكن دعوناكم الى هذا أخي من قريش (أي أمية ثم الطاعة الى يزيد ، وعلى طاعته قاتلكم ، أم والله إنا أبناء الطمس وبطاحون

(١) ابن حبان، تاريخ ٢٥٠/١ بلازي . أنساب الأشراف ح ٤ قسم ٤٥/٢

(٢) ابن عبد ربه ، العقد الجديد ١٣٢/٥ .

(٣) شعبي، تاريخ ٢٠٥/٥

(٤) المصدر السابق ٥/٥

(٥) البلازي أنساب لأشراف ح ٤ قسم ١٥/٢

وعضلات الموت والشرد ، فما شئتم ، ثم مضى «لقوم الى الشام»^(١) .

وبذا حاول أهل الحجاز التأثير من أهل الشام فقد حاولوا مثل ذلك مع بني أمية ، فعندما رأى أبو الجهم ابنه قتيلاً قال : ما وثرت قط ولا الليلة ينكم يا بني أمية تظنون دمي في بني مره لا والله ما دمي هناك ، ولا أجد لي ولكم مثلاً إلا ما قال الشاعر :

ونحن الأكرهين أبوهن واحده عشاق جهاد ليس فيهن محصر
وهنا لكم فضل علينا بعده يسوي إنكم قتلتم لما نحن أكثر
ولستكم بالكر في العميد ألسنا صفار وقد يربوا الضفدير والكبير^(٢)

ولواقع ان بحساس بني أمية كان صعبها ، فعندما خرج جيش الشام قالت هو أمية . لا تبرحو ، حتى نطمون منكم الى الشام^(٣) . وبعد خروجهم جمع حميد بن أبي جهم رجلاً من قريش حتى يأخذ ثأره منهم ، بعد أن أوصاه والده . أصبح غداً أكرم قريش ، واستمسك ولا تفتن بأخيك إلا رجلاً سمياً^(٤) . فأغار حميد على در عبد الله بن عامر فنهشها ، وأراد أن يقتل أدر بني أمية غير أن بن الزبير نهض عن ذلك عندما علم أن رجلاً من بني أمية انضم إليه وهما عمرا وعمر ابني عثمان بن عفان^(٥) .

الفن الثبتي بعد وفاة يزيد

ما مات يزيد استخلف ابنه معاوية الثاني ، وكان هذا صغير السن ، ولم يدم حكمه طويلاً ، ولأرجح أنه مات بالطاعون له ذكره المسعودي من أن الوليد بن عتبة دكر عليه الثانية سقط ميتاً بالطاعون^(٦) . ولم يعب معاوية الثاني خلفاً له

وعوت الوليد بن عتبة ومعاوية الثاني فقد أبهت السعيفي القدرة على تفهم

(١) المسعودي، مروج الذهب ٩١/٣-٩٢

(٢) ابن حبيب، لمحق في أخبار قريش ٣٩١-٣٩٢

(٣) الطبري، تاريخ ٥/٢٠٢

(٤) ابن حبيب، لمحق في أخبار قريش ٣٩٢.

(٥) الحصري، سابق ٢٩٤

(٦) المسعودي، مروج الذهب ٨٢/٤

شخص للخلافة، كما فقد القاعدة الشعبية لحكمه فجموع الوليد لم يعد هناك من يصلح للخلافة، أما القاعدة الشعبية فقد هذا البيت لما حدث في كربلاء والحرم، ومنه.

لقد أدى حلو مصب الخلافة إلى إحداث فتن في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية، وأصبح البيت الأموي في موقف لا يحسد عليه، فتلقيدون أصبحوا يتناقصون، وتجهون إلى ابن الزبير وقد أدى ذلك إلى اضطراب الأحوال في مصر

وقبل التمرص لعش القلبية في الأمصار لا بد من القول أن السمة العالمية على العصبة القلبية بعد موت يزيد هي اتساعها، فما عادت العصبة للرهب أو لبطن بن حلت العصبة القلبية أو لجلد مكائها، ولا عربة إذا قيل أن عصر بني أمية هو عصر التكتلات القلبية^(١)

ورافق اتساع «عصبيات القلبية» اشتداد «العصبة الإقليمية بين الأمصار، فالهجران يكره أهل الشام وأهل العراق ياقمون على الشام، والشام يعض أهل العراق

العراق

كان العراق من أكثر أمصار الدولة الإسلامية فتناً قلبية، بن هذه الفتن كانت سبباً مهماً في الأطلاحة بالبيت الأموي فيما بعد، لأن هذه الفتن وإن قامت سيولها في حراسان إلا أن منتهى وأصولها كانت في الكوفة والبصرة

لقد بدأت الفتن في البصرة، فعندما مات يزيد، فرع عبيد الله بن زياد فصعد المسير وقال: يسوني فوالله لتحدثن مهجر والدي ومولدي فيكم وداري

وأعلن أنه قد أخرج جميع المسجونين الذي لم تثبت عليهم الخرائم، وبين فضله على البصرة حيث جاءهم وعددهم سبعون ألفاً، وهم اليوم ثمانون ألفاً، كما راد ديوانهم من (٩٠) ألفاً إلى (١٤٠) ألفاً

وفي نهاية خطبة أعلن أن أهل الشام قد اختتموا على اختيار حليفة، فطلب أن يختاروا منهم رجلاً يرضونه لدينتهم وجماعتهم، فاد بايع أهل الشام هاشم والعقد يزيد أهل البصرة إما الرضاية أو عدمه^(٢).

(١) محمد امين، العصبة القلبية ٢٧٢

(٢) انظر العطية في الطوبى تاريخ ٥/١٠٤، سعودي، مروج ذهب ٩٢/٣

عند ذلك قام أشهر الكوفه ومعظمهم من ربيعة وقالوا لبايع الأمير وجا أن
الانجاعات السياسية لمقبائل كانت تتبع الظروف فأتينا نجد أن بيعة هذه القبائل ما هي ولا
مظاهر زائلة فكانوا ما إن خرجوا من عنده حتى مسحوا أيديهم بالخيطان وقالوا: لا يقطن
ابن مرجانة أما يستقد له في الجماعة والفرقة، كذب والله^(١)

ومن هنا بدأ سلطان ابن زياد يصعب في البصرة، فكان يأمر بالأمر فلا يقضى
ويرى الرأي فيرد عليه، ويحبس الخطيء فيحال بين أهوانه وبه^(٢)، ولم يمهده زيادة
المعطاء لأهل البصرة^(٣).

لقد بدأت الفتنة في البصرة عندما قام رجل من مضر وهو سلمة بن ذؤيب التميمي
بالدهوة لأبي الربيع، وقد حاول ابن زياد أن يقتله غير أن إخوته حذبوه من ذلك وقالوا:
له: والله ما من خبيثة تقتل صه وهدده، حوّه عبد الله يقتل نفسه إن قاتل أهل
البصرة^(٤).

ولما رأى ابن زياد هذا الموقف فكر في الاستجارة بأحدى قبائل البصرة، فبعث إلى
سعد بن الأطول القضاعي، لكنه اعتذر لعدم قدرة حشبرته على الدفاع عنه، لأن
معظمها بالشام وليس بالبصرة^(٥).

وبعد ذلك توجه عبيد الله إلى الأردن بناء على نصيحة مولاة مهرا بن بذلك^(٦).
والتوقع أن عبيد الله قد خشي على نفسه كثيرا، فهو قاتل الحسين، ثم به كان أول من
جعا لقبائل، واستعمل بدلا منهم اندهالين لجناية الخراج حتى لا يكسروه ولا يورث
صدور العشائر، ما مطالب أفرادها يدفع الخراج^(٧)

بالإضافة إلى ذلك أن أهل البصرة قد غضبوا عليه لانتحاده المحاربة لقتل أهل
المعصية من العشائر^(٨).

(١) الطبري، تاريخ ٥/٥٠

(٢) المصدر السابق ٧/٥٠-٨٠، ج.

(٣) ابن خبط، تاريخ ٢٥٢/١

(٤) الطبري، تاريخ ٥/٩٠

(٥) بن سعد، الطبقات ٤٧/٢

(٦) البغدادي، الأخبار الطوال ٢٧٦

(٧) البغدادي، أنساب الأشراف ج١، قسم ١٠٩/٧.

(٨) ابن كثير، إتمامه والسياسة ١٩/٢.

الجمه ابن زياد الى حارث بن قيس الأزدي وقال له . إن أبي كان أوصاني أن
احتججت الى «هرب يوما أن «ختاركم ، وأن نفسي تأبى هيركم . غير أن «حارث ثم
يرحب بهذا العرض ، لأنهم قد أجازوا ولده من قبل فلم يجد عده مكافأة ، غير أن
التقاليد القبلية ، تحث على «الاجاره إذا كنت القبيلة قادرة عليها ، وهنا قال الحارث
«مالك مرد إذا «خبرتنا»^(١).

وبعد موافقة الأرد على «الاجاره كانت «صعوبه في «قتل ابن زياد الى رئيس الأرد
وهو مسعود بن عمرو لغرض «لقبائل «لحرامه على سككها وذروها ، بل «مارسوا حتى
في «نجاش»^(٢) واستطاع «حارث بعد «جهده أن يوصله الى رئيس الأرد ، بعد أن «تنبو
«خطط مضر والروث على «خطط قيس»^(٣).

وكما أذن «حارث للتقاييد القبلية ، فقد رضى به مسعود علما أن في هذه
«الاجاره «هلاك قومه ، وحرب أهل البصره . فقد صعد مسعود سطع منزله وأشعل النار
فأقبلت الأزدي حتى «ملئوا السكك فأحرقهم بالأم»^(٤) وقد حذوت ربيعة أن «تخرج ابن
زياد من «الأرد ، لا أن «عبد الله بن زياد قال . والله لا «سرح «حكم . قد أجزأونا ،
وعقدتم لـ «ذمتكم فلا «تخرج حتى «تقتل بين أظهركم ، «يكون «اراءا عليكم الى يوم
«القيامة»^(٥).

وهذا أنفق ابن زياد أموالا طائلة لأعدة «الحلف بين ربيعة واليمس»^(٦) ، وخاصة بعد
أن رأيت ربيعة أن «احتج جاء الى «در ابن زياد (البقيضاء) وضع الناس من «حولها»^(٧)
يضاف الى ذلك أن «الجو كان متوترا بين ربيعة ومضر بسبب «سرب رجل من بكر بن وائل
لرجل من قريش ، فتهايج الناس من مضر وربيعة ، واستطاع «مات بن مسجع أن «ينهي
«الزراع بين القيسيتين . غير أن هذا «الزراع «تجدد مرة ثانية عندما «تذكر يوما رجل من بني

(١) الطبري - تاريخ ٥/٩٠

(٢) من قتيبة الامامه وسيرة ٢/٢١٧ ، الطبري ، تاريخ ٥/١١٥

(٣) المصدر السابق ، ٢/١١٧

(٤) المصدر السابق ، ٤/١١٧

(٥) الطبري ، تاريخ ٥/٢١٥

(٦) الطبري ، أنساب الاشراف حة قسم ١/٦ ، الطبري ، تاريخ ٥/٦٤

(٧) ابن خلدون ، تاريخ ١/٢٥٣

يشكر مع رجل من بني صبه ما حدث للقرشي، ففخر اليشكري بنفسه القرشي، وكيف أن الحادثة ذهبت ظاهراً (هــزاً) - فحفظ ديث القسبي مقتل اليشكري - وهذا ثارت بكر بن وائل والجهت إلى رئيسها أميين من قبل يزيد بن معاوية - سابقاً - وهو أشيم بن شفيق فطلبوا منه أن يسير بهم إلى مصر، فلم يقبل أشيم بذلك، بن رأى أن يرسل إليهم رجلاً فان رفضوا فطلبهم ساروا إليهم، فلم تعجب هذه الخطة قبيلة بكر، فذهبوا إلى مالك بن مسعم، الذي قام على العور بحرق دور بني تميم في سكة بني العدوية ثار اليشكري الذي قتله القسبي^(١) وهنا الجهت إلى الأزد تطلب الحلف معهم ضد مضر، فشرطت الأزد أن تكون لها الرئاسة لوافقت ربيعة على ذلك.

وبعد حلف ربيعة والأزد أصبحوا قوة لهم وربها في البصرة، فأردوا إعادة ابن زياد إلى دار الأمراء، فسار مسعود وأصحابه يريدون النذر، فدخلوا المسجد وقتلوا قصاراً كان هناك، ولما بلغ ذلك الأحنف يمت إلى تميم فجمعوا حوله، وأنهى نحو الأزد وربيعة، وشب القتال بين الأساورة والأزد، ونجح عن ديث قتل مسعود رعيم الأزد. فهرب مالك بن مسعم، ولم تكتب مضر بذلك بن حرقوا داره بعد أن حاصروه بها^(٢).

وبعد مقتل مسعود ولت الأزد عهد زياد بن عمرو العتكي، فخرجت معها حليفتي ربيعة يطلبون من أصيب منهم، ونهيات جميع قبائل ربيعة من عبد القيس ومن بقا لغيرهم من أهل حجر وهز و النمر، وذلك عصبية لبكر بن وائل وحلف الجامع بينهما^(٣).

ولما رأيت مضر ذلك التحدت كلمتها تحت لواء الأحنف بن قيس، واشترك معهم انزط والسباهجه والأساورة، وهناك اشتعلت العنتة بين الطرفين المتنازعين، وأخذ كل ليس يشجع قبائله على مواصلة القتال، إلا أن كفة القتال رجحت إلى جانب اليمن وربيعة فقام الأحنف يقول: 'الله الله يا معشر الأزد في دماكم ودمالكم، يساً وبينكم القرآن، ومن شتم من أهل الإسلام'^(٤).

و تقع الطرفان على قبول تحكيم قريش، حيث كانت محايدة، ولم تدخل في

(١) نكاحي، نسب الأشراف ج ٢ - ١٠٥/٦، البصري ٥١٥/٥

(٢) ابن خيابة، تاريخ ٢٤١/٦، ابن الأثير، الكامل ١٣٩/٤ (بويضة).

(٣) بصرى، نسب الأشراف، ج ١ - ١١٢/٢، ابن الأثير، الكامل ١١٢/٤ (بويضة).

(٤) نكاحي، نسب الأشراف، ج ٢ - ١١٢/٢.

مزاج مع الطرفيين . وبعد ذلك سارت قريش ، في الصلح بينهما ، إلا أن الأزد وربيعة تشددوا في مطالبهم وهي : دفع عشرينات لسعود العتكي^(١) ، وإخراج مضر من البصرة ، وهدر دمايتهم ولا دية لهم . فلما علم الأحف بهذه المطلب ، اعتبرها مطالب الصقور من إسمائلم وقائوا مستعملونا خطة الذليل ، والله لا يريد على دية رجل من المسلمين بالنسبة لسعود ، وأما الخروج من البصرة فإننا لا ندع مهاجرنا ومركزنا وفي الله علينا ، وأما الحرب فليست بأجزع فيها منكم ، وأما عدية قتلاكهم وبلغى قتلاتنا فليس ذلك في صلاحنا .

وباستمرار وساطة قريش استعدت إجراء الصلح بينهما بعد أن دفعت قيم عشر ديات لسعود بن عمرو العتكي^(٢) .

وبعد الصلح وقف الأحف وقال : يا معشر الأزد وربيعة إنكم إخوانا في الإسلام وشركاؤا في النصر ، وجيران في الدار ، ويد على العدو ، ولأرد البصرة أحب إلى من قيم الشام فإذا استشرت شأفكم ، وحميت جمرتكم ، وأبت حماكتك صدورك أن تلوي في أموالنا وأحلامنا معك . وكنتم أرحميت بحمل هذه الديات من أعطينا في بيت المال قالوا رخصت فخصمها إياي من قتاده من أولي^(٣) .

أما ابن زهد فقد خرج إلى الشام ، والتفت البصرة على تعيين عبد الله بن الحارث بن مرقان الملقب بـ 'ب' غير أن هذا اعتزل لأمر أمام العوضى التي عمت البصرة ، فلبثت المدينة بغير ود ، فاشتدت حالت المدينة سوءاً ، وأكل الناس بعضهم بعضاً حتى أن المرأة تؤخذ من الطريق فتعصق فبئسها أحد . كما أن الخوارج أخذوا يغيرون على المدينة ويقتلون كل من يجدوه في طريقهم .

ولم يجد أهل البصرة أمامهم من سبيل إلا أن يتجهوا إلى ابن لزيير ، فعين عندهم عمر بن عبيد الله بن معمر ، وأظهروا أن هذا لم يستطع أن يعيد الأمن إلى البصرة لغيره وعين بدلاً منه الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة طخزومي^(٤)

(١) دية الملوكة كانت في جاهلية عشر ديات .

(٢) البغدادي ، أسناد الأشراف ج ٢ / ١١٣ ، توجد في الصلح عمر بن عبد الرحمن المخزومي وعمر بن عبد الله التميمي .

(٣) المصدر السابق ج ٢ / ١١٤ .

(٤) البغدادي ، أسناد الأشراف ج ٢ / ١٢٣ .

وهكذا نجد أن حطر الخوارج والغوصى القبلية كانت السبب في بئع أهل البصرة
لأبن الزبير

الكوفة

أما الكوفة فبعد أن أخذ ابن زياد بئع أهل البصرة أوسى وهذا اليها ليعلم الناس
بما حدث في البصرة، وبطلب البئع حتى تبقى كنعة أهل العراق مجتمعين وقد هرب
عن ذلك عمرو بن مسمع أحد أعضاء الوفد بقوله قد جشاكم بجمع أمرنا وأمركم
فيكون أميراً وأميركم واحد، وإنما الكوفة من البصرة، والبصرة من الكوفة غير أن هذه
الدعوة وجدت نفورا من أهل الكوفة، وهذا أمر متوقع منها فمعظم سكانها من الشيعة
الخاصين على ابن زياد، وبغالة إلى أن الكوفة لا تنقاد إلى البصرة

لقد قدم يزيد بن الحارث الشيباني وقال الحمد لله الذي أراحنا من ابن سميه لا
ولا كرامة، لا حاجة بنا في بني أمية وحدثنا أحد عمرو بن الحارث نائب ابن زياد على
الكوفة، حالت قبيلته بكر بينه وبين السجى ورواد من حرج الموقف أن قبيلة كنده قد
انضمت إلى ربيعة^(١) للحلف الذي عقد في البصرة.

وفي موقف الكوفة سمع مدى الثقليات القبلية والتي عظميت دوماً للمصالح
الشخصية أكثر من غيرها، فمحمد بن الأشعث قبل فترة وجيزة يعتبر الأمير مؤدب،
وسلم مسلم بن عقيل إلى ابن زياد، لكنه بعد أن لاحظ أن الولد يجم الأمرين في العراق
نهض وحسب نائب ابن زياد على الكوفة.

ول قامت الفتنة في الكوفة، لم نجد القبائل غير قرشي حتى تسلم قيادة الأمر إليها
وكان هذه القبائل قد اعتبرت رئاسة قرشي أمراً مسلماً لا يجوز مخالفته

والغريب في الأمر أن القبائل قد انقسمت في تأييدها للمرشحين، فكنة قدمت
عمر بن سعد غير أن ساء عيمن وبيعة حالت دون ذلك بسبب اشتراكه في قتل
الحسين. ومبب ترشيح عمر من قبل كنده لأنهم أخوانه. وأحيرة اجتمعت الكوفة على
عامر بن مسعود وها بايعوا لأبن الزبير أقر هذا التعيين إلا أنه عزله بعد ثلاثة أشهر وعين
بدلاً منه عبد الله بن يزيد لأنصاره على الصلاة، وإبراهيم بن محمد بن طلحة على
الخروج^(٢).

(١) بطري، تاريخ ٥/٢٢٢-٥٢٤، لمعوي، مروج الذهب ٢/٩٢

(٢) بطري، تاريخ ٥/٢٢٤-٢٢٦

خراسان

كانت خراسان تحت إمرة ستم بن زياد بن أبيه، فلما مات يريرد بن معاوية قام واحد البيعة لعمه، غير أن الناس عادوا، واحتلفوا عليه فاضطر إلى الخروج من خراسان.

وعند خرج عبيد المطلب بن أبي صبرة ذاتاً له، فلقبه سليمان بن مرثد من ربيعة فقتل له، ضاقت عليك براؤ حتى خدعت على حرسان رجلاً من اليمن، ولما ولي ستم، سليمان على مرو وخرود وبلخارياب واطالقان وخورجاند، وولى رجلاً آخر من ربيعة هو أوس بن ثعلبة على هراة، فقيه عبد الله بن عازم فقتل له. أما وجدت في مضر رجلاً تستعمله حتى هزمت خراسان بين بكرين وائل ومزود عماد، وطلب منه أن يكتب له عهداً على خراسان، فكتب ستم له بولاية خراسان، وأعادته مائة ألف درهم. ولما هم المطلب بالأمر، استخلف على خراسان رجلاً من ثميم وخرج منها^(١) ويرجع خروج المطلب وعدم قتاله لابن عازم إلى قلة القبائل اليمنية هناك حتى دلت أخبار.

ولم دحل ابن عازم حرسان بدأ بقتال سليمان مرثد، ونحس من الاستيلاء على الطالقان، وقتل سليمان، فالتجعت بكر من وائل إلى أوس بن ثعلبة وباهتته على أن يسير إلى ابن عازم حتى يخرجوه ويخرج مضر من خراسان، فقتل أوس ذلك تحت ضغط قبيلته، وشب القتال بين ربيعة ومضر سنة كاملة، ولم يتوقف إلا بعد أن توسط هلال الصبي انهض الذي جاء إلى ابن عازم وقال له: إنما مقاتل إخوانك وبني أبيك، فإن كنت منهم الذي تريد فما في العيش خير بعدهم، وعنده بأن لم يكف عن قتال ربيعة سوف لا يقاوم معه ومن يعطيه من عشيرته، عندها اضطرب ابن عازم أن يرسل إلى أوس بن ثعلبة يأشده بحق القرابة في النزابة، غير أن موالي بني جحدم وهم بنو صهيب رفضوا ذلك، وأصرروا على إخراج مضر أو تسليم كل ما يملكون من سلاح وغصاة وذهب، فعاد وقد ابن عازم دون نتيجة قتال لهلال الصبي وكان أحد أعضاده الوعد قد أخبرتك أن ربيعة لم تزل غصاباً على ربهما ضد بعث الله النبي من مضر وعاد القتال بينهم فدفعت ربيعة ثمانية آلاف قتيل^(٢).

(١) الطبري تاريخ ٥/٥٤٥، ابن الأثير - الكامل ١/١٥٥ (بيروت).

(٢) الطبري تاريخ ٥/٥٤٦-٥٤٧، ٥٥١، ابن الأثير، الكامل ١/١٥٦-١٥٧، بيروت.

وفي الصراع بين ربيعة ومضر تلمح عسراً جديداً دخل حلبة الصراع ألا وهم النوايل، فقد أجسروا أوس بن ثعلبة على قتال ابن حازم، كما رفضوا صلح ربيعة ومضر، وهذا نرى أن العنّ القلبية، والعصية القلبية هي التي فسحت للرجال للنوايل حتى يرفضوا أنفسهم على لأحداث القلبية في غراماد

مصر

بدأت حركة التدمير في مصر عندما أرسل يزيد بن معاوية اليهم، سعيد بن يزيد، الانصاري من فلسطين، فقال عمرو بن محروم اخولاني. يفرح الله لأمر المؤمنين أما كان فينا مائة شاب كلهم مثلث يولي علينا أحدهم. وبقي المصريون يرفضون عنه حتى وفاة يزيد، بعدها قامت الخوارج الذين أبعدهم يزيد بن أبيه، وأظهروا الدعوة لابن الربيع، وأظهروا أنهم تمكنوا من السيطرة على أهل مصر وطمس دك من قول كريب بن أبرهة الصباح وغيره من أشرف مصر. ماذا يرى من العجب إن هذه الطائفة مكتنسة، تأمر فينا وتنهى ونحن لا نستطيع أن نرد أمرهم. وأرد الخوارج بفر من قريش ومن قبائل حذرة و ليسن ولا تكلمت قولهم قام عبد الرحمن بن جندب القرشي وأخرج سعيد بن يزيد من مصر وباع لابن الربيع، ثم بيع له الناس على قل في قلوب بأس من شيمة بني أمية^(١).

الشام

بعد موت يزيد، بعث المهديك بن قيس الفهري، إلى الهيثم بن قيس إن يريد بن معاوية قد مات، وأنتم إخوانه، فلا تسبقونا بشيء حتى نخبركم لأنفسنا^(٢). وهذا يدل على أن البيت السفيفاني لم يعد باستطاعته تقديم رجل إلى الخلافة، وجاء موت معاوية الثاني حتى يريد الأمر صعباً مما أدى إلى انقسام الحبهة الشامية التي كانت متحدة حتى ذلك الحين.

لقد قامت الدولة الأموية على أكتاف الجند الشامي، وهؤلاء معظمهم من القبائل اليمنية التي كانت تسكن في سوريا، وقد أثبتت هذه القبائل قاعدتها القتالية، ضد الحجاز والعراق. وبعد موت معاوية الثاني لعبت القبائل اليمنية وهي مقدمتها كلب

(١) لكتدي، التولا ٣٩-٤١.

(٢) لطبري، تاريخ ٤/٥ - ٥.

وجددم دورا مدورا، في تثبيت دعائم البيت الأموي

غير أن القبائل النيمانية وإن كانت متحدة في بقاء مركز الحكم في الشام، لا أنها كانت مختلفة في أمر المرشحين إلى منصب الخلافة. وهذا الاختلاف دفع الحصين بن نمير إلى تحذير أهل الشام ويقول: نراكم في اختلاف فأقيموا أمركم، قبل أن يدخل عليكم شامكم (ابن الزبير) فتكون فتنة عمياء صماء^(١)

لقد طرح أهل الشام ثلاثة مرشحين، ولكل منهم جماعة تؤيده هم خالد بن يزيد: وكان يرشحه حسد بن مالك بن ماحل وروح بن زئاع الجذامي، ومالك بن عبيدة السكوني وهدف هؤلاء أن يحملهم خالد على رقاب العرب، وعارضوا في ترشيح مروان.

مروان بن الحكم رشحه رمل بن عمرو العنبري وعبد الله بن عطاء الأشعري والحصين بن غير السكوني وأهل الأردن

وحجتهم في ذلك أن خالد بن يزيد لا يؤيد ابن الزبير^(٢)، وأن العرب ترشح شيخا (ابن الزبير)، وهؤلاء يرشحون شيئا (خالدًا)^(٣)

عمرو بن سعيد: وانظروا أنه لم يكن له تبع كثير. ولذا لم يذكر اسمه إلا على ولاية العهد، وأمرة دمشق، وربما يرجع ذلك إلى موقعه من عدم قتال أهل الحجاز.

وقد استطاع حرب مروان أن يتغلب على الحزبين الآخرين وهما جماعة حسد بن مالك السحدي وقاد خالد بن يزيد، بما بين أخوتي، هواي هيك، وأكره أن تخرج الخلافة من هذا السب، لكن الثامن قد أبوك لجدثة سنك، ثم إن مروان أحب إليهم منك ومن ابن الزبير^(٤)

وهكذا نرى أن القائمين على طلب الخلافة للأمويين هم من القبائل النيمانية وهذا مما أدى إلى معارضة القبائل القيسية لهذا الأمر، فكان أن وقعت معركة مرج راهط وهذا ما ستره في الفصل القادم

(١) المصدر السابق ٢٠/٥

(٢) الطبري تاريخ ٢٤/٥

(٣) المصدر السابق ٢٦/٥

(٤) ابن عبد ربه العقد القوي ١٤١/٥

الفصل السابع

العصبية القبلية في العهد المرواني حتى وفاة عمر بن عبد العزيز

الصراع بين القيسية واليمانية وتسلم مروان

بن الحكم الخلافة

سياسة عبد الملك تجاه الأمصار

الشام

العراق

الحجاز

خراسان

موقف عبد الملك من العصبية القبلية

تجدد الصراع بين الشام والعراق

الحالة القبلية في عهد الوليد بن عبد الملك

القيسية واليمانية في عهد سليمان

موقف عمر بن عبد العزيز من العصبية القبلية

AIMAD VR

الصراع بين القيسية واليمانية وتسلم مروان بن الحكم بالخلافة

نتج عن ولادة معاوية الثانية، ومن غير عهد بالخلافة لأحد صراع كبير بين القبائل وخاصة في الشام. حيث احتدم الصراع بين القيسية واليمانية. والصراع بين هذه القبائل ليس مجرد حرب ثأرية فحسب، بل كان صراعاً يقوم على الاختلاف في التفكير السياسي^(١)، هذا التفكير هو الذي أدى إلى انقسام القبائل في الشام إلى حزبين كبيرين اليمانية تؤيد ليث الأموي والقيسية تؤيد عبد الله بن الزبير. وبهذا التفسير يرى أن الخصام القبلي قد امتزج بالسياسة العليا، فكانت مجموعة القبائل المرتبطة بربعة النسب هي بالأجمال الآخر ب السياسة التي كانت في أصلها مستقلة عن القبائل^(٢).

واسأل الآن لماذا انقسم أهل الشام إلى القيسية واليمانية؟

تراجع أسباب هذا الانقسام إلى ما يلي:

العداوة التقليدية التي كانت بين القيسية واليمانية والتي امتدت أثرها من العصر الجاهلي^(٣). صحيح أن القبائل القيسية واليمانية كانت تعيش في أماكن متقاربة في العصر الجاهلي كربيعة وكندة وطيء وأسد، إلا أن الخصومات القبلية والانقسامات بين الجدات الأصليون كانت تظهر بين هذه القبائل.

تقرب معاوية وأبيه لنبائل الكلبية: فلما أصبح معاوية إلى كلب شعرت القيسية بأن حقوقها قد هضمت من قبل بني أمية، وخاصة عندما كان معاوية لا يفرغ من مهم في إعطاء صحيح أن سياسة معاوية كانت تقوم على أساس التوازن بين القبائل، وأن امتناصب في عهد معاوية وأبيه كانت تقوم على اكتاف القيسية سواء في الشام أو العراق أو الحجاز، إلا أن يزيداً لم يصر حسب سياسة والده في الموازنة بين القبائل، بل قرب إليه حسان بن مالك بن بحدل وصار يعالٍ عليه^(٤) فلا بد أن يثير هذا زعيم القيسية وهو الضحاك بن قيس - وخاصة عندما سمع وصية معاوية بن يزيد وهي: يا حسان من

(١) بلال بشار، العرب والفتنة ٦١٢

(٢) قانونية الفتنة العربية ١٧٧

(٣) عبد الله ماجد، تاريخ سياسي، عصر الفتنة لأبواب ٩٤-٩٣

(٤) البكري، تاريخ ٢٣٩/٢

مالك أضبط ما قبلك وصلى بالناس إلى أن يرخصي المسلمون بهمام يجتمعون عليه^(١) ومما زاد من حدة الخلاف بين الجذمين هو أصل موضعهما، فالكلبيون يعدون أنفسهم أصحاب البلاد الأصليين فمحررتهم إلى الشام سبغت القبائل القيسية ضد عهد بعيد. أما القيسية فقد جاءت مع الفتوح، وسكنت في الجهات الشمالية لجزيرة العراق ولبسوا سكان البلاد الأصليين، بل معظمهم من القبائل الحجازية^(٢) وقد استطاعت القيسية أن تتلاءم مع حكم بني صفيان، وحاربوا أهل العراق مع معاوية، غير أنهم لم يقبلوا بمحاربة أهل الحجاز، وقد ظهرت فكرة الرفض ضد أحد أفراد البيت الأموي وهو عمرو بن سعيد، فكان الجيش الذي سار إلى الحجاز مقلدا من القبائل اليمنية، وإن كان قد احتل جيش من القيسية.

إن القبائل القيسية، رفضت أن تحارب دعواتها من أهل الحجاز في بلاد الشام وهم يشتركوا في لغتهم، ونتيجة صلتهم بالوطن الأصلي، تطلعت أنظارهم إلى بن الربيع لاسيما وأنهم لا يرون بقاء الخلافة في الشام

وظهرت هذه الأفكار من موقف مسلم بن عقبة المري ثوبية رجل يأتي بقيادة الجيش وهو الحصين بن غير السكوني

أما القبائل اليمنية وموقفها مختلف كل الاختلاف، إنهم لا يريدون نقل مركز الخلافة إلى أحجاز بل يريدون بقائها في الشام، وأيدهم في ذلك رؤوس قرش الشام^(٣).

فالخلاف في حقيقته أدع خلاف سياسي مرده إلى اختلاف وجهات النظر إلى مكانة بلاد الشام في شأن الخلافة، غير أن الحوادث وسعت من شدة الاختلاف فأصغته صورة جديدة جعلته خلافا قبيليا ذا نزعة قبلية مريرة^(٤)

لقد قامت القبائل اليمنية تطلب الخلافة لبني أمية، أما القبائل القيسية فقد دعت إلى بن الربيع

(١) البلاذري: نساب الأشراف ح ٢/٦٥

(٢) يوسف النضر، مذكرات، ٧٦.

(٣) إمامه والمسيبة ١٢/٢، الطبري: تاريخ ٢٠٥/٥، اسعد الطريد ١٢٢/٥

(٤) يوسف النضر، مذكرات، ٧٦.

ولما كان الضحاك بن قيس الفهري والي دمشق، فلا بد أن تنجعه الأنظار إليه لتعبادة القيسية، غير أن الضحاك لم يظهر دعوائه مباشرة، بل كان في بداية النزاع يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، وبتمبير آخر كان إذا جاءته اليمانية أخبرهم أنه معهم، وإن جاءت القيسية كان منهم^(١).

والظاهر أن اليمانية قد عرفوا هذا الموقف المتأرجح من الضحاك، فأردت حسن بن مالك، البجلي أن يتحقق من موقف الضحاك - فأرسل إليه كتاباً يعظم فيه حق بني أمية في الخلافة ويبين حسن بلاه القبائل اليمانية عنده وصيغتهم إليه، وفي نهاية الكتاب دعاء لبطانة بني أمية^(٢).

وكان حسان في منتهى الحكمة السياسية، عندما أعطى رسوله تسعينين من الكتاب، فإذا لم يقرأ الضحاك كتابه علناً على الناس، قام الرسول وقرأ الكتاب وحده ما توقعه حسان فلم يقرأ الضحاك الكتاب، وهذا قام حامل الكتاب وقرأ على الناس فقدمت بنو أمية ومعهم اليمانية فصدقوا ما جاء بالكتاب، وشتموا ابن الزبير فردت عليهم القيسية وشتمت ابن بحدل ورغم هذا لم يستطع ابن بحدل أن يكتشف هوية الضحاك السياسية لاسيما وأنه سجن كل من قام بالشغب.

غير أن سلطة الضحاك لم تكن قوية، فقد قامت القبائل الكلبية وأخرجت أفرادها من السجن. وقد عرفنا هذا اليوم يوم جيرون^(٣).

وفي حين قام العميد بن بشير الأنصاري ودعا لابن الزبير، وقام وهو بن الحارث الكلبي في قرقيسيا، وثابت بن قيس البجلي في فلسطين يدعوان لابن الزبير ولم يبق عنى ولاء البيت الأموي إلا أهل الأردن^(٤) ومع ذلك فقد أراد الضحاك أن يتجه إلى الجابية لبحث أمور الخلافة مع بني أمية واليمانية إلا أن ثور بن معبد السلمي قال له: دعوتنا لبيعة ابن الزبير وهو رجل هذه الأمة، فلعن بايعناك خرجت بهذا الأعرابي من كسب تباعيد لابن أخته وتبصير تابعنا له^(٥) فغير رأيه واتجه إلى مرج راحط.

(١) الاصطفاوي، الألفي ١٩/١٩٦، بيته المصرية

(٢) الطبري، تاريخ ٥/٤٢٧

(٣) الطبري ٥/٤٢٢-٤٢٣، البلاغي، نسب الأشراف ٥/١٣٢ ابن الأثير، الكامل ٣/٣١٧، شعبي تاريخ الإسلام ٢/٢٢٢.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفرید ٥/١٢٥

(٥) الاصطفاوي، الألفي ١٧/٢٢٢-٢٢٣ (بيروت).

وهكذا نجد أن الكتلة الشامية قد انقسمت إلى قسمين، الأول يضم قبائل القيسية من سليم وذبيان وعس وهذه تذهب لابن الزبير الذي يمثل سياسة الحجاز وأهله وأبده في ذلك أهل حمص وفسطاط.

والثاني القبائل اليمانية التي تضم كلب والسكاسك والسكون وغسان وجذام وغيرها وهذه تمثل السياسة الشامية، وهم يؤيدونها من أهل الشام إلا أهل الأردن

وما أن خرج الفصحاك بن قيس إلى مرج راهط حتى قامت القبائل اليمانية برحمة يزيد بن أبي النخع الفسائي بالاستيلاء على دمشق، وإخراج عامل الفصحاك منها وحازوا على الأموال ويبيعون لروان بن الحكم وأملوه بالمال والرجال والسلاح وكان ذلك أول فتح على الأمويين^(١)

ويرجع السبب في الاستيلاء على دمشق بهذه السهولة، إلى أن القبائل القيسية قد خرجت مع الفصحاك إلى مرج راهط، كما أن غالبية سكان دمشق هم من القبائل اليمانية، لذا لم يجد يزيد بن أبي النخع صعوبة في السيطرة عليها وفي راهط استمر القتال مدة تزيد على عشرين يوماً، وبالرغم من الفارق العددي بين الجيشين، حيث كان جيش الفصحاك ما يقارب الستين ألف، وجيش مروان ثلاثة عشر ألفاً، إلا أن الهزيمة حاقبت بالفصحاك وترجع أسباب هزيمته إلى ما يلي:

- أن عبيد الله بن زياد ذكر لروان بأنه لم ينال من قيس إلا بمكيده، فشق مروان وطلب من الفصحاك أن يكف عن قتاله، فقبل الفصحاك بذلك، إلا أن مروان خفوه به وأنقض على جيشه مما أدى إلى قتل الفصحاك، ومعه ثمانون رجلاً من كبار رجال قيس كلهم بأعدى القطيعة^(٢).

- يذكر المقاتلي في كتابه المكابذ أن القيسية احتلعت على الفصحاك لأنه أخذ يذهب لنفسه، ويتصيد من ابن زياد الذي قال له: أنت رجل من قريش ومعك الخيل وأكثر قيس، فادع لنفسك فأنت أس منه وأولى فعله. وهذا احتلف عليه جنداه^(٣).

(١) الطبري، تاريخ ٥/٣٧٧هـ

(٢) ابن حبان، تاريخ ٢٥٥ خطبة، ص ٢٠٠ مقارنه (٢) برهم.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب ٢/٢٠٦.

وهي مناقشة هذين السببين أرى أن الأول يمكن الحدوث، أما الثاني فقد وردت روايات تخالف ذلك، فالضحك لم يدع لنفسه كخليفه، والسبب في ذلك ما بحث به مروان بن الصالح، حدث ولهذا الأمر وأنت رجل من صحاب بن فهر وإنما هذا الأمر في بني عبد مناف وأنت وإن أظهرت الدعة لابن الزبير فإنه رجل من بني أسد بن عبد المطلب^(١)

ومما تقدم أرى أن هذه ليست أسباباً كافية لهزيمة الضحك، وإنما السبب المباشر هو أن جيش الضحك كان يضم قبائل قيسية وعمانية، إلا أن الغالبية كانت لقيس^(٢)، فلما احتدم القتال لم تخلص القبائل اليمنية التي في قتال اليمنية التي كانت مع مروان مما وضعف من موقف الضحك وأدى إلى هزيمته

لقد كان وقع الهزيمة على القيسية عظيماً، حتى أن الروايات بالغت في وصفها وقالت إن رجال قيس لم يضحكوا حتى ماتوا^(٣)

أما نتائجها من الناحية السياسية، فإنها قد أرست قواعد البيت الأموي وأعادت الحياة إليهم، ثم إن الأمصار وحدها دنت الغائبين اليمنية بدأت تتحول إلى جيب الأمويين، فقد قام أهل حمص وقتلوا النعمان بن بشير الأنصاري الذي دعاه إلى ابن الزبير ولم يبق من بلاد الشام بعد واحد على ولاته لابن الزبير إلا فر بن الحارث الذي اصمم بقر قيساء.

وهذه المعركة وإن حققت نجاحاً سياسياً الشامية، إلا أنها أثارت حفيظة القبائل القيسية، مما أدى إلى حدوث فتق قبلية، وكان الجاهلية قد عادت مرة أخرى، حيث احتدم انتراع بين قيس وكنان، ثم بين قيس وتغلب^(٤).

ومع أن القبائل اليمنية وقعت إلى جانب الأمويين، إلا أن ذلك لم يكن نابعاً من ولاء حقيقي ويظهر ذلك مما ذكره المسعودي من أن مالك بن حبيشه قال لمروان: إنه ليست لك في أعمامك بيعة، وليس بقاتل إلا من عرض دنياه ما يكن لنا على ما كان لنا

(١) ابن الأثير، المساب، الاطراف، ١٧٧/٥.

(٢) المصدر السابق، ٢٠١/٥.

(٣) ابن عبد ربه المقر، لفرود، ١٣٧/٥، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢٠٦/٢.

(٤) مطهر، تاريخ، ٤٢٩/٥.

معاوية ويريد مصر ذلك، وإن تكن الأخرى فويله ما قرئش هذا إلا سواء فأجابه مروان أني ما سألت^(١) كذا أن حسان بن مالك بن بحدل سيد يمنية الشام اشترط على مروان أن يمرض لألمي رجل من قومه القيس القين، وإن مات أحدهم قدم ابنه أو ابن عمه مكانه، وأن يكون بهم الأمر ومنهى وصدر للجلس، وكل ما كان من حل وعقد فعن رأي منهم ومشورة فرعي مروان بذلك^(٢) واشترط الحنصين بن عجير أن ينزل قومه بالقاء، وأن يجمعها ما كله لكنته^(٣).

ومن ناحية الاجتماعية فقد امعرت هذه المعركة عما كان للوجه القبلي من أثر على الشواحي السياسية، قسمت الشام إلى قسمين: القيسية حزبه كتيبة لما حل بها واليمانية مستشرة لأنها أعادت الحكم إلى الأمويين^(٤).

لقد عد الأمويون وانتخب مروان بن الحكم. ولواقع إن اختاره قد خضع لتقاليد قبلية فهو كبير قرش وشيخها، وابن عم الخليفة المظلوم والعدال بدمه قبل انصاف أجمعين^(٥).

وتذكر بعض الروايات أن مروان بن الحكم قد دفع إلى الخلافة دفعا، وأنه لم يكن راغبا بها. ومن الذين دفعوه إليها: عبيد الله بن زياد الذي قال له ما هم أن يبيع لابن الربيع^(٦) بنت سيد قومك وأحق الناس بالخلافة^(٧) فباعه عبيد الله وبني أمية وقرش الشام^(٨).

والحنصين بن عجير اسكوبي أصغر على بيعة مروان لأنه شيخ كبير السن وقد حاول مالك بن عبيدة بن يمين به أن يبيع سوف لا يكون له مكانة مرموقة عند مروان عندما قال: ويله لئن استخف مروان وأل مروان ليحسدك على سوعك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها إلا أن الحنصين قد أصر على موقفه وبيع لمروان بالخلافة^(٩).

(١) سمودي: مروج الذهب ٩٥/٣

(٢) المصدر السابق، ٩٥/٣

(٣) الطبري: تاريخ ٤٤١/٥.

(٤) الفيلابي: المصاب الأشراف ١٢٥/٥

(٥) المصدر السابق، ١٢٩/٥.

(٦) سمودي: أخبار الطور، ٢٢٩، القسبي: تاريخ الإسلام ٣٣/٣

(٧) الطبري: تاريخ ٣٦/٥

ومع أني لا أشكر حماسة بن رباح واليمانية في البيعة للأمويين، إلا أنه لا بد من القول أن مروان قد قطع على الخلافة قبل ذلك بوقت طويل. فبعد طلب معاوية اليه لاسمه يريد جاء مروان إليه وقال: أقم الأمور يا ابن أبي سفيان وأعدل عن أميرك الصيادين وأعلم بذلك قوماً بطراً^(١) وحرصاً أبناء عثمان بن عفان على آل حرب بن أمية، وبأنهم دم يأخذوا لخلافة إلا باسم أبيهم^(٢).

غير أن مروان لم يظهر في البداية أنه يريد الأمر لنفسه، وذلك حتى يثبت من وجود الأعراب، علماً أبنته اليمانية وبني أمية وقريش مضى في طلبه. ويستدل على ذلك من أن مروان هو الذي قدم بني أمية على حسان بن سعد بالبيعة فلما رآه حسان قال له: أتيتني بنفسك إذ آيت أن أتيك، والله لأجعلنك في قبائل اليمس أو أسلمها إليك^(٣). وتطلع مروان للخلافة هو الذي دفعه لأن يطرح ابن صمر بديلاً لابن الزبير، غير أن أهل الشام قالوا عنه: رجل ضعيف^(٤).

وهكذا فقد تربث مروان حتى وجد الأنصار، ثم جاءت التقاليد القبلية فرشعته للخلافة بتأييد من القبائل اليمانية.

وبعد الانتصار في مرج راهط التجهت بنظر مروان إلى مصر، وكان الموقف هناك يميل إلى صالح الأمويين. صحيح أن ابني كند قيس وياح لابن الزبير ألا أن أهل مصر كانوا مع ابن الزبير في الظاهر، ومع بني أمية في الباطن^(٥). ويرجع ذلك إلى أن أكثرية أهل مصر هم من القبائل اليمانية، كما أن الخوارج فرضوا صيغتهم على السكان هناك، فتدمروا منهم فكانت حواطئهم مع بني أمية.

توجه مروان إلى مصر ومعه رؤساء القبائل اليمانية الشامية، فتعكس من هزيمة طلائع جيش عبد الرحمن بن عتبة بن جندب والي مصر. ثم التقى به في عين شمس فهزمه ولم تقابل معه إلا قبيلة الممافر.

(١) الخطابي تاريخ ٢٠٢/٢، المسعودي، مروج الذهب ٢/٢٨.

(٢) الاستيعابي، الأقبالي ١٨/٧١ (برلاق).

(٣) الخطابي، تاريخ ١٧/٣.

(٤) ابن الأثير، أمد القابلة ٢/٢٢٩ (بيعة مصر).

(٥) الخطابي، البرلاق ١٣.

وكادت القبائل اليمنية أن تنقلب على مروان عندما قُتل الأكدر بن حمام سيد لحجم
فما أن سمعوا بقتله حتى لبسوا سلاحهم وحاصروا مروان ، إلا أن يثأرًا آخر وهو قريب
بن البرهة الأصبحي وعيم اليمنية استطاع أن ينفذ مروان ويعيد التهدوء إلى مصر^(١).

وبعد فتح مصر خرج مروان منها إلى الشام ، بعد أن عين ابنه عبد العزيز عليها ،
ويظهر لنا من وصيته مدى الإهتمام بسيطرة القبائل على الحكم حيث أوصاه :
أوقع لي كل رئيس منهم أمه حاصتك دون غيره ، يكن عينك على غيره ، ويتقاد قومه
إليك وحتى يضمن ولاء القبائل اليمنية جعل موسى بن نصير وزير ، وعشير آل^(٢)

وفي رمضان من سنة ٦٥ هـ مات مروان بن الحكم بعد أن أخذ البيعة لابنيه عبد
الملك وعبد العزيز ، وقد تحلى عن شروط الخباية ، وربما كان الدافع لهذا التمييز هو
استمالة حسان بن مائة ، الذي كان من أشد المحمسين لبيعة عبد الملك حتى أنه قال
لناس قوموا فابعوا لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده^(٣) ولم يذكر خالد بن يزيد في
هذا الشأن من قريب أو بعيد

عبد الملك والأمصار

الشام

تسلم عبد الملك الخلافة ، ولم يكن في قبضة الأمويين إلا مصر والشام ، وحتى
الشام لم تكن خالصة له ، أما باقي الأمصار فقد كانت تابعة لابن الزبير ، وهنا كان على
عبد الملك أن يحدد موقفه مع جميع الاتجاهات المختلفة التي أخذت تتصارع هنا هناك
وأول هذه الصراعات الفتن القبلية في الشام.

الفتن القبلية في الشام والجزيرة

برز في معركة مرج راهط حدث جديد له أهميته في التغيرات المختلفة ، فقيس
هرموت أمام اليمس ، وهذا النصر لم يكن هنا على قيس ، إذا أشار عند القيسيين فكرة

(١) الكندي، الولاء، ١٦١٧

(٢) المصدر السابق، ٤٧

(٣) الطبري، تاريخ، ٤٣٧/٥

للنار، وهذا عدوت العنصرية الجاهلية القديمة، عادت من تلك الحادثة في أشد مظاهرها تغلي كالمزجل.

وشكلها الظاهري يشبه ما كان في العهد الجاهلي من حيث، الأشعار والأغنيات والغزو والنهب^(١)

تقد أمرت القبائل انقيسية عليها زعر بن الحارث الكلبي القيسي بعد قتل الصبحاك^(٢)، فتصب وافر من بصره طاليا للندار من القبائل اليمنية، وساعده في ذلك رعيم قيسي آخر هو عمير بن الحباب، لئسلي الذي فقدت قبيلته في مرج راحط سيمانية فتيل^(٣)

بدأت انقض القبليّة بين قيس وكلب، حيث قامت القيسية بالاعتصام على بعض الأحياء الكلبيّة التي كانت تسكن بادية السماوة وتدمر. وهذا قامت القبائل الكلبيّة وبرّها ومندرها وأمرت عليها حميد بن حريث الكلبي، فقام حميد وأخوه علي بن ميمر بن عامر بعد أن أرسل إليهم يخبرهم بنقض الحلف الذي كان بينهم، وتمكنت كلب من أخذ ثأرها من القيسية^(٤).

وحين تستطيع كلب أن تقهر القيسية، وتلدّها سعت إلى إقامة حلف مع ثعلب، إلا أن هجمات القيسية لم تسمح للحال عن عقد مثل هذا الحلف. وهذا صمم حميد أن ينتقم بصره من القيسية فأصدر على بني زهير من جناب قتلهم وسم ينج منهم، لا رجى عربان فجاء إلى عمير بن حباب فقال عمير: ما رلت اسمع بالظير العربان حتى رأيت وفي هذه الواقعة يلمح شدة الحقد الذي أحد يظهر بين القبائل، لقد قطع حميد أذ أن القيسية وبطونها في حيط وسار بها إلى الشام^(٥)

وكانت أخبار هذه الأعارات تأتي إلى عبد الملك فلم يحرك ساكنا، والظاهر أنه كان راضيا في البداية عن هذه الهجمات، لأن فيها إضعاف للقوة القيسية التي لا زالت

(١) يوسف الحارث، مذكرات، ٧٩.

(٢) البلائري، انساب الاشراف ١٤١/٥.

(٣) ابن حيد ربه. نطق الفرد ١٣٧/٥.

(٤) الاصطخاني، الاغاني ١٩٩/١٩ (الهيئة المصرية).

(٥) البلائري، انساب الاشراف ٩/٥، ٢٠٠/١٩ (الهيئة المصرية).

معتصمة في قرقسياء ويستدل على ذلك من أن عبد الملك سمع عن فترات حميد على فائل سليم وعامر وأخلاق قيس، وكان عنده حسائن من مالك بن سعد وعبد الله بن مسعود القرظي فأتى عبد الملك بالغداء فقلد عبد الملك لابن مسعود: أدن لكل فقال له لقد أوقع عمير بسليم وعامر وأخلاق الناس وقعة لا يتعصي معها عدو، ولا يسري معها شراب حتى يكون لها غير فقال حسان يا ابن مسعود غضبت نقيس إن قتلت وأنسيت دخولهم قرقسياء يحبرون على أهل البادية ما قوم ضعفاء لا ذنب لهم^(١).

ولا سمح حميد قول ابن مسعود قل والله لأشعلته بين هو أقرب إليه من سليم وعمر، فانجبه نحو عزارة ومعه كتاب مفتعل على لسان عبد الملك بتوليته صدقات بني فرزة ولا وصلهم فان بعثي عبد الملك بن مروان مصدق، فبعثوا الي كل من يطيق أن يلقان لضعفوا، فلما اجتمعت إليه رجوه بني فرزة، أحد يدعو الرجل منهم فيدخل الفسطاط ثم يقتله. وفي هذه العمية استطاع قنن خمسين رجلا وأحد أموالهم وعاد أخرجه إلى بلاد الشام^(٢).

ولما رأت عزارة ذلك جاء اسماء بن حذرجه ومعه قومه إلى عبد الملك وطلبوا القود من كلب، إلا أن عبد الملك قال لهم كنتم في فتنة، والعنة كالجاهلية ولا قود فيها، ولكي صابح بكم ما لا أصعبه بغيركم، أذي كن قتل حكم بدية من أعطية حمير وقصاعة ولا قبض بنو فرار، الديات وقد بلغت ألف ومائتي ألف درهم ذهبوا إلى اليمن فاشترؤا الخيل والسلاح وأغاروا على أحياء من كلب وهم على ماء يقال له بنات قنن فقتلوا منهم ما بين ١٥٠-١٨٠ رجلا.

وأمام هذا الصراع القبلي كان على عبد الملك وبعد أن قويت أوتاده واشتد مساعدته أن يقطع دابر هذه الفتنة فبعث إلى كلب يحذرهم من أحد الثار وقل. أقسم بالله لئن قتلتم رجلا من بني فرزة لأفدينكم به، فكفوا عن ذلك وكتب إلى عملة الحجاج بن يوسف وكان على الحجاز يأمره أن يحمل إليه زعماء فراره الذين تسبوا في قتل الكبييين وهما سعيد بن حبيب وطليحة بن قيس، فحبسهما عبد الملك.

أما كلب فقد رفضت الديات، وأصرروا على القود لقتل عبد الملك. إنما قتل منكم

(١) البلاذري، أنساب الأشراف ٩/٥ ٣

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف ٩/٥ ٣- ٣٩، الأصبهاني، الأقباني ١٩/٢٠٢ (الهيئة المصرية)

الشيخ الكبير والصفي الصغير فرد عليه أحد رجال كلب وقال: قتلت منا من لو كان أحلك لاختير عليك. فعصب عبد الملك من ذلك وأراد ضرب عني الكلب، إلا أن قبيلته ادعت بأنه شيخ كبير حُرِفَ فتركه عبد الملك.^(١)

وفي مصير القيسيين لعبت -لخزوله دورها في هذه القضية، فأبناء الكلبيات من الأمويين وعلى رأسهم حازم بن يزيد طالبوا بالفود من القيسية، أما أبناء القيسيات وعلى رأسهم الوليد وسليمان بن عبد الملك وإيان بن مروان فقد طالبوا بأحد الديات من القيسية فقط. وكاد الشر أن يقع بينهم، فلما رأى عبد الملك ذلك أخرج سعيد بن عيينة وطلحه ودعمهما إلى كلب لقتلهما^(٢) فاعتبرت القيسية هذا العمل هزيمة ثانية لها أمام القبائل ليمانية^(٣)، ورداد حقدهم على حازم بن يزيد حتى أن أحد القيسية قال:

لَئِنْ لَمْ يَمُوتْ قَيْسِيٌّ أَنْ تَقْتُلُنَا جَهْلًا وَلَمْ يَمُوتْ مَنَا إِذَا قُتِلُوا^(٤)

وامتدت الفتى القبلية إلى قيس وتغلب. لقد اشتركت تغلب في بادي الأمر مع القيسية في قتالها لكلب بسبب «الرابطة السارية بينهما». إلا أن العلاقات ساءت بين الطرفين بسبب مجاورة قيس لتغلب، وما حدث فيها من إساءة لبي تغلب. حيث أصبح رجال قيس يسفرون من مشايخ تغلب النصاري لهماج ذلك بينهم شرا إلا أنه لم يبلغ الحرب وجاء اعتداء أحد القيسيين على امرأة من ربيعة وأخذ عتراً كانت لها سببا في إثارة القتال بين القبيلتين.

لقد قامت تغلب وأغاريت على بني الحريش من القيسية فقتلوا منهم عددا وأسروا آخرين من بينهم امرأة ولم تستطع القيسية تخلصها^(٥).

وهنا أخذ الطرفان ينفرون على بعضهما البعض، وما زاد في حدة الصراع ظهور شعراء جعلا من شعرهم رمزا للولاء القبلي، وهما الأحنط النصراتي الذي تعصب لتغلب أولا وليس أمية ثانيا، وجري الذي تعصب لمصر وقيس. وأشهر الوقائع بين قيس

(١) البغدادي، أسساب الأشراف ٥/ ٣١-٣١١ لأصفهاني، الاثباتي ١١/ ٢٠٢ (بيتة لمصرية).

(٢) البغدادي، أسساب الأشراف ٥/ ٣١١ بن حبيب أسماء المغتالين من الأشراف ٥٢، البكري معهم ما استعجم ٢٧٩-٢٨٠.

(٣) البغدادي، أسساب الأشراف ٥/ ٣١٢.

(٤) مصعب الزبيري، نسب قريش ١٢٩.

(٥) البغدادي، أسساب الأشراف ٥/ ٣١٢-٣١٥.

وتغلب هي^(١) :

يوم الاثنين^(٢) .

قام حمير بن الحباب للأخذ بثأر القيسية فأغار على تغلب فقتل منهم خمسمائة رجل من بينهم رئيس تغلب شعيب بن مليل . وكان الحرهر على ذلك هو وزير الحارث الذي قال لما سمع بهجمات تغلب : شعلت قيس بغزل مسالها عن هؤلاء النصارى

يوم الثلاثاء الأول^(٣) :

كان هذا اليوم ثارا لتغلب من قيس التي أغارت عليهم في مأكسين . لقد جمعت قبائلها في آخره ، ولم يكتفوا بذلك بل بعثوا إلى مالك بن مسمع في البصرة يطلبون لمحدثهم فأحدث العصبية مالك وقال : ما أحسبكم إلا من سيط نكريث ، ولو كنتم من بني تغلب لسلعتم عن أنفسكم وحرمتكم . فقالوا له : إنا حيي ، ما قد عنمت من النصرانية ومضر مصر وأي السلطانين هل فهو مع قيس . فقال مالك : ادعوه ، فإن أمدكم السلطان بمصر من فكم همي فرسان ، وإن أمدكم يرسل فكم رحلان ، إن السلطان لمي شغل حكم وعهم فامطلقوا

أما القيسية ، فقد توجهت إلى ثميم وأمد تغلب لمحدثهم ، غير أنهم لم يعلموا في مسامهم فقال شعراؤهم شعرا يشكون من مصر لعدم نصرتهم وحدلانهم . وفي هذا اليوم تمكنت تغلب من هزيمة قيس ، وبقرت بطون ثلاثين امرأة من سليم . وكانت هذه الواقعة مشارا افتحار ببلى الشعلية والاختلال بقوة تغلب ، فتصعدى لهما جرير وبين انتصارات انصارية والقيسية على القبائل الأخرى .

يوم الثلاثاء الثاني :

فنتيجة هول الصدمة في الثلاثاء الأول قامت القيسية وجمعت قواها تحت قيادة حمير بن الحباب السلمي وهزمت تغلب في الثلاثاء الثاني .

(١) نظر هذه الأيام في أسبب الاكتراف ٥/٣٦٧ - ٣٣ . بن لاثير . الكامل ٤/٣٦٠ ٣٢٤

(٢) مأكسين . قرية من قرى الطابور .

(٣) الثلاثاء يوم يتفرج من فرانس مسمين . ويصعب في ليلة يوم الاثنين . بن الأثير .

وقد حوّل زعيم القيسية زفر بن الحارث أن يذكر القيسية وبيعة بأوامر القرابة والرابطة «نزاريه» لمواجهة العدو الأول قبيلة كلب^(١)
يوم العشاك^(٢)

يعتبر هذا اليوم من أشهر الوقائع بين الحيين، فقد أرادت ثعلب أن تضع حد لهجمات عمير بن حباب، فجمعت حاضرتها وباداتها واجتمعوا بعشاك. وجاءت القيسية وعليها زفر بن الحارث ومعه ابن الهليل وعمير بن الحباب واستمر القتال بينهما ثلاثة أيام. وفي اليوم الثالث تعاقبت ثعلب على عدم الفرار، خاصة بعد أن فقدت سيدها ابن هوبر، وصاروا أنفسهم حسب ليطون، وجعلوا النساء خلفهم. وأحسن عمير بن الحباب بحظوة طوفع فطلب من قيس أن تحلى عن ثعلب، فجوبه بمدرعة قوية من بابه ورموه وقالوا: قتلتم هربان قيس ثم ملئ سحر وكجبت. فغضب عمير من ذلك، وأحد يقاتل رجلا حتى قتل. وما رأى ذلك زفر عاد إلى قريسياء محتجا بأن عبد الملك قادم إليه. وهذا مما جعل قيس تهرم هزيمة متكررة فصارت ثعلب تقول: أما تعلمون أن ثعلب ثعلب.

وحملوا رأس عمير وتدمره وثيقة ولاء لعبد الملك، فأعطى عبد الملك الوعد وكساهم

يوم الكهيل^(٣)

بعد هزيمة القيسية وقتل عمير بن الحباب، قدم إليهم بن حباب «في زفر بن الحارث وطلب مسعته للأخذ بآر قيس، ولم يقبل زفر، لا بعد أن قال له ابن الهليل

«والله نرى ظميرهم إن ذلك لعار عليث، وإن ظفروا وقد خلدتهم إن ذلك لأشد فارت حمية زفر، وهرم على الأغارة على ثعلب. وقسم القيسية إلى عدة أقسام، قسم أعمار على بني فهدوكس، وقسم على بني كعب بن زهر، وقسم على وخط آخر من تعسب. ولما علم زفر بتجمع ثعلب بالعقيق من أرض الموصل اتجه إليهم، فارتفعت ثعلب تريد عبور دجلة، غير أن سيوف القيسية كانت أسبق إليهم، فأضطرت ثعلب أن

(١) البصري، أساليب الأشراف / ٥ / ٢٢

(٢) العشاك: نهر يحد من الهرماني.

(٣) الكهيل: من أرض الموصل.

تقاتل بالكميل وفي هذا اليوم استطاعت القيسية أن تهزم تغلبا هزيمة منكرة ، فقتل عدد منهم ، وعرفى عدد آخر في نهر دجلة

ولما استقر الأمر لعبد الملك تدخل بين الحيين ، وأوقف الأعداء ، إلا أن الأحصن أثار بشعره الجحافل بن حكيمن بن عاصم السلمي عند قوله ،

الاستقلال الجحافل هل هو لئلا يقتلني لصحبته من منهم وعاصم

فحصب الجحافل وصدم على الانتقام من تغلب ، فاستعمل بعض الخطة التي استعملها حميد بن حرث الكلبي بأن أخذ عهدا مفتعلا على صدقات بني تغلب وبكر في الجزيرة لئلا يهجم معه عدد من القيسية ، فلما وصل الرقبه أنصرهم بما يهوي صوته وقال من أحب أن يدحض هي العار وعن نفسه فيصحبني فإني أليث ألا أغسل رأسا أو أوقع بيني تغلب ، فرجع بعضهم وبقي معه ثلاثمائة من قومه ، ولما وصل إلى ماء الرحوب وهو ماء لبني جشم بن بكر قوم الأشعل عمل السيف بهم ، وقتل منهم خلقا كثيرا .

وبما علم عبد الملك طلب الجحافل ، إلا أنه هرب ودخل بلاد الروم وبقي عندهم حتى أهدته الأمان من عبد الملك بواسطة رجب القيسية ، إلا أن عبد الملك ، شترط عليه أن يدفع ديما تغلب هوائا للجحافل ، وذهب إلى الحجاج يسأله المساعدة في شأن هذه الديما ، ولما أن الحجاج سم يسمع له بالدخول عليه إلا بعد توسط زعر بن الحارث . ولما دخل الجحافل قال للحجاج ' إني أعلمت لمطي إنيث من الشبم لأنه ليس أمامك مذهب ، ولا وراثك مطلب وليست يد دون الله تحمركه ، وأنت أمير العراق ، وسيد قيس فلك رهنى وثلاث أمري فأمره الحجاج بمائة ألف درهم

ويحق قلهون^(١) على هذه الوقائع بقوله " يرى الاسناد ان العرب في أرض الشام والجزيرة لم يتعمروا في ظروفهم الجديدة مما كانوا عليه فلا لاسلام ولا النصرانية استطاعوا أن يحولوا بينهم وبين وضع القبيلة ، والثأر فوق كل شيء ، فكانوا يؤثرون الثأر على العار ، وكانوا لا يندمون إلا حين لا يتبع الندم ، بن هم صاروا في ظروفهم الجديدة أشد قسوة مما كانوا عليه في الجاهلية في وطنهم القديم فصاروا يقتلون بعضهم بعضا على نحو واسع النطاق ، وأقل مبالاة فكانوا ، ينفرون بطون من بأسروته من النساء وهذه عادة

(١) ظهور: القوة العربية بسطوطها ٢٠٢

لم تكن موجودة في جزيرة العرب بمعناها الحقيقي .

عبد الملك بن مروان والقيسية الشام والجزيرة

بعد هزيمة القيسية في مرج راهط ، لجأ زفر بن الحارث إلى قرقسية واعتصم بها ومن هناك نصب نفسه طالباً لنار القيسية ومعه حمير بن الحباب السلمي .

وقبل أن يتجه عبد الملك إلى العراق كثر عليه أن يؤمن جهة الشام كلها ، فأرسل أبان بن صقبة بن أبي معبد لقتال زفر ، إلا أن زفر تمكن من الإيضاح بطلان جيش أبان ، وفقد ابنه وكيعاً في المعركة

حاول زفر أن يتحد مع الثوابين الذين قدموا برعاية سليمان بن صرد الخزاعي بعد أن تدخل أحد رجالات القيسية وهو الحسيب بن شعبة الغروي وفتح مدينة أمامهم ، إلا أن الثوابين لم يستجيبوا لهذه الدعوة^(١)

وهكذا يرى أن القيسية قد حاولت الاندماج مع الشيعة انتقاماً من الأمويين ومن القبائل اليمنية في الشام

لقد أصبح زفر بعد مقتل حمير زعيم القيسية في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية دون مبارع ، فعندما سمع بأن ابن الحر عبيد الله الملاحجي يهجو قيساً بعث إلى مصعب بن الزبير وقال له : فقد كفيئت قتال ابن الزرقاء وابن الحر يهجو قيساً

ولما توقف مصعب عن أحده أرسل إليه رجال من سليم فتمكنوا من أسر ابن الحر^(٢)

أما عبد الملك بعد هزيمة أبان بن علقه صمم على الخروج إليه بنفسه ، وهناك أطلق الحصار على قرقسية . وقد حاول هو وأمية أثناء حصار التشكيك بسبب زفر فأرسل بشر بن مروان إلى أخواته القيسية أن يقتلوا أنفسكم مع رجل ليس منكم ، إنما هو من كندة . وهذا التشكيك استمر حتى بعد صلح زفر مع عبد الملك ، عندما كان عبد الملك له : بعثني أنك من كندة^(٣) واستمرار عملية التشكيك أن يبعد القيسية عنه فلا تحدثه

(١) نظري . تاريخ ٥/٩٢-٥٩٤

(٢) المصدر سابق ١٣٧/٨

(٣) البلاغري بسبب التشكاف ٥/٣ ن بين لاخير - مكامل ١/ ٢٤

نفسه باخروج عليه مرة ثانية

ولما أحجزت عبد الملك هذه الحية شدد الحصار عليه ، إلا أن العصية قد ظهرت بين صفوفه جيشه العثمانية التي ذاتت نشوة النصر على القيسية في مرج وأعدت ، عدت من عبد الملك أن لا يصم اليهم القيسية لأنها تنهرم من القتال يخضع عبد الملك لطلبهم . ودارأت القيسية ذلك كتبت على بلها أنه ليس يقاتلكم هذا مصري ورمت به على القيسية المحاصرين^(١)

ومن خلال شعر المصعب لمري للمس تضر بعض القيسية من قتل بعضها بعضا حيث يقول

كيف نرى قيسنا تراسي قيسنا حمصنا نرى ناك بها أم كيميسنا

فخمسهم بالنجنيق موصلا^(٢)

واستمر الحصار أربعين يوما ورميت المدينة بنجنيق حتى ثلث عامة بروجها ، ففرح أبناء الكلبيات من قرش وثمانية وقالوا هدمت المدينة وغدا ساهصهم بقضاعة ، غير أن توقعاتهم لم يكت لها النجاح أمام مقاومة القيسية ، فعكر عبد الملك بالنصلح مع رفر ، فأرسل اليه يعطيه الأمان لنفسه ولبن معه ، إلا أن عبد الملك غير من رأيه عندما أحسبه رجح من كلب أن أربعة أبراج قد هدمت ، فشعل على عبد الملك عن شروطه السابقة^(٣)

لقد كان هرض القبائل الكلبية لا يحدث صديعا مع رفر حتى تلتع مدينتهم حنرة وينتقموا من القيسية .

غير أن مقاومة القيسية الشديدة جعلت عبد الملك يعود إلى خطته السابقة فوافق رفر بعد أن أحد الأمان نفسه وجماعته ووضع الذم والأموال وأن لا يبايع لعبد الملك حتى يموت ابن الربيع ، وأن يعطي أموالا يقسمها بين أصحابه^(٤)

(١) البلاذري، أنساب الأشراف ٢/٥ ج ٢ ، لابن الأثير - الكامل ٢٣٨/٤ .

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف ٢/٥ ج ٢ ، لابن الأثير - الكامل ٢٣٨/٤ .

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف ٢/٥ ج ٢ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ٢٤٠/٤ (بيروت)

ويظهر مدى حقد الكلبية على القيسية عندما رأوا رفر يجلس مع عبد الملك على سرير فقال ابن عصة الأشعري: أن كنت أحق بهذا المجلس منه^(١). ويكي دو الكلاع وقدر كيب لا أبكي وسبني هذا يقطر من دماء قومي في صاهتهم لك (عبد الملك) وخلافه عيبك^(٢)

غير أن عبد الملك لم يستمع إلى هذه الأقوال، بل أحد يتخرب إلى قيس أكثر فأكثر وذلك عندم روج ابنه مسدمة من الريب بنة زفر، فأصبح آل زفر أول من يدخل على عبد الملك، إلا أن هذه المعاملة من عبد الملك لم تكن لتمنع الهذلي بن رفر من أن ينحاز إلى جاتب، لاشر في الحارر طلبا للثأر من «يمانية»^(٣)

القسم البيت الأموي

بعد أن أس عبد الملك جند القبائل القيسية والروم حرج بنفسه إلى ابن لريير هير ابن خرورج عمرو بن سعيد الملقب بالأشدق عليه جمعه يعود مسرعا إلى دمشق. فقد رأيت أن أهل الشام في الجابية يبيعوا خروان على أن يكون حلد بن يزيد وليا لعهد، ومن بعده عمرو بن سعيد، إلا أن مروان يقض ذلك فولي من بعده عبد الملك ثم عبد العزيز، فأسر عمرو ذلك في نفسه وأخذ يتحين العرص حتى يتقم من عبد الملك. فلما أخرج عبد الملك للعراف أسل عمرو من حيشه، وعاد إلى دمشق فاحتلها بمساعدة بعض رجالات كلب ومنهم حميد بن حريث الكندي ووهير بن الأبرد ويرجع تغير كلب عن عبد الملك من موقفه من القبائل القيسية، فحميد كان من أشد أعداء القيسية، وعبد الملك أحد يقرب القيسية إليه، ومن هنا أرادوا الانتقام من عبد الملك بمساعدة عمرو بن سعيد

ولما علم عبد الملك بذلك عاد مسرعا إلى دمشق فحاصره واستمر الأشدق في المقاومة، إلا أن قبيلة كلب عادت وضمت صغولها وددت عطف جئات نساء كلب وحبياتها إلى سعيد بن الأبرد وحسان بن مالك قتالوا هلام تقتلون أنفسكم لسلطان قرش فلما سمعوا ذلك تراجعوا وكفوا عن القتال^(٤). وهنا صعب موقف الابن الأشدق، فاحتال عليه عبد الملك فأرسل إليه يطلب عودته إلى الجماعة، ويذكره بوضع

(١) المصدر السابق، ٢٤٠/٤ (ببروت)

(٢) الاستقفاشي، الثاني ٢٧٩/٧ (ببروت).

(٣) ابن الأثير، الكامل ٢١٠/٤ (ببروت).

(٤) ابن سعد، الحقات ٢٩/٥ (ابن) وانظر العديري، تاريخ ١١١/٦

سي أمية ومصلحتهم في عدم العرقه . وعني بالوحد ويؤمنه على نفسه جاء الأشدق إليه وليس معه أحد غير مواليه ، وهناك قتله عبد الملك دون حدوث جلبة أو صياح ورمى رأسه ومعه خمسمائة صرة في كن واحدة الف درهم ، فتركوا الرأس ونجسوا نحو المال^(١) . وبعد مقتل الأشدق أراد عبد الملك أن ينكل بال سعيد بن العاص ، إلا أن عبد العزيز قال له : أترك قتلاً بي أمية في يوم واحد ، اذكرك الله في استنصاب سي أمية وهلاكها . عند ذلك عدل عبد الملك عن قتلهم فأمر بحبسهما ثم أحرجهما إلى العراق عند مصعب^(٢) . وتدخل عبد العزيز أيضا في إنقاذ رجل من كلب لأنه من اخوانه^(٣) وأصبح الأشدق درسا لكل إنسان تحدثه نفسه بالخروج على عبد الملك ، فقد لأهل العراق : إن الجامعة التي وضعت في علق عمرو بن سعيد عسلي والله لا أصعبها في حق رجل فأنشرعها إلا صعبا لا أنكح عنه فكما فلا يثبون عمرو إلا على نفسه ولا يولغن دمه^(٤) .

الصراع في العراق

انضم إلى أهل العراق إلى ابن الزبير تيبة وقيسيه إلا أن هذا الانضمام كان يعكس وجود الاتجاهات المختلفة هناك من شيعة وخوارج وزبيريين وموالي من جهة ، ومعظمهم لم يكونوا عبادتي النية لجاهل .

وقد لعبت هذه الفئات دورا بارزا في الحركات التي ظهرت في العراق . وأول هذه الفئات هي الشيعة :

بعد مقتل الحسين أخذ أهل الكوفة ينشقون عنهم في عدم نصرتهم لمحسن وعدم القيام بالطلب بدمه ، فظهرت حركة جديدة أطلق عليها اسم 'التوابين' هي أول حركة تبعت من داخل العراق . وتزعم هذه الحركة سليمان صرد الخراساني فالتف حوله رجال من معظم القبائل من قيس والأرد ونمير وبيجليه ، وتهدف هذه الحركة إلى الطعن ببنائهم لأن البيت ، وإخراج ابن الزبير من العراق ، وخنق عبد الملك ، ورد الأمر إلى أهل بيت النبي . وقد حاولوا إلى الكوفة عبد الله بن يزيد أن ينشق التوابين بتوحيد جهودهم

(١) البلاذري، أنساب الأشراف ج ٢، ٢٢٨/٢، الديوري، الأخبار الطول ٢٨٠-٢٨١

(٢) ابن الأثير، الكامل ١/ ٢٠١-٢٠٢، ٢.

(٣) المصدر السابق، ٢٢٩/٤

(٤) المصدر السابق، ٢٢٩/٤

لقتال أهل الشام^(١)، إلا أن التوابين لم يسمعوا منه فساقتهم العاطفة لموجهة أهل الشام وحدهم، ولذا اثنوا، من قريسياء عرض عليهم زعماء، يقاتل معهم إلا أنهم رفضوا ذلك فكان أن قتل معظمهم في عين النورده سنة ٦٧هـ.

ومع أن التوابين كانوا يقاتلون على أنفسهم حزب من قبائل شتى، إلا أن بعضهم دم يتحل من عصبية، فعندما اصطحب رجل من كتلة العروق ابنه إلى القتال وكان صغيراً، دم يرص تسليمه إلا لرجل من كتلة الشام^(٢)، وبكى أزدى على زميل له من قتال فيقول له أزدى آخر أتبكي على رجل من مضر قتل على ضلاله^(٣).

لقد عادت قلوب التوابين إلى الكوفة، إلا أن هذا لم يذهب إلا عداوة وحقدنا على أهل الشام والأمويين، فاستعمل المختار بن أبي عبيد الثقفي ذلك وترجم حركة الشيعة من جديد.

لمختار بن أبي عبيد الثقفي أظهر لمختار ميوله الشيعة منذ أن قدم مسلم بن عقيل إلى الكوفة، غير أنه لم يستطع أن يفعل شيئاً بعد مقتل مسلم، فاكشف أمره فسجنه بن زياد ولم يخرج إلا بعد أن توسط له عبيد الله بن عمر وبعد خروجه من السجن اتجه إلى ابن الزبير في الحجاز لبيع له على كتاب الله وسنة رسوله، وأقام عنده خمسة أشهر إلا أنه لم يجد عنده ما يتناهى فكره واتجه نحو العروق فوصله وكانت الحركة التوابين على أشدها، فقام يخلد الناس عن سليمان بن صرد ليدخلهم في طاعته غير أنهم ابوا عليه وبعد هزيمة التوابين وقتل سليمان بن مختار بأسلوب جديد، نظر نظرة حكيمة فوجد حماساً لقلب التوابين وأتباعهم واستقبلهم في سبيل الحسين، فعاد الناس إلى العتب بشارت أن البيت، وأخير أساس أن محمد بن الحنفية بعثه أميناً ووزيراً وأمره بقتال الملحدين والمطلب بدم أهل البيت والدفع عن الضعفاء^(٤) وهذا أعاد أمره يزاد شأناً في الكوفة، فحزب ابن الزبير عبد الله بن يزيد الخطمي وأبراهيم بن محمد بن طلحة وعين بدلاً منهم عبد الله بن مطيع، وقوي الوالي الجديد بنقل لأدع من أهل الكوفة عندما قال: سأسير بكم بسيرة عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان فردوا عليه أنهم لا

(١) الطبري، تاريخ ٥٩٢/٥، ابن الأثير، الكامل ١٧٨/١ (١٠٠٥هـ)

(٢) المصدر السابق، ٦٠٢/٥

(٣) المصدر السابق، ٦٠٧/٥

(٤) ابن الأثير، الكامل ١٧٤/١، بيروت.

يرهبون أن يسار بهم بغير مسيرة علي ولا حاجة لهم في مسيرة عثمان لأنه كان فيها إثراء وعري، ولا مسيرة عمر بن الخطاب في جيشهم^(١) وهكذا عادت الكوفة شيعية مرة أخرى.

وكان محظوظ المختار يقوم على جمع جميع الفئات حوله، فاتجه إلى العرب فأكرم أشرفهم^(٢) واستعمال القائد الحربي ابراهيم بن الأشتر السلمي^(٣) ثم فرق رجالات الكوفة ولاية علي أرمينيا وأذربيجان ولخداش والموصل ولم يكن في هؤلاء الولاء أي موقف باستثناء قدامه بن أبي عس بن ربيعة حليف ثقيف^(٤) وتقرّب إلى الموالي بعد أن وعدهم بالمساواة بينهم وبين العرب، فأقبلوا عليه والتفوا حوله حتى كثروا على العرب الذين كانوا معه

لعبت المصيبة القلبية سبباً في عدم القضاء على حركة المختار في مهدها عندما جاء ابن مطيع إلى الكوفة، وأرسل إلى المختار بعث زلفة من قدامه الثقيفي حتى يأتي إليه في قصر الأماره، وقد هم المختار بالذهاب إلى ابن مطيع، لا أن زلفة قرأ قوله تعالى: "وإذ يكره بك الذين كفروا ليقتلوك أو يجرؤوك ويكرهون ويكره الله والله خير المأثورين"^(٥) فنبه المختار لذلك فاعتذر عن الذهاب إلى نوالي.

وهذا أخذ يستعد لإخراج ابن مطيع من الكوفة فتمكن من ذلك عندما كسب ابراهيم بن الأشتر. وحاور ابن مطيع أن يستنجد برؤساء القبائل لتفريق أتباعهم عن المختار، إلا أنه فشل في ذلك. فخرج منها ترك الأمر للمختار الذي أخذ بيعة أشرفها على كتاب الله وسنة رسوله وطلب بمساء أهل البيت وجهاد المؤمنين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلهم وسبهم من سألهم^(٦)

وحتى لا يثير المختار عليه العرب، أمر جسده بعدم تتبع ابن مطيع وعدم أخذ الشاتم وقال: علم الله إلي ما يدعو وما نطلب^(٧)

(١) الطبري، تاريخ ١١/٦، ابن الأثير، الكامل ٢١٢/٤.

(٢) علقمري، نسب لأشرف ٢٢٨/٥-٢٢٩.

(٣) الطبري، تاريخ ١١/٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل ٢٢٧/٤ (بهره).

(٥) سورة الأنفال الآية ٢٠.

(٦) ابن الأثير، الكامل ٢٢٦/٤.

(٧) الطبري، تاريخ ٢٢/٦.

والعذر أن عدد الموالي في صفوف المختار أخذ يعوق العرب مما أدى إلى تعبير
بفوسهم عليه ، فلاشرف لم يروا من قبل أن يكونوا متساوين مع مواليتهم وعبيد
وتظهر كثرتهم من قول ابن مطيع لأهل الكوفة : أيها الناس إن من أصحاب الصح
عجزكم عن عصية منكم قبل عددها بحيث دينها ، حائلة مضلة ، أخرجوا إليهم فامنعوا
مهم فينكم ، ولا والله ليشارككم في فينكم من لاحق له فيه ، والله لقد بدني أن فيهم
خمسائة رجل من محوريكم ، عليهم أمير مهم وإثنا فهاب عزكم وسلطانكم وتعبر
دينكم حين يكترون^(١) .

وإزداد حقد القبائل على المختار عند أخذ يهون من شأن يهودت أهل الكوفة
لني وقفت إلى جانب المختار^(٢) . فأدرك العرب أن المختار قد أخذ يرفع من مكانة
الموالي ويقتل من شأنهم ، كما أن العرب أنفسهم تنهوا إلى هذا الخطر ، وجاء ذلك على
لسان شبت بن ربيعي التميمي حين قال : تروى الديلم برلت بساحتكم وانتم تقولون لو
قرأت سورة البقرة وأل عمرت ، وقال جده أيضا أس عبيدكم تفرون ! ا وكان من شدة
حقده عليهم يقتل الموالي ويترك العرب^(٣) .

وهكذا نشأت عصية جديدة في حركة المختار وهي العصية العربية ضد الموالي
فاجتمع رؤساء تميم وكندة وحمدان وطلبوا من عبد الرحمن بن مخنف الأودي أن ينضم
إليهم بمقاومة المختار فوافق على ذلك بعد أن حذرهم من الفرقة والتخلف عن مواجهة
أتباع المختار الذين يقاتلون شجاعة العرب وعدوة العجم^(٤) .

ولما خرج إبراهيم بن لاشتر إلى الموصل استعمل أهل الكوفة هذه المناسبة فندروا
على المختار ، وكانت هذه الثورة عامة شارك فيها جميع قبائل الكوفة من مضر وربيعة
واليمن وفي ثورتهم على المختار سمح العصية ضد الموالي فقد قالت القبائل : لقد
أدس مواليت وحملهم على رقابنا وأعطاهم وأعلمهم فينا ولقد عصينا عبيدنا^(٥)

ولما رأى المختار ذلك أرسل إلى إبراهيم ليعود إلى الكوفة في الحال ، وظهرت

(١) المصدر السابق ٢٨/٦ .

(٢) المصدر السابق ٣٠/٦ .

(٣) المصدر السابق ٢٨/٦ .

(٤) العديري ، تاريخ ٢٥/٦ .

(٥) مجهول ، تاريخ لصفاء ٢٣١ .

العصبية بين صعوف أهل الكوفة ، فليمانية وقفت في مكانها رافعة أن تأتي لمصر كما اختلقت فيمن تكون له الرئاسة فلما رأي عبدالرحمن من محتف الأردني ذلك قال ' هذا أول الاختلاف فاتفقوا على رفعه بن شداد السجلي حتى يصلي بالناس^(١) ' وعده يدل على أن بعض الشيعة قد انقلبت على المختار .

ولما أحس المختار بخاطر هذه الحركة أرسل إلى أشرف العراق يمدحهم ببرد العبيد والمولى عليهم شرط أن يعطوه عهدا لقتل ابن الزبير والأمويين ، غير أن أشرف الكوفة أصروا على قتله^(٢) وربما يكون ذلك عدم ثقة أهل الكوفة بوعود المختار

ولما أصر أهل الكوفة على القتل أحل المختار يمكر في إلقاضه على حركتهم ، فما أن علم أن انيس ومضر لا يقاتل مجتمعه ، حتى وضع محطته على ضوء ذلك فدها قائده الأشتر وسيره إلى مصر ، أما هو فقد سار إلى انقباط اليمانية أي أنه خالف في العصبية وهنا تمكن من هزيمة أهل الكوفة^(٣) .

وقد كان تبه المختار للعصبية في محله ، فهذا عبدالله البشكري يقف عند مسجد عبدالقيس ومعه مائة من قومه ويقول : والله إني لأحب أن يظهر المختار ووالده إني لأكاره أن يهلك أشرف عشيرتي اليوم ، والله لئن أمرت أحب إلي من أن يحل بهم الهلاك على يدي . وأمر قومه أن يتوقفوا عن القتال لأنه علم أن شبام وهي حي من همدان ستهاجم انيس من الخلف ، وحتى شبام هذه فقد أدركتها العصبية ، وقال بعضهم لبعض لو جئتم حذركم على مضر وربيعة لكان أصوب ، وظلوا من رئيسهم أن يسير بهم إليهم^(٤) .

والواقع أن أهل الكوفة لم يهرجوا للقتال ولا عصبية ، وجاء ذلك على لسك بعض الرؤساء فشرح بن دي بقلان من همدان لم يخبرح ولا مواسبة لقومه محالة أن يضطهدوا^(٥) وعبدالرحمن بن سعيد الهمداني يقول يحاربني بقومي من لا قوم له وزاد من تمكك الكوفة أن بعض كان يتادي " بالثارات عثمان " فلما سمع ذلك رفعه

(١) طبري تاريخ ٤٧٦-٤٧٧

(٢) المصدر السابق، ٤٤٦/٨ .

(٣) المصدر السابق، ٤٧٦/٨ .

(٤) معاذري السبب الاشراف ٢٣١/٥

(٥) الطبري، تاريخ ٤٧٦/٨

من شدة الجعبي أراد أن يترك القتال^(١)

أما المختار فقد كان جيشه متحداً سواء ما كان بين الموالي والعرب أو العرب أنفسهم . وبعد انتصاره أحضر السيف في رقاب العرب فقد أسر من همدان وحدها خمسمائة رجل يقتل منهم كل من شهد مقتل الحسين^(٢) ، وزاد من عيشه بهم عدداً أخيراً أحد «موالي أن عبدالله بن شريك الهندي لا يحلو بعربي إلا عصى سيده ، وهنا قام المختار ويحجبه «لاقتصاص من قتلته الحسين بقتل عدد من القبائل دون هؤلاء»^(٣) عمر بن سعد وأمر بإحراقه بعد أن أمنه ، كما قتل به جمع من بعلي بن الحسين وقال : والله لو قتلت ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أمله من أئمه (الحسين)^(٤)

كما أخذ المختار بقتل كل من يحالعه ويقومه حتى ولو كان من لقبه^(٥) وهكذا جاءت هزيمة الكوفة لتزيد من ثقة المختار بالموالي ، وتزيد من حقه على القبائل العربية فلما رأى ذلك وجوه الكوفة تسلموا نحو البصرة . أما المختار فبعد نجاحه في الكوفة حاول أن يمد سيطرته إلى البصرة ، فاستعمل الخشي بن مخزومة اللعدي فأخذ هذا يدهو إلى المختار ، وكاد يهزمه في البصرة أن يثير فتنة بين ربيعة ومعها البعر ومضر

فقد أرسل القباج (الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة) الأحنف بن قيس على خيل مضر ورجائها حتى يحارب الخشي فتحدثت الأزدي وقائت . فتروى خبيث على إخوانها أو لقاتلنكم ، فعاد الأحنف دور أن يعزل شيعة^(٦)

وهنا حاد القباج إلى حل الأمر بالوسائل السلمية فأرسل عبدالله بن مطيع وعبد الرحمن بن عمروسي فأتيا ربيعة والأرد وقال لهما : «نسب على بيعة ابن الزبير فقاتلوا معهم ، ولكن لا نسلم أحوالنا فاتفقوا أصبحراً على إخراج شيعة المختار من البصرة . فجاء مالك بن مسعم وزيد بن عمرو بن عتيكي وقالاً لملئني وشيعة . إنا والله ما نحن على رأيكم ولكننا نكره أن نقتلهم ، فهاحقوا بصاحبكم فإن من أجابكم إلى

(١) المصدر السابق، ٦ / ٥

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف ٢٣٤/٥.

(٣) الطبري، تاريخ ٥١/٦

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف ٢٣٧/٥-٢٤١، الطبري، تاريخ ٦١/٦ بن الأثير . كامل ٢٢٤/٤

(٥) طبري، تاريخ، ٦٦/٦

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف ٢٤٤/٥

رأيكم قليل^(١) ويرجع عدم انتصاف ربيعة حول بلش إلى حقنها على المختار الذي قتل
أبا إس بن مضارب وانه راشد في الكوفة^(٢)

ويعد أن قتل المختار في البصرة حاول أن يحرب حظه في الحجاز ، فأرسل جيشاً
قوامه ثلاثة آلاف رجل ليس فيهم من العرب إلا سيمعانة . وكانت خطته تقوم على
الاستيلاء على المدينة أولاً ثم التوجه إلى مكة محاصرة ابن الزبير ، إلا أن خطته هذه لم
يكتب لها النجاح حيث هزمه ابن الزبير وحدث فلوله إلى الكوفة^(٣) .

غير أن أعظم نصر حازه هو ما كان في يوم خازر عندما التقى إبراهيم بن الأشتر
بجيش عبدالملك بن مروان تحت قيادة عبيدالله بن زياد ، وفي هذا اليوم لعبت العصبية
دوراً بارزاً في هزيمة جيش الشام وذلك عندما انهار عمير بن احباب السلمي إلى جانب
المختار ، ومادى بالثورات ارجح ، بانصر ، بالزور ، فتراحمت ترار من مضر وربعة على
من كان معهم في جيش أهل الشام من القسطنطين مما أدى إلى هزيمة أهل الشام وقتل
عبيد الله بن زياد^(٤) .

رادة هذه الواقعة من شأن المختار في العراق ، فأرسل عبدالله بن الزبير أخاه مصعباً
إلى البصرة حتى يهزم المختار لئلا يسار إليها وكان عامل ابن الزبير في البصرة مشغولاً في
قتال الخوارج ، فاستدعى مصعب المهلب بن أبي صفرة وأرسله إلى المختار ، وكادت
العصبية أن تفرق جيش مصعب ، ففي بداية القتال رفض محمد بن الأشعث السير إلى
الكوفة حتى يقدم المهلب ، وعند مواجهة المختار قال المهلب : ما كنت لأجزر الأرو
ونجماً خشبة أهل الكوفة حتى أرى فرصتي ، ولم يتحرك ابن المهلب حتى انكشعت عالية
البصرة أمام الكوفة^(٥) . فتقدم المهلب وتمكن من هزيمة جيش المختار وقتله سنة ٦٧ هـ

نعمت العصبية العربية دوراً بارزاً في هزيمة المختار ، ففي بداية حركته حاول أن
يعتمد على جميع فئات الكوفة ففرب إليه اشراف العرب ، إلا أن هؤلاء تعيروا عليه بعد
أن قرب إليه مواليتهم وعبيدهم ، وهذا شيء لم يعتاده أهل الكوفة فانقلبوا عليه

(١) الطبري، تاريخ ٦٨/٦

(٢) الطبري، انساب الاشراف ٢٦٧/٥

(٣) ابن الأثير، الكامل ٢٤٨/١

(٤) المسعودي، مروج الذهب ١٠٢/٣

(٥) الطبري، انساب الاشراف ٢٥٩/٥

لقد حاول المختار أن يتجنب إثارة العصبية في بداية حركته خوفاً من أن تنفض القماش من حوله ، فلم يستطع أن يفعل شيئاً مع أسماء بن خارجة الفزاري وقد علم أنه يميل لسي أمية ، لكنه بعد أن هرب إلى الشام أمر بهدم داره ، وحدث ما توقعه من إثارة العصبية ، فقد امتعت مفر عن خدمها فتوت ربيعة واليمن ذلك^(١)

غير أن المختار وبعد ثورة أهل الكوفة وانتصاره عليهم لم يعد يحسب حساباً لخطر القبائل عليه ، فقد نكل بهم أشد النكيل وبعث إلى قبائل البصرة كتباً يهددهم فيها حتى وصل به الأمر أنه يود اتخاذ خدمه من ثميم^(٢).

وظهرت العصبية ضد لموالي بين صفوف المختار نفسه فقد جاء عبدالله بن وهب الحشمي - وكان من المقربين إلى المختار - وقال له أن الموالي والعبيد آل خور ضد المصدوق ، وأن معهم رجالاً كثيراً على الخيل ، وأنت قمشي فمرهم لينزلوا معك ، فإن نك بهم أسوة بماي اتحولوا إن طردو، مسحة وطوحنو وضربوا أن يطيروا على متونها ويسلموك ، وأنت إن أرجلتهم دم يحدو، من العسير بد فوكانت ههذ البصبحة حش مه للموالي والعبيد ، فقد أراد أن تكون الديرة عليهم لما نفي منهم أهل الكوفة^(٣)

وستعمل فلعلب العصبية ضد لموالي فقال يوم المذار : هلام تقتلون أنفسكم مع هذه العبدان ، أصبل الله سبعكم ثم نظر إلى أصحابه وقال : والله ما أرى استحوار القتل اليوم إلا في قومي^(٤) فقد صممت جميع القبائل العربية وخاصة ربيعة على كسر شوكة المختار لاعتماده على لموالي دون العرب^(٥) إضافة إلى غموض المبادئ التي قادت عليها حركته ، لقد اكتشف امام الناس وعرفوا أن لا يريد إلا الوصول إلى الرياسة^(٦) والواقع أن المختار نفسه قد صبر عن ذلك في آخر لحظاته وقال : إند أنا رجل من العرب ، رأيت أبى ، لرير غلب على أصحابي ، ورأيت نجدة ، بن حويز غلب على اليمامة ، ورأيت مروان على الشام لم أكس دون أحد من هؤلاء فأخذت هذه البلاد

(١) الاصطهني، الأغاني ١٣/٦٧-٦٩ (بيروت).

(٢) البلاتي، أسباب الاضراف ٢٣٦/٥.

(٣) الطبري، تاريخ ٩٧/٦.

(٤) مصدر السابق. ٩٧/٦.

(٥) البغدادي، الأخبار بطول ٢٩٢.

(٦) أبو حنبل العسكري الأول ١٧٤ ١ مطبوع.

وكت كأحد منهم^(٦)

وبم تقدم أرى أن العصبية ضد الموالي أحد الأسباب الهامة التي أدت إلى هزيمة المختار أمام جيش ابن الزبير.

وبمقتل المختار صدرت المواجهة بين عبد الملك وعبد الله بن الزبير في مرحلتها الأخيرة، فمصعب في العراق وابن مروان في الشام لكن لكلًا فرجين مشاعب في بلده، فمصعب يحارب الخوارج وجهشه يحوي العديد من الشيعة الذين أعمال القتل فيهم بعد هزيمة المختار، سبب في حقد أهل الكوفة عليه أما عبد الملك فقد أصبح قسماً من جيشه في يوم حارر، وهو يواجه الروم الذين استنفذوا من الوضع في الدولة الإسلامية فقوي شأنهم وأخذوا يقومون بهجمات على المسلمين غير أن جند الشام أفضل في الطاعة والظام من جند العراق، فصاعة إلى اشتعال حركة العصبية في العراق واختلاف مصالح القبائل، وهذا ما أدى في النهاية إلى انتصار عبد الملك على مصعب بن الزبير، لقد تمكن مصعب من القضاء على حركة المختار، إلا أنه أصبح أسيراً للقبائل العراقية، فعند بداية القتال مع الخصوم ضعف محمد بن الأشعث أن يستدعي المهلب من قتال الخوارج وينتجه إلى قتال المختار، وبعد انتصاره على المختار أراد مصعب أن يعو عن الأسرى حتى يكسب بذلك عشائهم إلا أن اليمانية هازوا ذلك بشدة وخبروه بن وقوفهم إلى جديهم أو المعو عن الأسرى، بل قال محمد بن عبد الرحمن بن قيس الهمداني قتل أبي وعمسافة من همدان وأشراف، المشيرة ثم تخلصي سيلهما ودماؤما ترقرق في أجوافهم^(٧) فانصاع مصعب بطلبهم وأمر بقتل الأسرى، وبذلك ارتكب انتحاراً سياسياً وعسكرياً في العراق، مكرراً لخطأ الذي ارتكبه للمختار من قبل. لقد قتل مصعب مئة ألف من أهل العراق ففشت عشائهم لهم وبدأت أنظارهم تنبه إلى خصمه الراهن، الشام وقد نبه لهذه الحطة عبيد الله بن الحر فاقترح أن يدفع الأسرى إلى عشائهم فيمن بهم عليهم، وأن يدفع العبيد إلى مواليهم غير أن مصعباً وبعضه من اليمانية أمر بقتلهم.

ورد من حدة بقعة القبائل عليه عندما أمر بقتل عمره بنت النعمان بن بشير

(٦) ليثاني، النسب لأشرف، ٢٦١/٥، مجهول تاريخ الحد، ٢٥

(٧) مجهول، تاريخ الحقاء، ٢٥٣.

الأنصاري روجة للختار لأنها رفضت أن تطلعن من زوجها^(١)

لقد نسي مصعب أن أي مساس بشعور القبائل سيغير من مواقفها، وخاصة لدى قبائل العراق التي كانت سرعان ما تثقف وراء كل حركة تريد إظهار الاستقلال السياسي لموطنها.

إن القسوة التي وجهها شيعة للختار كانت تدفع بعضهم في التفكير للهرب إلى صفوف عبد الملك، فهذا إبراهيم بن الأشتر بنوي الذهاب إلى الشام، غير أنه تذكر ما فعله بعض النورده بأهل الشام فعدل عن ذلك وقال: «أني لا أخشأ على أهل مصري وعشيرة غيرهم»^(٢)

وذا عزم عبد الملك بحال العراق أخذ يفكر في إطفاء الخلاف بين مصعب وقواده فلم يجد غير الهدوء والبال والإمارة، فأرسل خالد بن عبد الله بن خاند بن أسيد إلى البصرة ومعه رسائل إلى وجوهها، فاستجار خالد بقبيلة بأهله ولا أنها اعتذرت عن عدم حمايتها له، إلى ربيعة فاستجار بهم وسأله قبائل بكر بن وائل والأزد وبعض قبم، وقدم من الشام عبيد الله بن زياد بن طيخان حتى يأخذ بنأر أخيه الذي قتله مصعب

ولما رأى والي البصرة عمر بن عبيد الله بن مصر ذلك خرج لقضاء جماعة خالد الذين اجتمعوا بالحفرة، وأقبل مصعب من الكوفة وانشغل عبد الملك بعمر بن الأشتر فلم يعد باستطاعته مساعدته فوهى أمر خالد فطلب الأمان لنفسه من والي البصرة^(٣).

وبدلاً من أن يتوود مصعب إلى أهل البصرة لجده بكل الشائيم إليهم فقال لعبيد الله بن أبي بكر: «إنما أنت ابن كلبه تعور هذه الكلاب، فجاءت بأحمر وأسود وأصغر من كل كلب مما يشبهه» وقال للحكم بن الحذرد: «إنك حلج من فارس» وقال لأبي حنيفة الأسدي: «وما أنت والأشراف، إنما أنت من أهل قطر دعي لي بي أسد» وقال لزيد بن عمرو العتكي: «يا ابن الكرماني» إنما أنت حلج من أهل كرماني قطعت إلى فارس فصرمت ملاحاً مالت ولدعرب كما شتم عبدالله بن فضالة الزهراني وعبدالله

(١) السري، تاريخ ١١٢/٦ ١١٣

(٢) ابن الأثير، الكامل ٤/٣٧٥.

(٣) البلاذري، انساب الأشراف ج ٤ قسم ١٥٧/٢

بن عثمان بن أبي العاص وعبي بن أصمغ وعبد العزيز بن بشر بن حياط^(١)

ولم يكتب بذلك بل هدم دار مائل بن مسمع الذي إذا غضب غضب لعصبه مائة ألف لا يسألوه عما غضب^(٢) ونتيجة هذه المعاملة تريعة سيكون لها دور كبير في خذلان مصعب في دير الجاثليق

ويعد أن قضى عبدالملك علي الأشدق والقيسية، أخذ يكتب إلى وجهاء العراق بمنهم بالعودة، وأبى وأنت الكتب إلى هؤلاء الرؤساء فسكتوا عنها أمام مصعب وانتظروا حتى يملعوا بأربهم، إلا إبراهيم بن الأشتر ذهب إلى مصعب وأطعمه على الكتب، وألهمه أن غيره قد وصلهم مثل هذا من عبدالملك ونصحته أن يأخذ هؤلاء القواد لأغصانهم كتب عبدالملك وأن يقتلهم ليكونوا عبرة لغيرهم حير أن مصعباً لم يقتل بهذه النصيحة وقال أن قتلهم لا تنصحي عشائهم^(٣)

لقد كان مصعب في صموده من أمره، فاستأجر خرجوا عليه، فأرسل إليهم أحسن جده مع المهذب بن أبي صفرة، كما أنه لاحظ ما حدث في البصرة من تحول الرؤساء عنه وانحيازهم نحو الشام فترك هؤلاء الرؤساء دون أن يتخذ بعضهم أي شيء

لقد كانت معاملة مصعب لرؤساء البصرة، ثم تقديمه أهل الكوفة عليهم^(٤) سبباً في نجاح دعوة عبدالملك بين قبائل البصرة. فقد غضبت على مصعب جميع العتات من عرب وموالي وشيعة وخوارج. وهذا أحد عبدالملك يتقرب إلى القبائل أكثر فأرسل إلى جميع وجوه البصرة باستثناء الأزد^(٥) ولما أمن جانبهم خرج لقتال مصعب بنفسه فالقرشي حسب رأيه - لا يصحح له إلا قرشياً مثله^(٦).

ولما سمع مصعب بخروج جبالملك أخذ يبحث للقبائل بالخروج معه، غير أنه لم يجد حماساً إلا في القيسية وكان هؤلاء قد أريدوا أن يثاروا لروح راضع ويظهر تحادل أهل العراق من قول قيس بن الهيثم السلمي لأهل العراق. ويحكم لا تدخلوا أهل

(١) الطبري: تاريخ ١٥٤/٦-١٥٥.

(٢) ابن قتيبة: معارف ٤١٦، الإسماعيلية والإسماعيلية ٢/٣٢. العقد نفريد، ٩٦/١.

(٣) الطبري: أخبار الطوال ٢٠٢، الذهبي: تاريخ الإسلام ١٠٨/٣.

(٤) الطبري: المساب لأشرف ٢٨٦/٥.

(٥) المصدر السابق، ج ٤، قسم ١٥٧/٢.

(٦) الطبري: تاريخ ١٥٧/٦.

الشام عليكم، فوالله لئن قطعتموا بعيشكم ليصغيروا عليكم مساوكم، والله لقد رأيت سبب أهل الشام على باب الحبيصة يفرح أن أرسنه في حاجة، ولقد رأيت في الصوائف وأحدنا على ألف بعير، وأن الرجل من وجوههم ليحروا على فرسه وزاده خلفه^(١) وأبهم استمالة عبدالمكركل رؤساء القبائل صعب عليه أن يقتل مصعباً في دير الحثليين بدل جهده حتى يستسلم ويؤممه. غير أن مصعباً أخذته الأسمه وأصر على القتال بالرغم من فرود القبائل عليه، لقد رفضت ثيم التقدم إلى ساحة القتال، كما رفضت معها همدان. أم عطية بن عبد الله الحارثي كره أن يقتل مذحج في غير شيء^(٢).

وجاءت الضرية القاصصة من قبيلة ربيعة التي لم يحس مصعب التصرف معها بعد يوم الجمعة فاستحارت إلى صفوف همدان، ثم تحلّت مضى واليمن عنه فوالت وحيداً يصارع قومه المحتوم حتى لا تتحدث قريش بأنه فر من المعركة نتيجة غدر ربيعة به^(٣).

ومع أن دير الحثليين كانت صراعاً بين مسيحيين ومختلطين إلا أن عوامل الشار قد ظهرت فيها، فقبس بن الهيثم السلمي حرض أهل العراق على القتال أهل الشام، وزادته من قسمة الشامي مادي "بالدرات مختار" وكان رائدة هذا مع جيش الشام، وعبيد الله بن زياد بن طيوس رفض ألف دينار قدمها له عبدالمكركل عندما جاء يرأس مصعب وقال: لم أكنه على طاعتك وإن كنته بأخي الطائي بن زياد^(٤).

لقد هزم مصعب بعد أن فشل في تكوين جبهة عراقية موحدة. والسبب في ذلك أنه لم يحس التصرف مع القبائل، أم عبدالمكركل قد عرف مصيبت هذه القبائل لمصالحهم ووعدهم وكشب إليهم وكاتبوه إلى أن تحقق له النصر فدخل العراق وتوالت القبائل بالتحول عليه تعش الطعنة غير أنه لم يتخذ وحداً واحداً يقطع على نفسه، بل طالب أهل العراق بملاحقة المساق الذين أسعدوا العراق، فقالوا له قد أجازهم رؤسنا عشائرهم فقل وهل يجير علي أحد، إلا أنه في النهاية أمتهم^(٥).

(١) المصدر السابق، ١٥٧/٦.

(٢) مجهول، تاريخ الخلفاء، ٣٦١-٣٦٢.

(٣) طبري، تاريخ، ١٥٨/٦، لسمووي، مروج الذهب، ١١١/٦، الذهبي، تاريخ الاسلام، ١١١/٣، ١١١.

(٤) الطبري، تاريخ، ١٥٩/٦، ابن الأثير، الكامل، ١٧/٤.

(٥) المصدر السابق، ١٦٤/٦.

عبدالله والحجاج

بعد أن تمكن عبدالله من السيطرة على العراق توجهت نظاره إلى الحجاز حيث عبدالله بن الزبير هناك فوجه إليه جيشاً بقيادة رجن ظهر حزمه في حرب العراق وهو اخجاج بن يوسف الثقفي ، وقد رأى منه حين حارب مصعب رجلاً يسيّر الرجال فيطيمونه ويحشونه ، فوجهه إلى ابن الزبير وأمره أن يحاصره وأن يقطع عنه سبل تموينه وأن لا يضرب الكعبة حتى يستسلم ابن الزبير وحمله كتاب الأمان أن قبل بالطاعة .

جاء الحجاج إلى الحجاز فلم يعرض للمدينة وسلك طريق العراق وعسكر في العلاف وكان يبحث عنه فقتل ابن الزبير وتعود إلى الطائف^(١) . وتمكن الحجاج من حصار ابن الزبير حصاراً شديداً وقطع عنه الامدادات فأصبح أهل الحجاز في ضيق شديد ، غير أن ابن الزبير لم يستسلم ولاذ بالكعبة . وهذا كتب الحجاج إلى عبدالله بالأذن له في غروب ابن الزبير وهو متحصن بالكعبة ، فأذن له بذلك فتقدم بجندته وحاصر مكة حصاراً شديداً وجعل لأهل حمص باب المراحة للكعبة ، ولجنود دمشق باب بني شبة ، وحنه الأردن باب الصفا ، أما أهل فلسطين فكانوا على باب بني جهم ، وأهل قيسري على باب بني سهم^(٢) . وهكذا يرى أن عبدالله لم يشرك أهل العراق بهذه الحملة والنسب في ذلك عدم ثقة بهم ، فاعتمد على أهل الشام وحدهم

لقد أصبح ابن الزبير في موضع حرج فالنموذجية أخذت تنقص ، والأسعار ارتفعت ارتدعا فاحشاً ، ثم نظر حوله فلم يجد إلا قريشاً ، فجمع وجوههم واستشارهم بالأمر ، فأشاروا عليه أن يخرج إلى اخجاج ، ويأخذ الأمان من عبدالمطلب ، غير أن عبدالله لم يقبل بهذه النصيحة وأصر على القتال . وبعد صموده وأت قريش أن لا فائدة من القتال معه فخرجت بنو سهم ، ثم تبعهم عشرة آلاف وطلبوا الأمان من الحجاج فأمنهم . ورغم ذلك أصر على موقفه فجاء إلى أمه يستشيرها بالأمر فأشارت عليه أن لا يمكن علمان بني أمية من رفته يتلعبون بها^(٣) . فخرج من عندها واستمر يقاتل حتى قتل

وبمقتله انتهت السبابة الراشدة ، وانتهى دور الحجاز إلى الأبد .

(١) المصدر السابق، ١٧٤/٦ .

(٢) المصدر السابق، ١٦٠/٦ ابن الأثير، الكامل ١٢٤/٤ .

(٣) يعقوبي تاريخ ١٢/٢ أبو هلال العسكري، الأثر ١٢٠، ابن الأثير، الكامل ٢٢/٤

أسباب فشل ابن الزبير،

كان ابن الزبير أحد فضلاء الناس حقلاً وحرماً وشجاعة ولا أنه لم يكتب له النجاح في صراعه مع عبدالمطلب ويرجع السبب في ذلك هو الاختلاف في نظام الحكم، فابن الزبير ورشدي يقوم حكمه على أساس العدل الذي يساوي بين الناس فهو لا يتنوع بتنوع الظروف والوقائع. أما عبدالمطلب فقد استطاع أن يوجه جيشاً منظمًا، مع سياسته التي كان يداري، ويرغب ويعد وهي بها، وهذا هو السبب الذي أدى لنجاحه. كان ابن الزبير راشدياً، متمسكاً بالشرع حيث كان لا يقطع أمراً دون مشور من مخرم ومصعب بن عبدالمطلب وجبير بن شيبة وعبدالله بن صفوان بن أمية مشاورهم في الأمور ولا يستبد بشيء^(١).

لم يحقق ابن الزبير بشخصه فقد كان رجل دولة قديراً عارفاً لكن الذي أخفق هو السياسة التي تمسكت بها، سياسة أهل الحجاز وسياسة الحكم الرشدي، ولو كان الناس قد درسوا على فهم تلك السياسة وقبولها لانتهصر ابن الزبير على حصونه غير أن هذه السياسة قد رفضت من قبل أهل العراق فخلعوا عبا، وأهل الشام لم يقروا هذه السياسة إلا في بداية الدولة الإسلامية حين كانوا مرطبين، أما أهل الحجاز فقد قبلوها وتمهقوها لكن الأمر خرج من أيديهم بعد أن عثفت الفتوحات. لقد اتهم ابن الزبير بأنه يحب جمع الناس، وأنه يحيل فكان هذا من أسباب فشله والواقع أن ابن الزبير قد سار بالناس سيرة تقتضيها مصلحة الإحصار، لكن الناس لا يدركون هذه السياسة على حقيقتها وكما ما يهمهم أن يلا جبرهم.

لقد أحد عليه كيف يعزل واليه عن اليمن لأنه وصل قريشاً^(٢) وأنه لم يعط دسوف العراق عندما وعدوا، عليه مع مصعب سنة ٧١ هـ وقال له: جشنتي بحبيد أهل العراق وأنا مري أن أعطيتهم مال الله لا أفعل^(٣).

أن هذه الأمور ليست بحللاً من ابن الزبير بل كانت السياسة الرشدية تقتضي ذلك فلا يجوز له أن يتلاعب بأموال المسلمين حسيماً يشاء. كان يحاسب نفسه ويحاسب الناس كل المحاسبة في شؤون بيت من المسلمين فلا يورع ولا بالاستحقاق وليست

(١) الأزهري، تاريخ الإسلام، ١٧١/٣.

(٢) يوسف النسخ، ذكوات، ٨٦-٨٧.

(٣) الاصطخاني، لأفاني، ٣١٧/٦، بيروت.

السياسة عدده هي التي علي عليه التصرف في بيت دلائل حلالاً للأمويين^(١)

لقد تدمر بين الزبير من أهل العراق لأنهم كانوا يتلوونون يتلوون الحاكم، فقد كانوا مع علي وعليه، ونقموا على الأمويين ثم هم الآن يكاثرونهم، ووقعوا مع المختار ثم انقضوا عليه، ولذلك كان ابن الزبير محققاً عندما قال لهم يا أهل البصرة وددت وأتله أن ييكم من أهل الشام صرف السيف والدرهم بكل عشرة رجلاً^(٢)

لقد كن موقع ابن الزبير حرجاً للأعراب لا تريد القتال إلا بعد أن يعطيهم الأموال، وعندما قال لأحدهم اذهب فقاتل فإن أضيئت أعطيتك رد عليه الأعرابي أراك تفعل روي نقلاً وذراهمك نسيت^(٣).

ويقاب هذه السياسة الخالية الراشدية السياسة القائمة على المنع والأخلاق والتي تبنها عبد الملك وأبنتت لهاها مع القبائل. لعبد الملك أعطى أشراف العراق ومأهم فالقلب هؤلاء على ابن الزبير.

لقد أعطى عبد الملك حامل رأس مصعب ألف دينار بينما قال ابن الزبير لحامل رأس المختار وكان قد طلب مكافأة - حصل الرأس الذي أتيته به^(٤).

وقد استعمل احتجاج سياسة ابن الزبير الدالية ضد حصاره لابن الزبير، فقد كان الجراح بن حصين اجمعي والياً على وادي القرى، وبها ثمر كثير من ثمر الصدقة فامسب الجراح الناس، وعندما قدم على ابن الزبير ضربه وقال له أكلت ثمرتي وعصيت أمري - فجاءه المحتاج بالخصيص ليحدث أهل الشام عما فعله به ابن الزبير وبعد أن استمعوا إليه قال لهم: انظروا هذا هل يرجي الخير^(٥).

وهذا ما دفع البلاذري إلى القول من أن ابن الزبير كان محسباً جداً وأنه أصابت الناس مجامعات شديدة حتى أكلوا لحوم البراذين، وأنه لم يعط الناس بالرحم من أن

(١) ابن قتبية إمامة والسياسة ٢/ ٢٢

(٢) لمعتمد النهدي والقبيل ٣٦٦/١

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفرید ١٦٩/٧

(٤) النيدوي، الأخبار الطول ٣٦٩.

(٥) البلاذري، انساب الاشراف ١١/ ٣٧، معطوف.

بيوته كانت مملوءة بالنقمح والشعير والذرة وأن أهل الشام قد طمعوا فيها^(١). وأشار إلى أنه وجد في بيت المال ابن الزبير عشرة آلاف درهم^(٢) فهل هذا المبلغ الزهيد لا يدل على أنه كان بطلاً وحراً يخاص على جميع الأموال.

كما تقدم يمكن القول أن ابن الزبير لم يمش لبجلته وحبه للرياسة، وإنما فشل لأنه اتبع سياسة لم تفهمها الرعية.

أما ابن حنبلون فيرجع فشله إلى العصبية القبلية ويقول: 'وأما ابن الزبير فإنه رأى في قيامه ما رآه الحسين وطلح كما طلع، وغلظه في أمر الشوكة أعظم لأن بني أسد لا يقدمون بني أمية في جاهلية ولا اسلام^(٣)'.

صحيح أن الرئاسة كانت في الجاهلية لعبد مناف، وفي بداية الدعوة الإسلامية كانت لبني أمية غير أن مكانة بني أمية لم تكن هي السبب في خذلانه وذلك أن معظم أمصار الدولة الإسلامية قد وقعت لاس الزبير، غير أنه لم يستطع أن يحافظ على هذه الأمصار لعبد الحجار من هذه الأمصار وخاصة مصر، ثم لعدم وجود جيش منظم بين يديه إضافة إلى ذلك أنه لم يكن لسياسة الحجار قواعد واسعة في الحكم، إنما كانت وسائل الحكم سنة وتقليداً سار عليها الخلفاء الأولون فمشى عليها ابن الزبير فقد انهزم الحجار أمام الشام مما أدى إلى شطره شطرين، شطر فتحه نحو الحدم وانتفى والعبادة وترك يدب حكومت مدرسة في الفقه والحديث في المدينة خاصة وفي الحجاز عامة.

وشطر آخر انطلق إلى الدنيا واستعاد من الأموال التي كان يبدنها بأمية لاسكت الحجاز ففسرت إليها حبة «الذهب» وال«استهتر» وهكذا نجح الحجار في عصر المروانيين بأنه مركز لأمرين متناقضين: العلم والذهب^(٤).

لقد انتهى الصراع بين الحكم الراشدي والأموي الذي بدأ منذ قتل عثمان وانتصار التيار القبلي مرة ثانية.

لقد قسمت الفتن، الأمة شيعاً وأحزاباً حتى في أمور العبادة، فمعي الحج وقلبت

(١) المصدر السابق.

(٢) الفيلسوف أسد بن الأثراف ١١/ ١٤ مخطوطة

(٣) ابن حنبلون مقدمة ٢١٧-٢١٨

(٤) يوسف المش. مذكرات ٨٧.

أربعة ألوية يعرفات. محمد بن الحنفية وابن الزبير والخوارج وسي أمية عما دفع أساور بن هند بن قيس قال^(١)

تسعينها تسعيناً فلكل تسعين تسعيناً أسير المؤمنين^(٢)

وفي العلاقات الخارجية تعرضت للدولة الإسلامية لخطر الهجمات القبيضة وفي الواقع أن معاوية قد نبه لهذا الخطر^(٣)، غير أن الفتنة التي ظهرت بعد خلافة يزيد جعلت المسلمين يحصون الطرف من الروم، فأغار هؤلاء على شمال سوريا ومرعش حتى أن عبد الملك اضطر فصالحتهم ودفعه أموالاً كثيرة^(٤)، وانتفضت أرمينيا وتم تعد إلى حظيرة الدولة الإسلامية إلا بعد أن انتهت الفتنة على يد محمد بن مروان^(٥)

ولم يكتف الروم بذلك بل أحسنوا بتطعيمون لإثارة الفتنة في داخل الدولة الإسلامية فقد كانوا يحرضون الجراحمة المتمردين في لبنان على مهاجمة الشام، وأمدوهم بالدر والسلاح وحتى بالتدريب العسكري فدفع هذا عبد الملك أن يصالح الروم حتى يكفوا عن تقديم المساعدة لهؤلاء الجراحمة^(٦)

عبد الملك وخراسان

خدمت العصبية بقيادة عبد الملك بن مروان في السيطرة على خراسان. لقد كان على خراسان عبد الله بن خازم القيسي والذي وصل إلى حكمها بفصل قبيلة تميم، إلا أن ابن خازم لم يكتفأ تيمم كما يجب فتحولت عنه، وزاد من العدواة أن ابن خازم قتل رجلاً منهم، فأحدث تميم ثأره من ابنه محمد، ولم يشع لهذا عصبية الخوالة. وهنا استمر النزاع بينهما سنة كاملة حيث تمكن ابن خازم من حصر ثمانين رجلاً من تميم فقتلهم تحت ضغط ابنه موسى الذي أراد أن يثأر لأخيه. وراود هذا من حقد تميم على ابن خازم ووصل هذا الحقد إلى الاحتف في البصرة حيث قال. قبيح الله ابن خازم، قتل

(١) البيهقي، تاريخ ١٠/٢.

(٢) ابن خزيمة، تاريخ ٢٢٠/١.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ١٦٢، البيهقي ١٦/٣.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان ٢٠٧.

(٥) البكري، العرب والمخلفات العربية ٢٢٧-٢٢٨.

وجدا من بني حميم بانيه صبي وقد أحرق لا يساوي علقا، ولو قتل منهم رجلا به لكان أومى^(١).

ولما رأى عبد الملك ذلك بعث إلى ابن حارم يدعو له بيته ويطعمه خراسان سبع سنين إلا أن ابن حارم قتل لحامل الكتاب. فلما بعثك أبو الذباب^(٢) لأنتك من غي وقد علم أني لا أقتل رجلا من قيس ولكن كل كتابه^(٣)

ولما حش عبد الملك في استمالة ابن حارم الفقه إلى قبيلة حميم، وإلى بكير بن وشاح خليفته ابن حازم على مرو ووعدة بولاية خراسان، فاستجاب لهذه الدعوة وحلج ابن الزبير ودعى عبد الملك فالتفتت قميم حوله وتقدمت لقتال ابن حارم وهي تنادي بالشارت دويله. وكما كان ألم ابن حارم عندما رأى ابن وكيعة بن صميرة القرشي يقتله بدويه أخيه لأمه، فسمع في وجهه وقد بعثك الله، تقتل كش مضر بأخيك علق لا يساوي كف من نوى أو تراب^(٤).

وبعد انقصر بكير، أخذت بطون قميم تتنافس على الرئاسة فمضت أهل خراسان من هودة والحرب فكتبوا إلى عبد الملك يحذرونه أن خراسان لا تصبح بعد الفتنة إلا لرجل من قريش لا يحسدونه ولا يخطبونه، فولى عليهم أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد الأموي^(٥).

وكان تعيين هذا القرشي سببا في محاولة تجميع قميم لبطونها، فقد أسرع بكير بن وشاح وأخرج مناعة بجير بن ورفاء من السحن وأعطاه أربعين ألفاً وأخذ عليه عهداً ألا يقتله^(٦).

ولما قدم أمية إلى خراسان حاول أن يستميل بكير إلى جانبه وأن يعينه على شرطته فغير أنه رفض ذلك لاسيما وأنه كان والياً على خراسان فسلحه أمية إلى خصمه بهيو

(١) الطبري، تاريخ ٨٠/٦.

(٢) لقب لعبد الملك.

(٣) ابن لاثير، الكافي ٢٠٠/٢٦ (المصرية).

(٤) البغدادي، فتوح سمرقان ١٠٥، ابن لاثير الكامل ١٢١/٤.

(٥) البغدادي، فتوح البلقان ٦٠٦، طبري، تاريخ ٢٠٠/٦.

(٦) الطبري، تاريخ ١٩٩/٦.

فقبل هذا العرص فلامه قومه على ذلك لوماً شديداً^(١) إلا أنه لم يستمع إلى لومهم
هذه .

ولم تدم حالة الهدوء في خراسان طويلاً ، حيث جاءت بداية الفتن من قبيلة تميم
ودلت عندما قال "عقاب اللقوة" ليكير بن وشاح . إن قتلنا أئسنا وعشائرنا على صبطنا
خراسان ، ثم طلبنا أميراً من قريش يجمع أمرنا فجاءنا أمير يلعب بنا يحولنا من سجن
إلى سجن^(٢) فالتفت تميم على نخع أمية ، واستعدت خروج أمية لعرو بحاري فحرج
عليه بكير بن وشاح وأحرق السمن ورجع إلى مرو فأخذ ابن لأمية ودعا إلى غلب
والله .

ولما رأى أمية ذلك أخذ يتودد إلى بطون تميم التي بقيت على ولائها له وقال لهم
الا تعجبون من بكير ، إني قدمت خراسان فحبلته ، ورفع عليه وشكى منه وذكروا
أموالاً أصابها فأمر صت عن ذلك كله ، ثم لم أفتشه عن شيء ، ولا أحد من عماته ثم
عرصت عليه شرطي فأبى فأعقبته ثم وليته فحبلته فأمرته بالمقام وما كن ذلك إلا نظراً
له ، ثم رددته إلى مرو ووليته الأمر فكفر ذلك كله وكافأني بما تروون^(٣) . فأخذ هؤلاء
بطون بللوم على عقاب اللقوة الذي حرص بكيراً على الخروج

وها انقسمت تميم إلى قسمين : قسم يزيد التواني وقسم خارج هنية . وشب
القتال بينهم حيث سار شماس بن دثار حرب بكير فلما رآه بكير قال له أما كان لي تميم
أحد بخاريي خيرك ولامه على ذلك . ولكن بكير من حذع شماس ومهاجمته على
حين فعله إلا أن أواصر القرابة ظهرت عند بكير حيث أمر جماعته بعدم قتل أحد من
تميم وأن يكتفوا بأخذ الأصعدة والأموال^(٤) .

وبعد ذلك عقد صلح بين بكير وأميه مقابل أربعمائة ألف درهم وأن يتولى أي
كورة في خراسان فاستدرجه أميه حتى قبض عليه فأرسل إلى رأس أهل البغالية وهو
زياد بن عتبة حتى يقتل بكير ولا أنه رفض ذلك كمد رفض رؤساء تميم ورئيس هذيل ،
وها تقدم عدوه بجير وبعد فيه حكيم الإعدام^(٥) .

(١) المصدر السابق ، ١/٦ ، ٧

(٢) المصدر السابق ، ٣١٢/٦

(٣) المصدر السابق ، ٣١٢/٦

(٤) المصدر السابق ، ٣١٤/٦

(٥) المصدر السابق ، ٢١٧/٦ ، ٣٣٢ ربما بعدها

ولم علم عبد الملك بذلك عزل أمية وجعل حراسان تابعة للحجاج ، فأدرك الحجاج خطر القبائل المضرة هناك فأرسل والياً يميناً حتى يضع حداً لقوة عليم التي أخذت تتر يد بغرسان . فعين المهلب وكان ذلك بداية لهجرة الأزدي إلى حراسان التي ازدادت بعد أن تسلم بعض أبناء المهلب ولاية حراسان .

واستطاع المهلب أن يصلح بين بطون عليم ، فهدأت أحواله هناك ولم تحدث فتق قبلية بالرغم من ظهور حركة ابن الأشعث وذلك لأن المهلب رفع الانضمام إليه

لقد بقي موضوع في حراسان هادئاً حتى عول مهلب سنة ٨٥ هـ ولم تكن هناك أسباب مؤدية لهذا العزل ، إلا أن الحجاج حشي من تعاطف قوة المهلب ، وبالتالي خروجه عليه كما حرج ابن الأشعث ، ولقد كان عبد الملك متردداً حول هذا العزل إلا أنه عاد ووافق على ذلك فبعث الحجاج رجلاً قيسياً وهو قتيبة بن مسلم إليه .

سياسة عبد الملك والعصبيات القبلية:

لقد استمال عبد الملك القبائل في صراعه مع ابن الزبير أحسن استمالة وهذه الاستمالة كانت مبنية في إطارها العام على الوعود والأمان التي لم يتحقق منها شيئاً كان عبد الملك لا يجد حرجاً من استمالة أشد الأعداء نظراً فقد بعث إلى حمزة بن حازم الخرجي يدعوهم إلى طاعته ويؤويه اليحامة ويهدر له ما أصاب من الأموال^(١)

وبعد أن أحكم قبضته على الأمصار الإسلامية اتبع سياسة دلوافة بين القبائل فأخذ يقرب القيسية إليه حتى يكونوا منافسين ليعمانية . ومع تفرقه لهم إلا أنه لم يسر مقاومتهم له وخاصة قيسية العراق . فعندما وفد عليه بعضهم حسبهم على باب طويلاً ولما أدخلهم قال بهم إنكم سعيتم مع الشيطان فكنتم حربه فلما بكسر نكصتم ولم يبق أحد من شب دار الفتنة ، وسعى في المعرفة ، وشتت الألفة إلا قد أحذب من جرعه ثوبه ، وظهرت منه أنه . فما ترضون؟ أن تكونوا أسوة من أبصر بعد العمى ، وعرف بعد الجهل واستحق بالإثابة العفو .

مرد عليه قيس بن الهيثم السلمي وقال : إنا لسنا بالخلو المأكرون ، ولا بالمر المتعوط ،

(١) ابن كثير، الكامل ٢/٣٥٤.

ولا حقوق بمكر، ولا عقابك بحتم ^(١) فلما سمع ذلك عبد الملك أسى جوازهم
وردهم إلى العراق.

هذه المواقفة هي التي أدت إلى إحماء الفتن القبلية، إلا أنها لم تحمد ناز العصبية
القبلية حتى في مجلس عبد الملك، ولا عروبة في عدم إحقاقها لأن عبد الملك نفسه كان
يشجع الشارات بين القبائل فهو يقول عن ربيعة: بأنهم أشد الناس وأشداهم وأخطبهم
طوعاً في قومهم، وأعتظمهم حقراً، وأحكمهم وأحصرهم حواجراً، وأسرعهم
انتصافاً ^(٢) ومدح عبد الملك لربيعة نابع من موقفها في دير اجاثليق عندما تركت مصعباً
وسألت إليه

وصم مجلسه يوماً الأزرقان بن بئر، وروح بن زبيح وأبو العريضة مولى بني
مروان فقد عبد الملك يا عياش ما ترى هذا اليماني (روح) يهضر بملوك اليم. فقال
عياش يا أمير المؤمنين نحن بنو اسماعيل بن إبراهيم همدك أخوت بني اسحق بن إبراهيم
أعظم من ملكهم، وملك سيمس بن داود مع السوء ونحن بنو اسماعيل همدنا النبوة
والملك لمعدنا ومنك أحموتنا أعظم من ملكهم. والله يا أمير المؤمنين بومت ولم أدم
ورثاً لكان أبو العريضة أولى بي من روح فقال أبو العريضة فقبل رأس عياش وألقى
عليه مطرقة فأسكت روح ^(٣).

وردد من حدة العصبية أن عهد عبد الملك كان عهد ازدهار الحركة الشعرية وكان
إخماد القبيلة قد عادت إلى ما كانت عليه في العصر الجاهلي من حيث التفتي بأمجاد
القبيلة وبيان معاصرها. وساعد على ازدهار هذه الحركة الخليفة وولاته.

لم يقتصر الشعراء على التمسك بأمجاد قبائلهم القريبة، بل وسعوا شعرهم مع
اتساع حدود العصبية القبلية فأصبحنا نسمع شاعر نجيم ومفر وشاعر تغلب وربيعة
وشاعر يمين ^(٤)، ثم شاعر العراق، وشاعر الحجاز وشاعر الشام. وقد نال العراقي حظاً
وفيراً من هؤلاء الشعراء وخاصة في قتال بكر ونجيم ^(٥)

(١) ابن أبي شيبة، انساب الأشراف، ١١/٢١٦ - ب مخطوط.

(٢) أبو هلال العسكري، الآثار، ٩ - ب (مخطوط).

(٣) ابن أبي شيبة، انساب الأشراف، ١١/١٢٣ - ب (مخطوط).

(٤) السعدي، مروج الذهب، ٢/١٦.

(٥) احسان، معصية القلبية، ٣٦٨-٣٦٩.

لقد كان لعودة الشعراء للدفاع عن القبائل والاعتزاز بالأنساب وتسميخ جميع الأحداث القبلية يد في إثارة كثير من الفس القبلية، وتأريخهم للأحداث والضعائن بين القبائل. لقد نصب الشعراء أنفسهم مدافعين عن قبائلهم. وفي هذا المعنى يقول الفرزدق: أنا العاصم الراعي عليهم وإنما يذافع عن أحسابهم أنا ومثلي^(١).

لقد اتخذ عبد الملك من الشاعر النصراني الأخطل شعراً لبني أمية، وأدى احتفائه له إلى غضب شعراء مضر لأن عبد الملك لم يكن يسمح بهم بالدخول عليه، وهذا مما دفع بعضهم إلى لقوا. يا عجباً للأخطل نصر ي كافر يهجر المسلمين^(٢).

وقد حدثت المعركة الشعرية بين الأخطل التميمي، وجريز المضري ودخل معهم في حلبة الصراع الفرزدق وسمي شعر هؤلاء شعر الثقافتين.

ووجد إلى جانب شعراء القبائل، شعراء الأحرار السياسية قابين قيس الرقيات كان زبيراً يتمسب للعراق ضد أهل الشام^(٣) والأعشى شاعر اليمس، وشاعر الكوفة^(٤)، والكعب بن جهم لمضر. ويتشبع لبني هاشم^(٥).

ونتيجة للدور الذي كان يقوم به الشعراء نرى أن اليمانية ترى في قتل الفرزدق غيمة كبرى لأنه شاعر مضر وبسببها وقبم ترشو الأخطل بألف درهم وكسوة حتى لا يتعرض لهجده الفرزدق وقومه^(٦).

وتدخل الشعراء في البوحي السياسية وخاصة في ولاية العهد والخلافة، فليس قيس الرقيات يعتبر قرشاً حامياً لدمار المسلمين فإن ذهبت ذهبوا^(٧).

وعمر بن عاصم يشير على عبد الملك أن يولي ابنه الوليد خلافة بدل أخيه عبد العزيز، وجريز يشير إلى عبد العزيز بن الوليد بأن حقيقه والده، وامتد هذا التدخل

(١) الناقص ١٢٨/١، القصبة طيبة ٣٧١.

(٢) الصفاي، الأثني ٣٦٢/٧ (بيروت).

(٣) ضد ٤٧٣، الأثني ١٤٥/٥ (بيروت).

(٤) الصفاي، الأثني ٢٩٢/٥ (بيروت).

(٥) المصدر السابق، ١/٦٧، البيت لمصرية.

(٦) المصدر السابق، ٤٧/١٩ (بيروت).

(٧) أن تودع من بديلة قسريش، لا يكن بمسهم يعني يتساء.

إلى عهد سليمان، حيث قال جرير إن «خلاقة بعد سليمان لابنه أيوب»^(١). وكما شجع الخليفة وولاته الشعراء، كان أشرف القبائل يتسابقون في كسب رصده هؤلاء الشعراء، فأخضعناج منع شعراء ربيعة، العدين بن العرج من الدخول عليه، فأتجه إلى يريدس للهلل فأمر له بحمسين ألف درهم ووعده بالحماية من الخجج^(٢)

وهكذا نجد أن العصبية القبلية وإن كانت شراً مستطيراً على حكومة الأموية إلا أنها كانت حبراً عصبياً على التاريخ الأدبي والاجتماعي وخاصة ما سمي بشعر «نقائض»^(٣) لقد أدت هذه الأشعار إلى استخدام العصبية بين هيم وتغيب بقف فيها «مزدق مع الأعطل لهجاء قيس عيلان وكليب بن يربوع ومشعر بنميم ودرم، وتعلب، وقف فيها جرير هجاء درماً وثعلباً، والأعطل والعزدق ومحرر يسي يربوع وقيس عيلان وهيم»^(٤)

ومع ازدياد الحركة الشعرية هذه وإثارها للعصبية القبلية إلا أن قوة عبدملك وبعد أن قضى على حركة «الربيع» حالت دون اشتعالها. لقد كان عبدملك يهدد كل من تحمته نفسه بالخروج عليه وفي هذا الشأن قال من قد برأسه كذا قلنا بسمه كذا، لا يبيع شاهد العاهل أنه ليست من لمة إلا ونهر نحتملها ما لم تبلغ أن تكون صمود مير أو بعث رايه، إلا وإن جامعة عمرو بن سعيد لتي جمدناها في عتق عندنا، وإني أعطي الله عهداً أن لا أجعلها في حق أحد فأخرجها منه إلا صعداً وعن المدائي أنه قال: «ون خلفاء قبلي كانوا يداؤنكم بأداؤكم هياكلون ويوكلون وإني والله لا أداؤكم إلا بالسيف»^(٥).

وقال أيضاً «لست بالخليفة، لستصعب (عثمان) ولا بالخليفة المذاهن (معدوية) ولا بالخليفة المأفون (يبريد)»^(٦)

والواقع أن شدته وولاته لم تحل دون الفتن وخاصة في العراق. إلا أن سياسة

(١) نظريه، تاريخ ٤١٢/٦، ٦٠٠، القلق لفريد ١٦٢/٥، ١٥٦.

(٢) لاصفوي الأندلسي ٣٩/٢٠ (مبوت).

(٣) أحمد الشيب، شعر السياسي ٢٥٨.

(٤) أحمد الشيب تاريخ نقائض ٢٠.

(٥) علقري، أسامي الأشراف، ١٩٤/١١، ص٥٥٥.

(٦) بن خياط، تاريخ ٢٧٠/١.

الموازنة التي اتبعها قد حالت دون ظهور الثمن في الشام فمع تفرقه للقبسبه إلا أنه لم ينس القياثل اليمنية فعندما مرضي حسن بن مالك بن يعجل ومظور بن زيد صاعدا عبدالمكث وقال .

فصلي بمسطق ولا قسرها إن عسرت ولا عسرت
وصلي بعد حسن سبهر ولا تسي بعد مسطور عسبل^(١)

أما بالنسبة لعلاقة عبدالمكث مع قرش، فقد حاول عبدالمكث أن يتقرب إليهم ويحمل على إرصاصهم ويظهر لنا ذلك من أن وفد أس قرش مكة قد رافق الحجاج في ريارته لدمشق فطلب عيسى بن طلحة من عبدالمكث، أن يحني للجلس حتى يتحدث إليه وقال له عبدالمكث ليس دون الحجاج سر فقد عيسى: وذلك لأن لم تخلني لا قبث صلتك ولا رجس ما خطأ قد قطعت رحمتي فأحلى للجلس . فقال عيسى . يا أمير المؤمنين سلطت عليا هذا العلام من قتيب لا يحرف لغومك حلاً - فقال عبدالمكث: إنكم ما تعرفون به شيئا إلا وأنا عارف به ، وأنا عارزه عنكم عزلا جميلا فلا سمع هذا ملك أحد^(٢) . ولم يصر وقت طويل حتى عزل الحجاج وعين على العراق ومع استجابته لمطالب قرش إلا أنه كان يحاول أن يصر ب بعضها بعضا كما كان يفعل معاوية من قبل^(٣)

تجدد الصراع بين الشام والعراق

بعد أن انتصر عبدالمكث على مصعب ابن الزبير عين على حرب الخوارج للمهلب بن أبي صفرة ، وحالد بن أسيد على البصرة ، وبشر بن مروان على الكوفة . إلا أن حالما عزل المهلب عن حرب الخوارج وحاربهم بنعمه وقواده إلا أنه مني بهزيمة منكرة أمامهم فاستبدده عبدالمكث بأخيه بشر ، وأمر بشر أن يولي المهلب حرب الخوارج إلا أن حسد هذا دعاه لأرسال أحد قواده وأمره بعدم طاعته . فأدى ذلك إلى حرج للمهلب أمام الخوارج ، فعكر عبدالمكث يوالي للعراق فلم يجد غير الحجاج الذي استاء منه أهل

(١) البلاغي، النعمان، الأشراف ١٧/١١ ب، مخطوط.

(٢) المصدر السابق، ١٨٧/١١ ، مخطوط.

(٣) مصعب الزبيري، نسب القرش، ٤٧

الحجاز، عصبته على العراق فجاء الحجاج إلى الكوفة مدعاهم إلى حرب الخوارج وأسهلهم ثلاثة أيام ومن لم يخرج تعرض للموت. فعاد جيش العراق إلى حرب الخوارج بقيادة المهلب بن شداد حجاج من أزره وبعاصله

وقد تمكن المهلب من القضاء على الأربعة إلا أن ظهور حواريه جدد تحت قيادة رجل من شيان اسمه شبيب بن يزيد وعدم قدرة الحجاج في البداية عليه اضطره أن يستنجد بجيش من الشام تعداده أربعة آلاف رجل، بعد أن عرف قائداهم في نهر دجيل سنة ٧٧هـ.

ومع أن خطر الخوارج كان يهدد أهل العراق إلا أن شدة الحجاج وقسوته دفعت قبائل العراق للثورة عليه، وقد بدأت هذه الفتى في البصرة سنة ٧٥هـ.

وقبل التحدث عن هذه الفتنة لا بد من الإشارة إلى موقف الحجاج من العصبة القبلية، ولواقع أن الحجاج قد تعصب لثقيف أولاً ولقيس ثانياً. أما عصبته القبلية فقد كان يعتز دوماً بأنه من ثقيف، وهو لا يرضى أن يكون من أساء آل العاص بل إلى الأشياء من ثقيف^(١).

ولم تسلم ولاية العراق استعمل ثلاثة من الثقيفيين. هم هروث بن المغيرة بن شعبه (على البصرة) ومطرف بن المغيرة (على المدائن) وحمره بن المغيرة (على همدان)^(٢) ولم يكن في هؤلاء أية ميرة إلا أنهم من ثقيف

وحبه لثقيفته وولائه لعبدملك دفعه أن يطمئن في سب مطرف بن المغيرة عندما حرج على عبدملك وانضم إلى صفوف الخوارج، وقال عنه: إنه ولد مصقله بن سيرة الشيباني، طير أنه ألحق بالميرة. وهذا الطعن حتى ثبت الحجاج أن ثقيفاً لا تلحق بالخوارج وإنما الذي يلحق بهم هم قبائل ربيعة^(٣).

وكانت عصبته لثقيف ندعوه كي يتألم لضياع شعر أمية بن أبي الصلت شاعر قبيلته. أما عصبته قيس فقد رأينا كيف أن الخوارج بن حكيم السلمي قد وصفه بأنه سيد قيس، فأعطاه الحجاج مائة ألف درهم. وزي كانت عصبته هذه هي السبب في

(١) التلخيري، السبب الاشتراكي، ١٠٠/١، ١١٣/١، ١١٤/١.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ١٢/١، (بيروت).

(٣) المصدر السابق، ١٢/١.

عدم توجه الأحاطل للعراق بالرغم من حث هيدلوك له على وديته^(١)

غير أن الحجاج لم يكن يظهر هذه العصبية، بل كان همه خدمة بني أمية ومن أجل ذلك، كان يستعمل جميع السبل التي توصله إلى غيابه. فعندما رأى أن الأزدي وريثة قد كثرت بالبصرة كتب إلى هيدلوك يطلب نقل قسم منهم إلى الموصل فوافق على ذلك^(٢) ولما رأى أن قوة قسم أحدثت تعاضدا في حراسه أرسل إليهم المهلب بن أبي صفرة

إن الثورة على الحجاج قد جاءت نتيجة لمعاملة التي عامل بها رؤساء العراق فعد أن دخل الكوفة أخذ يتعرف على وحوه ورجال العراق^(٣). وبعد ذلك قال لصاحب شرطته يريد بين علاقة السكسكي أن يجعل سيفه سوطا^(٤).

ومع هذه الشدة حاول أن يتقرب إلى قبائل العراق وذلك عن طريق انصهاره فقد أصهر إلى الأردن وعزازه وبجيلة، كما زوج ابنه محمد من ميمونة بنت محمد بن الأشعث الكندي ربة منه في كسب ولاء هذه القبائل وحتى يكونوا به عوناً على من يملأه^(٥)

لكن قسوته ومضايرته للقبائل لم تكن تستخدم الثيارات والمصالح القبلية فالحجاج اعتمد على نفسه أولاً وعلى جيش الشام ثانياً، فأعمل بملك رؤساء العراق، بل كان يتصرف معهم تصرف القائد مع جندي، فلا فرق صده بين رئيس ومروءس، لقد دخل عليه المهدي بن عمران البرجمي - وكان من سادات العراق وأشرف البصرة بجرثومه فقال له الحجاج: ارفع ثوبك فقل: «مهدي» إن مثلي أبها، الأمير لا يقال له هذا، القول فقل الحجاج بن الوليد وتضرب عنقه فخرج المهدي وهو يقول قاتله الله ما أتتبه في نفسه^(٦).

لقد كانت معاملته لرؤساء والسادة هي السبب في اجتماع مضر وريثة وانيمن

(١) لأصفهاني، الأغاني ٢٥٣/٧ (مبني).

(٢) الهلالي، تاريخ ١٨/٣.

(٣) التلوي، أسساب الأشراف ١١٠/٦.

(٤) التلوي، أسساب الأشراف ١١٠/٦.

(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ٢٩/٢، العقد الطريد ٩٨/٧.

(٦) الهلالي، أسساب الأشراف ١١٠/٦.

تحت قيادة ابن الجارود لمهاجمة الحجاج وإخراجه من العراق^(١)

لقد بدأت فتنة البصرة عندما أراد الحجاج أن يلغي الزيادة التي فرضها ابن الزبير على إعطاء موقوف ابن الجارود وقال إن هذه الزيادة هي زيادة عبد الملك ، وليست زيادة ابن الزبير ، وقد خرج من عنده ذهب ابن الجارود إلى وجوه البصرة وأخبرهم بما حدث فكلهم صوب رأيه^(٢)

ولما خرج الحجاج لقتال الخوارج جاء بعض وجوه البصرة فباعوه ابن الجارود على إخراج الحجاج من العراق ، والكتابة إلى عبد الملك كي يولي عيهم غيره ، فإن رفض عبد الملك طلبهم خطموه^(٣) .

ولما أحس الحجاج بهذه الفتنة قام على الفور ففرق بين أهل الكوفة وأهل البصرة وجعل بينهم طرفاً وصير فيها حرساً . ولما رأيت ربيعة ذلك خرجت على الحجاج فلحقها القبال ، لأخرى حتى أنه لم يبق مع الحجاج إلا خاصته وأهل بيته^(٤)

حاول الحجاج أن يستدعي رأس الحركة ابن الجارود صير أن هذا رد عليه : ولا عمة عين لأبن أبي رغال . ولكن ليخرج مذموماً مسجوراً وإلا فالتك^(٥) . ولما اجتمع الناس على ابن الجارود أقبل بهم زحفاً نحو الحجاج وكان رأيهم أن يخرجوه عنهم ولا يقاتلوه ، فلما صاروا إليه انتهبوا ما في قسطنطية ، وأخذوا ما قدروا على حمله من متاعه ، وجاء أهل اليمن واحتملوا امرأته بنة النعمان بن بشير ، الأنصاري ، وجاءت مطر واحتملت امرأته الأخرى أم سلمة بنت عبد الرحمن بن سهل بن عمرو . وبعد ذلك انصرف ابن الجارود عنه فصار قوم من أهل البصرة يأتون إلى الحجاج لقتال الفضيان بن القبيشري الشيباني لابن الجارود : تعش بالحددي قبل أن يتعدى بك أما ترى من قد آناه منك ، ولش أصبح ليكثر دابره وليصعفن مثلهم لقال قد قرب المساء ولكنك معجله بالذلة^(٦)

(١) ابن الأثير ، الكامل ٣٦/١

(٢) ابن حبيب ، المهر ٢٥٥

(٣) الهافري ، تصانيف الأشراف ١١٤٧/١ - ب

(٤) المصدر السابق ١٤٧/١ - ب

(٥) المصدر السابق ١١٤٨/١

(٦) المصدر السابق ١٤٩/١ - ب

وكان مع الحجاج عثمان بن قيس الجارقي، وزيد بن عمرو العتكي، لأزدي، وكان زياد هذا على شوطه في البصرة فقد لهما ما تريان. فقال زياد أرى أن أخذ لك من القوم أمدا وتحرج حتى تلحق بأمر المؤمنين، فقد أرفض جمهور الناس عنك، ولا أرى لك أن تقاقل عن معك، ولا أحب لك أن تصعب نفسك وتهلكها أما عثمان فقد أشار عليه أن يقاقل أهل البصرة فأخذ الحجاج يقول عثمان ولم يأخذ بصيغة زياد^(١)

ويعد ذلك بعث الحجاج إلى وجوه البصرة فلم يسمع منه أحد

ولحسن حظ الحجاج أن عباد من الخصم الحيطي مر بأبن الجارود وهلهين بن عمران وعبداله بن حكيم وهم يتدجون فقال لهم أشركوا في نحوكم فقالوا هيبت أن يدخل في نحونا أحد من بني الحنظلة فعباد وانحاز في مسألة من قومه إلى الحجاج^(٢).

ثم تحركت العصبة القيسية فأقبل فتية بن مسلم في أعصر، وقال والله لا أدع قيساً على الحجاج يقتل وينهب ماله وأطهر بن الجارود عليه فأقبل في نحو من ثلاثين رجلاً على الحجاج وسلم عليه بالأمر. وما عدت الحجة إلى الحجاج وأطمان بوجودهم ثم أتاه قيسية آخرون هم سيرة بن عتي الكلبي، وسعيد بن زرة الكلبي كما جاءه بعض الأزدي يقودهم جعفر بن عبد الرحمن الأزدي^(٣)

وزيد بن قرق أهل البصرة لما أرسل مالك بن مسلم إلى الحجاج بحيرة بين المجبي إليه أو تحذيل الناس عنه، فبعث إليه أن أقم وثبط الناس فلما رأى الحجاج أنه قد اجتمع إليه عدد غير قليل خرج إليهم وعبأهم فلما رأى الناس ذلك أخذوا يقبلون على الحجاج حتى بلغوا أكثر من ١٦٠٠ رجل. فقال بن الجارود لعبيد الله بن زياد بن عتيان ما الرأي فقال له تركت الرأي أمس عندما قال لك العصبيان تعش بالحددي قبل أن يتعدى بك وقد ذهب الرأي، وبقي النصير. فتقدم أهل البصرة يقتال الحجاج إلا أنهم صوّء بهزيمة مكرة وقتل عبداله بن الجارود وعندها أخذ رجالات الكوفة يسحون عن سبيلهم لهم الأمان من الحجاج^(٤)

(١) المصدر السابق ١١/٢٥٠هـ

(٢) المصدر السابق، ١١/٢٥٠هـ

(٣) المصدر السابق، ١١/٢٥٦هـ

(٤) المصدر السابق، ١١/٢٥٦هـ - ٢٥٧هـ

وبعد انتصار الحجاج كتب إلى عبد الملك يقول: إني لما كنت منزلي من رستبهد وشب علي أهل العراق فحالوني وبذلوني ودخلوا فسطاحي، وانتهب أموالي وقالوا: أخرج من بلادنا إلى من بعثك إلينا فإنا نرى البعد وأسعني الغريب، وفسس مني الشقيق فشددت عليهم سبقي، ولقيتهم بشيعتي وقتلت الموت قبل البراح^(١) فبارك عبد الملك عمله وكتب إليه: إن ذاك من أهل العراق ريب عاقبت أدناهم رعب منك أقصاهم^(٢).

وعما تقدم يرى أن العصية المضرة والقيسية هي التي أدت إلى تثبيت الحجاج في العراق، فقبل قدوم عباد بن الحصين الجبلي وهو من ثميم، وقتية من مسلم الباهلي وهو من قيس كان الحجاج يحكم بالحقاق بعد ذلك^(٣) إلا أن وجودهم شد من أزره وحمل الناس يتظاهرون في التقدم على الحجاج إلى أن أصبحت لديه قوة تمكن بها من القضاء على ابن الجارود. وقد زادت هذه الرقعة من غضب أهل العراق على الحجاج، وأجبع من نار هذا الحقد عندما استبقى جيش الشام في العراق وسير، العراقيين للجهاد فصار أهل العراق يتحسبون العرص لإظهار عدو، ونهم التخلص من حكم الشام، والحجاج وجهات تلك العرصه فأقبل عليها أهل العراق إقبالا منقطع الشجير وذلك أنه كان في جهات سجستان ملك تركي يقال له أرتبيل، تمكن هذا من هزيمة الجيش الذي بعثه الحجاج تحت قيادة عبيد الله بن أبي بكر، وكاد أن يقضي عليه قضاء مبرما. فأراد الحجاج أن ينتقم من أرتبيل فجاءه جيشاً كبيراً ومطعمه أحسن تنظيم وأمر عليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي فصار ابن الأشعث إلى أرتبيل وكان حلواً في تقدمه خوفاً أن يغدر به أرتبيل فودع دخل منطقة ترك فيها قسماً من جيشه ثم ينتقل إلى أخرى خوفاً أن هذه الخطة لم تعجب الحجاج فأرسل إليه يؤنه على ذلك ويحثه على السير بسرعة أو يتوكل القيادة لأخيه. وهنا وجد عبد الرحمن مجالاً لظموحه. فهو يعرف أهل العراق ويعرف كرههم للحجاج وأهل الشام فأشاع أن الحجاج يريد أن يسيرهم إلى حرب فإن قتلوا فقد تحلص منهم، وإن انتصروا فيها نسب النصر لنفسه، ثم جمع أهل العراق وقال: إن أردتم السير سرى وإن أردتم العودة عدنا، فلما أن سمع أهل العراق بذلك حتى نادى الجند بخلع الحجاج ولم يتعرضوا لعبد الملك^(٤).

(١) المصدر السابق، ١١/٥٥، تب.

(٢) المصدر السابق، ١١/٦٤.

(٣) المصدر السابق، ١١/٦٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ٧٨/٦.

ويذكر السعدي أن عبدالرحمن تسمى باسم ناصر الدين وذكر أنه القحطاني،
المتنظر وأنه سعيده الملك لليمانية^(١) فلا عيب إذا أن يكون أكثر الناس حماساً حركته
هم من الكوفة لأن ابن الأشعث منهم.

لقد تمت اليمانية بشورة ابن الأشعث، وجاء ذلك على لسان الشاعر اليماني
الأعشى، واستخدم ابن الأشعث رجلاً من همدان هو ذر أبو عمرو بن ذر حتى يقوم
بالظمن على الحجاج وأن يتال منه^(٢)

ولما بلغ ابن الأشعث فارس وباعه سكانها غلب عبدالملك، ولما علم الحجاج
وبذلك أدرك أن يهده الحركة أبعداً خطيرة على السبب الأموي لكثرة من كان مع
الأشعث، فلم يجد غير اشداء ليبحث إليهم حتى يمدوه بالنجدة. وقيل أن يصل ابن
الأشعث البصرة استدعى الحجاج، فلهب من أبي صغرة واستشاره بالأمر، فتصحه أن
يتريث في قتال أهل العراق لأن لهم شدة في أول حروجهم لكنهم عندما يرون أبناءهم
ونساءهم سيحسون عن ابن الأشعث، غير أن الحجاج لم يثق بتصيحته واعتبرها عصبية
لقومه وخدعة له وقال: ما لي نظروني نظر لابس عمه (يعني عبدالرحمن)^(٣).

تقدم الحجاج للقاء ابن الأشعث بخارج البصرة فهزم الحجاج يوم النحر سنة ٨١ هـ
في تستر، مما اضطره أن يعود إلى الراوية. أما ابن الأشعث فقد اتجه إلى البصرة وهناك
التص حوله القراء والكهول والأواني وهؤلاء تقموا على الحجاج لأنه كان يكرههم على
العودة إلى قراهم^(٤) كما انضم إليه بعض الفرشيين وكانوا أكثر من خمسة عشر
رجلاً^(٥).

وفي البصرة، استشار ابن الأشعث عباد بن الحصين في قتال الحجاج فتصحه بأن
يخندق على اريد وما يليه ثم يدع الحجاج حتى يخرج من معسكره بالزاوية فيأثروهم
متعبون أما هو فيخرج بجيشه وهو بحالة شدة كبير. خير أن هذه الفكرة اصطدمت
بحاجز العصبية القبلية، حيث جاءت ربيعة والأزد وقالوا أنخندق على ثيم وترك

(١) السعدي، التنبيه والإشراف ٣٦٤

(٢) ابن خلدون، تاريخ ٢٧٩

(٣) ابن الأثير، الكامل ٢٩٤

(٤) ابن قتيبة، معارف ١٤٧، أبو هلال، عسكري، الأندلس ١٧٨-١٧٩ أ-ب

(٥) ابن خلدون، السبائك ١١/ ١١٨٠.

دورنا لم يضطر عبدالرحمن أن يهتدى حول المدينة جميعها فخرج الخندق هيلاً^(١).

وتقدم الحجاج بن معه من أهل الشام إلى ابن الأشعث في البصرة وقبل بداية القتال وقف يحثهم على قتل أهل العراق وقيل أنتم بطانة والعشيرة والله أن يحكم أطيب من ربح نفسك. وفي بداية القتال هزمت عمدة قريش وثقيف ودخل العراقون معسكره حتى بلغوا بيت ماله^(٢). إلا أن ثبات الحجاج أعداد الأمل لأهل الشام فعادوا يقاتلون حتى تم الانتصار للحجاج. ولما رأى ابن الأشعث ذلك ترك البصرة وتوجه إلى الكوفة مدفوعاً بعامين.

الأول: أن الكوفة معظمها من القبائل اليمانية، ثم هي موطن رأسه، فأراد التوجه إليها حتى يجمع بقية اليمانية حوله ومن هنا يستعد لمعركة جديدة مع أهل الشام.

الثاني: لما سمع ابن الأشعث أن مطرب ناجية التميمي قد وثب على الكوفة، غاظه ذلك وقال: غاطي أن أكون فتحت باباً دخل مطرفيه، وإنه إنما قدر على الوثوب بي ليكون له صوت معي، فأريد أن ألقه فأحول بيته وبن إرادته^(٣).

وبهذه الخطوة غير الموفقة تصدعت الجبهة العراقية، وصار الحجاج يهذي صدى من بقي من أهل البصرة قاتلاً. علام يقاتلون وقد ترك صاحبكم القتال فترك الناس القتال وطلبوا الأمان لأنفسهم^(٤).

أما ابن الأشعث فما وصل الكوفة إلا وكان أمر مطرب ناجية قد استحكمت، وخاصة بعد أن أخبر أهل الكوفة أن مصير ابن الأشعث لم يعد معروفاً بعد يوم البروكة فأقبل أهلها يباهونه لكن ما أن ظهر ابن الأشعث على مشارف الكوفة حتى أقبل الناس عليه وتركوا مطراً. وكان أشد القبائل حماساً في استقباله وبيعة ابن الأشعث هي قبيلة همدان نظراً لأهم أحواله. ولما رأيت ثيم ذلك حاولت أن تقاتل عن مطرب، إلا أنها وجدت أن لا طائفة لها بقتال اليمانية، فأمسكوا عن القتال مما يمكن ابن الأشعث أن يأخذ مطراً وسجنه.

(١) الباقلي، السوابق الأندلسية ١١/٦٨٦ ج ١.

(٢) الباقلي، تاريخ ٢٤٢/٦.

(٣) الباقلي، السوابق الأندلسية ١١/١٨٣.

(٤) الحصري السابلي، ١١/٦٨٣.

ويستدل على أن ثورة ابن الأشعث هي ثورة يمانية من قول الأثيري الأسدي الذي تعجب من ثورة مطر وطلبه للفراسة لأن ثيماً - بمرقه - ليست من أصحاب الثغاب إنما المتأبر لأهل اليمن^(١).

وفي الكوفة استطاع ابن الأشعث أن يجمع جيشاً قوامه مائة ألف من كاد يأخذ العطاء ومثلهم من الموالي وسار إلى دير، فاجتمع حتى يلتقي بالهجاج هناك.

وأمام تعاطف قوة ابن الأشعث، تدارس عبد الملك الأمر مع رؤوس قريش وأهل الشام فاتفقوا إن كانت الثورة ضد الهجاج فيعزلون لأن عزله أيسر من حرب أهل العراق. فأرسل عبد الملك ابنه عبد الله ويث إلى أخيه محمد بن مروان أن يوافي ابنه في العراق. ويصرعوا علي ابن الأشعث عزله الهجاج ومساواتهم مع أهل الشام بالأعطيات وأن يسمح الأمان، والولاية له ما دام عبد الملك والياً. فإن قبل أهل العراق ذلك عزل الهجاج وإن رفضوا فليكون تحت إمرة الهجاج.

وقد كانت هذه الدعوة صدمة للهجاج، فبحث إلى عبد الملك يقول: والله لن أصعب أهل العراق زحى لا يلبثون قليلاً حتى يحالوك ويسيروا إليك، ولا يزدحم ذلك إلا جرأة عليك. ألم تر وتسمع يوثوب أهل العراق مع الأشعث علي ابن عبد الله سألهم ما يريدون. قالوا: نزع سعيد بن العاص فمنا زحى لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه، إن الحميد بالحميد يملح غار لك دك فيما ارتأيت^(٢).

وكاد ابن الأشعث أن يقبل بهذه الشروط إلا أن أهل العراق رفضوا ذلك اعتقاداً منهم أن المؤن ستقطع عن أهل الشام فيعذبهم، وقالوا: بأنهم ذوي العدد الكثير والسعر الرقيق، والمادة القريبة لا والله لا نقبل^(٣). وزاد من إصرارهم أن أهل الشام أصبحوا في الأزل والنسك والمجاعة والقلة والملة فعدوا وغلوا عبد الملك مرة ثانية^(٤).

ولما غدعوا عبد الملك ورفضوا عروضه أصبح لا بد من القتال فحاضرو إحدى وثمانيين وقعة كان الفوز فيها لابن الأشعث إلا في آخر وقعة كانت عليه فانهزم إلى

(١) البلاذري، الساسك للأشعث ١٦/١٧٨٧ ب ١٩٨٨.

(٢) الطبري، تاريخ ٢١٨/٦.

(٣) السمر الرقيق، السهل.

(٤) الطبري، تاريخ ٣٩٤/٦.

ممكن ولمحتة قوات الحجاج إلا أنه شكى من الهرب إلى أثيوبيا حتى جاءت نهايته سنة ٨٢٣هـ.

وترجع أسباب هزيمة ابن الأشعث إلى مايلي:

عصبية تميم ضد اليمانية:

كانت تميم في مسيرة ابن الأشعث وعليها الأبرد بن قرة التميمي ، وكان هذا شجاعاً مقداماً لا يعرف الهزيمة ، إلا أنه في أحمر لقاء مع الحجاج تذاخت قوته وهزم ، فلما انهم تقوضت صفوف ابن الأشعث وركب الناس بعضهم بعضاً ، وإن صبح أن الأبرد لم ينهمر بل تطاهر بالهزيمة فإن ذلك كان ثاراً لقبيلته ولطرب بن حاجة الذي سجد ابن الأشعث ، واستهواه اليمانية بشميم حيث أن المهاجر لا تصلح لهم . وراد من غضب المصرية أن ابن الأشعث كان يعثر بحسه وسبه ، فعدته وحروجه على الحجاج تظهر أسبابها من قوله في دير الحجاجم : إلا أن بني مروان يعيروني بالزرقاء ، والله ما لهم نسب أصح منه إلا أن بني أبي العاص أصلاح من أهل صفورية ، فإن يكن هذا الأمر في قرش عسى فقتت بيعة قرش ، وإن يك في العرب فلأن ابن الأشعث بن قيس - ومد بها صوته حتى يسمعه الناس^(١)

ثم وجسود الجيش المنظم المنزب عند أهل الشام والقفوسى ضد أهل العراق وطبيعتهم حيث يهابون بحماس شديد عند بداية القتال ثم يستكينوا بعد ذلك . وقد وصفهم الحجاج أحسن وصف عندما قال : يا أهل العراق هل استخفكم ناكث ، أو استغواكم غاو ، أو استفزكم عاص ، أو استنصركم هائم ، أو استعصمكم حابع إلا اتبعتموه وأوتىتموه ونصرتموه فكذبتموه . يا أهل العراق كلما شغب شاعب أو نعب ناعب أو رفر كاذب إلا كنتم اتبعه وأنصره^(٢)

ومعركة دير الحجاج تصور الصراع بين الشام والعراق أكثر منه صراعاً بين القبائل والحجاج يقول : اللهم سلط عليهم (العراق) سيوف أهل الشام حتى يبلغوا رضاك^(٣)

(١) التميمي، تاريخ الإسلام ٢/٣٦٩.

(٢) الطبري، تاريخ ٦/٣٤٩.

(٣) التبريزي، نهاية الأرب ٧/٢١٦.

(٤) الصري، تاريخ ٦/٣٣٩.

ويستطاع من مصغده بن هبيرة الشيباني قدم من الري وتوجه إلى قتيبة بن مسلم حتى يستمديه إلى جانب الحجاج وأهل الشام فرفض ذلك وقال لئن أموت مع أهل العراق أحب إلي من أن أعيش مع أهل الشام^(١).

ومع هذا الصراع برزت بين القبائل. عهدا الحجاج بن جارية الخثعمي يقتل رجلاً من خثعم العراق وعنده يقول: أما أني سم أعرفه حتى وقع ولو عرفته ما بارزته، ما أحب أن يصاب من قومه مثله.

وعبدالله بن رزم الحارثي يهجر إلى رجل من قومه فيقول له: لا أحب أن أقتل من قومي مثلك ولكن انهمر لك فترجع إلى الحجاج وقد أحسنت عنده وحملك، وأما أنا فإني أحتمل مقالة الناس، وكان هذا شجاعاً لا ينهمر^(٢)

ويانتهى ثورة ابن الأخت زائل أمل العراق في استعادة الخلافة ويظهر به أيها بأنه غير قادر على حشد أهل الشام وليس أمامه إلا الخضوع، لاسيما وأن هناك قوة شامية رابضة في مدينة واسط، حيث أدرك الأمويون أنه ليس باستطاعتهم كبح جماح العراق ولا بوجود قوة شامية كبيرة إلى جانب وال يتمتع بالصلاحات الكافية. وجعلت مدينة واسط بسبب موقعها المتوسط وحصوية أرضها مركزاً لهذه القوة

على أن الصراع الحزبي بين الشام والعراق لم يذهب دون أن يترك أثره، وأهل العراق أصبحوا أعداء الشام وهذه العداوة كانت تصدوت قوة خلال الرمن لكنها كانت صديقة في النفوس.

لقد حذر الحجاج العراقيين عندما قال لهم: يا أهل العراق والدة لتقاتل من بلادكم وعن فيثكم أولاً بعثن إلى قوم هم أطوع وأسمع وأصبر على اللأواء والغيظ منكم فيقاتلون عدوكم ويكونون فيثكم^(٣) لقد أصبحت القوة الشامية اليوم تقاتل أهل العراق وتأكل فيثهم ومع أن هذه القوة أعادت العراق إلى حظيرة الدولة إلا أنها أثارها السلبية لم تظهر إلا في أواخر الدولة الأموية، وستكون أحد الأسباب التي دفعت أهل العراق للثورة على أهل الشام.

(١) المصدر السابق، ٢٥٩/٦.

(٢) المصدر السابق، ٣٦١/٨.

(٣) المصدر السابق، ٢٥٨/٦، ومقر ٢٥٩، ٢٦٦.

وإذا جاءت دير الجماجم بالعصبة الاقليمية ، فإن العصبة القبلية قد ظهرت بين المضربة واليمانية ، وهذه العصبة أثرت على مستقبل العلاقات بين القبائل والوالي وخاصة آل المهذب . لقد بعث يزيد بن المهلب العصبة القبلية في قضية الأسرى الذين وقعوا تحت قبضة المهلب في حراسان .

فقد رفض المهلب في بداية حركة ابن الأشعث أن ينضم إلى صفوفه ، ولما قبض ابنه يريد على الأسرى أراد إرسالهم جميعاً إلى الحجاج . غير أن أخاه حبيب بن المهلب ذكره بالأسرى اليمانيين وقال له : بأي وجه تنظر إلى اليمانية وقد بعث عبد الرحمن بن ملجم . فقال يزيد إنه الحجاج ولا يشعر به . فقد حبيب ووطن نفسك على العزل ولا ترسل به^(١) . وها صمم يريد على إرسال الأسرى المصرية وإطلاق سراح اليمانية^(٢) وبينما كان الحجاج يقتل الأسرى المصرية قال له الهلثام بن عيم : لعنك الله يا حجاج إن فأتك هذا البري وفي قول آخر : جرى الله ابن المهلب بما صنع . فقال الحجاج ما صنع فقال^(٣) .

لأنه كساح في إطلاق أسيريه وقبضه بحرك في أسلانه مسطر

وقبضه بكسرك به شوقه كسركه وكسرك كسركه أدنى عنه عطر^(٤)

فأطرق الحجاج ووقرت في قلبه غير أنه لم يظهر ذلك وقال لهلثام : وما أمت وذاك فقتله . صم نزل الكلمة في نفس الحجاج حتى عزل يزيد من حراسان ، وولاها قتيبة بن مسلم^(٥) .

لقد صم الحجاج بجام خصبه على رجالات حضر والوالي الذين انضموا إلى حركة ابن الأشعث . فعندما أحضر محمد بن سعد بن أبي وقاص قال له : يا ظل الشيطان أعظم الناس فيها وكبراً تأبى بيعة يزيد بن معاوية وتشبه بالحسين وبأبي عمر ثم صرت مؤدباً لأبن كباراً عبد من بني نصر (يعني عمر بن أبي الصلت) . وقال لعمر بن موسى طرهرى : يا عبد المرأة يقوم بالعمود على رأسك ابن الخائف وتشرب معه في الحمام^(٦)

(١) ابن الأثير، الكامل ٨٩/٤ .

(٢) ابن خلدون، تاريخ ٢٨٤ .

(٣) ابن خلدون، تاريخ ٢٨٤ . طبري، تاريخ ٢٩٥/٦ ، ابن الأثير، الكامل ٩ / ٤ .

(٤) الطبري، تاريخ ٣٩٥/٦ .

(٥) ابن الأثير، الكامل ٨٩/٤ .

وقال ليهلغام لشميمي: جعل ابن الأشعث حبيب ما طلب، ما الذي أملت أنت معه؟ فقال له: أملت أن يملك فيولبي كما ولاك فأمر الحجاج بصرب صقه^(١)

وبالنسبة لشمسوتي أحضر له سعيد بن جبير فقال له: قدمت الكوفة وما يؤم بها إلا عربي فجعلتك إماماً، ووليتك القضاء فضج الناس وقالوا لا يصلح للقضاء ولا عربي فاستفسيت أب بردة بن أبي موسى وأمرته ألا يقطع أمراً دوت وجعلت في سماري وكلهم من رؤوس العرب وأعطيت مائة ألف درهم تفرقهم في أهل الحاجة^(٢)

أب عمرو بن الحصين فقال له: ما أخرجت حبيب مع هؤلاء فوالله ما لحمت من لحمتهم ولا دمت من دمهم^(٣).

وسنة الحجاج على هؤلاء المصرية والموالي لأنهم شاركوا ابن الأشعث في ثورته

وفي هذا العهد امتدت العصية إلى الخوارج فشبب بن يزيد الشيباني أي أن يقاتل محمد بن موسى بن طلحة لا شيء إلا لأنه جاره وعندما أصر محمد على قتله نزل إليه شبيب فقتله فكلمه أحد ما ضم من معسكره بحث به في أهله وأتى أصحابه واعتلوا لهم وقال: هو جاري بالكوفة، ولي أن أحب ما سمعت لأهل الكوفة^(٤) ولما رأى شبيب رايات ربيعة مع ابن الأشعث انتهج وقال: رايات طائفة نصرت الحق وطائفة نصرت الباطل واعتز أيضاً بشجاعة قبيصة بن واثق التميمي^(٥)

وامتدت العصية إلى داخل حرب الخوارج فقد أهدر شبيب على بني تميم بن شيبان فقتل عدداً منهم؛ فلم يخرج يدهي "مقاتل" فأغار على بني مره بن همام وهبط شبيب فأصاب منهم رجالاً فقال له شبيب: ما حملك على قتلهم بغير أمري فأجابه أصلحك الله: قتلت كفار قومي وقتلت كفار قومك^(٦)

وارداد عصابة الخوارج شدة على غريش في عهد عبد الملك، فلما خرج مطرف بن

(١) الطبري، تاريخ ٦/ ٢٨٠.

(٢) ابن قتيبة، المعارف ٤٤٦، لأوائل ١٧٨-١٧٩.

(٣) مجهول، تاريخ الحفلا ٢٩٢.

(٤) الطبري، تاريخ ٦/ ٢١٧-٢١٨.

(٥) المصدر السابق، ٦/ ٣٦٤.

(٦) المصدر السابق، ٦/ ٢٨١.

الغيرة يدعو للرضا من قرش وأن يكون الأمر شوري ، حاول أن يقتنع ، الخوارج بهذه الأفكار حتى تتبعهم العرب فقالوا له إن أهل الحق لا يفصلهم عبد الله أن يقتلوا ، ولا يزيد الظالمين حيرا أن يكثروا ، وإن تركنا الحق لسي حرج له ودخولك فيما دعوت إليه من الشورى حطية وعجز ورخصة إلى نصر الظالمين ووه ، لأننا لا نرى أن قرشا أحق بهذا الأمر من غيرها من العرب^(١) .

وعندما وقعت امرأة مقاتل بن مسمع - ابنة المنذر بن الحارود - في أسر الخوارج ، أقامهم الخوارج تحت المردء العلني فتقدم رجل من ربيعة وكان من رؤوس الخوارج ففتنها وقال ما أرى هذه المشتركة إلا قد فتتكم وهرب من الخوارج ولحق البصرة فلما رآه آل المنذر قالوا ' والله ما ندري أنحمدك أم نلعنك . فكان يقول ما فعلته إلا صيرة وحية^(٢)

وبعد أن هدأت الحال في العراق انتفت الحجاج إلى إعادة الفتوحات ، فكان له في ذلك أثر كبير ، فقد أحسن اختيار القادة الذين تولوا هذه الفتوحات وهم محمد بن القاسم الثقفي ، وثيبة بن مسمع الباهلي . فالأول فتح السند وامتدت أصابعه إلى داخل الهند ولثاني كاد أن يصل إلى اليمن . وكان الحجاج يشرف على الفتوحات بنفسه فيضع خططا ويتبع أخبارها .

لقد أخضع الحجاج العرب لسي أمية إلا أن سياسته عادت على ، لأمويين في نهاية المطاف بالفسر وخاصة معاملته للعوالي الذين تآجج نار الحقد عندهم على بني أمية وبدلاً من أن يهربهم أصبحوا يميزون عن العرب عندما أحل يحتم على أذرعهم ويعرض عليهم الجزية ، فجعلهم بعيدين عن العرب كل البعد ، بل أصبحوا أعداء للبيت ، لأموي يحاربون مع كل حرج عليهم .

الحالة القبلية في عهد الوليد بن عبد الملك

كانت سنة ٨٣ نهاية الصراع في الأمصار الإسلامية ، وما أن تسلم الوليد الخلافة سنة ٨٦هـ حتى كانت الدولة الإسلامية تتمتع بالهدوء التام ، العراقي سكن وحضيح

(١) المصدر السابق ٢٨٨/٦ وسفر مروج الذهب ٢/٢٠٢ .

(٢) المصدر السابق ١٦٩/٦ .

فأشغله الحجاج بالعنوجات وأصلاح الأراضي ، فلم يجد باستطاعته أن ينهض بعد أن جرب حظه مرتين مع الحجاج ففشل ، إضافة إلى قوة الشام المرابط في مدينة واسط وهي مستعملة لضرب من حديد على كل حارج على الأمويين

وفي عهد الوليد أصبحت الدولة قيسية حمياً ودمياً ، فأخرج حجاج عن الشرق بكامله بسبعة أثني من قادة محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم الباهلي

والخجار عين عليها عمر بن عبد العزيز بعد أن هزل هشام للخرومي لأنه أسلم السيرة ، وجارلي الأحكام ومحام على آل الرسول ويستغل أن عزله كان لعدم رضا قريش به ، فما أن سمعوا بإفلاته حتى تعرض له رجل وشتمه . فجاء هشام إلى عمر وقال له . أمرك أمير المسلمين أن تهزم سمهاء قريش عرضي ؟ فقال عمر لاها والله ولكن أوصاني بك حبراً وهذا ابن عمك فمن شئت فاستقد وإن شئت فاعف فقال هشام أم والله ما أنا من الدورج^(١) المترحلة ، ولا من الروادف المستحقة ، ولا من الأكناف المنصفة وإن امرأة يتعرض لي من قريش وقد نطقت لي مثاليها صغيراً لأحمق^(٢).

وبقي عمر في الحجاز حتى اشتكى عليه الحجاج بأنه يأوي الهاربين من العراق فعزله الوليد وعين بدلاً منه عثمان بن حيان^(٣).

أما مصر فقد كان عليها قتل وفاة عبدملك ابنه عبدالله ، ولما تسلم الوليد عزله وعين عليها رجلاً من أخواه هو قرة بن شريك العبسي فخدمت قريش من هذا العزل وكتبوا إلى الوليد :

صحباً شاعجيت حين أنانا أن قد قسرت قسرة بن شريك

وعزيت القسرة المباركة عما ثم ليلته فبهه رأي أبك^(٤)

والظاهر أن قرة كان يتعصب للقيسية كثيراً حتى أنه طار رؤوس الأعمدة التي

(١) القيلة الدارجة التي شرفتها وام يبق لها حب.

(٢) الزبير ، نسب قريش ٢٤٩.

(٣) الطبري ، تاريخ ١/ ٤٨٢ .

(٤) الكندي ، الركا ٦٣ .

القيسية واليمانية في عهد سليمان بن عبد الملك:

خرج بعض الباحثين على تقسيم خلعاء بني أمية بالنسبة للعصب إلى قيسية ويمانية حسب حوزة كل منهم . فإن كانت أم أحدهم من القيسية تعصب لهم وإن كانت من اليمانية تعصب إلى هؤلاء .

فالوليد أنهم يجوزون للقيسية لأن أمه منهم ، وهذا التقسيم أوقع بعض الباحثين في خطأ فقالوا أن سليمان تعصب لليمانية لأن أمهم منهم^(١) والواقع أن سليمان هو شقيق للوليد وأم الاثنين هي ولادة بنت العباس بن جبره بن الحارث بن وهيب بن جديعة النعسي^(٢) وكما تربى الوليد عند أحواله فقد تربى سليمان كذلك فعصبية سليمان لليمانية لم تكن إذاً سبب الحوزة وإنما كانت دبعة من أسباب شخصية

لقد عصب سليمان سلطه على ولاه الوليد وولاه الحجاج لأن الوليد ومعه الحجاج كانوا يسعون لعزله عن الخلافة وتسليمها لعبد العزيز بن الوليد ومن هنا ظهرت انتقمة على هؤلاء الولاة

لقد بحث سليمان عن أعداء الحجاج فلم يجد أفضل من آل المهلب ، فأصدر أمره بعزل يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج عن العراق وعين بدلاً منه يزيد بن المهلب وقال له : إني قد سلطتك على آل الحجاج^(٣) .

وهذه الوصبة فتح جديد في سياسة الخلفاء تجاه الولاة ، وقد عصب عن ذهن سليمان أن سياسته هذه سوف تعمق العصية القبلية بين القيسية واليمانية ، وذلك أن أي اهانة تلحق برعيم قيس لا بد وأن تثير جميع القبائل القيسية . والأمراً تماماً إذا حدث بالتمسية لليمانية . لقد أوفر سليمان صدور القيسية عدداً سلط عليهم آل المهلب . وراى من حق القيسية أن سليمان عزل القائد المشهور محمد بن القاسم الثقفي صاحب الفتوحات في الهند والسند وسلمهم إلى صالح بن عبد الرحمن حتى يأخذ بثأره منه ومن رجال آل قبل الذين قتلوا أخاه آدم لأنه كان يرى رأي الخوارج^(٤)

(١) لظفر علي إبراهيم حسن للتاريخ الإسلامي ، عام ٢٠٩ .

(٢) سطر مطوية تاريخ ٤٨٨/٦ هـ ، عقد كريد ، ١٦١/٥ ، ابن حزم ، ج ٩١ - ٩٦ .

(٣) مجهول تاريخ الخلفاء ٤٢٨ .

(٤) المقتدر ، فتوح البلدان ، ٣٣٩ ، مطوية ، تاريخ ٥٠٦/٦ هـ .

ولم يبق بعد عزل مولى الحجاج وقتل محمد بن القاسم في شرق الدولة الإسلامية إلا قتبية بن مسلم. ويذكر الطبري أن قتبية هو الذي يادى سليمان في المعاد عندما بحث إليه ثلاثة كتب في الأول هناء بالخلافة وعراء بالوليد، وأنه على الطاعة. والثاني بين فيه موقعه من العجم وفتوحاته في شرق الدولة الإسلامية. الثالث أعلن فيه خلع سليمان بن عبد الملك. وأمر حامل كتبه أن يعطيه الرسالة الأولى فإذا عرضها سليمان على يزيد بن المهلب أن يعطيه الثانية والثالثة. فلبى عبد الرسول إلى قتبية وأخبره ما فعله سليمان أعلن أنه قد خلع سليمان كما ينبغي الحل^(١)

وأما أشك بصحة هذه الرواية، فكيف يسي قتبية عزله على إعطاء سليمان كتبه ليزيد؟ وهو قد رأى بعينه أن سليمان قد عزل محمد بن القاسم لثقتي وزيد بن أبي مسلم دون سابق إنذار.

ومما يضعف هذه الرواية ما يذكره الطبري، من أبي عبيدة معمر بن المثنى من أن سليمان لما عين يزيد بن المهلب على حرب العراق أمره أن أقدمت قيس بالبيعة أن قتبية لم يخلع، بل شرع يدا من مدعة أن يقبضه، وكيعاً به^(٢)، غير أن يزيد لم يحقق ذلك^(٣). ولو كان قتبية خلع سليمان بكتابه لما احتج سليمان أن يأمر ابن المهلب للتحقيق في هذه المهمة.

وي تقدم يمكن القول أن أهل خراسان قد ثاروا على قتبية، وأن سليمان بارك هذه الثورة، ورأى فيها خلاصاً من أحد أتباع الحجاج

لقد أحسن قتبية السياسة مع أهل خراسان فقسم العمى وأعطى العطاء في وقته غير أن العصبية صده كانت أقوى من جميع إصلاحاته وفتوحاته.

لقد استعنت قبائل خراسان عزل سليمان لولاة الحجاج عن العراق فأرادت أن يكون لها شأن في حرر قتبية. فجاءت هذه القبائل إلى الحضر بن المنذر وعرضوا عليه قيادتهم لمقاومة قتبية إلا أنه لم يقبل بذلك، وأعانهم على وكيع بن حسان التميمي لأنه أعرابي جلف تطيعه عشيرته من قيس، إضافة إلى أن وكيعاً عاضب على قتبية لأنه عزله

(١) الطبري، تاريخ ٧/٩

(٢) وكيع بن حسان التميمي

(٣) الطبري، تاريخ ٢٧/٩

عن رئاسة قيم وعين بدلاً منه رجلاً من بني صبة^(١) ثم أن قيساً تطلب فتية بدم بني الأحم الذين قتلهم^(٢).

والناظر في هذا التأمر القبلي يرى أن البعائية هي التي سمعت في هذه الفتنة، ومع أن المصادر لا تذكر القبائل التي جاءت إلى الحضير، إلا أنه من خلال تحليلات الوقائع يستتبع بأنهم من الأزد. فالأزد عددها قليل حتى ذلك الشريح في حرسان وهي لا تستطيع مغارة المضربة والفسية، لجاءت إلى حليفاتها ربيعة تستجدها فأحاطهم الحضير إلى غيم حتى يكتوبوا جبهة موحدة ضد الوالي الفيسي

لقد كانت خطة الحضير في منتهى البراعة، فعينا نجب وقوف مضر إلى جانب قيس، ثم إن مضراً لا ترضى أن تكون تحت قيادة ربيعة وهي تشكل ثلاثة أحماس أهل حراسان^(٣)

وبدلاً من أن يتوحد قتيبة إلى القبائل، نجده يعنفهم بخطبته، فقد وصف قيساً بأنهم أهل جور وفساد، وسميهم بني "ميم" وسمى أهل العالية "بالسافلة"، ويكره بن والثل أهل فيخ وكذب وحوه مسيئة، وهدد قيس لساناً وأصحابه مناجح. أما الأزد فقد بددوا السمن بأعنة الحليل وقال في آخر خطبته. قوا، لأعراب قلعة الله على الأعراب، يا كرامة الحضير (الكوفة والبصرة) جمعتمكم من منبت الشيخ وانقيصوم تركبون القفر والحمر، حتى إذا جمعتمكم كما يجمع قرع الحليف قلتم كيت وكيت انسبوني لجدودي عرفاني الأب والأم، عردي، لورد والهوى والرأي والدين، وحاول أن يثير العصبية الإقليمية بين حراسان وأهل الشام فقال إن الشام أب مبرور وأن العراق أب مكور، حتى متى ينطرح أهل الشام بأهبتكم وطلال دياركم^(٤)

وهكذا جاءت هذه الخطبة لتزيد من حقد القبائل عليه، وقد انتفذه على هذه الخطبة أقرب الناس إليه وهم أهل بيته فقالوا ما رأينا كتابوم قط، والله ما اقتصرنا على أهل العالية وهم شمعدك وذكرك، حتى تناولت بكرأ وهم أنصارك، ثم دم ترض بذلك حتى تناولت قيساً وهم آخرتك ثم لم ترض بذلك حتى تناولت الأزد وهم ينك

(١) البختري، فتوح البلدان ٥٢٢.

(٢) بختري، فتوح البلدان ٥٢١.

(٣) البختري، تاريخ ١١٥/٦.

(٤) انظر بعض الخطبة البختري، تاريخ ٥٠٩/٦-٥١٠، نيلغز، دليان واشيب، ٢٦٥/٢.

نقال : لما تكلمت فلم يجيني أحد فغيت^(١).

وهكذا انقضت جميع القبائل العربية عن قتيبة، ولم يبق معه إلا بعض الموالي تحت إمرة حسان النبطي. غير أن هذا عاد وتآمر مع الثائرين بعد أن وعدوه بخراج نهر بلخ. ولما نشب القتال بين الطرفين مال حسان ومن معه من العجم إلى القبائل، فبقي قتيبة وحيداً مما أدى إلى قتله. وقد تناقشت القبائل على حمل رأسه لتقديده وثيقة ولاء سليمان بن عبد الملك. وكاد هذا التنافس أن يثير النزاع بين الأزد وغيرهم فالرأس كان عند الأزد، ولما رأى وكيه ذلك أخذته الحمية وجاء إليهم وقال: والله لا أخرج حتى أوتي برأسي أو يذهب برأس مع قتيبة، فرفضت الأزد تسليم الرأس إلا بعد أن جاءهم المحضين بن المنذر وقال لهم: أحسنى أنتم بهنساء وأعطيتهن المفاضة وعرض نفسه ثم تأخذون الرأس، أخرجوه لعنه الله من رأس^(٢).

وبعد ذلك أراد سليمان أن يعين وكيماً على خرسان إلا أنه عدل عن ذلك بعد أن حذر من ثورته عليه، فعين يزيد بن المهلب الذي أخذ أصحاب قتيبة وأقرباءه فأذاقهم سوء العذاب بعد أن طالبهم بأموال طائفة^(٣).

وامتد حقد سليمان على موسى بن نصير فتذكر بعض الرويات أنه قدم على الوليد وهو على فراش المرض، فبعث إليه سليمان أن لا يستعجل في القدوم، إلا أن موسى اعتبر ذلك حياة الوليد، فجاء على الوليد قبل موته فنقم عليه سليمان فعذبه حتى مات^(٤).

أما صاحب أخبار مجموعة^(٥) فيذكر أن طارق بن زياد ومغيث شكوا موسى إلى سليمان، لا احترازه للأموال، فلما قدم على سليمان أنه بفعله بطريق ومغيث فاعتذر موسى عما بدر منه، إلا أن سليمان عزله عن عمله وعزموه أموالاً طائلة حتى أن ظمأ حتمت عنه سبعين ألفاً، ولم يشفع له إلا يزيد بن المهلب الذي أنقذه من سجن سليمان^(٦).

(١) الطبري، تاريخ ٥١١/٦.

(٢) لمصنف السابق، ٥١٨/٦.

(٣) البلقيني تاريخ ٤١/٣.

(٤) ابن قتيبة، الإمداد والسياسة ٦٩/٢ - ٧.

(٥) مجهول الخبر مجموعة ٢٩ - ٣٠.

(٦) ابن عبد الحكم، المحرق مصر ٢٦٣، محمد عبدالله عرن، نوبة السلام في الأندلس ٥٨/٦.

وبهذه الأعمال قضى سليمان على أكبر القادة العسكريين في دولته، فأهل المستند بكراً على محمد بن القاسم، ورجع بعضهم عن الإسلام فلم يعودوا إليه إلا بعد أن سمعوا بسيرة عمر بن عبد العزيز^(١)، وقتيبة الذي ليس يعرف في الإسلام أحد أعظم عدوه ولا أكثر فتوحاً منه، فكان قتله أصعافاً لجهة حراسن، داعيت من عصب القيسية، حيث أهداهم فجمع إلا عليه وعلى زمر من الحارث الكلابي^(٢).

لقد انتقم سليمان من الولاة تحت ستار إصلاح ما أفسده الخجاج من القتل والظلم والفساد وسجن الناس^(٣)، إلا أن هذا الإصلاح كان يستدعي أن يلاقي هؤلاء القادة مثل هذه المعاملة، لاسيما وأن الروايات التاريخية لا تحدثنا عن دسب أو ظلم ارتكبه هؤلاء القادة.

لقد أفسد سليمان بسياسته هذه أمر التوازن بين القبائل، وسوف تكون هذه السياسة أسلوباً لكن من سيأتي بعده من خلفاء باستثناء عمر بن عبد العزيز

إن السياسة التي اختطها معاوية ومن بعده عبد الملك تجاه القبائل، ذهبت إلى غير رجعة على يد سليمان وحسن محلها سياسة الأحلاف القبلية، وتزعم الخلفاء هذه الأحلاف والكتل

ومع تقريب سليمان لليمانية إلا أنه لم ينس قرشيته، فقد عزل خالد القسري عن مكة لأنه جلد رجلاً من قرش كان سليمان قد أمه، ولم يكتف بعزله بل أودعه بالسجن لولا أن تشفع له النضر بن زهلب فقال له سليمان لا طعت بك شر حم أبا عثمان؟ أن خالد حررتني خطاً. فأطلق سراحه على أن يأتي إلى الشام ماشياً على رجليه^(٤).

وما حجب سنة ٩٧ هـ فرس نقرش أربعة آلاف فرسبه، ولم يدخل فيها خلفاء وموالي قرش، فأجمع رأي مشيخة قرش أن يجعلوها خلفائهم ومواليهم، فلما رأى سليمان ذلك فرس لأربعة آلاف جدد^(٥). ومع اهتزازة بقرشيته إلا أنه عندما أحس بأن

(١) الباكديني، فتوح البلدان ٤٢٨-٤٢٩.

(٢) مجهول، تاريخ الخلفاء ٣٣٩.

(٣) مجهول، الميعين والعدنان ١٧.

(٤) ابن جبريه، العقد الجديد ١٦٤/٥-١٦٦.

(٥) ابن عوف، تاريخ ١٢/٢.

خطره يتهدده من أبي هشتم عبدالله بن محمد بن علي أرمس إلى قوم من لحم وخدام
لوصحوا له لبا مسموماً فمات^(١) كما أنه رفض تحوّل الخلافة إلى أحد بطون قريش
من تيم وعدي وهشم^(٢)، وولي عمر بن عبدالعزير، وجعل يريد بن عبداللث ولياً
للعهد، خوفاً من ثورة أبناء عبداللث على عمر^(٣).

موقف عمر بن عبدالعزير من العصبية القبلية:

كاد اختيار سليمان لعمر خليفة للمسلمين أن يحدث انقساماً في البيت الأموي
فهشام لما علم نبأ عمر قال والله لا أبيع، كما أن عبدالعزير بن الوليد أحد أنبيئة
لنفسه إلا أن حرم وجاء بن حيوة الكندي الذي عهد هشاماً بالقتل، وسمعة عمر بن
عبدالعزير جمعت هؤلاء يتراجعون ويبيعون لعمر^(٤)

لما تسلم عمر الخلافة، رأى أن الدولة قد ابتعدت عن النهج الراشدي، ونتج عن
ذلك صراعات داخلية مزقت الأمة شيعاً وأحزاباً، وهذه الشيع أحدثت تصارع فيما بينها
ردحاً طويلاً فأراد عمر أن يبي سياسة على مبادئ الحق والعدل والمساواة، حتى
يجمع حوله جميع فئات وأحزاب الأمة. وقد تم له ما أراد فاعتبر عهده عهد مصالحة
وتقريب بين جميع الفئات، فقد قامت سياسة عمر على أربعة أركان: الخليفة والوالي
والقاضي وحسب بيت المال^(٥)

أما بالنسبة للخليفة، فقد طبق على نفسه سياسة التفتش والرهف، فقبل خلافته
كان معصاً مرفهاً، ولما ولي الخلافة هزف عن كل ذلك والابتداء بالنفس من صفات
القياد الناجح حتى لا يجعل للتكلم أو معترض أن يتكلم أو يحترص.

وبعد نفسه التفت إلى بي أمية، فأنكر أعمالهم وسمها "المطالم"، ونتيجة ذلك
نارت ثائرتهم، إلا أن حرم الخليفة جعلهم يستكفون لقد كتب إلى أحد أبناء الوليد بن

(١) المصدر السابق، ٤٢/٢.

(٢) ابن قلبية، الإمامة والسياسة ١٢/٢.

(٣) الأزهري خلاصة الأعاب لمسيوكة ٦٩.

(٤) يعقوبي، تاريخ ١٦/٢، اسمعدي، موجع شعب، ١٩٢/٢، الأزهري، خلاصة لأعاب المسيوكة ١٩.

(٥) الطبري، تاريخ ٦٨/٦.

عبدالملك وملك وويل أيك ما أكثر طلابكما وخصماتكم يوم القيامة وويلك فإياه لو طالت بي حيلة، ورد الله الحق إلى أهله لفرغت بك ولأهل بيتك، فأفقتكم على الحجة البيضاء ففعلت تركتم بحق وروءكم. وما وراءه هذا ما أرحو أن يكون غير رأي رأيته، بيع رقيتك فود لكل مسلم منك سهماً في كتاب الله^(١).

وبعث إليهم أبصاً وأما هذا امل -مال الدولة- فحقتكم فيه كحق رجل بأقصى برك العماد، فلا يجمعه من أحله ولا بعد مكانه. والله إني لأرى أن الأمور لو استحالت حتى يصح لأهل الأرض يروى مثل رأيكم سرت بهم بالقة من عذاب الله. ^(٢) والنسب في ذلك أن الأموال التي كانت بين أيدي بني أمية أكثر من نصف أموال الدولة^(٣).

وبعد أن أعمد من شوكة بني أمية التفت إلى مختلف فئات الأمة -بغالبية للحوارج- تمكن عمر مهادتهم فكفوا عن الإدارة على مخالفتهم مما أفسح المجال لعمر أن يلتفت إلى الإصلاحات الداخلية وأن تخف الأعباء المالية التي كانت تثقل في سبيل قتال الحوارج، فعلى سبيل المثال كان الحجاج يعصص في بيت ماله شتمائة درع لقتال سافقي العراق^(٤).

وهادب الشيعة أبصاً عندما أبطل مس عبي، ولم يكتب بذلك بل رد حمس فذلك إليهم بعد أن أقطعها معاوية مروان. وياطر أبو جعفر محمد بن علي وتمكن إلى حد ما أن يقنعه حتى أن أبا جعفر لما سئل عنه قدس هو غير من كان قبله وفلان خير منه^(٥).

أما الخواري فقد وضع «جزية» خمس أسدس منهم فصاروا في الدخول إلى لا سلام. ولما رأى والي حراسان الجراح بن عبدالله الحكمي كثرة الدخولين في الاسلام بعث إلى عمر حتى يعتبرهم بالحقان. فكتب إليه عمر: أن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم داعياً ولم يبعث محاربا^(٦).

وأراد أن يضي في مساواة الخواري بالمغرب بعيداً، فاستدعى مكحولاً وولاه على

(١) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبدالعزیز، بيروت ١٣٦٧/١١٧

(٢) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد-عزیز نسخة المطبع النافذة ١١٥

(٣) النعائز وبتحف ٢٨

(٤) الأزدی، تاریخ الموصل ٥

(٥) ابن الأثیر، الكامل ١٤٨/٤

التقصد إلا أن هذا رخص وقال . لا يقضي بين الناس إلا ذو شرف وأنا مولى^(١).

ولحسن معاملته مع النواحي عاد عدد كبير من الذين ارتدوا عن الاسلام من أهل السند بعد مقتل محمد بن القاسم الثقفي إلى الاسلام.

واهتم عمر بأهل الذمة ، فاستمع إلى شكواهم وورع عليهم الأموال الفائضة وأسلف بعضهم حتى يتمكنوا من القيام بالأعمال الزراعية وغير مثال على حسن هذه المعاملة كتابه إلى عامله عدي بن أرطاة ' فطر أهل الذمة فادرق بهم ، وإذا كبير الرجل منهم وليس له مال فادرق عليه ، كما لو كان لك عبد فكبرت منه ، لم يكن لك بد من أن تتفق عليه حتى يموت^(٢).

وبالنسبة للنواحي والتحصين وصاحب بيت المال ، كان عمر لا يعين إلا صاحب دين وأمانه ، فقد عزل جميع الولاة التشيعيين بروح الحجاج ، ومع حرصه على احتيائهم الأفضل ، إلا أنه لم يترك للولاة المروءة حتى على العار ببل كانوا مسؤولين أمامه سياسياً بصحة الركن الأول في الدولة فقد منع الولاة أن يمارسوا أي عمل في ولايتهم^(٣) حتى لا يستعملوا الناس ، وينصرفوا عن الاهتمام بشؤون ولايتهم إلى شؤونهم الخاصة .

وبه عمر إلى دور العرفاء في الأمصار ، واشترط على ولايته أن يختاروهم من أهل الأمانة والورع فقد كتب إلى واليه عدي العرق ' إن العرفاء من عشائركم يمكن فائز عرفاء الجند فمن رغبتم أمانته لنا ولقومه فائزته ومن لم ترعاه فاستبدله بمن هو خير منه وأبلغ في الأمانة والورع^(٤).

أراد عمر من ولايته أن يكونوا رحماء بالناس فيضربوا السوط مكان السيف ، وحتى هذا السوط يجب ألا يستعمل إلا في إقامة الحدود . وما سمع أن الجراح من عبد الله الحكيم قد حين رجلاً اشتهر بالبطل على إحدى كور خراسان بحث إليه . ' لا

(١) ابن عبد ربه ، العقد الجديد ، ١٦/١

(٢) ابن عبد الحكم ، ميسرة عمر ٦٨ ، ترويض أهل الذمة في الاسلام ٢٦٧.

(٣) ابن عبد الحكم ، ميسرة عمر ٩٩

(٤) ابن سعد ، لطائف ٢٩٦/٥ ، بن الأثير ، الكامل ٥٥/٥ (بيروت)

حاجة لي برجل قد صبح يده بدماء المسلمين ، اهزله^(١).

وهذه السياسة اثبتت نجاحها التام وباعتراف يحيى العسائي عامل عمر على الموصل : لقد جاء الى الموصل ، والسرقة متفشية فيها فكذب الي عمر هل يأخذ الناس بالظنة ويضربهم على التهمة ، أم يأخذهم بدينه وما جرت عليه السنة ؟ فأجابه عمر لا بل بدينه وما جرت عليه السنة ، فان لم يصدقهم اخذ فلا أصلحهم الله ؛ ففعل يحيى ذلك فما خرج من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقدها سرقة ونقبا^(٢)

ولم يهمل عمر بن عبد العزيز في إصلاحته لدولة شأن العصبية القبلية- ذلك الداء الذي امتشر في جسم الدولة فحاربها بالوسائل التالية :

- عزز الولاة والمتعصبين : فقد جاء رجل من الموالي وقال لعمر : الجراح من عبد الله ، حكمني يقول : والله لرجل من قومي أحب لي من مائة من غيرهم . فبعث بكتاب عزله لأنه أظهر العصبية^(٣).

- وحتى يخفف من حدة النزاع بين القبسية واليمانية في الشام ، حاول ان يجمع قبائل قضاة والقيسية فقام لجماعة من كلب : ان عني منكم لغضاضة عفتكم حرب قوم لا يهتمون عن ايكم وأنتميتم الي غيره ، وكنتم أخوة قوم لأهمهم فصبوهم أنصركم ، حولهم لأبيهم وأهمهم^(٤) فسير ان قضاة لم تقنع بذلك ، وظلت مع اليمانية .

- رأى عمر أن إغداق الأموال على الشعراء يثير كوامن الحقد والبغضاء والعصبية القبلية بين القبائل فأرسل يوزن هؤلاء الشعراء ؛ فلم يسمح لهم بالدخول عليه ولما ألح جرير في الدخول عليه ومنحه أخطاه عمر أربعة دنانير من ماله الخاص ، فخرج جرير يقول لمن سألته من الشعراء :

جئتكم من عند الخليفة يعطي «فقراء ويمح الشعراء وأنا عنه راضي»^(٥)

(١) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز ٨٦

(٢) اسبوطي تاريخ لصفاء ٢٢٧-٢٢٨ (طبعة الدبي)

(٣) البغدادي، فتح بائدين ٢٤١، البغدادي، تاريخ ٥٩٠/٤

(٤) البغدادي، نسب الأشراف ١١٦/١.

(٥) ابن قتيبة، الامم والسياسة ٩٨/٢.

وحتى يشجع الشعراء على ترك هجاء الناس والقدح بأعراسهم كان يعطي بعض الشعراء ومنهم نصيب عندما ترك التشبيب بالنساء^(١).

ويظهر موقف عمر من المعصية القبلية من ثمة رسالة^(٢) التي وجهها إلى أحد عماله عندما جاءته أخبار فتنة قبلية في ولايته: .. فانظروا ما زجركم الله عنه في كتابه فاردجروا عنه. إن ما هاجمني على كتابي هذا أمر ذكر لي عن رجاء من أهل السادية، ورجال أمروا حديثاً، طهر حجبهم، قليل عثمهم بأمر الله. . . وذكر لي رجالاً من أولئك يتحاربون إلى أن حصروا في اليمن، يزعمون أنهم ولاية على من سواهم. . . فانتلهم الله أي منزلة زلوا، وعن أي مكان خرجوا وبأي أمر الصقوا ولكن قد عرفت أن الشقي بيته يشقى، وإن النار لم تخلق به إلا أو لم يسمعوا، قول الله في كتابه 'اللهم إني أعوذ بك من أن أكون من هؤلاء' . . . وقد ذكر لي مع ذلك إن رجالاً يتظاهرون في الحنف. وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحنف فقال: 'لا حنف في الإسلام' وما كان من حنف في إجمالية فلم يرد الإسلام إلا شدة^(٣) فكان يرجو أحد الفريقين حفظ حبله الفاجر الذي فيه معصية الله ومعصية رسوله وقد ترك الإسلام حين انقلب عنه.

وأن أخطر كل من سمع كتابي هذا، ومن بلغه أن يتخذ غير الإسلام حصصاً أو دون الله ودون رسوله، يؤمنين وليجة لمخيراً بعد تخدير، وأذكرهم تذكيراً بعد تذكير، وأشهد عليهم أنني هو أحد بناتية كل دابة. والذي هو أقرب إلى كل عيب من حبل الوريد. وحي لم أكنم بالذي كتبت به إليكم بصحفا مع أنني لو أعلم أحداً من الناس يحرك شيئاً لمؤخذ به أو ليدفع عنه، أحرص - والله استعان - على ذلك كائنات من كد' رجلاً أو عشيرة أو قبيلة أو أكثر من ذلك، فادع إلى نصيحتي وما تقدمت إليكم به، فإنه هو الرشد ليس له خفاء ثم ليكن أهل البر وأهل الإيمان عرباً بالستهم، وإن كثيراً من الناس لا يعلمون . . .

(١) لاسطيفاني الانساني ٣٥٨/٦ (الهيئة المصرية).

(٢) انظر نص الرسالة ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز ٢-١٠٩ عماد الدين خليلي.

(٣) ملحق الانقلاب في خلافة عمر بن عبد العزيز ٩٩-١٠٠. المصو ح. لاية ١٠.

AIMAD VR

مواقف يزيد بن عبد الملك من العصبية القبلية:

انتهت سياسة المصاحبة والتقريب بين القبائل والاحزاب بموت عمر بن عبد العزيز وظهرت بدلاً منها سياسة التحارب والعصبية القبلية ويأشدها كانت عليه وراثة من فداحة الأمر أن رجال الدولة منذ عهد يزيد قد انهطوا من مكانهم نسائي وأصبحوا كأنهم رؤساء احزاب بدل أن يكونوا رؤساء دول^(١) لقد أقحم الخلفاء أنفسهم في خصم أنزع القبلي، فمعدوية وعبد الملك من بعده كانوا يقعون من نقائل موقف الحيد، ووصحوا أنفسهم فوق الخصومات القبلية، لأن رأوا حظراً من جانب قريو احزاب الآخر، وبهذه السياسة حالطوا على المورثة بين القبائل

لكن الخلفاء الجدد لم يسيروا على هذه السياسة، بل اتحد كل منهم جانباً معيماً، وأندفع معهم ولاتهم يحملون هذه العصبية، وأصبحت الأمصار جميعاً متعززة على قيسية ومجانية، هذا جاء وال قيسي رلمعت القيسية رأسها، وان جاء يائتها حممت شركتهم وارتفعت شوكة اليمانية.

جاء يزيد بن عبد الملك، وسار على سياسة سليمان تجاه الولاة وتعصب للقيسية، فكانت عصبية هذه المسار الذي دق في بعش الخلافة الأموية لاسيماً وأنها جاءت بعد فترة هدأت فيها جميع فئات الدولة، فكانت العودة إلى ما قبل عمر بن عبد العزيز مشجعة جميع الفئات أن تتدمر وتشكو وتقود الدولة الأموية.

لقد أقحم يزيد نفسه في حضم الصراع القبلي فبدأ حكمه بأن ألغى كل ما اعتده عمر في الشؤون الادارية. لقد عزل جميع الولاة وألحقهم وطالبهم بالأموال الطائلة وعين بدلاً منهم ولاة أغلبهم من القبائل القيسية.

وكانت الأنصار أول من احتج على قريش بذلك فاعتما عزل أبو بكر محمد بن عمرو بن حرم عن المدينة وعين بدلاً منه عبد الرحمن بن الضحاك الصوري قال الأنصار: هذا شيء لا تملكه قريش للأنصار^(٢). ولم يكتف يزيد بعزله فحسب بل أمر واليه الجديده أن يهزب الأنصاري، فما بقي شهر منهم إلا وهجاء عبد الرحمن بن الضحاك^(٣)

(١) البوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ٦٥.

(٢) الأندلسي تاريخ الموصل ٦.

(٣) لطيفي، تاريخ ٦٠٤/٦-٦٠٥، ابن الأثير، الكامل ٨٩/٥.

وفي غراسان قام سعيد بن عبد العزيز «الأموي الملقب بـ«بغدي»» لأخذ جمال عمر وحسبهم، ودفع رجلاً من اليمانية ودفعهم إلى الربيع بن نسيط مولى بأهله حتى يملئهم في سجنه كما عرفت (نعم) قسمًا آخر منهم^(١).

أمد في مصر، فقد شجع الخليفة أمر العصية القبلية عندما وافق على «قتراح بشر بن صفوان بأن يجمع قضاة التي تفرقت بين القبائل في دعوة متفردة» فقد قام بشر فأخرج مهرة من كنده وتوخا من الأردن وآكل كعب بن عدي من قریش وجهيه من أهل الرأفة فجعلهم من سائر قضاة دعوة متفردة^(٢).

واستعمل يزيد على إفريقية يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج الذي عرله سليمان من قبل من العراق. وأراد هذا أن يسير بالربيع سيرة الحجاج في المشرق فعرص على من أسلم وردهم إلى قراهم فثاروا عليه وقتلوه، وودوا عليهم محمد بن يزيد مولى الأنصار ثم أرسل فيما بعد بشر بن صفوان لكتبي عليهم^(٣).

لقد أجمع الخليفة يزيد من نار العصية القبلية بين اليمانية والقيسية فجعلها تحرق في عظام الدولة الأموية حتى قضت عليها. كان يريد متروجا من ست أحيى «الحجاج»^(٤) ونتيجة ذلك أحس انضمامه إلى القيسية وجعلها تستأثر بالخلافة على حساب أهل اليمن^(٥). وزاد من سطوة اليمن ما لحق يزيد بن المهلب وأنه على أيدي يزيد الخليفة لقد كانت فتنة ابن المهلب من أكثر حركات قبلية أثر على تاريخ بني أمية صحيح به ظهر قبلها حركات مثل حركة ابن الأشعث إلا أنها لم تترك جرحاً عميقاً كجرح بني أمية كما تركته هذه الحركة. ولا أبالغ إذا قلت إن مثلاً هذه الفتنة من فتن ما هو إلا امتداد للأثار السيئة التي خلفتها هذه الحادثة.

كانت أسباب حركة ابن المهلب أسباب شخصية تطورت أبعادها فيما بعد لتتحول إلى عصبية قبلية بين القيسية واليمانية. فقد أودع ابن المهلب السجن زمن عمر بن عبد العزيز الذي طالبه بالأموال التي صرح بها سليمان بن عبد الملك، إلا أن هذا

(١) البلاذري انساب الأشراف ١/٦٦٢، ابن الأثير الكامل ٩/٥، عدي بن رجل إلى سهل متقدم

(٢) نكتدي- ٧١-٧

(٣) عيني- تاريخ ٣/٤٧

(٤) ابن الأثير- الكامل ١/١٦٦

(٥) عهد الخليفة، تاريخ المصممي ٢/٢٧٧

ورفض ذلك وقد أراد عمر أن ينعيه إلى جزيرة دهلث^(١) إلا أنه عثي من تخليص القبائل البيمانية له، فاكثفى بسجنه في دمشق^(٢).

ولما أحس يزيد بن المهلب بمرضى عمر هرب من السجن خوفاً على نفسه من الخليفة يزيد لأنه رفض شفاعته في آل أبي عقيل أصحاب يزيد. ووعيد يزيد له في ذلك الوقت حيث قال: أب والله لن وليت من الأمر شيئاً لأقطعن منك عضواً؛ فرد عليه ابن المهلب وأنا وألده لن كان ذلك لأرميت بمائة ألف سيف^(٣)

هرب يزيد من سجنه واتجه إلى العراق حيث هو منهم^(٤)، إضافة إلى كسب ربيعة حليفة ابنه إلى جانيه. وما أن عمدت القيسية بخروجه حتى أعدت تطارده، فانهلبن من رفر الكلاحي حاول أن يقطع الطريق عليه، إلا أن التقاتيل القبلية جعلته يتحلى عن ذلك، صدم دحل ابن المهلب مزل المهلب، وشرب من لبنه فتركه الهذيل بل وعرض عليه خيله^(٥).

وصل ابن المهلب إلى البصرة بالرغم من الاحتياطات التي اتخذها عدي بن أرهه وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن الخطاب والي البصرة والكوفة. فقد قيل إن المهلب بتر حبيب القبائل البيمانية هناك^(٦).

أما والي البصرة "عدي بن أرطاة" فقد سجن بعض آل المهلب، فأرسل إليه يزيد أن يصرح عنهم وأن يكتب إلى يزيد بن عبد الملك بطلب الأمان. إلا أن عدواً رفض ذلك. وهنا تحد ابن المهلب الخطرات العملية لمجدية عدي فبعث إلى الأزدي فجاءته مسرعة إلا أن حليفته ربيعة أبطأت عليه فعث إليهم ابن المهلب لو كن ندهوكم إلى مصيبة لكن يحب عليكم أن تحبوا وأنتم أسواتنا فكيف وأما ندهوكم إلى حق يحبس هذا الرجل إخواني بعير جرم^(٧) ولم سمعت ربيعة ذلك أحدثها حمية الأحلاف

(١) دهلث: جزيرة في بحر القيس شيلة حارة/مجم أهلان، عادة دهلث.

(٢) بطري: تاريخ ٥٥٧/٦-٥٥٨، ابن الأثير: كتاب ١٥٧/٤ بيروت.

(٣) ابن الأثير، الكامل ١٦١/٤ (بيروت).

(٤) المصدر السابق ٢٢/٤ (بيروت).

(٥) الأصفهاني، الألفاني ١٠٩/١٢.

(٦) ابن الأثير، الكامل ١٦١/٤.

(٧) مجهول العيون وأحداث ٥٢.

وعصبيتها فانجذبت إليه مما أدى إلى عظم أمره واشتداد شوكته^(١) وزاد من قوته أن بعض الفسرية وبنانية أهل الشام فرابطين في العراق قد انضموا إليه^(٢) وقد عرف ابن المهلب كيف يستعمل رجاله البصرة، فأعلق عليهم الأموال وأمر العرفاء أن يقرضوا فروضاً جديدة، كما أعطاهم قطع النقصة. وقابل ائلق ابن المهلب بالأموال جعل من عدي بن أرطاة، الذي لم يكن يعطي غير درهمين لأنه لا يحمل له الا اتفاق من بيت المال إلا بودن من يريد حسب رأيه^(٣)

واستفاد ابن مهلب من الأرد كثيراً وذلك لأن الأسواق وحرفها كانت بهم فاشترى الأسلحة وورعها على أصحابه^(٤)

التقى ابن المهلب بعدي بن أرطاة في جبهة بني يشكر، ومعه الأرد وبيعة وعدي معه مضر وأهل الشام. وفي هذا الحلف، هزم عدي عندما انسحبت بيعة من صفوفه وانضمت إلى ابن المهلب^(٥) إضافة إلى ذلك أن بن الشام وجد لم تخلص في قتالها، لاسيما وأنا رأينا أن بعضها قد انضم إلى ابن المهلب قبل بداية القتال

وقد جئنا العصبية لقليلة يمانية الكوفة فانهجوا بهذا الانتصار، وبعث محمد بن الأشعث رسالة شكر إلى يشكر بن حاتم بن سويد الذي انضم إلى ابن المهلب في قتاله لعدي بن أرطاة^(٦).

ودلعت العصبية القلبية أشد الأحزاب الإسلامية تطرفاً وهم الحوارج في الانضمام إلى ابن المهلب. لقد وقعت حوارج حُمد إلى جانبه عندما انضم السميذع الكندي إلى صفوفه فكانوا باستعماله على الأبله^(٧).

ولما انتصر ابن المهلب على عدي حطب في أهل البصرة وقال أيها الناس إنا هضبا لكم فطروا لأئمتكم رجلاً يحكم فيكم بالسوية ويعلم فيكم بالكتاب والسنة

(١) المسعودي، مروج الذهب ٢/٢١٠.

(٢) الطبري، تاريخ ٨/٥٨٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل ١/١٦٨ بيروت.

(٤) موهول، نعيون وتعتق ٥٢.

(٥) المصدر سابق ٥٥.

(٦) المصدر سابق ٥٦.

(٧) الطبري، تاريخ ٨/٥٨٢.

ويسير بهم مسيرة الخلفاء الراشدين^(١)

ولكن وقوف بعض العقيدة صدى ابن المهلب المضطرب من موقفه، فلما علم ابن سيرين أن بكر بن وائل قد أصابت الأزد قال: إذا كانت الأنصار بكر بن وائل فلذلك دين ناقص غير زائد^(٢).

والحسن البصري قال: يدعونا إلى سنة العبريين وكان يزيد بالأمر يضرب أعتاق هؤلاء الذين ترون ثم يرسلها إلى بني مروان يريد رضاءهم فلما غضب نصب قصباً ثم وضع عليها خرقاً ثم قال إني قد خالفتهم فحانفوني فقال هؤلاء نعم^(٣).

ولما قام يسطع الناس عن ابن المهلب جاء بعضهم وقال له: كائنك راض عن أهل الشام فقال أحسن قبح الله أهل الشام ويرحهم، أليسوا الذين أحلوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام وأباحوه أساطهم وأقباطهم لا يباحون عن سيئة ولا انتهاك حرمة ثم نصبوا المنحايق يرمون البيت^(٤).

وحسبنا أصبر أحسن على موقفه حاول أحد أتباع ابن المهلب قتله إلا أن يزيد معه وقال: والله لو فعلت لا نقلب من معنا علينا^(٥).

وبدأ استتب الأمر في البصرة بعث ابن المهلب أسرته ولأهله على بعض أجزاء شرق الدولة الإسلامية، فمحمد بن المهلب على فارس، ويزيد بن المهلب على عمان، ومدرّك بن المهلب إلى حرسان وقال: ما صار ابن أبي ذئب (يزيد) أحق بها منه^(٦).

غير أن ابن المهلب لم يثبت أقدامه في حرسان بسبب مقاومة قبيلة ليم، لقد منعت هذه دخول مدرّك حرسان وقد حاولت الأزد مساعدته إلا أنها رأته أن لا قوة لها بتحميم فقالوا للمدرّك: أنك أحب إلينا وقد خرج أحوك، فإن يظهر فوفاً ذلك لنا ونحن

(١) بصير وامتدح ٥٩

(٢) المصدر السابق ٥٦

(٣) ابن الأثير، الكامل ١٧٠/٤

(٤) بصير وامتدح ٥٩

(٥) ابن خلّكان، وفیات الأعيان ٤٠٨/٢

(٦) مجهول، بصير وامتدح ٦٥، أبو شهاب، لقب لعبد الملك بن مروان

أسرع الناس إليكم وأسلمه بذلك وأن تكن الأخرى فما لك في أن تمثينا ببلاد راحة^(١)

وكما استغل ابن المهلب العصيبة البعانية فقد استغل العصيبة الاقلية فآخذ يعرض أهل العراق ضد أهل الشام وأفتى بهم بأن جهاد الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم^(٢) ومن هنا أحد ببعثهم على كتاب لعه وسعة بيه صلى الله عليه وسلم وعلى ألا تفلأ الجنود بلادهم^(٣) وبهذا تطور النزاع إلى نزاع أهل العراق ضد أهل الشام بعد أن كان بين البعانية والقيسية

لقد خدع ابن المهلب بقوة واعتقد أن إمارة الشام مستصم إليه وفي هذا الصدد قد أن سعة من سيوف أهل الشام لي وسيعين علي^(٤) ومن هنا رفض اقتراح أخيه حبيب بأن يخرج إلى فارس ويمتصم بالشعاب والفقار، أو إلى الحريرة العراقية حتى يأتيه أرد امصيل وأهل الثغور والعراق^(٥). كتب رفض التحصن في واسط حتى تأتيه الامدادات من عمان والبحرين^(٦).

لقد أصبر ابن المهلب على مواجهة أهل الشام، وأمام تزايد قوته أرسل يريه الخليفة، مسلمة بن عبد الملك وانياً على العراق، وبعث إلى الكوفة بشكر أهلها وبنيهم ومدهم الزيادة في العطاء^(٧) حتى لا ينضموا إلى أهل البصرة.

التقى ابن المهلب بجيش مسلمة بن عبد الملك عند العفر^(٨) سنة ١٠٢ هـ وبه شعر ابن المهلب بالخذلان، فقال لوددت أن لي بهم من بحر اسنان بقومي^(٩) وأدرك أن سيوف الشام جميعها ضده فقال ولا تم يمتص قبه. أو يقاتلي بقومي من لا قوم له^(١٠). وأزاء ذلك لحقت به الهرجة ودفع حياته ثملاً لخروجه على سلطان الخليفة.

(١) ابن الأثير، الكامل ٧٥/٥

(٢) الأثير، تاريخ الموصل ٩، ابن الأثير، الكامل ٧٥/٥.

(٣) الطبري، تاريخ ٥٩٢/٦.

(٤) مصدر السابق ٥٩٥/٦.

(٥) الأثير، تاريخ الموصل ٩-١٠، مجهول، المعين والمعاقل ٦٩.

(٦) الطبري، تاريخ ٥٩٦/٦.

(٧) ابن الأثير، الكامل ٧٧٩/٤.

(٨) العفر، قرب بابل من تكلة.

(٩) ابن الأثير، الكامل ٧٧٢/٤.

(١٠) المعين والمعاقل ٧٣.

عبت العصبة المضربة دورها في هزيمته ، فقد كانت تقيم أول القبائل التي ولت منهزمة من بين صفوفه ، ويظهر ذلك من أن الأسرى من هذه القبيلة عذبوا عرلوا أنهم مقتولون لا محالة قالوا أبدأوا ب نحي انهزما بناس^(١) ويرجع عدم اخلاص تميم لما حدث لتعدي بن اربعة على يد ابن اذهب ، لقد هرب وجهاء إلى الكوفة نتيجة ما لحق بهم . إضافة إلى ذلك أن ربيعة لم تكن متحمسة لقتل مدحروج بن المهلب فكانت حيلها أول من انكشف هي ساحة القتال ولم ينزع ابن المهلب ما كان ينادي به على ربيعة . يا معشر ربيعة الكرا الكرة والله ما كنتم بكشف ولا نكاش ، ولا هذه بكم بعادة فلا يؤتى أهل العراق اليوم من قبلكم . أي ربيعة فذلكم نفسي اصبروا ساعة من بهار^(٢) .

وما تقدم يمكن القول أن الترابية كانت عاملاً مباشراً في هزيمة ابن المهلب بالرغم من أن اليمانية يدعون بأنهم لم يهزموا ولا من قبل إخوة بهم في الدم^(٣)

وظهرت العصبة عند آل المهلب لما أحسوا بالهزيمة فقد أسرع معاوية بن يزيد بن المهلب ضرب أصفاء الأسرى الذين كانوا يحورونه من مضر وربيعة وترك اليمانية منهم . فاعتقد البعض أنه سبهم فذكروهم بأحدهم فقال معاوية : د سبته ، ولكن لم أكن أفتنه وهو شيخ من قومي له شرف ومعروف وبيت عظيم ولست أتهمه في ود ولا أخاف عنته^(٤)

على الرغم انحصار مسلمة على ابن المهلب ، لا أنه لم يحسن التصرف معهم بل أمر ببيع دربتهم فاشترتهم اسراخ بن عبدالحكمي بمائة ألف حتى يبر يمين مسلمة وأعتقهم وهذه هي أول مرة تباع فيها دراري الحالفين . وما مثل بعض الأسرى أما يزيد أمر بقتلهم ، ورفض توصلات اليمانية في إطلاق سراحهم ، وقال : من كان له قبل أن اذهب دم فليقم^(٥) ، فأسرعت قبس لأخذ بأثرها منهم لقتلهم عدي بن أرحاة . وبهذا العمل نقل الخليفة الموقف من أمر سياسي إلى وقعة ثأرية بين القيسية واليمانية وأزاد هذا التصرف قام شعراء اليمانية يذكرون أمجاد آل المهلب وتضحياتهم وعلى رأس هؤلاء

(١) الطبري، تاريخ ٩٨/٦

(٢) المصدر لسابق ٩٨/٦

(٣) المصدر سابق ٩٨/٦

(٤) الأزدي، تاريخ لموصل ١٢

(٥) ابن حنبل، تاريخ ٣٢٤

كثير عره . ومن كثرة مدح هذا قال له يريد حركتك الرحم يا أبا صخر^(١)

لقد كن لقتل آل المهلب وقع كبير على اليمانية فهذا كثير الخراساني يقول : فتك والله بالكوم يوم فتك بأن المهلب . فتياك العرب وحرارة لأسب^(٢) ونلمس شدة وقع معركة انعقر أمها ربطت بوقعة كربلاء حتى قالوا : لقد ضحى نوا أمية باندلس يوم كربلاء وبالمرودة يوم القفر^(٣) .

ومما يزيد ديث أن الوالي القيسي عمر بن هيرة كتب إلى يريد بشأن الأسرى الذين بحوزته من آل المهلب وقال : ما هم لي بعشيرة وما أردت إلا النظر لأمير مؤمن في تألف عشائهم لتلا تفسد قلوبهم وعاداتهم^(٤)

ومع أن الوالي اخنيد أراد أن يتفرب إلى اليمانية بإطلاق سراح الأسرى اليمانية إلا أنه كان قسباً لحماً ودماً ، كما أظهر الاعتزاز بزعيم قيس الكوثر بن وهر الذي لو برق بين ألائه عشرون ألفاً لا يقولون لما دهوتنا ولا يسألونه . كما أعتز أيضاً بأن يكون هو بمسح خير قيس لقيس . وكف العذاب عن فارس قيس سعيد الخراساني لا شيء إلا لأنه من قيس^(٥)

كان قتل آل المهلب وتولية وان قيس سباً في ازدياد نفعة اليمانية على الدولة واعتبروا أن ما حدث ما هو إلا بمثابة حرب عبيهم وأن دولة بني أمية انقلبت حزباً يحكمهم باسم قيس^(٦)

وكما تعصب يريد للقيسية ، فقد تعصب لعبد مناف ، فعندما وصلته الأنباء أن عبد الرحمن بن الفضل القهري قد هدد فاطمة بنت الحسين على الزواج منه قال : من يسمعي صوتي في العذاب وأنا على فراشي فتطوع للأمير عبد الواحد بن عبد الله الطبري^(٧)

(١) النصفوني مروج الذهب ٢/٢١٦ .

(٢) الأتقي تاريخ جليل ١٦ ،

(٣) ابن قتيبة، حبيب الأخبار ٢/٢٧٣ .

(٤) الطبري تاريخ ٢/٥٥ .

(٥) الطبري، تاريخ ١٦/٦٧ .

(٦) قهون، انقلا حويية ٣١٢ .

(٧) لازمي، تاريخ جليل ١٧ .

والمواقع أن العمومى والتقلب في شخصية يزيد هو الذي أدى إلى تصرفاته هذه فقد أراد سديمان أن يحجر عليه عندما اشترى سلامة بأربعة آلاف دينار، ولما جاء عمر بن عبد العزيز أصبح يزيد من القريين إليه، حتى أن قريشاً عادت تعتقد أنه سيسير علي بهج عمر من ناحية التقوى غير أنه بعد أن تسلم الخلافة علب عليه حبه بلعصيات فقام عمر من بني أمية يساعدهم بعض رجالات قريش لخلعه من الخلافة إلا أنه كان أقوى منهم^(١)

ونتيجة فتنة بن المهلب والتشغال بالخليفة بدلائه، وهاجاة العصية القبلية تعرضت الدولة لهجمات الروم نذير ظهوره على الساحل المصري^(٢)، ولي الأندلس قتل، والسماح بن مملك الحولاني في مدينة تولوثة (تولوز) سنة ١٠٢ هـ، ٧٢١ م^(٣) ولي الشرق قام الترك بهجمات في بلاد ما وراء النهر، وجماعوا ضد الدولة الإسلامية كما حاولت الشعوب القوقازية الانتماض على الدولة أيضاً^(٤)

ولي اندخل اشتدت حركة الخوارج، إلا أن القبائل كانت تتدخل لمنع الرادها من متابعتهم مما خلف من هجماتهم على الدولة.

لقد انتهت حياة هذا الخليفة بحوران بقرعة أريد سنة ١٠٥ هـ بعد أن ترك جرحاً صيفاً في سياسته التدخلية عندما تزعم القيسية في صراحها ضد اليمانية.

العصية القبلية في عهد هشام بن عبد الملك

تولى هشام الخلافة واليمانية تعتقد أن إهانة صميعة قد لحقتها من بني أمية ومن القبائل القيسية يمانية عراقي اشتهرت هزيمة ابن المهلب، تصاراً للقيسية ولأهل الشام عليها، ورد من امتيائهم ما كان يظهره ابن هبيرة الفراري من عصية لقيس فلما تسلم هشام الخلافة كان عليه أن يعالج هذه الموقفت وأن يعيد التوازن القبلي

عزل هشام ابن هبيرة عن العراق وحاول البحث عن وان يحلو من العصية وغير

(١) ابن قتيبة الإمامة والمياسة ٣/٢ ١-١٠٤

(٢) القريين، القطط ٨٦٢.

(٣) المعسر السابق

(٤) بن حنابل ايبان والمغرب ٢/١٠٣-١٠٤.

فدعني أتكلم أنا ولا يقتلك هذه اليمانية فتغظيا يقتلك^(١).

ولسوء حظ الأمويين إن يزيد مات بعد ستة أشهر من خلافته وذلك سنة ١٢٦ هـ. زادت الفتن في الدولة بعدبيعة إبراهيم بن الوليد فتتحرك مروان من الحيرة وسارعت وجوه القيسية بالانضمام إليه ، وكان هذه القبائل قد شعرت بالثغامة عندما تركت الوليد بن يزيد يذهب ضحية القبائل اليمانية.

وما أن خرج مروان حتى أحدثت القيسية بشراً ومسروراً ابني الوليد بن عبد الملك وكانوا على قسرين فسلموهم إلى مروان الذي أمر بحبسهما^(٢).

اتجه مروان ومعه القيسية إلى مدينة حمص وكان عبد العزيز بن الحجاج يحاصرها لامتناعها عنبيعة إبراهيم بن الوليد ، فهرب عبد العزيز ، وخرج أهلها يبايعون لابني الوليد.

ولما رأى إبراهيم ذلك جمع جيشاً تحت قيادة سليمان بن هشام واتفق مروان في عين الجفر قرب حمص وقد رفض سليمان لأمن من مروان وبيعة لاهي الوليد وأصر على القتال

وفي عين الجفر أخذت القبائل تلتقي بعضها البعض وكان يمانية حمص أرادته أن تثار من مدينة دمشق . أما القبائل القيسية فقد وقعت تتعرج على ما يجري بينهما فدخلت هذه القبائل سبعة عشر ألف قتيل^(٣) وهرمت يمانية دمشق هزيمة مكروه^(٤) وبعد هزيمة سليمان في عين الجفر حاول إبراهيم أن يجمع جيشاً آخر إلا أن ما أصاب اليمانية هناك دفعهم إلى التخاذل عن الخروج^(٥) ، مما مهد السبيل أمام مروان كي يدخل دمشق في نزهة عسكرية .

ولما أحسست اليمانية بانتصار مروان أرسلوا إلى ابني الوليد ويوسف بن صمر فقتلوهم في السجن وردت القيسية على ذلك بأن قتلوا عبد العزيز بن الحجاج وقدموه

(١) العمري: تاريخ ١٧١/٧

(٢) ابن خلدون: تاريخ ٢٩١ الطبري: تاريخ ٢٠٠/٧

(٣) مجهول: العيون وبعديق ١٥٦.

(٤) الأزد: تاريخ الخوارج ٦١.

(٥) بن حبان: تاريخ ٢٩٢

هدية لأبي محمد السفياي الذي خرج من السجن لاستقبال مروان فسلم عليه بالخلالة وعزاه بـ «ابن الوليد»^(١).

وبهذا النصر السريع شعر مروان وكأن عهد النصر قد انتهى، فأرسل عماله إلى الأماصار وكان معظمهم من اليمانية لأنه أراد بذلك أن يكسب ودهم ثم اتجه إلى حران وهناك جاءه إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام فبهما.

واعتقد مروان أن الدنيا قد تمتحت أمامه فقام جعلاً دعا إليه الأمويين وقرش ورؤوس العرب ثم فيه «بيعة لابنه حبيب الله وعبد الله ورواجهم من امتي هشام ناكبناً لوحيد البيت الأموي» وتعرض بعد ذلك إلى كتب تدمر التي بقيت معلة «لنصيبان» إلا أن الأبرش الكلبي تمكن من القاع فقبلته بمنح أبوابها أمام الخليفة عباسي، مروان بعد أن هدم سورهم^(٢) فكى القتل المشتعل في جميع الأماصار وكان عليه أن يهيا نفسه لهذا النصر العظيم فقد شبت القتل في غراسد ودمشق والشام والجزيرة العربية والأندلس وكان ما إن انتهى من أمر الأماصار ظهر أمر آخر حتى كان سقوط الدولة الأموية

الفتن في حراسان

لما قتل الوليد بن يزيد أخذ نصر بن سيار يقرب إليه اليمانية والبرية وبعث إلى منصور بن جهمور - أنه أهد قيساً لبرية، ولجسماً للأزد وبقيت كتابه ليس لها من يكافوها^(٣).

وبعد أن عزل منصور وجاء عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وإلى على العراق أبى على وإلى حراسان.

وفي هذا الوقت أصبحت حراسان أشبه شيء بجزيرة عرب ثانية، مع غارق هو أن جزيرة العرب الجديدة كانت في أرض الأعداء^(٤). وكانت الثورة في الشام هي التي

(١) الأندلس، تاريخ النصارى ٦٣

(٢) ابن الأثير، الكامل ١٣٢/٥ [بوقاق].

(٣) الطبري، تاريخ ٢٧٨/٧

(٤) فتنة الدولة بعبية ٣٩١

أجبت الثورة في حراسان وكأنها رد فعل من جانب اليمانية على طغيان قيس في أيام الوليد بن يزيد^(١).

قام أهل حراسان بعد ثورة دمشق يطالبون بأعطياتهم فسكت نصر عنهم في بادئ الأمر ولما تمادوا بذلك هددهم بالحرمات فاستعمل جديع بن علي الكرمانى هذا التهديد وقال لليمانية: الناس في شتة فإن رأيتم فنظروا لأنفسكم رجلاً. فقالوا: له أنت لنا^(٢)، فسلم الكرمانى زعامة القبائل اليمانية.

نقد كان الكرمانى من أشد الحاقدين على نصر لأنه من قيس أولاً ثم لعزله إياه عن رئاسة الأردن ثانياً ومن هنا خرج عليه كي يطلب بثأر آل المهلب^(٣). وما رأيت المصربة ذلك جاءت إلى نصر ومصحته أن يقتله أو يحبسها فقام بحبسها، إلا أن الورد تمكنت من إخراجها من السجن وهرب إلى القنطرة الحمص بيناب مرو الروذ. فخرج إليه نصر وهناك حطب في جيشه وأخذ يذم اليمانية منهم ولولا اعتذاره لهم لربما حدث ما لم يكن في الحسبان. ولم يحدث قتال بين الطرفين بل أمه نصر على أن يضمن قومه عدم مخالفتهم وإن تصرف على الإقامة الجبرية. خبر أن هذه الاتفاقيات لم تدم طويلاً، فقد خرج الكرمانى احتجاجاً على نصر الذي طعن بمصور بن جهمور، والصب حوله الف وحسمته من الأردن. ولما عادت المفاوضات بين الطرفين أرسل نصر إلى الكرمانى فذهب بن منيع فقل له: يا أبا علي نقد أجبت وأخاف أن يتعاقم الأمر فتتهلك جميعاً ونشمت بنا هذه الأعاجم^(٤). وقال عقيل بن معقل النخعي نصر بن سيار: إن هذه لعصبة قد تمادت يساً وبين هؤلاء القوم وقد شعثت عن جميع أعينك وعصب سلطانك، وطلب منه أن يقارب الكرمانى فيبعثه نصر إليه وفوضه بأعطائه ما يطلب. فلما جاء عقيل إلى الكرمانى قال له: ملك شيخ العرب وسيدنا بهذه الأرض فأبق عليها، وقد ثادت هذه العصبة يساً وبينكم وقد قتل ما ومكم ما لا يحصيه أحد، وقد أرسلني نصر إليك وجعل لك حكم نصبي على أبيه على أن ترجع إلى طاعته لتأمر على أعمه هذه النار المضطربة في حراسان.

(١) المصدر السابق ٤٥٧

(٢) مجهول تاريخ الغطاء ٤٦٣-٤٦٤.

(٣) الضبى، تاريخ ٢٨٧/٧

(٤) الضبى، تاريخ ٢٩٢/٧-٢٩٣.

كان جواب الكرماني ان يعتزل نصر الولاية، ويتولاه رجل من ربيعة. فقال عقيل هذا ما لا يرضى به لام م مروان بن محمد . ولكن الأمير نصر يجعل لك تولي من شئت وتعرف من شئت، وتذهب في هؤلاء السود ما شئت، وتزوج اليك وتزوج اليه . قال الكرماني كيف يتزوج ابي وليس لي بكمؤ . فقال عقيل أنتقول هذا لرجل له بيت كانه قال لكرماني . لو كان من مصاهرة كانه ما فعلت^(١).

وامام اصرار الكرماني على الفتن أحد نصر يتقرب الى الخوارج بن سريح حتى لا يقع بين مريين . وقد تمكن من كسبه فكان يجري عليه نصر خمسون درهما في اليوم وأطلق من كان في سجنه من أهله^(٢).

الا أن الخوارج عاد وخرج على نصر لاسيما بعد أن تمكن من جميع ثلاثة آلاف رجل^(٣) . فبحث اليه نصر بأن يريه ما وراء النهر وأن يعطيه ثلاثمائة الف، الا أن الخوارج لم يقبل بهذا وطالب ان يكون الأمر شوري، فلما رأى نصر ذلك أشار عليه ان يبدأ بالكرماني فدل قتله فهو في طاعته . واد لم يرغب في ذلك فترك الأمر اليه فان طفر به رأى رأيه^(٤).

وبعد أن فشل نصر في كسب الخوارج استعد لقتله، ولمكن من هزيمته فأعلن سلم بن اهوز التميمي السيف في قبيلته . فقال لأحمد: . . . والله لو كنت في بطني لشقت بطي حتى أفتلك، والله لا يقوم علينا مع اليمانية اكثر مما قمت به، وقال لآخرين: لا أبقي الله من استبقاكم وإن كنتم من قميم^(٥).

وبعد هزيمة الخوارج كتب الى كرماني حتى يوحد من موقعيهما ضد نصر من سيار فوالق الكرماني وهذا تغيرت الاحداث في خراسان

أما الكرماني فقد أراد أن يؤكد على الخلف الجاهلي بين ربيعة واليمن فأرسل الى عمر بن ابراهيم من ولد أبرهة بن الصباح مدح حمير ليعث اليه بنسبة من هذا الخلف،

(١) مجهول الاخير الطبراني ٣٣٩.

(٢) الطبري، تاريخ ٣٠٩/٧.

(٣) انصر السابق ٣١٠/٧.

(٤) النصر السابق ٣٣١/٧.

(٥) الطبري، تاريخ ٣٣٨/٧.

فبعث إليه عمر ذلك وهناك قرأه على ربيعة واليس^(١)

وتلقاين الخنفاء الخندد مع نصر ودام القتال بينهم ثلاثة أيام فهزمت المصيرية عندما
مادى رجل من أصحاب بكرماني بأن بصرا قد قتل، وإن الخارث بن سريع دخل سوق
مرو فقتل ذلك من حميد المصيرية فلووا الأديار وقد قتل في هذه المعركة تميم بن نصر بن
سيار^(٢)

وكان لاهرام المصيرية تأثير كبير على وضع الخارث بن سريع فقد أرسل الخارث
إلى نصر بصره أن البيمانية أخذت تعيره بهزيمة المصيرية كما أن بشر بن جرهمور الضبي
اعتزل عن الخارث في خمسة آلاف عندما رأى أن الكرماني يهدم دور المصيرية وينهب
أموالهم فتوجه الكرماني ومعه الخارث لقتال ابن جرهمور، إلا أن الخارث ندم على
حلفه مع بكرماني فصيح أن لا يتعجل الأمر في قتاله وأنه خارج ليردهم عنه. ولم
يحلص الخارث في نصيبته بل جعلته العصبية وخرج في عدة من موارس تميم إلى بشر
حتى يقاتل معه ولما عرفت المصيرية ذلك خرجت من صبروف الكرماني ولم يبق معه إلا
اثني من قيس رخصا أن يمدوا بالكرماني^(٣). وفي هذا انقضاء قتال الخارث بعد أن فرق
كلمة تميم وكان لاتحاد كلمتها في ذلك الوقت شأن في المحافظة على السيادة العربية^(٤).

وقد انتهج نصر بقتله وقال^(٥):

يا مدحج الدد على قوميه	بعدا ومحقا لك من هاتك
شؤمك أردى مضر كهها	وغض من قومك بالخبارك
عد كان الأرد وأشباهها	تعلمح في صمر ولا مالك
ولا بي سمعد إذا الحمو	كل طمسر لونه حسالك ^(٦)

وهكذا تمكنت البيمانية من إحراز النصر على مضر وأخرجها من مدينة مرو وقد

(١) الليثوي، الأخير الطول ٣٣٦

(٢) ابن الأثير، الكامل ١٣٩/٥ (بر١٧٧)

(٣) المصدر السابق ١٣٩/٥ يوافق

(٤) للهارثي، الفوعة العربية ٤٦٧-٤٦٢.

(٥) ابن الأثير، الكامل ٢٤٤/٤- الميمنية.

(٦) عمرو ماله وسعد بطون من تميم.

حاول نصر بن سيار أن يسترد المدينة عدة مرات، وبعد أن تمكن من دخولها حصراً الكرماني بذاتها وقد استمر القتال بينهما أكثر من حشرين شهراً ما أصبح للجناد لأيي مسلم لخراساني أن يث دعوته ويجمع حوذه الاتباع إلى أن أصبح يشكل قوة ثالثة هي خراسان، وظهر في ذلك قوة رابعة هي قوة الخوارج بقيادة شيان الصعير الخارجي

استغل أبو مسلم العصبية القبلية بين الطرفين المتنازعين أحسن استعمالاً فقد كان يأمر حامس كتبه أن يجعل طريقه على مصر فيكتب في الكتاب "ني رأيت أهل اليمن لا وفاء لهم ولا غير فيهم فلا تكفر بهم ولا تظمر اليهم فإني أرجو أن يرك الله ما تحب ولئن لا أدع لهم شعراً ولا ظفراً

وعندما ير رسوله على اليمن يكتب به مثل ذلك بحق المضربة وبهذه الوسيلة استطاع أن يكسب هوى الغريزيين^(١). وانتقل بعد ذلك إلى الكتلة إلى رعيه مصر نصر بن سيار وزعيم اليمانية الكرماني ويقول لهم "إن الأمام أو صابني بكم ولست أهدو رأيهم فيكم وهي الهدية وقف أبو مسلم إلى جانب اليمانية فاشتد ذلك على المضربة^(٢)

وبعد اتفاق أبي مسلم والكرماني بعث نصر إلى الكرماني يقول "وبحك لا تكفر هو الله بي لحائظ عليك وعلى أصحابك منه فادخل مرو نكتب كتاباً يسا بالصلح. فعال الكرماني إلى الصلح وقدم على نصر حتى يكتسوا بينهم وثيقة الصلح هذه إلا أن نصر وجه إليه ابن الحارث بن سريح في نحو من ثلاثمائة فارس لقطعه فمات ثاراً لأنه الذي قتله الكرماني وذكر انطوري أن نصراً صلبه ومعه سمكة وذلك احتشاراً لئلا يزد الدين كانوا يشتغلون بالزراعة^(٣)

وهكذا فشل اللقاء بين اليمانية والمضربة، بل دفعه على ابن الكرماني إلى أبي مسلم صراحة

أما نصر فبعد أن فشل مع اليمانية اتجه إلى شيان بن مسلمي الخارجي وطلب وقوفه إلى جانبه لقتال أبي مسلم ثم يعودان إلى سابق عهدهم وهم شيان أن يفعل، ألا أن أبي مسلم بعث إلى علي بن الكرماني يقول "إنك سوتور وقد قتل أبوك ونحن

(١) ابن الأثير، الكامل ٣٠٢/٤ (للشيرة).

(٢) المصدر السابق ١١٧/٥ (بولاقي).

(٣) انطوري، تاريخ ٣٧٦/٧

معهم أنت ليست على رأي شيبان وإنما تقاثل لأتارك ، فدخل ابن الكرماني على شيبان
وثنأه عن رأيه فأرسل نصر إلى شيبان يقول له . إنك لمعزور ، والله ليعتاقن هذا الأمر
حتى يستصغر في جمبه كل كبيرة وقال يخاطب ربيعة .

أبلغ بهجة في مسرو وفي من إن المضجوا قبل أن لا يذبح الغضب
ما بالكم تشبهون الحرب بهكم كسل أهل نفسي عن إليكم شجب
ولتكنون معاً قلة أحاط بكم من تلشب لا دين ولا عيب^(١)

بعد أن استولى أبو مسلم على هراة أيقض حرب خراسان فداخلة والخطورة فجاء
محمد بن يعقوب الشيباني إلى ابن الكرماني وشيخان الصعير وقال لهما . اختاروا إما أنكم
تهلكون أنتم قبل مصر أو مصر قبلكم . قالوا ، وكيف ذلك ؟ قال أن هذا لرجل إن أظهر
أمره مد شهر وقد صار في عسكره مئ عسكركم قالوا ، فما الرأي

قال صالحو ، نصر وأنكم إن صالحتموه قاتلوا مصر وتركوكم لأن الأمر في مصر
وإن لم تصالحوا نصر صالحوه وقاتلوكم فقدموا مصر قبلكم ولو ساعة من نهار فنظر
أهينكم بقتلهم .

وهنا مال القوم إلى الموادة فوادم نصر ، الشيباني ، ولما علم أبو مسلم بذلك بعث
إلى شيبان يقول له . إنا نودعنا أشهر ، فوادمنا ثلاث أشهر ، وبعث ابن الكرماني إلى
أبي مسلم يقول . بي ما صالحت نصر أدي صالحه الشيباني ، وأنا لذلك كاره وأنا موتور
بقتله أبي ولا أدع قتاله ، فعاد القتال وطلب لخدمة شيبان إلا أن هذا أبي أن يفسد بنصر ،
فبعث ابن الكرماني إلى أبي مسلم فأقبل أبو مسلم نحو مرو إلا أنه لم يقم سوى يومين
ثم رجع إلى مكره في الماخوان ، وربما أن حوفة أبي مسلم كانت بسبب حوفة من
اجتماع الفرسية والبيمانية عليه ، ولما رأى ابن الكرماني أنه أصبح وحيداً وافق على
الموادة مع نصر ، فلما علم أبو مسلم بذلك عظم عليه الأمر^(٢) .

وإذا نظراً بدقة إلى ما حدث بين الفاتك في خراسان نرى أنه لم يكن هناك موادة
حقيقية بل خدمة مؤقتة بين هذه القوى المتصارعة ، وحتى هذه الهدنة كانت عابرة ذلك
لأن العصاة كانت تهيجه بين نصر والكرماني ولكن الجنوا السياسي تطلب ذلك ،

(١) ابن الأثير الكامل ١٤٨/٥ (بوالق)

(٢) ابن الأثير الكامل ١٤٨/٥ (بوالق)

وظهرت آثاره على أبي مسلم الذي أطلق لعنان نفسه مهاجماً بصراً وشيخان الصغير مهنداً يقتلهما . وشدة هون الصدمة التقطد كبير الدهاة سليمان بن كثير الخواري نصرقات أبي مسلم التي أصبحت للجال للتقارب بين شيخان وبصر^(١).

لقد كانت دوافع ربيعة أن تضع مصر في فوهة اللدفع أمام أبي مسلم ، فكان القضاء على نصر هو هدفهم الأول . أما نصر فكان هدفه تجميع القوى ضد أبي مسلم . وبأن عدم الثقة لم تكن متوفرة لدى الأطراف المتنازعة ، علا يتوقع من هذه الهدنة أن تدوم طويلاً . فاستعمل أبو مسلم هذا التوتر احسن استفلال استطاع أن يفرق القبائل في خمر سان من بعضها البعض .

لقد أمر سليمان الخزازي أبا مسلم أن يكتب إلى ابن الكرماني يذكره بعوده للندوة نصر بن سيار وجاء في الرسالة ما يلي :

«إنك قد أعطيتني من نفسك ما تعلم ، وقد أمرنا بالجهاد وأنت وقومك أنصار الحق قديماً . حاتم أوتيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرهموه وقد أمرني صاحبني (أبراهيم الإمام) بأن استظهر بكم والقي أمرني وليكم . وقد نصبني نصر فأن أجهتي وعاقبتني على القبح بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرتك أميراً علي وعلى من أحببني وطلعت أمرك وقتلت عدوك وصارت لك سناد هذا الأمر وشرفه^(٢).

وما أن سمع ابن الكرماني بالإمارة حتى سأل نديه واستسهم لأبي مسلم فبعث إليه يقول : «قد أجبتك حيث عرضت علي أمرك وهذه يدي عن نفسي وعن قومي جميعاً ، ومرس إليك أحي ووجوه أصحابي وكاشف لك أمرني في ذلك ولا بد لنا من تفرق بشيخان حتى نجمع لنا أمرنا ما نريد منه^(٣)»

وقد بالغ الدهاة في احترام ابن الكرماني حين قدم عليهم . وهكذا نجح أبو مسلم في إشباع رغبة ابن الكرماني المتعطشة للسلطة والإمارة فلم يكن الوقت وقت منافسة على السلطة بل كان الهدف هو ضمان كسب أتباع ابن الكرماني إلى جانب الشيعة العباسية حيث لم يكن أتباع أبي مسلم يزيدون على أكثر من سبعة آلاف شخص سجلوا

(١) فاروق عمر، طبعة الدولة العثمانية ١٨٢٢.

(٢) مجهول المصدر النجاشي ١٤٨٨ . مخطوط . فاروق عمر . طبعة الدعوة النجاشي ١٨٤٢

(٣) مجهول . أخبار العباس ١٤٨٨ . طبعة الدعوة العباسية ١٨٤٤-١٨٤٥

مسة إلى قرأهم لا إلى قسائلهم ، وقد كتبت هذه خطوة بارعة من أبي مسلم لخصمان
وحدة الجند الخرمانية في كتنة واحدة بغض النظر عن كونهم ثمانية أو ربيعة أو مضرية أو
عجمية^(١).

ول رأى نصر ذلك حاول أن يتقرب إلى أبي مسلم ليقتب إلى جانب المضرية إلا أن
أبا مسلم وحتى يعقب من العصبية القبلية طلب أن يحضر إليه ولفاً من انضرية ولفاً من
اليمانية حتى يستمع إلى وجهة نظريهما ، وطلب من اتباعه أن يتحدروا إلى جانب
اليمانية وربيعة لأن السلطان في مضر ، وهم صناد مروان ، وقتلة يحيى بن زيد

قدم الولدان فقام سليمان بن كثير فاحتار علي بن الكرمانى فأبذنه باقي الشيعة ،
فهيضت مضر وعليها الدل والكتابة بيضاء عاد وقد ابن الكرمانى مسرورين
متصورين^(٢) وبهذه الخطة عزل اليمانية عن المضرية وبقي عليه شيبان الصغير ، فأعطاه
حق استيفاء الضرائب ما بين يسابور إلى هرة ، وازدادت قوة أبي مسلم عندما انسحب
شيبان إلى سرخس وذلك لأن شيبان كان يمثل عنصرأ قنقاً في المسرح السياسي ورعاً
ساهد نصر في نزاعه مع أبي مسلم^(٣)

وبعد أن رجع أبو مسلم الفارقة بين قوى خراسان أراد أن يصفي حساباه مع هذه
الفرق ، ورأى أن تكون الخطوة الأولى من القبائل نفسها ، أي أن تصفي اليمانية المضرية
ويبقى هو يراقب الوضع حتى يرى الوقت المناسب فيتدخل ليفرض نفسه عليهما فقد
دس أبو مسلم إلى بن الكرمانى حتى يشب الحرب مع نصر ، وبدأ القتال بينهما ، وبقي
أبو مسلم يراقب الوضع بالرغم من أن بن الكرمانى طلب منه مؤازرته في قتال نصر وقد
قال أبو مسلم لابن الكرمانى صراحة : أي لست آمن اجتماعكما على^(٤)

وحاول نصر أن يكسب أبا مسلم فبعث إليه يقول : أي معك وأنا أحق بك من ابن
الكرمانى وأنا أبهى بك لكن أبا مسلم وهو رجل العرص دم يتدخل إلا بعد أن انهكت
هذه القوى بعضهما بعضاً وكيف يشترك في القتال وهو يقول : اللهم امزع عليهما
الصبر واليزع صهما النصر^(٥).

(١) تاريخ عمر خبيبة الدعوة العباسية ١٨٥-١٨٦.

(٢) الطبري، تاريخ ٣٧٧-٣٧٨.

(٣) تاريخ عمر، خبيبة الدعوة العباسية ١٨٥.

(٤) مجهول، تاريخ نطفاء ٥٤٥.

(٥) الطبري، تاريخ ٨١/٢.

لقد جاء أبو مسلم إلى مرو بعد أن أبقن من النصر ومعه عشرة آلاف فغيرب وجوء الأوردونيم^(١). ودخل مرو دون أن يفتد رجلاً واحداً، وبعث إلى نصر حتى يأتيه إلا أن لاهر بن قريظ أحد أعضاء الوفد قرأ أمام نصر أن لئلا يأتروا بئ يقتلوك^(٢) ففعل نصر بئ الأمر واحتد على الوفد وهرب بئ سرخس^(٣) وبعد أن مضى أبو مسلم قوة نصر من سيار انجه إلى شيان نصغير بعث إليه يدعوهُ إلى طاعته غير أن هذا أحرص من ذلك بل طلب بيعة أبي مسلم له فأرسل أبو مسلم إليه إن لم تدحل في أمرنا فارتحل عن منزلك، فلم رأى شيان ذلك بعث إلى ابن الكرماني حتى يجده، إلا أن هذا أحرص عنه فانتقل شيان إلى سرخس وهناك اجتمعت عليه بكر من وائل فأرسل إليهم أبو مسلم ولفاً من الأوردن حتى ياتيح إلى أبي مسلم فلم يقبل شيان وسجن أعضاء الوفد^(٤)

وهذا رأى أبو مسلم لا بد من قتاله فأرسل عززم التميمي وبسام بن ابراهيم مولى بني ليث فاحتل على شيان متظاهرين بأنهما قداما من سرخس مجتازين إلى هراء ولا يربدان قتاله فلما وصل سرخس هاجما على شيان فقتل شيان وعامة أصحابه^(٥)، فأرسل بسام رأس شيان إلى أبي مسلم، إلا أن بساماً أقصى عن انقيادة بسبب كثرة القتل الذين سقطوا من بكر من وائل لأسباب قبلية. ولما علم نصر بسقوط سرخس جرح أشد الجرح وقال اليوم متحكم بشر على مروان. وذلك لأن أهل سرخس كانوا بدأ واحدة على الهاشمية^(٦).

وبعد نهاية شيان التفت أبو مسلم إلى ابن الكرماني، فقد حشني من ثورة الهيمانية عليه وخاصة بعد أن تمكن زياد بن عبد الرحمن القشيري في بلغ من تجميع مفر واليمن وبيعة ومن معهم من الأعاجم حوله إلا أن هذا فشل في حركته بسبب العصبية فقد ولوا عليهم مقاتل بن حيان الشطلي كرامة أن يكون القائد من الفرق الثلاثة^(٧).

(١) ابن حياط تاريخ ١١٢

(٢) سورة القصص، آية ٧

(٣) الطبري: تاريخ ٢٨٢/٧

(٤) المصدر سبق ٢٨٥-٢٨٦

(٥) ابن حياط تاريخ ١١٧، مجهول، حيار العباس ٦١٣، طبعة الدعوة العباسية ١٩٨

(٦) الطبري: الحجاب لأشراف ٩٦٢، طبعة الدعوة العباسية ١٩٨

(٧) الطبري: تاريخ ٢٨٧/٧

إلهادة إلى ذلك أن أبو مسلم قطع على نفسه وعداً لابن الكرمانى بأمره خراسان وهذا الوعد يشكل عقبة في طريق العباسيين خاصة وأن المهتمة التي جند إليها فقد انتهت فيها أبو مسلم يتخذ الخطوات للخلاص منه .

بدأ عمله بتعريض أبناء الكرمانى علي وعثمان فأرسل عثمان إلى بلخ وجاءت حرمته من قبل المضربة في ترمذ ليهيئ الدعاة حياته واغتالوه في هرة ، واغتبيل علي وهو في طريقه إلى بسامور .

وهكذا تخلص أبو مسلم من ابن الكرمانى الذي كان لا تقصمه إلى كلمة الدعاة أثر كبير في تعمير موارد القوى في خراسان .

ما تقدم روى أن أبو مسلم قد استند في حركته بخراسان على العصبة القبلية وهذا يتضح مع ما يذكره ابن قتيبة^(١) والطبري^(٢) من أن «هم الإمام قد لأبي مسلم عدداً بعثه إلى خراسان» انظر إلى هذا أخي من القيس فالرهم وأسكن بين أظهرهم فإن الله لا يتم هذه الأمر بهم إلا واتهم ربعة في أمرهم . وأما مصر فإنهم العدو القريب الدار ونكس من شككت فيه وإن استطعت ألا تبقي بخراسان من يتكلم العربية فافعل وأياماً فلام بلغ خمسة أشرار تبهمه فاقتل . ولا تغالب هذا الشيخ (سليمان بن كثير الخراساني) ولا تعصه وإذا أشكل عليك أمر فاكشف به مي .

والشك يحوم حول هذه الرواية فنتبوري^(٣) وكتاب «عيون والحقائق»^(٤) لا تذكر النص الذي يأمر بقتل العرب دون تمييز ولكن لمورد أن الأمر كان بقتل العرب الذين يوظفون إطاعة أبي مسلم أو المشكوك في ولائهم . ويؤيد ذلك ما جاء في أخبار العباس على لسان أبي مسلم : أمرني الإمام إن أتزل في أهل القيس وأتألف ربعة ولا أدع نصبي من صاحبي مضرب وحلر أكثرهم من التابع بني أمية وأجمع إلى المعجم^(٥) .

وقال أبو مسلم في مناسبة ثانية : لقد أمرنا الإمام باختصاص من القيس^(٦) .

(١) ابن قتيبة : إمامة ولسانية ١١٤/٢

(٢) الطبري ، تاريخ ٢٤٤/٧

(٣) نديمي ، لأخبار لطوا ٢٢٣-٢٢٤

(٤) مجهول : العربى وأبعدى ، ١٨٤

(٥) مجهول : أخبار العباس ١٢٨ ، طبعة الدعوة العباسية ١٩٩-١٧٠

(٦) مجهول : أخبار العباس ١٣٩

نهاية نصر بن سيار وتصفية السلطة الأموية في خراسان:

لقد أخذ نصر يستجد بالحلابة منذ أن خرج الكرماني عليه وبين كيف أنه شغل بهذه عن الخدمة العباسيين حتى تعاطف أمرهم وبيعهم مائتا ألف رجل من خراسان، وطلب من مروان أن يتنازل الأمر ويبحث إليه جتوداً حتى يتمكن من مجابهة أبي مسلم وضمن كتابة قصيدة شعرية معلنها.

أرى تحت الهباء وميض جسر
ويؤنسك أن يكون له ضمام^(١)

ولما وصل الكتاب إلى مروان لم يحرك ساكناً، والواقع أن مروان معذور من هذه الحاحية فقد كانت العراق في قبضة الخوارج وعبد الله بن معاوية، والطريق مقطوعة بين نصر وبين مقر لحكومة الأموية في الشام ولم يتغير الحال إلا في سنة ١٢٩ هـ وبعد أن خضعت العراق لمروان^(٢).

وبعد أن خرج نصر من مرو أرسل إلى مروان يقول له: كتبت إلى أمير المؤمنين ولم يبق مني شيئاً عسى هو أمير المؤمنين لا في رجائي ولا في مالي ولا في مكيدتي ولو كنت أمددني بألف فارس من الشام لاكتفيت بهم ولقطعت دبر لقوم الظالمين إني حين كتبت إلى أمير المؤمنين قد أخرجت من جميع سخطاني فأنا واقف على باب داري وإن لم تأتني مواد أمير المؤمنين ووكنتا إلى بن هيرة طردت من باب داري ثم لأرجع إليها إلى ملثى الخشر^(٣).

وما وصل كتابه إلى مروان بحث هذا إلى ابن هيرة كي يتسحب اثني عشر ألفاً وأن يولي عليهم رجلاً حارماً ويبحث بهم إلى نصر، فرد عليه ابن هيرة بأن ما معه من الحدود لا يفوق بهذا العدد وإن عرض لشام أفضل من عرض العراق لأن عرب العراق ليست لهم نصيحة للحلابة من بني أمية وفي قلوبهم أحس^(٤) وقد تأخرت التعدادات أراد نصر أن يسوي الأمر نفسه، إلا أن الانقسامات بين صفوف أتباعه جمعته لا يرى رأياً إلا تقدم

(١) البليوري أخبار الطوال ٣٩ - ٢١

(٢) قنديل، ليرة نربية ٤٦٣

(٣) مجهول أخبار الفلاس ٥٦ هـ

(٤) البليوري أخبار الطوال ٣٤٠

وطلب برسانة جديدة الاسراع في التجديدات^(١).

ويذكر مروان على «لقور بأمر ابن هبيرة لإرسال التجديدات، فأرسل نياته بن حنظلة الكلبي. وولشاهن بن ابن هبيرة ونصر بن ميار جعله يضع نصرأ تابعاً لنياته وها عضبت قهسية حراسان، وأجبرت نصر التوجه إلى جرجان وعدم الدخول في طاعة نياته مما أدى إلى هزيمة جيش الشام. إلا أن قهسية عطاقي قائد جيش المدعة واجه مقاومة من فرس جرجان فاضطر إلى إعادة الهجوم، وبعد أن احتل المدينة قتل منهم ثلاثين ألف رجل ودخل في ٣ ذي الحجة سنة ١٣٠ هـ^(٢).

أما نصر فقد لقي حتفه في قرية ساوه يوم ١٢ ربيع الأول سنة ١٣١ هـ. وفي نفس الوقت أهل المدعة الأمن لكل الدين هاووا بصرا. وكانت هذه حركة بارعة من قبل المدعة العباسيين رفعت من سمعتهم وشأنهم تجاه دهميات نصر بن سيار^(٣).

وبعد مقتل نيته جهر ابن هبيرة جيشاً بلغ تعدده خمسون ألفاً من أهل العراق وخراسان تحت قيادة هار بن صبار والتقى بجيش المدعة في جابلق قرب أصمهان وفي هذه المعركة كس الطرفان عنيها أمالاً كبيرة وقال أهل العراق: «أن ظفر بن صبار ثبت المثلث وإن ظفر قهسية تم الأمر لبني هاشم».

واستطاع قهسية أن يقتل ابن صبار وهزم لأمويين فاعتصم هؤلاء بالمدينة إلا أن قهسية تمكن من احتلال المدعة بعد أن مال إليه الحشد المسلمون فأمن أهل الشام وقتل ثلاثة آلاف من أهل خراسان عقاباً على تخديهم الدعوة العباسية^(٤).

وبعد هذه المعركة أصبحت قوات المدعة على أبواب العراق ولا بد فزوان من اتحاد التشاير لمقاومة هذا الجيش المتقدم من اشرق

لقد انتهى الوجود الأموي من خراسان ووقعت جميعها تحت قبضة أبي مسلم الذي حقق انتصارات على القبائل العربية مستغلاً ما كان بينها من عصبية، ذلك الداء الذي سحر في عظام العرب ولم يعارقه لحظة من حياتهم

(١) مجهول، أخبار النعمان ١٥٣، ص ١٥٣.

(٢) مجهول، النعمان والعتاق ١٩٣.

(٣) فاروق، مرجعية الدعوة العباسية ١٩٩.

(٤) مجهول، أخبار النعمان ١٧٢، ص ١٧٢.

(٥) فاروق، مرجعية الدعوة العباسية ٢٠٣.

لقد لعبت العصبية القبلية دوراً بارزاً في إجماع أبي مسلم وتمتعت كنمة العرب بالأرد وقعت موقف اسأوى للحكم الأموي منذ قتل ابن المهدي^(١) ولما حدثت العترة في الشام استعنت العرب به وهاضت تغالب بشأه فترغم هذه الحركة جديع بن علي الكرمانى فوقف موقف المعارض من نصر بن سيار، الذي لم يسلم من العصبية أيضاً

وهكذا تكاثفت العصبية البسمية والقيسية عن غير قصد في خدمة الحركة الحديثة في خراسان وهي الدعوة العباسية وما زاد من سوء الموقف ان العصبية قد انقسمت على نفسها علم نشق عبيها احارث من سريج، وعيثا حول نصر ان يستميله إلى جانبهم فتحد مع الكرمانى ضد الباغي^(٢) في خراسان، ولم يعض هذا إلى عصبية إلا بعد فوات الأوان فقتل على يد حبيبه الكرمانى

ومما ساعد الدهاة العباسيين في إحاطهم انهم استعدوا رجلا ضعيف السيمة والتدبير لا يصبر ما بين قدميه وهو علي، الكرمانى الذي أخذ يلهث وراء المطامع الشخصية إلى ان دارت عليه الدوائر.

الفتن في العراق

لم تدم سلعة منصور بن جمهور في العراق طويلاً، فقد عزله يزيد بن عبد الملك وحين بدلا منه عبدالله بن عمر بن عبد العزيز وفي هذه كادت ان تحدث فتنة بين جد الشام وجد العراق والسبب في ذلك ان ابن عمر قسم أعطيات على أهل الشام فقال أهل العراق أنقسم عليهم فيشأ وهم عدونا فقال لهم اني أردت ان أرد حبيكم فيشكم وعلمت انكم أحق به فأنزعي هؤلاء فانكروا علي. فخرج أهل الكوفة وتجمعوا فجاء إليهم رؤساء الشام يعتزرون ويسكرون ما نسب إليهم، وقدم عو شاء الناس يطالبون به فخرج عبدالله بن العباس الكندي نائب ابن عمر على الكوفة، إلا ان عمر بن العصبان القهقري تمكن من حق التزاع بينهم^(٣).

وبعد موت يزيد ووقع الفتن في الشام انحل إسماعيل القسري كتابا على الناس

(١) طهارة، النولة العربية ١٨٨.

(٢) بن خياط - تاريخ ٤ ٤

(٣) طهري - تاريخ ٢٨٤/٧

إبراهيم بن الوليد بولاية الكوفة ، والتف حوله ، البيهقي لا يثبت أن بعضه أمره
لا سيما بعد أن رفض عبدالله بن عمر أن يسلمه مقاتل ولا يتهنى عن كتابه وقال أي
أكره صفك الدعاء .^(١)

أما ابن عمر فقد أثار عليه ربيعة عندما أعطى المصرة وترك بعض رجالها
فعضت عليه واجتمعت لثمة فضت ولم يرجعوا إلا بعد أن جاء عاصم بن عمر وقال
بهم هذه يدي بكم فاحكموا فاستحيوا ورجعوا فكافأ ابن عمر رؤسائهم .^(٢)

ولما رأيت الشيعة ضعف ابن عمر جاءت إلى عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن
جعفر وعليه الدعوة بلدعوة إلى نفسه لأن بني هاشم أولي بالأمر من بني مروان . فاستهوت
هذه الدعوة ابن معاوية وأخذ يدعو إلى نفسه ففقت دعوته قبولاً عند البيهقي الهاربي
من الشام . ولما أفس قوة هي نفسه خرج علي ابن عمر فطرد عاصم بن عمر نأيه عن
الكوفة وانتقل إلى الحيرة لمواجهته هناك .

ولما التقى ابن عمرو ابن معاوية قام رجل من أهل الشام وطلب رجلاً من العراق
فخرج إليه رجل من بكر بن وائل فقال له الشامي : والله ما أريد قتلك ولكن أحببت أن
القي إليك حديث أخبرك أنه ليس معكم رجل من أهل اليمن إلا وقد كاتب ابن عمر
وكانت مصر وما أرى لكم به ربيعة كتاباً ولا رسولا وأما رجل من قيس فإن أردتم الكتاب
أبلغته ومن غداً بازاكم فاهم اليوم لا يقاتلوكم ولما عاد البكري إلى ابن معاوية
وأخبره بالأمر نصحه أن يتأكد من ذلك ، إلا أن هذا لم يستجب له ، وفي بداية القتال
تركته البيهقي والشمس إلى ابن عمر ولم يبق معه إلا مضر وربيعه . ولما رأيت مضر
ضعف موقفه تركته وبقية ربيعة وحدها حتى تمكنت من أخذ الأمان له^(٣)

ولما تولى مروان الخلافة أرسل إلى العراق النصر بن سميح الحرشي إلا أن ابن
معاوية رفض أن يسلم الأمر إليه ، فانقسمت قبائل العراق على بعضها ، القيسية وقتت
مع النصر ، والبيهقي مع ابن عمر وقوا مدة طويلة وهم يقتلون ، ولما أقبل الضحاك بن
قيس الشيباني سنة ١٢٧ هـ أرسل ابن عمر إلى النصر ليوحدا من جهودهما فوافق النصر
على ذلك ، إلا أن الانقسام كان طامراً بين الطرفين ، فالتصر يصلي بأصحابه وابن عمر

(١) بن الأثير - الكامل ١٣٠/٥ (بوقلاخ)

(٢) الطبري - تاريخ ٢٠٥/٧ ابن الأثير - الكامل ١٢١/٥ بوقلاخ

(٣) بن الأثير - الكامل ١٢١/٥ بوقلاخ

كذلك ، وهذا من سبب في هزيمتهم أمام الخوارج في الحجة فهربوا إلى واسط وهناك عاد القناد بينهم فتوجه إليهما الصحاك وحاصرهم مدة شهرين فقال منصور بن جمهور لابن عمر/ ما رأيت مثل هؤلاء فلم تعاربهم وتشعلهم عن مروان؟ وأعطهم الرضا واجعلهم بينك وبينه فانهم يرجعون عنا إليه ويوسعون شراؤنا فظفروا به كان ما أردت وكنت صدهم أمنا وإن ظفر بهم وأردت خلافة وقاتله قاتلته وأنت تستريح فقال بن عمر لا تعجل حتى ننظر ولم يترث منصور بل حق بهم وهذا مما جعل بن عمر يصدهم أيضا وهكذا كانت لطامع الشحوصية سببا في ميل ابن عمر نحو الخوارج وغروجه على مروان بن محمد

والأول مرة في تاريخ الخوارج لا يعملون السيف في خصومهم فقد أمر الصحاك جيشه بالابتعاد عن موكب ولا يجرحو أحدا، وأجن أهل الشام ثلاثة أيام، فمن دخل فيما دخلوا فيه فله ماله، ومن أحب أن يتوجه حيث شاء من الأرض فليتوجه أما ومن أتاهم الخوف بهم ومن شحص لم يعرضوا له^(١)

وبعد صلح ابن عمر مع الخوارج عيه الصحاك الشيباني على كسرك وميسان وكور وجله والأهواز ومارس وأخذ منه الكوفة وقد كان لهذا الصلح رنة كبيرة بين القبائل العربية لأميها وإن ابن عمر قد صلى حسب الصحاك، ولما كانت الصلاة مقدمة على السياسة فقد اهتمت بكر بن وائل هذه الحادثة بصرى كبير على قريش وعمر عن ذلك شاعرهم بقوله: ^(٢)

ألم تزل الله أنفهم سرهمته فصارت قريش حفيد بكر بن وائل

أما النضر بن سميد ومعه القيسية فقد تسلفوا من واسط قبل صلح ابن عمر والجهول إلى مروان في القادسية وفي طريقه تمكن من القضاء على ابن معجان حليفة الصحاك بن قيس الشيباني على الكوفة. ^(٣)

وفي سنة ١٢٨ هـ توجه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة واليا على العراق صار هذا حتى نزل هيت وبلغ خبر وصوله إلى بن عمران العائلي، أنقرشي نائب الصحاك توجه

(١) ابن خياط - تاريخ ٢٩٧

(٢) ابن خياط - تاريخ ٢٩٠ الأندلسي - تاريخ دمشق

(٣) ابن الأثير - الكامل ١٢١/٥ (١٠٧٢)

إليه منصور بن جمهور فسلك منصور طريق الأبار أما ابن هبيرة فقد أخذ طريق عين النمر مرجع منصور وانشقوا يخمر فالتقوا فهرم منصور وأصحابه وعادت قلوبهم إلى الكوفة، وها حرج النسي والتقى بابن هبيرة بالروحاء وتكن ابن هبيرة من هزمتهم كما هزم أيضا عبيد بن سوار التعلبي^(١) مما مكّن ابن هبيرة أن يدخل الكوفة ومنها توجه إلى واسط فسأله أهلها عن فتح أبيه فأخذ ابن عمر وأرسل إلى حوران حيث سجن مع إبراهيم بن محمد بن علي^(٢).

وبعد سقوط واسط توجه الضحاك إلى واسط وهذا ما كان يخشاه مروان لأن الجزيرة هي مركز حكمه وقاعدة القبائل القيسية فكتب مروان إلى ابنه عبدالله وكان عنى الجزيرة بأمره أن يترك نصيبين وهناك تمكن الضحاك من ضرب الحصار عليه ووصلت خيبه إلى الرقة وأخذت قوته تتعاظم بما انضم إليه من الهاربيين من مروان فرأى مروان أن لابد من السير إليه وحاصره بعد أن فرغ من أمر حمص، والتقى به عند النصيبين.

وفي اليوم الأول من القتال سقط الضحاك قتيلًا فخلعه الخبيري وتمكن هذا من الوصول إلى حبيصة مروان ون يجلس على سرير، إلا أن عبيد مروان تمكنوا من قتله^(٣). وبعد ذلك هزم مروان قائد الخوارج الجديد شيبان بن عبد العزيز البشكري فأنه إلى عمان وهناك قتله جندى بن مسعود الأردني فيما بعد^(٤).

وبذلك انتهت فتنة الضحاك التي أزره بها قبائل ربيعة كما أوردت الجعانية من قبل ابن الأشتب الكندي^(٥).

ومع هذا النصر الذي حققه مروان وفائده ابن هبيرة إلا أن أجزاء حبيصة من شرق الدولة الإسلامية لارالت خارجة عن سلطانه فكان عليه أن يصفى جميع هذه الحويوب وقد تمكن ابن هبيرة من ذلك فقصى على ابن معاوية باصطخر وعلى سيمان بن حبيب بالأهواز وشيخان الجوب الشيباني في شهرور، وبدأ يستعد لمواجهة الحطير القادم من الشرق.

(١) ابن خلدون - تاريخ ٢ - ٤ - ٤

(٢) المصدر السابق ٤

(٣) المصدر السابق ١٠٥

(٤) لبيدي - تاريخ ٢/٧

(٥) التعلبي - دول الإسلام ١/٦٧.

الفن القبلي في الجزيرة العربية:

قامت الفتن القبليّة في اليمامة بعد حروب يوسف بن عمرو إلى العراق . فقد ثار المهير بن سلمى بن هلال الدؤلبي على وائي اليمامة علي بن المهاجر وقال له . اترك لنا بلادنا وقد تمّ نه ما أراد . واصبح المهير امير ، على اليمامة فاستخلف عند موته عبدالله بن النعمان أحد بني قيس بن لعدة فاستعمل هذا المنذرت بن إدريس الحنمي على العليج وهي قرية من قرى عامر بن صعصعة ، وقين بني ليم . فاقتملت بنو عامر مع المنذرت فقتل منذرت وسمي هذا يوم العليج الأول . ولما علم عبدالله بن النعمان بما حدث جمع ألقا من بني حبيّة وغزا الفليح فانهزمت القيسية وسمي هذا يوم العليج الثاني . ود رأت قيس ذلك فجمعت بطون بني عقيل وقشير وجعدة ، ومير وأعارت على بني حبيّة فقتلوا كل من صادفوه منهم فسمي هذا يوم النشاش^(١) .

واستمرت المعصية حتى سقوط لدولة الأموية وخاصة في عهد المنذرت بن يزيد بن هبيرة الذي أرسله مرو ن على اليمامة وتمصه لقيس وعمره على الانقضاء من بني حبيّة^(٢)

على أن أكبر فتنة حدثت في الجزيرة العربية هي فتنة الأزدي . فقد قام هؤلاء باسم الخوارج وأخرجوا إبراھيم بن جبلة الكندي ووبرا عبدالله بن يحيى الكندي . ملقب بطيب الحق وذلك سنة ١٢٩ هـ^(٣) . وهناك اجتماع إليه الإباضية وحدث من أهل البصرة وباهجه أبو حمرة للشحر بن عوف الأزدي^(٤)

وبعد ان استولى طيب الحق على حضرموت انجبه إلى صنعاء وأخرج منها القاسم بن عمر الثقفي ثم وجه جيشا إلى مكة أحمدهم بقيادة بلج بن المنذرت الأزدي . والثاني بقيادة المختار . وصادف وصول الخوارج في موسم الحج فاجتمع الناس إلى عبدالله بن سليمان بن عبدالله لكنه كره القتال فأرسل عبدالله بن حسن بن حسين إلى الخوارج بعدم القتال حتى ينتهي المرسوم^(٥)

(١) ١- بن لاثور- الكامل ٢٩٨/٥ - ٣ (١٩٥٥)

(٢) المصدر السابق ٢٠٠/٥

(٣) المصدر السابق ١/٥ ٣

(٤) ابن حياطة تاريخ ٤٠٦

(٥) لأزدي- تاريخ الجوس ١٧٧

ولذا فإن ما نتج عن المعصية ليس فقط هو إسقاط الدولة الأموية فمحسب بن سكون
مب منها في وسعات الأمة الإسلامية بعد وتغلب الأماجم عليها
وفي الحتام

أسأل الله أن يلهيما التوفيق لما فيه خير أمثاله سمح محب
«وإن رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق».

صدق الله العظيمة

المصادر والمراجع

أ- القرآن الكريم

ب- المخطوطات:

- ١- ابن أحمد، صادم، الذين إبراهيم بن عبد القادر، التتبية على ما وجب من إخراج اليهود من جزيرة العرب، مكتبة الأورزانا - إيطاليا
- ٢- التباسي، جمال الدين أبو الحاج يوسف محمد بن إبراهيم الانتصاري
الإعلام بالمحروب الواقعة في صدر الإسلام، مخطوطة مصورة / جامعة الدول العربية
رقم ٦٥٤ ت
- ٣- البلاذري، أبو الحسن محمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ - ٨٩٢م)،
أ- أنساب الأشراف الجزء الثالث - مخطوطة مصورة - معهد الدراسات الإسلامية
العلماء - بغداد من مخطوطة المغرب رقم ٦٨،
ب- أنساب الأشراف، جزء الحادي عشر - مخطوطة مصورة - جامعة الدول العربية
رقم ٩١٧ ت.
- ٤- ابن بهرام، أبو القاسم حسين بن علي بن محمد بن يوسف بصر (ت ٤١٨هـ - أو
٤٢٨هـ) الأيمان بعلم الأنساب، مخطوطة مصورة / جامعة الدول العربية، رقم
٧٧ ت
- ٥- البعدادي، محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) أسماء اعتكافين من الأشراف في الجاهلية
والإسلام - مخطوطة مصورة - جامعة الدول العربية رقم ٣٥ ت (مطبوع)
- ٦- الشاذلي، رضى الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف (٨٧٧-٩٧١هـ)، الآثار الزهية في
مآثر ربيعة - مخطوطة مصورة - جامعة الدول العربية رقم ٢ ت
- ٧- الهبي، أبو الوليد العباس بن بكار، أخبار الولدين والوفات على معاوية - مخطوطة
مصورة / جامعة الدول العربية رقم ٨٧٦، ٨٨٧ ت
- ٨- ابن طاطا، محمد بن علي (٦٠٠-٧٠٩هـ) الأصيل في الأنساب مخطوطة مصورة
جامعة الدول العربية رقم ٤٢ ت
- ٩- ابن خلكان، شمس الدين محمد (ت ٩٥٢هـ) قيد الشريد في أخبار يزيد مخطوطة
مصورة جامعة الدول العربية، رقم ٧٥٨ ت.
- ١٠- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ) الأوائل، مخطوطة مصورة،
جامعة الدول العربية رقم ٣ ت (مطبوع).

- ١١- انشاري، محمد بن علي بن العتق (ت ٤٤١هـ) فضائل أبي بكر الصديق مخطوطة مصورة/ جامعة الدول العربية رقم ٣٦٢ ث.
- ١٢- الكندي أبو النضر هشام بن محمد بن النساب (ت ٢٠٤هـ)
 أ- جمهرة النسب أو النسب الكبير - مخطوطة مصورة/ جامعة الدول العربية رقم ١٩٩، ٢٠٤، ٢٠٨ ث
 ب- المثالب - مخطوطة مصورة - جامعة الدول العربية رقم ٤٠٤ ث
- ١٣- مؤلف مجهول العاصم بن الخنق واب علي في معاصر فسطاط، مخطوطة مصورة جامعة الدول العربية رقم ٣٥٤ ث
- ١٤- مؤلف مجهول أخبار العباس وولده - مخطوطة مصورة بمعهد الدراسات الإسلامية العليا - بغداد (مطبوع)
- ١٥- الهاروني أبو الحسن أحمد بن الحسين (ت ٤٢١هـ) بصرة المذهب الزيدية مخطوطة مصورة/ جامعة الدول العربية رقم ١٩٧ ث.

ج- المصادر والتراجم العربية والأجنبية المطبوعة والنقروعة:

- ١- إبراهيم، محمد أبو الفضل ورميله أعلام العرب في الجاهلية والإسلام. دار إحياء الكتاب العربي، ١٩٥١ م
- ٢- ابن أبي حديد، عمر الدين أبو حمزة عبد الحميد بن هبة، (ت ٦٥٥هـ-١٢٥٧م) شرح بهج البلاغة، بيروت
- ٣- الألبيني، شهاب الدين محمد بن أحمد "المستطرف في كل فن مستظرف" وبهامشه ثمرات الأوراق في المعاصرات لتقي الدين الحموي ويليها ديوان لابن حجة الحموي ولحمد بن إبراهيم الأحدث - القاهرة، ١٩٣٣ م
- ٤- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم المنظف بحر الدين (ت ١٣٦هـ-١٢٣٢م)
 أ- التكمال في التاريخ المطبعة الميرية ١٩٤٩، بيروت، ١٩٦٥، بولاق.
 ب- التباب في تهذيب النساب، القاهرة ١٣٥٧هـ
 ج- أسد الغابة في معرفة الصحابة القاهرة
- ٥- الأديبي، عبد الله حسن مسط قيتو (ت ٧١٧هـ) خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تحقيق مكي السيد جاسم، مكتبة الشبي بغداد.

- ٦- ابراهيم، وشيخ شتون حيلة محمد - تعريب على حسني الحريوطي دار المعارف القاهرة، ١٩٦٠م
- ٧- ارنولد، السير توماس
أ. الخلافة تعريب جميل على. البقعة العربية للتأليف والنشر.
ب- الدعوة إلى الإسلام. تعريب حسن، إبراهيم حسن ورميله. لهفة ١٩٧١م
- ٨- الأردني، محمد بن عبد الله، فتوح الشام، تحقيق عبد الله عامر القاهرة، سجل العرب ١٩٧٠م
- ٩- الأردني، سليمان بن الأشعث بن قيس مصنف سنن أبي داود. تعليق الشيخ أحمد سعد علي. ثيابي الحلبي (١٣٧١هـ-١٩٥٢م)
- ١٠- الأردني، الشيخ أبي زكريا يزيد بن محمد بن أبي أس بن القاسم (٣٣٤هـ-٩٤٥م) تاريخ بلوغل، تحقيق علي حبيب، لجنة أحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- ١١- الأردني، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (٢٠٤هـ-٨١٩م) أخبار مكة، الطبعة المجددة، مكة المكرمة ١٣٥٢هـ.
- ١٢- الأسد، ناصر الدين "مصادر الشعر الجاهلي"، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦م
- ١٣- ابن الأصبغ، هرام بن سمي: اسمه جبال تهامة وسكانها تحقيق عبد السلام هارون القاهرة، ١٣٧٣هـ.
- ١٤- الأصمعي، أبو الفرج علي بن الحسن بن محمد بن أحمد (ت ٣٥٦هـ).
أ- الأصبغ- عديدات دار الكتب بولاق- ساس- بيروت- تهنة، مصر.
ب- مقاصد الطالبين - النجف- المطبعة ١٣٥٣.
- ١٥- الأصمعي، أبو يعقوب أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ) دلائل النبوة، جيل آيد/ الركن ١٣٦٩هـ
- ١٦- الأصمعي، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ) تاريخ سى ملوك الأرض والأنبياء، مكتبة الحياة بيروت.
- ١٧- الأصمعي، عبد الملك بن قريش (ت ٢١٧هـ) تاريخ العرب قبل الإسلام، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - المعارف - بغداد ١٣٥٩هـ-١٩٥٩م
- ١٨- ابن عثم الكرمي أبو محمد أحمد (ت ٣١٤هـ-٩٢٦م) كتاب الفتح حين كعاد الله ١٩٦٨-١٩٧٠م.

- ١٩- الاقتصادي، سعيد/ أسواق العرب في الجاهلية والإسلام دار الفكر، دمشق، ١٩٦٠م
- ٢٠- الأتوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. دار الكتاب العربي المصري، ١٣٤٢هـ
- ٢١- الأمني، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت ٣٧٠هـ) المؤلفات والمختلف تحقيق عبدسنان أحمد الفرّاج، القاهرة، ١٣٨١هـ ١٩٦١م
- ٢٢- أمين، أحمد أ- صبح الإسلام، دار الكتاب العربي بيروت، ١٩٦٩
- ب- فجر الإسلام. دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٩م
- ٢٣- الأندلسي، محمد بن يحيى بن أبي بكر (ت ٧٤١هـ)، الشهيد وليان في فعل الشهيد عثمان بن محمد يوسف راهد، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤
- ٢٤- الأوني، أبي عبيدالكري، سمط اللآلئ، تحقيق عبدالعزيز المني لجة التأليف والنشر (١٣٢٤هـ- ١٩٥٦م)
- ٢٥- يارلوس، ف. تاريخ الحضارة الإسلامية، تعريب حمزة طاهر، دار المعارف، مصر
- ٢٦- بامات، حيدر مجالي الإسلام تعريب عادل وعشير القاهرة، ١٩٥٦م
- ٢٧- البحري، أبو عيادة الوليد بن حيد / الحماسة، دار الكتاب العربي بيروت، ١٩٦٧م
- ٢٨- البحاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ)
أ- صحيح البخاري- دار الشعب مصر.
ب- التاريخ الكبير، حيدر آهاف- الدكن ١٣٦١هـ.
- ٢٩- بروكلمان، كارل تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب بيه أمين فروس ورميله، دار العلم، بيروت، ١٩٦٥م
- ٣٠- البري، عبدالله خورشيد (دكتور) القبائل العربية في مصر في القرون الثلاث الأولى للهجرة، دار الكتاب العربي ١٩٦٧م.
- ٣١- ابن مشكور، أبو القاسم حنف بن عبدالمالك (١٦٤- ٥٧٨هـ) التصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وقلهاتهم القاهرة.
- ٣٢- البشاري، شمس الدين محمد بن محمد لبشاري ويعرف بالبلدسي (ت- ٣٧٥هـ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. لندن ١٩٦٧م
- ٣٣- ابعبادي، أبو جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ- ٨٥٩م)
- أ- لتعق في أخبار قرطش. تحقيق خورشيد احمد فائق حيدر آباد الدكن ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

- ب- البحر - تصحيح أولاده شيخو الكتب النجدي للطباعة والنشر بيروت.
- ج- مختلف القبائل وموتلمها، لشرة قرضائه مستغلق، غوي ١٨٥٠م وأعاد طبعه بالأولست مكتبة مكتبي بغداد
- ٣٤- البغدادي، عبدالقادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ) خزانة الأدب، بولاق ١٩٣٦م
- ٣٥- ابن بكار، الربيع (١٧٢ ٢٧٦هـ) جمهرة نسب قريش - تحقيق محمود محمد شاكر مكتبة دار المعروية مصر
- ٣٦- البكري أبو عبدالله عبدالله بن عبدالعزير. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة ١٩٤٥م.
- ٣٧- البغدادي، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ - ٨٩٢م)
- أ- فترج البلدان، مراجعة رصوان محمد رصوان، مكتبة التاجية مصر ١٩٥٩م
ومطبعة النهضة المصرية، مراجعة صلاح الدين افتد ١٩٥٦م.
- ب- أنساب الأشراف.
- الجزء الأول، تحقيق محمد حميد الله - دار المعارف مصر ١٩٥٩م
- الجزء الرابع، القسم الأول والثاني - القدس ١٩٣٨ وأعاد طبعه بالأولست مكتبة مكتبي بغداد
- الجزء الخامس القدس ١٩٣٨ وأعاد طبعه بالأولست - مكتبة مكتبي بغداد
- ٣٨- بلاشير وبجيش تاريخ الأدب العربي - المحصر الجاهلي - تصريب إبراهيم الكيلاني - دار المعارف مصر
- ٣٩- بلتاجي، محمد - صبح عمر بن الخطاب في التشيع، دار الفكر العربي ١٩٧٠م
- ٤٠- بلتاجي، ي. أ: العرب والإسلام والحفلة العربية، تصريب أنيس فريضة الدار المتحدة للنشر - بيروت، ١٩٧٣م
- ٤١- ترشون م. س. أهل نعمة في الإسلام تصريب حسن حبشي دار المعارف مصر ١٩٦٧م
- ٤٢- ابن تيري يردى، جمال الدين أبو الحسن يوسف (٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة دار الكتب المصرية، ١٢٤٨هـ ١٩٢٩م
- ٤٣- أبو ندم، حبيب بن أوس الطائي ديوان احسانة، مختصر من شرح التتري، حقق عليه محمد هيدلندم خطابي، القاهرة ١٩٥٩م.
- ٤٤- التوحيد، أبو حيان الإمتاع والمؤسة، صححه احمد أمين وأحمد نرين دار الحياة بيروت

- ٤٥- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد - لغة الألفه وسر العربية، الطبعة التجارية القاهرة.
- ٤٦- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (١٥٠-٢٧٥هـ).
- أ- العثمانية، تحقيق عبد السلام هارون، الخديجي، مصر ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥
- ب- البلدان، نشره مع مقدمه صالح أحمد علي (دكتور) في مجلة كلية الآداب، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٢م
- ج- رسالة في معاوية والأمويين، نشرها عزت الأعطاش وحسيني مكتب نشر الثقافة الإسلامية (١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م).
- د- فضائل الترك - الطبعة العمومية مصر ١٨٩٨.
- هـ- البلدان والتبيين، لاستقامة، القاهرة ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦
- و- إنتاج في أخلاق الفلوك تحقيق أحمد زكي، القاهرة، ١٣٢٢هـ- ١٩١٤م
- ٤٧- الجاسر، محمد - أ- في سرقة شامد وروان دار اليمامة، الرياض ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.
- ب- في شمال غرب الجزيرة دار اليمامة، الرياض ١٣٩٠- ١٩٧٠
- ٤٨- جب، هامبتون، دراسات في حضارة الإسلام، تعريب إسلام عباس وصلاح دتر المعلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤م.
- ٤٩- الجبوري، يحيى (دكتور)، الجاهلية، المعارف، بغداد، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م
- ٥٠- جروبسم، جوستاف أ. فون، حضارة الإسلام، تعريب عبد العزيز جابود، مكتبة مصر
- ٥١- الجزري، (مبارك محمد بن الأثير)، (ت- ٦٠٦هـ).
- جامع الاصول في أحاديث الرسول تحقيق محمد حامد المني، القاهرة، (١٩٤٩- ١٩٥٥).
- ٥٢- جلوب، جون باجوت - أ- امير بطورية العرب تعريب خيرى حماد بيروت ١٩٦٦م.
- ب- الفتوحات العربية الكبرى تعريب خيرى حماد، بيروت ١٩٦٦م.
- ٥٣- الجعشيري، أبو عبيد الله بن عبدوس (ت ٣٣١هـ)
- الوزراء والكتاب- الحلبي القاهرة ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م.
- ٥٤- ابن الجزري، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)
- أ- سيرة عمر بن الخطاب، على نبطه طاهر التسمان وزميله، الطبعة المصرية، الأزهر ١٩٣١م

- ب- ميرة عمر بن عبدالعزيز تحقيق محب الدين الخطيب المؤيد القاهرة، ١٣٣١هـ.
- ٥٥- ابن خزيمة، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن بكر الأزعي المعروف بابن الجوزية (ت- ٧٥١هـ) زاد المعاد في هدى خير العباد، مصر.
- ٥٦- جوري، بدلي، من تاريخ الحركات العسكرية في الإسلام، القدس، ١٩٢٨م.
- ٥٧- جولدستون، اجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، تترجم حسن عبدالقادر وزعلالة، دار الكتاب العربي- القاهرة، ١٩٤٦م.
- ٥٨- حتى، فيليب: أ- موجز تاريخ العرب، دار العلم بيروت، ١٩٥٤.
ب- تاريخ العرب المفلون، دار النكتاف للنشر والطباعة ١٩٦١م.
- ٥٩- ابن حرم، أبو محمد علي بن أحمد (ت- ٤٥٦هـ).
أ- جمرة أسبغ العرب تحقيق عبد السلام هارون، اعارف مصر ١٩٦٢.
ب- حجة الوداع، دار اللفظة بيروت ١٩٦٦.
ج- جوامع السير، دار اعارف مصر.
د- المحلى، الشريعة، مصر ١٣٥١.
- ٦٠- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفص أحمد بن علي (٨٥٢هـ): الإحصاء في
شهر الصعبة، نسخة مصورة بالأوفست عن النطبة، لصية الأولى ١٣٢٨ هـ وبهاشبه
الاستيعاب لابن عبد البر.
- ٦١- حسن إبراهيم حسن، أ- تاريخ الإسلام السياسي النهضة المصرية، ١٩٦٤.
- ٦٢- حسن علي حسن، التاريخ الاسلامي العام، النهضة المصرية ١٩٦٣.
- ب- النظم الإسلامية، ١٩٧٠.
- ٦٣- حسين، محمد محمد، نهجاء والتهجاؤون في صدر الاسلام، النطبة انموذجيه،
القاهرة.
- ٦٤- حسين، طه، الفتنة الكبرى، دار اعارف مصر.
- ٦٥- حسين، مولوي، من أ. ق- الإدارة المصرية، تترجم إبراهيم نعدوي القاهرة
١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م.
- ٦٦- الحصري، سامح، أ- دراسات عن مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العربي- بيروت،
١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

- ب- آراء وأحداث في القومية العربية، الأحمدة مصر، ١٩٥١.
- ٦٧- الخليلي، علي بن مرهان المين (١٠٤٤هـ- ١٦٣٤م) انسان، العيون في سيرة الأئمة للأمور الشهيرة، بالسيرة الحسية، مطبعة الحلب، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ٦٨- حمزة، غزاد. لقب الخيرة العربية المكتبة السلعية ١٩٣٣م
- ٦٩- حمودة، عبدالوهاب. نظرية الاسباب في الميزان، مجلة كلية الآداب، ١٤ أيار ١٩٥٢، القاهرة
- ٧٠- الحوفي، احمد محمد (دكتور):
- أ- أدب السياسة في العصر الأموي، القاهرة ١٩٦٥.
- ب- الحياة، لعربية من الشعر الجاهلي، بهضة مصر ١٩٦٢
- ٧١- الحويوطي، علي حسني: (دكتور).
- أ- العلاقات السياسية بين العرب واليهود في العصور القديمة. معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩.
- ب- العرب والحضارة، الأجلو المصرية، ١٩٦٦.
- ج- العراق في ظل حكم الأموي. دار المعارف، مصر، ١٩٥٩
- د- الدولة العربية، الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٠م
- ٧٢- ابن خردادبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبيد الله (ت حوالي ٣٠٠ هـ - ٩١٢) المسالك وللمعاليك، يند ١٩٦٧
- ٧٣- حليف، يوسف. الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، المعارف مصر، ١٩٦٦
- ٧٤- ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ)
- وفيات الأعيان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، النهضة المصرية ١٣١٠هـ- ١٩٤٨م)
- ٧٥- ابن خلدون، عبدالرحمن (٨٠٨هـ- ١٤٠٥ أو ١٤٠٦)
- أ- المعبر ودوران المبتدأ والخير، طبعة دار البيان وطبعة بولاق
- ب- المقدمة. دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ٧٦- خليفة، حاجي: كشف الظنون، استانبول ١٩٤٤.
- ٧٧- الخضرى، محمد: تاريخ الامم الإسلامية، المطبعة التجارية الكبرى، ١٣٨٢هـ

- ٧٨-، الخصة، ناصر بنت عمرو بن الشريد، الثبوت، دار الانعصام بيروت.
- ٧٩- ابن خياط، أبو عمر خليفة (ت ٢٤٠هـ).
- أ- تاريخ تحقيق أكرم العمري النجف ١٣٨٦هـ- ١٩٦٧
- ب- الطليقات تحقيق أكرم العمري العاني بغداد ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م
- ٨٠- خودا بحث، صلاح الدين، حصارة الإسلام، تعريب علي حسني الحريوطي، دار الثقافة بيروت ١٩٧١م
- ٨١- الدباغ، مصطفى مراد، الجزيرة العربية، دار الطليعة بيروت ١٩٦٣.
- ٨٢- دروزة، محمد عزة
- أ- تاريخ الجنس العربي - المكتبة المصرية بيروت ١٩٥٩- ١٩٦٢
- ب- سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، بيروت ١٣٨٤- ١٩٦٥
- ج- عصر بني ديبك قبل البعثة، الطبعة العربية بيروت ١٩٦٤
- ٨٣- ابن دقاق، إبراهيم بن محمد بن إمام، الانتصار، طبعة الأخيرة، بولاق ١٣٠٩هـ
- ٨٤- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام دروز، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م.
- ٨٥- الدوري، عبدالمزير: (دكتور).
- أ- مقدمة في تاريخ صدر الإسلام الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٠
- ب- علم التاريخ عند العرب، الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٠م
- ج- مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، دار الطليعة بيروت، ١٩٦٩م
- ٨٦- الدولاقي، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد (ت- ٣١٠هـ) الكنز والأسماء، حيدر آباد الهند ١٣٢٢هـ.
- ٨٧- المنوري، أبو حيفة أحمد بن داود (ت ٢١٨هـ) الأخبار الطوال، السعادة، مصر ١٠٩٢م
- ٨٨- ابن أبي دؤاد، محمد بن أبي القاسم بن عمر القيرواني (١١٠هـ- ١٦٩٨م) اللؤلؤ في أخبار إفريقية وتونس، تونس ١٣٨٦هـ
- ٨٩- الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن، تاريخ الخميس في أحوال أممنا نعيم، طبعة مصر ١٩٠٢.

AIMAD VR

AIMAD VR

AHMAD SR

AHMAD SR

AHMAD SR

العصية القبلية في ضوء الأحكام

